

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة صالح بوبنيدر - قسنطينة 3

كلية العلوم السياسية
قسم العلاقات الدولية

أطروحة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في العلوم السياسية موسومة بـ:

"الأبعاد القيمية في صياغة السياسة الخارجية
الأمريكية - بعد أحداث 11 سبتمبر 2001"

إشراف الأستاذ الدكتور:
رياض بوريش

إعداد الطالب:
نبيل ديب

أعضاء لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة	الإسم واللقب
رئيسا	جامعة صالح بوبنيدر - قسنطينة 3	الأستاذ الدكتور عبد الكريم كيبش
مشرفا ومقررا	جامعة صالح بوبنيدر - قسنطينة 3	الأستاذ الدكتور رياض بوريش
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 3	الأستاذ الدكتور مسعود شنان
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 3	الدكتور إدريس عطية
عضوا مناقشا	جامعة صالح بوبنيدر - قسنطينة 3	الدكتور رياض حمدوش
عضوا مناقشا	جامعة جيجل	الدكتورة فريدة حموم

السنة الجامعية 2020/2019

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة صالح بوبنيدر - قسنطينة 3

كلية العلوم السياسية
قسم العلاقات الدولية

أطروحة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في العلوم السياسية موسومة بـ:

"الأبعاد القيمية في صياغة السياسة الخارجية
الأمريكية - بعد أحداث 11 سبتمبر 2001"

إشراف الأستاذ الدكتور:
رياض بوريش

إعداد الطالب:
نبيل ديب

أعضاء لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة	الإسم واللقب
رئيسا	جامعة صالح بوبنيدر - قسنطينة 3	الأستاذ الدكتور عبد الكريم كيبش
مشرفا ومقررا	جامعة صالح بوبنيدر - قسنطينة 3	الأستاذ الدكتور رياض بوريش
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 3	الأستاذ الدكتور مسعود شنان
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 3	الدكتور إدريس عطية
عضوا مناقشا	جامعة صالح بوبنيدر - قسنطينة 3	الدكتور رياض حمدوش
عضوا مناقشا	جامعة جيجل	الدكتورة فريدة حموم

السنة الجامعية 2020/2019

جزيل الشكر

للأستاذ الفاضل، الدكتور "رياض بوريش"، لإشرافه على هذا العمل العلمي، لأيقونة العلوم السياسية بالجزائر الحبيبة "سكينة دامية"، لكل من علمني حرفا ولمن ساهم في إخراج هذا الجهد إلى النور...

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين
إلى الزوجة والولدين
إلى الإخوة والأخوات
إلى الأصدقاء والأحبة
إلى أساتذتي، إلى زملائي، إلى طلبتي...
أهدي هذا الجهد المتواضع

المخلص:

تدور الدراسة حول أحداث الحادي عشر من أيلول - سبتمبر 2001، مركزة على دور القيم في تفسير الهجمات وتبريرها، وفقا للرواية الرسمية الأمريكية والروايات النقدية، مجيبة على إشكالية تعارض القيم الإنسانية الكونية المعلنة مع المصالح السياسية والاقتصادية، والأهداف الاستراتيجية. ففي إطار الإيديولوجية تأتي الاستراتيجيات الكبرى التي ترسم أهدافا منظورة وبعيد المدى، تُنفذها سياسات الحزبين في سياق انتقائية القيم الأقل ثباتا لتحقيق المصالح الأقل تغيرا، وذلك حسب الحاجة زمانا ومكانا، وعلى أساس المرحلية والتدرج ودوران النخب الذي يندرج ضمن العهدة الرئاسية المتعاقبة.

تمثل قيم الرأسمالية، الحرية، الديمقراطية وحقوق الإنسان، من جهة والفلسفة الذرائعية والداروينية الاجتماعية القيم الإنسانية الكونية، بينما تمثل الصهيونية بعموديتها المتحالفين: اليهودية والبروتستنتية الإنجيلية القيم الدينية، بما يشكل الإيديولوجية الوطنية لما يُطلق عليه دعائيا: زعيمة العالم الحر؛ حيث تمثل المركبات الكبرى ازدواجية القوة: إكراها وإقناعا من أجل سيطرة عالمية مشروعة، ويقع على رأسها: المركبان: الصناعي العسكري والعسكري السينماتوغرافي المندمج مع التواصل، أين تتم صناعة العدو الاستراتيجي الذي انتقل من الشيوعية الحمراء رمزيا (إمبراطورية الشر) إلى الإسلام الأخضر أو ما يُطلق عليه إعلاميا: الإرهاب الإسلامي.

باستغلال هجمات الحادي عشر سبتمبر 2001، حشد جورج بوش الابن تأييدا عالميا غير مسبوق، استغله في فرض القيم الأمريكية بالقوة الصلبة (المحافظون الجدد والإمبراطورية) فكان من نتائجها تراجع التأييد وارتفاع الشعور المعادي للولايات المتحدة، فجاءت فترة أوباما بتغيير السلوك السياسي واعتماد القوة الناعمة والقوة الذكية (المثالية الجديدة)، لكن النتائج ظلت محدودة، فتم تدعيم دونالد ترامب في سياق الانعزالية الجديدة بهدف المحافظة على المكاسب والتمكين لما تم تحقيقه، وهذا في سياق تغيير الفواعل الرسمية التي تؤدي أدوارا حسب الحاجة زمانا ومكانا، ووفقا لتحليل التغذية الاسترجاعية والتموقع في إطار تصميم وهندسة السياسة الخارجية الأمريكية.

Abstact :

The study is about the events of September 11, 2001, focuses on the role of values in the interpretation and justification of attacks, according to the US official discourse and critical versions, and responds to the problematic of the contradiction between human values expressed on the one hand and political and economic interests representing strategic objectives on the other. In the framework of this ambivalence of force: (persuasion / coercion), ideals and interchangeable actors are selected to achieve permanent interests driven by global strategies served by policies interacting with the needs and realities of the moment.

The values of capitalism, freedom, democracy and human rights, the philosophy of pragmatism and social Darwinism, represent the political culture (universality), while Zionism, with its two pillars; Judaism and Evangelical Protestantism, represent religious beliefs (specificity).

Exploiting the attacks of September 11, 2001, George Bush Jr. obtained unprecedented worldwide support, allowing him to impose American values using hard power (neoconservatives and empire), which eventually led to a drop in US support and a rise in anti-American sentiment. President Obama opted for Soft Power and Smart Power in a new idealistic context. Given the limits of the results obtained in relation to the US project of the century, Donald Trump has been supported in the context of the new isolationism in order to consolidate the gains and shift from the politics of the influence to the politics of the control and the legitimization of the American leadership.

Résumé :

L'étude s'articule autour des événements du 11 septembre 2001 et porte sur le rôle des valeurs dans l'interprétation et la justification des attaques, selon le discours officiel américain et les versions critiques, et répond à la problématique de la contradiction entre les valeurs humaines exprimées d'une part et les intérêts politiques et économiques représentant des objectifs stratégiques d'autre part. Dans le cadre de cette ambivalence de la force: persuasion/ coercition, on sélectionne des idéaux et des acteurs interchangeables afin de réaliser des intérêts permanents portés par des stratégies globales servis par des politiques en interaction avec les nécessités et les réalités du moment.

Les valeurs du capitalisme, de la liberté, de la démocratie et des droits de l'homme, la philosophie du pragmatisme et du darwinisme social, représentent la culture politique (universalité), tandis que le sionisme, avec ses deux piliers: le judaïsme et le protestantisme évangélique, représentent les croyances religieuses (spécificité).

En exploitant les attentats du 11 septembre 2001, George Bush fils a obtenu un soutien mondial sans précédent, lui permettant d'imposer les valeurs américaines en utilisant la force dure/Hard Power (Néoconservateurs et Empire), ce qui a entraîné, une baisse du soutien et une montée du sentiment anti-américain. Le président Obama a opté pour la force douce (Soft Power) et la force intelligente (Smart Power) dans un contexte de nouvel idéalisme. Vue la limite des résultats obtenus par rapport au projet du siècle, les sionistes et les différents groupes d'intérêt ont soutenu Donald Trump dans le contexte du nouvel isolationnisme afin de consolider les acquis, passer de l'influence au contrôle et à la légitimation du leadership américain

مقدمة

مقدمة:

دفعت أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001 إلى إعلان الخطاب الرسمي الأمريكي عن إعلائه للقيم الإنسانية، وتأكيد على اعتبار الأبعاد القيمية والإيديولوجية القومية المبنية على الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، والثقافة السياسية العقلانية - التشاركية ونمط المعيشة الأمريكي المتميز، عنصرا أساسيا في صياغة سياسة الولايات المتحدة الخارجية، وذلك منذ عهد الآباء المؤسسين « Founder Fathers » بل منذ المهاجرين الأولين « Pilgrims ».

من بين المرتكزات القيمية التي بنيت عليها السياسة الخارجية الأمريكية، نجد مفهوم "القدر الجلي" أو "القدرة الظاهرة" « The Manifest Destiny / La destinée Manifeste » الذي يتضمن إرثا دينيا قويا، كما نجد أن فكرة الرسالة أو "المهمة التمدينية" « Civilizing Mission / La mission Civilisatrice » للولايات المتحدة على أساس أنموذج متميز وكامل للتنمية مبني على قيم الديمقراطية الليبرالية والإيمان المسيحي (البروتستنتي) لم تتكون في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر (حوالي سنة 1845) عندما ابتكر جون أوسالييفان John Osullivan مدير المجلة الديمقراطية « Democratic Review » مصطلح Manifest Destiny، بل منذ انطلاق سفينة "ماي فلاور" من الأراضي البريطانية إلى العالم الجديد، أو رمزيا: الخروج هروبا من فرعون مصر (الملك الإنجليزي) إلى الأرض الموعودة أو إسرائيل الجديدة (الولايات المتحدة حاليا).

بيد إن مصطلح 'إيديولوجية' ومنذ استعماله لأول مرة من طرف أنطوان ديستوت دو تراسي « Destutt de Tracy Antoine » بمعنى 'علم الأفكار' وذلك ما بين عامي 1796 - 1798، لم يدخل إلى الأدبيات الأمريكية إلا في بداية القرن العشرين على يد كارل مانهايم Karl Mannheim، ثم مع رواد مدرسة فرانكفورت الذين هاجر عدد غير قليل منهم إلى الولايات المتحدة، مثل: كارين هورني « Karen Horney »، هنا آرنندت « Hannah Arendt » ثم يورغن هابرماس Jurgen Habermas، الخ.

إن اللافت للنظر هو ترابط القوة والإيديولوجيا والمصالح في بنية السياسة الأمريكية وفقا لتركيبتين متداخلتين :

1- العقل السياسي الأمريكي : المركب من منظومة متداخلة من قيم الحرية والتحرر والاستقلال والقوة من جهة، ونزوع السيطرة والمنفعة والمصالح من جهة أخرى.

2- بنية النظام السياسي الأمريكي : التي عكست مجتمعا ذا ديناميكية هائلة تتوزعه مجموعات وقوى اجتماعية واقتصادية وسياسية، ذات رؤى ثقافية ودينية وأخلاقية وفعالية ومصالحية¹.

مما انعكس على الرؤية الإستراتيجية الأمريكية لسياستها الخارجية :

أولا : تبرير استخدام القوة في رسم أو تحقيق هدف خارجي في إطار الحفاظ على المصالح القومية

ثانيا : تبرير الهيمنة والاستعمار بهدف إحلال مفاهيم ورؤى تقدمية (الدمقرطة Democratization=Démocratisation) أو تنمية (رأسمالية اقتصاد السوق) ذات أبعاد ثقافية، اجتماعية وسياسية بل وحتى دينية .

من أجل ذلك انبرى مفكروا واستراتيجيو « النادي المحافظ » أو ما أصبح يعرف لاحقا ب- المحافظين الجدد- للدفاع عن سياسة الهيمنة والتوسع عن طريق استعمال القوة العسكرية أو القوة الصلبة « Hard Power »، منتقدين سياسة القوة الناعمة أو اللينة (أو بالأحرى سياسة البريستيج أو الجاذبية) « Soft Power » التي ميزت عهدي كلينتون، حيث نشروا مشروعهم للقرن الأمريكي الجديد **Project for the new American Century** المعروف اختصارا بـ PNAC وذلك بتاريخ 3 جوان 1997.

هذه الوثيقة التي نفذ محتواها فعليا إبان عهدي جورج وولكر بوش (الإبن) الذي كان محاطا بالمحافظين الجدد حيث تجدر الإشارة إلى أن من بين الخمسة والعشرين موقعا على الوثيقة المذكورة (مشروع القرن الأمريكي)، نجد : جاب بوش « Jeb Bush » (حاكم فلوريدا وأخ الرئيس جورج وولكر بوش)، ديك تشيني « Dick Cheney » (نائب الرئيس بوش الإبن)، دان كوايل « Dan Quayle » (نائب الرئيس جورج بوش الأب)، ستيف فوربس « Steve Forbs » (ملياردير من غلاة المحافظين)، فرانسيس فوكوياما « Francis Fukuyama » (منظر نهاية التاريخ)، غاري باور « Gary Bauer » (إنجيلي معارض للإجهاض)، دونالد كاينغ « Donald Kagan » (مؤرخ وأستاذ بجامعة يال)، دونالد رامسفيلد « Donald Rumsfeld » (وزير الدفاع الأسبق في عهد بوش الإبن)، بول وولفوويتز « Paul Wolfowitz » (نائب سابق لوزير الدفاع رامسفيلد)،.... الخ².

¹ هشام يونس، (الإيديولوجيا الاستراتيجية الأمريكية)، شؤون الأوسط، عدد 114، ربيع 2004، ص. 113

² Project for the New American Century: la politique américaine en une leçon (<http://prof.estat.com/m/web/>) consulté le 29 Novembre 2008.

إن مصطلحي 'القيم' و'المصالح'، بالنسبة إلى هؤلاء المحافظين الجدد، متطابقان بل مترادفان، حيث إن على الولايات المتحدة أن تختار: إما طريق الريادة عن طريق فرض مصالحها عبر العالم وبالتالي عليها إظهار قوتها، وإما سبيل الانحطاط.

على هذا الأساس كانت المفاتيح الثلاثة المعلنة والمتنبأة من طرف إدارة بوش تتمثل في ثلاثة أبعاد رئيسية:

*زيادة الإنفاق العسكري لتحقيق الضربة الوقائية والضربة الإستباقية

*فرض القيم الأمريكية الإمبراطورية على العالم بأسره أو الأمركة (باعتبارها القيم الأفضل)

*عولمة المصالح الأمريكية وحمايتها عبر العالم.

مبررات اختيار الموضوع:

برأي طالب العلم، معدّ هذا البحث المتواضع، تتبع أهمية الموضوع أساسا مما يلي:

1- أن هجمات 11 سبتمبر 2001 أفرزت، علاوة على حالة التوجس الإستراتيجي، جدلا حادا بين تيارين كبيرين، يدعي أحدهما أن هذه الأحداث قد غيرت جوهر العقيدة الإستراتيجية الأمريكية (عقيدة بوش)، بينما لا يرى التيار الثاني أن شيئا من ذلك قد نتج عن تلك الأحداث، لأن التحولات لا تتم بشكل فجائي وسريع بل تشق طريقها داخل المجتمع الدولي بشكل أبطأ وعلى مدى أوسع ...

2- أن تبرير حماية المصالح الأمريكية الممتدة عالميا بذريعة نشر القيم الأمريكية أو بالأحرى عولمة القيم الإنسانية (ذات الطابع الكوني)، جعل الإحساس بالتهديد، وبخطر الانكشاف الأمني يتحول إلى هاجس لجميع الدول (وعلى رأس القائمة توجد الدول العربية التي عانت جلها من السياسة الأمريكية: غزوا وتفكيكا)، حيث لم تعد القوة مرتبطة أساسا بالقوة العسكرية، بل تتعداها إلى التكنولوجيا، النمو الاقتصادي، الاتصالات، التحكم في الاعتماد المتبادل والمعلومات... وذلك بسبب طبيعة التهديدات الجديدة، الأمر الذي جعل ذلك الزخم من الكتابات التي صدرت وما زالت تصدر تباعا، لمعالجة هذا الموضوع تظل غير كافية، بالنظر إلى الإفرازات العميقة والخطيرة للحادي عشر من سبتمبر خاصة على المنطقة التي تعيننا مباشرة أي ما يسمى في الأدبيات الغربية عموما والأمريكية خصوصا بالشرق الأوسط وشمال إفريقيا MENA، أو (الشرق الأوسط الكبير/الجديد)، وما مثلته من فرص وتهديدات، وكذا بالنظر إلى حاجة المكتبة الجزائرية الماسة إلى معالجة الموضوع محل البحث من زوايا مختلفة، خاصة باللغة العربية.

3- الميول الشخصية لطالب العلم إلى دراسة استراتيجيات الدول الكبرى التي دأبت على صياغة مستقبل الدول الضعيفة بما يتماشى مع رؤاها، وأطروحاتها، ويحقق مصالحها، وبوجه أخص إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية التي أصبحت القوة الوحيدة التي تملك مصالح عالمية تسعى لتحقيقها، وتحاول ولو باستعمال القوة العسكرية، المحافظة عليها.

من أجل هذه الاعتبارات وغيرها، ينظر الباحث إلى أهمية إثراء هذا الموضوع والتوسع فيه.

إشكالية الموضوع:

ينطلق البحث من الإشكالية المركزية التالية:

* ما مدى تأثير البعد القيمي في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية، خاصة بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001 في نيويورك وواشنطن والتزام الإدارات الأمريكية المتعاقبة بالقيم التي تزعم دعم نشرها في العالم عندما تتعارض هذه القيم مع المصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة؟

من أجل بناء منهجي أدق، يطرح البحث مجموعة من الإشكاليات الفرعية وفقا للصياغة التالية:

- ما المقصود بالقيم وكيف تنشأ وتؤثر في صانع القرار السياسي؟
- ما مدى ارتباط القيم والأنساق القيمية بمسار صياغة وتنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية؟
- كيف تم توظيف القيم في تفسير الإدارة الأمريكية لأحداث 9/11، وما مدى نجاح العقل الإستراتيجي الأمريكي في ربط القيم بالمصالح؟
- ما هي القيمة العلمية للرواية الرسمية الأمريكية عن هجمات 9/11 وما مدى التحول في السياسة الخارجية للولايات المتحدة بعد الأحداث؟
- فيم تتمثل وظائف وأدوار القيم وما موقع تحديد المصالح في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية بعد 9/11؟
- ما مدى تأثر الرؤساء الأمريكيين بعد أحداث 9/11 بالأنساق القيمية الراسخة وبالمجموعات السياسية الألق بنواة الحكم والدوائر الأقرب للبيت الأبيض، وكيف وظفت هذه الأخيرة البعد القيمي في تكوين بيئة نفسية ملائمة من أجل توجيه المسار القراري بما يخدم رؤاها؟

فرضيات الدراسة:

نحاول في هذا البحث الإجابة على الإشكاليات السابقة (مركزية وفرعية) على ضوء جملة من الفرضيات نصوغها كما يلي:

* إذا كان انسجام القيم والمصالح لا يطرح إشكالا عند صياغة وتنفيذ السياسة الخارجية، فإن حالة التعارض تؤدي إلى انكشاف قيمي خطير وصعوبة بالغة في تبرير السلوك السياسي الخالي من القيم « Value Free »، وبالتالي صعوبة الترويج للنموذج الأسمى أو بالأحرى الحلم الأمريكي.

* يطرح تأثير صانعي القرار عموما ورجال الدولة الأمريكيين خصوصا، بمجموعة القيم السائدة في مجتمعهم عن طريق التنشئة الاجتماعية التي يتلقونها داخل الأسرة والمدرسة والبنى الدينية والسياسية القائمة، إمكانية إدخال هذه القيم في صياغة السياسة الخارجية.

* إذا كان صناع القرار قد تمكنوا، بتواطؤ قيادات الوكالات الأمنية وبتغطية منهجية من وسائل الإعلام، من تدبير أحداث الحادي عشر سبتمبر لتبرير استعمال القوة المفرطة، بهدف التحكم في مصادر الطاقة، وبالتالي الانفراد بالهيمنة فإن ذلك لم يكن ذا جدوى إلى بالتوظيف الذكي لما أُطلق عليه منذ واشنطن وجيفيرسون بـ « القيم الأمريكية » والتي لا تعدو كونها أفكارا انتقائية: دينية – رأسمالية.

* لقد قدمت هجمات 11 سبتمبر، حتى مع افتراض فشل المؤسسات الأمنية والعسكرية الأمريكية، ذريعة ملائمة للرئيس بوش من أجل زيادة حجم الإنفاق العسكري، والتحكم في منابع الطاقة (البتترول والغاز)، وذلك من أجل تأكيد تفوق الولايات المتحدة الإستراتيجي، وإدامة هيمنتها وزعامتها على العالم، ومنع أو على الأقل عرقلة وتعطيل تشكيل قطب أو أقطاب مكافئة لها (أي أن الفاعل عقلائي بالرغم من الترويج لصورة الثور الجريح).

* ينحصر القرار الخارجي للرئيس الأمريكي في خيارات محدودة بسبب تأثيره، بحكم التنشئة، بروية إيديولوجية إثنومركزية مغلقة واستعانتته بالاستشارة وخلصات السياسة التي تقدمها له الجماعات الصهيونية القريبة منه والمتغلغلة، بالإضافة إلى السلطة التشريعية ووسائل الإعلام وحملات الإنتخابات، في مفاصل الإدارة.

أدبيات الدراسة:

لقد أسالت أحداث 2001/09/11 الكثير من المداد، لكونها شكلت صدمة لكل الملاحظين، حيث تعرض الكثير من المفكرين بالتحليل لفشل المؤسسات الأمنية الأمريكية في التنبؤ بالهجمات والتصدي لها، وكذا للطريقة التي حدثت بها هذه الهجمات، كما تساءل البعض الآخر حول مصدر الهجمات، حقيقتها وطبيعتها ومدى جدية الرؤية الرسمية...إلخ.

لكن الدراسات العلمية الجادة حول تأثير الأبعاد القيمية في صياغة وتنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية، وعقيدة البيت الأبيض العسكرية والسياسية، ومجالات تطبيق الإستراتيجية الأمريكية، ظلت محصورة في عدد محدود من الباحثين، كما أن تسارع الأحداث جعل دائما من هذه الدراسات محاولات ناقصة، وغير مواكبة ولا ملزمة بموضوع يتطور باستمرار، ولم يبدأ الاهتمام العلمي به إلا حديثا.

من بين المراجع التي تمت الاستعانة بها والإفادة منها في هذا البحث، نذكر الكتاب الجماعي الموسوم بـ: "سؤال القيم بصيغ متعددة نماذج في العلوم الاجتماعية والإعلام ولتربية والأدب والثقافة"، الذي أشرف على تأليفه هشام المكي (و آخرون) مضافا إليه كتاب: "القيم الشخصية في كل مضامينها" لمؤلفه سفيان بوعطيط، وكتبا قريبة من المحتوى المطروح فيهما، حيث شكلت مصادر جيدة للإطار الإيتيمولوجي، شرحا للمصطلح وتأصيلا للأصول من وجهة نظر اجتماعية، تربوية، ثقافية وإعلامية، لكن البحث تجاوزها نقاشا وتحليلا إلى التركيز على وجهة النظر السياسية، وربط المفاهيم الأساسية: قيم وأنساق قيمية...إلخ بالسياسة الخارجية عموما وبالسياسة الخارجية الأمريكية تحديدا.

شكل كتاب "القيادة في السياسة الخارجية الأمريكية بعد الحرب الباردة" لمؤلفه ياسر عبد الحسين، مرجعا مهما، بحكم التقاطع الموجود على مستوى الطرح، حيث تدخل القيم في تكوين القيادة والشخصية القيادية، لكن البحث يزعم تحريا أكبر للدقة، خصوصا فيما لم يكن مجالاً لاهتمام الكتاب المذكور (وهو في أصله دراسة أكاديمية: أطروحة دكتوراه تم طبعها ونشرها في شكل كتاب)، كما أن التحليل توقف كرونولوجيا عند جزء من قيادة أوباما بينما حاول البحث تناول العهدة الأولى لرئاسة ترامب...

استعان البحث بعدة كتب علمية، تناولت الأبعاد: القيمية الدينية والجيوحضارية، الإستراتيجية، والجيواقتصادية، نذكر منها: "سلسلة الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم" لمؤلفها: يوسف عاصي الطويل وتقع في خمسة أجزاء، كتاب "التخطيط الإستراتيجي للسياسة الخارجية وبرامج الأمن القومي للدول (الولايات المتحدة الأمريكية نموذجا)" لصاحبه: فوزي حسن حسين، ثم كتاب "العولمة

الاقتصادية والأمن الدولي مدخل إلى الجيواقتصاد" تأليف جاك فونتانال وترجمة محمود براهيم... فبينما اكتفى كل كتاب بالإجابة على إشكالية محددة بالدين أو التخطيط الإستراتيجي أو المدخل الجيواقتصادي وتداعيات العولمة، تصدى البحث لدراسة الأبعاد القيمة لكن في إطار عقل استراتيجي مركب ورؤية شاملة ومتعددة.

لا ننسى الإشارة إلى ذلك النقاش الأكاديمي والسياسي الهام والثري، حول دور المحافظين الجدد وشخصية بوش الابن في غزو العراق وتحديد المصلحة الإسرائيلية في هذه الحرب، حيث يؤيد مايكل كولينز بايبر هذا الطرح بشدة، في كتابه الموسوم بـ: "كهنة الحرب الكبار" والذي قام بترجمته عبد اللطيف أبو البصل، لكن كتاب فرانك هارفي، الذي ترجمه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، والموسوم بـ: "تفسير حرب العراق نظرية افتراضية وتفسير منطقي مع الأدلة" جاء ليفند هذه الرؤية بأدلة جديدة وطرح منهجي، مما ساهم في إثراء النقاش وإضافة عناصر قيمة لمحتوى الأطروحة.

لقد استفاد البحث من كتاب "صناعة القرار الأمريكي" لمؤلفه ماجد عرسان الكيلاني، خصوصا ما تعلق منه بالمسار القراري، كما أفادت الأطروحة كذلك من كتاب جمال سند السويدي، والموسوم بـ: "آفاق العصر الأمريكي السيادة والنفوذ في النظام العالمي الجديد" في الإشارة إلى بعض النظريات الأحدث، وكذا من كتاب محمد السيد سليم، بعنوان: "تحليل السياسة الخارجية" حتى وإن كان تناوله للقيم محدودة غير أنه مفيد خاصة ما تعلق منه بالبيئة النفسية لصانع القرار.

ونشير أيضا إلى المقال العلمي القيم للباحث هشام يونس بعنوان: الإيديو إستراتيجية الأمريكية، الذي نشر في مجلة شؤون الأوسط (الصادرة عن مركز الدراسات الإستراتيجية ببيروت) ربيع 2004، أين يحاول الكاتب أن يناقش إيديولوجية الرؤى والإستراتيجيات الأمريكية المعتمدة من قبل الإدارات الأمريكية، حيث يخلص إلى وجود إيديولوجية واحدة واستراتيجيات متعددة، لكنه يركز على مناقشة بعض الأطروحات النظرية التي برمجت جزئيا للتصورات المطبقة فعليا بعد الحادي عشر من سبتمبر دون أن يتناول الفترة التي نحاول التركيز عليها في بحثنا... وفي المجلة نفسها نشير إلى ترجمة إيلي شلهوب لمقال لفرانسيس فوكوياما بعنوان: [ما بعد المحافظة الجديدة] وذلك في العدد رقم 123 الصادر صيف 2006 (النص منشور في: Newyork Times Magazine 22/2/2006)...

كما نذكر الكتاب الجماعي الذي أصدره مركز دراسات الوحدة العربية بعنوان "العرب والعالم بعد 11 أيلول/سبتمبر" الذي يتضمن العديد من الدراسات المنهجية، خاصة تلك التي تركز على الإستراتيجية الأمريكية مثل دراسة مايكل هدسون: "مآزق إمبريالية: إدارة المناطق الجامحة"، ودراسة

إسماعيل الشطي: "تحديات إستراتيجية بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر" وكذا دراسة سميح فرسون: "جذور الحملة الأمريكية لمناهضة الإرهاب"، ونخص بالذكر مقال حسن الحاج علي أحمد: "حرب أفغانستان: التحول من الجيوستراتيجي إلى الجيوثقافي"، ومقال أحمد بيضون: "معالم للثقافة المعولمة بعد 11 أيلول/سبتمبر 2001" ...

تجدد الإشارة إلى كتاب جماعي آخر ألفه عدد من الأساتذة والباحثين والمختصين الجزائريين، عنون بـ: "الانعكاسات الدولية والإقليمية لأحداث 11 سبتمبر 2001"، ونخص بالذكر الدراسة القيمة للدكتور عبد النور بن عنتر: "الإستراتيجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر".

وقد خصص الأستاذ توفيق المديني فصولا كاملة عن الإستراتيجية الأمنية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر في كتابه: "التوتاليتارية الليبرالية والحرب على الإرهاب"، لكنه ركز في كتابه على انتقاد الإمبريالية الأمريكية أكثر من محاولة فهم وتحليل أبعاد إستراتيجيتها الأمنية.

بالإضافة إلى تلك المقالات والدراسات التي ركزت على علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بمنطقة الشرق الأوسط والعالمين العربي والإسلامي، ومصير أمهات القضايا الجهوية في ظل العقيدة الأمنية المتبناة من طرف الإدارة الأمريكية الحالية، مثل دراسة السيدة "روزماري هوليس" رئيسة برنامج الشرق الأوسط في المعهد الملكي للشؤون الدولية بلندن، والتي نشرتها باللغة العربية مجلة المستقبل العربي في عدد ديسمبر 2002 بعنوان "مكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط: الوسائل مقابل الغايات"، حيث يركز هذا النوع من الدراسات على تحليل ظاهرة محددة مثل الإرهاب، مع التركيز على بلد معين مثل أفغانستان أو على منطقة بعينها مثل الشرق الأوسط... إلخ، لكنه مفيد لدراسة مختلف جوانب الإستراتيجية الأمريكية. وقبل أن تنتقل إلى ما صدر باللغات الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية) فإننا نود الإشارة إلى وجود بعض المذكرات على مستوى كلية العلوم السياسية والإعلام بجامعة الجزائر التي حاولت دراسة جانب من جوانب الموضوع، أو التركيز على بعد من أبعاده، مثل مذكرة الماجستير التي أنجزها الطالب "محمد يزيد بوزيد" بعنوان "البعد الاقتصادي للإستراتيجية الأمنية الأمريكية على ضوء المتغيرات الدولية الجديدة"... إلخ.

أما ما وقعت عليه يدانا من دراسات علمية باللغتين الأجنبيةتين: الإنجليزية والفرنسية فإنها كثيرة ومتنوعة نذكر منها: كتابين ذوي أهمية خاصة لمؤلفهما: Joseph Frankel، والموسومين على التوالي بـ: "The Making of Foreign Policy. An Analysis of Decision-Making" و"National Interest"، أين تطرق الكاتب بمنهجية صارمة إلى موضوع القيم في السياسة الخارجية مع تقديم العديد من الأمثلة عن السياسة الخارجية الأمريكية، لكنه كان ذاتي النزعة عندما يقارن ما يطلق عليه العقلانية الغربية مقابل لا عقلانية القيم غير الغربية، كما أنه ظل حبيس

الحرب الباردة ومقارنة القيم الليبرالية بالقيم الشيوعية الماركسية، وقد أفاد البحث بكتابه حول المصلحة القومية، إذ أفرد للمفهوم كتابا كاملا أصبح مرجعا مهما للدارسين والباحثين من بعده.

نذكر الكتاب العلمي المليء، رغم إيجازه، بالفوائد والمعطيات وخلاصات التحليل، الذي ألفه مجموعة من الباحثين الفرنسيين، وأشرف عليه: Charles-Philippe David والموسوم بـ: **La « politique étrangère des Etats-Unis fondements, acteurs, formulation »**

أين سعى المؤلفون إلى أن يجعلوا منه دليلا موجزا ومفيدا للباحثين وأساتذة التخصص، وقد أفاد البحث خصوصا في الإطار الدستوري والإطار الثقافي. ولا ننسى كتاب:

« **La Question Religieuse au 21 ème siècle** » (Paris Edition La Découverte 2006)، ثم المقال المنشور في مجلة foreign affairs للباحثين Leslie H. و Justine A. Rosenthal و Gelb بتاريخ ماي/جوان 2003 بعنوان: **The Rise of Ethics in Foreign Policy : Reaching a Values Consensus**، وكذا المقال المنشور في يومية *El Watan* الجزائرية في 23 جويلية 2006 بعنوان: **La démocratie de la peur : la doctrine théologique de**

l'américanisme ، ثم الكتاب الصادر باللغة الفرنسية للبروفيسور "شمس الدين شيتور" بعنوان : **« Les guerres de Pétrole ou le droit de force après le 11 septembre »** ودراسات الأستاذ F.G. Hoffman نخص منها بالذكر تلك التي نشرها مركز **Center for Defense Information** والمعنونة بـ **Home land Security/ A compitative Strategy approach** وكذا الدراسات والملفات التي تعرضت بالبحث حول الإستراتيجية الأمريكية قبل وبعد 11 سبتمبر، مثل دراسات: Jean-Michel Valantin و -Saida Beda- و -Gilbert Achcar- حول العقيدة الأمنية للبننتاغون، وتطورات الإستراتيجية الأمريكية منذ انهيار الإتحاد السوفييتي، وخاصة بعد 11 سبتمبر.

ثم هناك الملفات التي نشرتها بعض المجالات المتخصصة، مثل تلك الدراسات الصادرة عن مجموعة من الباحثين الفرنسيين "Groupe d'étude du Cara"،

بعنوان : **Quelle position pour la France devant les projets américains de défense antimissile ?** أو تلك التي اهتمت بحرب الولايات المتحدة في آسيا الوسطى، وبالحملة على الإرهاب مثل دراسة "Renet Gagnant" ودراسة "Frederic Engel" بعنوان :

(وهذه الدراسات منشورة تباعا في مجلتي: **La guerre Etats-Unis El Quaida**)

(Le Débat Stratégique و Defense Nationale)

أما عن الدراسات الجادة والمفيدة التي تناولت السياسة الخارجية الأمريكية من وجهة نظر الجيوبوليتيك، فمن الواجب التعرض لكتاب « Pierre Biarnès : **Pour l'empire du monde**

Les Américains aux frontières de la Russie et de la Chine »

أين حاول المؤلف تحليل رهانات الهيمنة، وخطورة التوسع الأمريكي أكثر من تناول مدى تأثير الثقافة في صناعة القرار الأمريكي على المستوى الدولي.

تجدر الإشارة أيضا إلى الملف الذي أشرف عليه البروفيسور "John Mason" (أستاذ العلوم السياسية بجامعة نيو جرزي بالولايات المتحدة) الذي نشرته مجلة: "Recherches Internationales بعنوان: **Le monde, un an après le 11 septembre**، ثم مقالات أحد كبار المنظرين والإستراتيجيين الأمريكيين، (المستشار السابق لشؤون الأمن القومي في عهد الرئيس جيمي كارتر) "زيغنيو بريجنسكي"، مثل المقال المعنون بـ **Pour une nouvelle stratégie américaine de paix et de sécurité**، أين ركز على ضرورة إعادة بعث وتقوية الاستخبارات الأمريكية...الخ.

يطرح الكتاب الجماعي الصادر عن منشورات أوكسفورد، تحت إشراف الباحث: Steve Smith، بعنوان: « Foreign Policy, Theories, Actors , Cases»، إشكاليات جديدة وقضايا من الأهمية بمكان، على رأسها مفهوم الأمن وارتباطه بالسياسة الخارجي، كما يمثل الكتاب الذي ألفه Jean-Michel Valantin، بعنوان: « Hollywood, Le Pentagone Et Washington Les trois acteurs de la stratégie mondiale » ملخصا أكاديميا ممتازا حول دور سينما الأمن القومي، ضلعا أساسيا ضمن ثلاثية الفواعل، وحاملا مهما للقيم الأمريكية إلى العالم، دون أن ننسى ذكر الطبعة السابعة المزينة من القاموس المختص الذي ألفه مجموعة من الأكاديميين الفرنسيين، تحت إشراف Guy Hermet بعنوان: « Dictionnaire de la science politique et des institutions politiques » حيث قدم إضافة موثقة نافعة للبحث وللتأصيل الإيتيمولوجي، مع الموسوعة العربية للعلوم السياسية وقاموسي: عامر مصباح وعبد المجيد لبصير، وموسوعات ومعاجم قيمة أخرى.

الإطار المنهجي:

لقد حاول طالب العلم توظيف عدة مناهج ومقاربات رأى بأنها تتناسب طبيعة الموضوع وذلك كما يلي:

*** المنهج التاريخي « The Historical Approach » :**

من أجل الوقوف على طبيعة التحول في السياسة الخارجية الأمريكية، وإذا كان هذا التحول جذريا أو شكليا، وذلك بالرجوع إلى المرتكزات الأساسية للإستراتيجية الأمريكية، خاصة في الفترة التالية لانتهاء الإتحاد السوفييتي، والسابقة لأحداث 11 سبتمبر، ثم دراسة عقيدة بوش، وما تلاها، والنظر إن كانت تمثل القطيعة مع سياسة الإدارات السابقة... الخ.

*** المنهج المقارن « The Comparative Approach » :**

ليس الهدف من توظيف هذا المنهج العلمي الاقتصار على إجراء مقارنة بين السياسة الخارجية للولايات المتحدة والسياسة الخارجية لدول أخرى مع دراسة تأثير البعد القيمي في كل منها مثلما انصب تركيز الجيل الأول من علماء السياسة المقارنة (فريدريك Friedrich، لوينشتاين Loewenstein، نويمان Neumann، فاينر Finer وغيرهم)، وإنما أثرنا في بحثنا أن نتتبع الظاهرة محل الدراسة وذلك بمقارنة عقيدة بوش الابن والسياسة الخارجية في عهده بالسياسات السابقة وخصوصا في عهد كلينتون من جهة، وبالسياسات اللاحقة - فترتا أوباما وترامب (عهدته الأولى) من جهة ثانية.

*** المنهجية التفكيكية "Deconstructive Methodology":**

حيث يبني التفكيك على خمسة مستويات تحليلية:

1- الفواعل: "Actors".

2- البنى: "Structures".

3- العناصر: "Factors".

4- العمليات: "Processes".

5- القطاعات: "Sectors".

هذه المنهجية طورها كرازنر وتبني مستويات التحليل لديها أغلب الواقعيين الجدد، وقد تم التركيز عليها لأهمية التفكيك وملاءمته مع طبيعة الموضوع وزاوية النظر المعتمدة، وضمن التفكيك ذاته، تم التركيز على الفواعل (إيديولوجية ومؤسسية) والعمليات (قبل أحداث 9/11 وبعدها)، ثم إعادة التركيب (المساران: القراري و العولمي).

*** منهج التحليل التوثيقي أو دراسة الوثيقة "Document study":**

من أجل تحليل أهم الوثائق الرسمية، والمصادر الأولية مثل وثيقة البيت الأبيض حول الإستراتيجية القومية الأمنية الأمريكية (NSSA 2002) **The National Security Strategy of America**، المجلة الرباعية للدفاع **Quadriennial Defense Review (QDR)**، مشروع القرن **PNAC** وغيرها من الوثائق المتوفرة لدينا.

*** منهج دراسة الحالة « The Case Study Approach »:**

بما أننا سوف نتطرق إلى مجالات تطبيق السياسة الخارجية لأمريكية مع التركيز على فترة محددة (ما بعد 11 سبتمبر 2001 ؛ أي فترة بوش الابن تحديداً)، كان لزاماً علينا أن نوظف هذا المنهج وذلك للتوصل إلى نتائج أكثر دقة وعمقا.

*** منهج التحليل النفسي التطبيقي + منهج تحليل الخطاب :**

وهذا سعياً منا إلى فهم إدراك القادة وصانعي القرار الأمريكيين للحقائق والمعطيات الجيوستراتيجية وخصوصاً شخصية وإدراك الرئيس بصفته أول صانع للقرار بالولايات المتحدة، ومن ثم فهم سلوكه ومن خلاله السياسة الخارجية الأمريكية في إطار القيم السائدة .

الإطار النظري:

إن طبيعة الموضوع محل البحث تفرض الإفادة من مساهمات نظرية عديدة، لعل من أهمها، بعد نظريات القيادة والنظريات النفسية والاجتماعية المتعلقة بالقيم، نجد:

*** نظرية الدومينو:**

وذلك من أجل تحليل وتفسير سلوك الإستراتيجيين الأمريكيين الذي انتقل من دعم الإسلاميين (عقيدة إيزنهاور)، إلى احتوائهم ثم استعمالهم في إطار صناعة العدو، وتفسير قيام الولايات المتحدة بتطبيق سياسة الاحتواء ومنطق الدومينو على مجريات الأحداث السياسية في العالم السياسي بدءاً بمنطقة الشرق الأوسط، ومروراً بشمال أفريقيا، وآسيا الوسطى وانتهاءً باندونيسيا، ثم نجاح عمليات إثارة الفوضى الخلاقة في منطقة مينا (MENA) (الربيع العربي)، بعد نجاحها في شرق أوروبا وتخوم روسيا (الثورات الملونة)...

من أهم منظري الدومينو، نجد: "جيروم سلايتر / Jerome Slater"، الذي يعتمد التجربة الفيتنامية ليركز على مكونات النموذج المجازي حيث يحصرها في أربعة:

- 1- التصور بأن جميع الثورات تشكل تهديدات خارجية للولايات المتحدة الأمريكية.
 - 2- وجود روابط قوية بين جميع الثورات داخل الدولة الواحدة وإمكانية وقوعها في دول أخرى.
 - 3- نتيجة لهذه الروابط الوثيقة، فإن الولايات المتحدة الأمريكية يجب أن تتحرك بسرعة.
 - 4- في حالة سقوط إحدى الدول، فإن ذلك سيؤدي إلى سقوط بقية دول المنطقة، وربما أبعد من ذلك.
- كما يركز على طرق إنتشار الثورات، ملخصا لها في أربع:

- 1- العدوان أو الغزو الصارخ . Overt aggression and/or invasion
- 2- الثورات التخريبية أو الثورة الموجهة من الخارج، وهي التي يتم الإشراف عليها خارجيا . Subversion
- 3- تبني أو احتضان الثورة Accomodation

4- الثورة بالمحاكاة أو الإيهام بوقوع الثورة والحث عليها Inspiration /Emulation¹.

كما أن من أهم منظري الدومينو، "جاك سنايدر/ Jack Snyder" الذي استخدم تحليل "روبرت جارفيس/ Robert Jervis"، حيث ركز أساسا على عوامل تأثيرات الدومينو، وتشمل هذه العوامل:

- أن تكون الدول المستهدفة ضعيفة من الداخل، صغيرة الحجم، متصلة جغرافيا، ومحرومة من الحلفاء الأقوياء.
- أن تكون قطعة الدومينو الساقطة أولا مشابهة في خصائصها للدول المستهدفة لاحقا.
- أن تكون قطعة الدومينو الأساسية دولة كبيرة.
- أن تشمل التقنية العسكرية عملية الهجوم.

* نظرية الألعاب:

فمن عادة القائمين على رسم الإستراتيجية الأمريكية، أن يعملوا حساب الريح والخسارة وقيموا المخاطر والتهديدات، كما أنهم يجيدون دراسة جميع الاحتمالات الممكنة، بناء على مشاهد

¹ Robert jervis and jack snyder, Dominoes and Bandwagous: Strategic Beliefs and great power competition in the eurasion rinland, New York, Oxford university press.1991, pp39-40

وسيناريوهات متفاعلة فيما بينها، وبناء على هذه الفكرة فإننا نستطيع أن نثبت العلاقة بين القيم والمصالح من جهة، ومدى تغلغل بعض القيم وتوظيف بعضها الآخر من جهة أخرى.

من أهم من أسس قواعد هذه النظرية نجد: "أوسكار مورغنسترن / Oscar Morganstern" و"جون نيومان John Newman" حيث تفترض هذه النظرية وجود أربعة عناصر أساسية هي: - اللاعب، - قواعد اللعبة، - الإستراتيجية، - النتيجة.

ويمكن تقسيم المباريات في إطار هذه النظرية إلى نمطين:

1- الألعاب أو المباريات الصفرية (Zero Sum Game).

وهي المباريات التي تكون فيها خسارة أحد الأطراف مساوية لمكاسب الطرف الآخر، فالصراع بين دولتين على موقع إستراتيجي سيؤدي إلى فوز أحدهما بالموقع وبالتالي خسارة موازية للطرف الآخر لهذا الموقع.

وفي إطار هذه المباريات الصفرية ثمة نقطة مركزية وهي ما يسمى بنقطة التقارب أو استراتيجية المقاربة (Saddle Point or MiniMax)، وتعني أن الطرف المهزوم سيبنى إستراتيجيته على أساس جعل الهزيمة في حدها الأدنى الممكن بينما يسعى المنتصر لجعل إنتصاره في حده الأعلى الممكن.

2- المباريات غير الصفرية: (Non Zero Sum Game)

إن المعيار الرئيسي لهذه المباراة هي أن ننتجتها ليست صفرا (أي ليست $1 - 1$) كما هو حال المباريات الصفرية، إذ تجمع هذه المباريات بين بعدين: الأول هو التنافس بين طرفي المباراة والثاني هو التعاون أو ما يسمى بالمصلحة المشتركة.¹

* نظرية التحالفات:

حيث تسعى الولايات المتحدة الأمريكية وعلى الدوام إلى بناء تحالفات خاصة مع الدول الغربية، مما شكل سلوكا نمطيا لاحتضانه في حرب الخليج الثانية 1991، ثم في الحرب على أفغانستان بعيد أحداث 11 سبتمبر 2001، وأخيرا في غزو العراق، هذا الغزو الذي لم يحصل على تأييد القوى الفاعلة خصوصا الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن، ورغم ذلك بنت الولايات المتحدة الأمريكية تحالفا أطلقت عليه إسم القوى متعددة الجنسيات....

من أهم مفكري هذه النظرية نجد: "جورج ليمكا" و"وليام ريكر" اللذين يتفقان على أن التحالفات تنتهي بتحقيق الهدف الذي أقيمت من أجله سواء كان ضد طرف معين أو لتحقيق غرض معين.

¹ إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية. القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1991، ص 249، وليد عبد الحي،

الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، الجزائر، شركة الشهاب، ص 75.

- إذا كانت المصالح المشتركة هي القوة الدافعة والمحركة لقيام أي تحالف دولي، فإن التحالفات الدولية يمكن أن تختلف من حيث الشكل أو المضمون تبعاً للتأثيرات النسبية للعوامل التالية:
- 1- الطبيعة الخاصة للمصالح المشتركة وطبيعة العلاقات التي تربط بين الدول المتحالفة.
 - 2- الكيفية التي تنتزع بها المزايا والنفوذ داخل التحالف
 - 3- الكيفية التي يمكن بها تغطية هذه المصالح المشتركة في نطاق المجموع الكلي لمصالح الدول التي يمسهها قيام هذه التحالفات ويؤثر فيها.
 - 4- الفترة الزمنية التي يسري فيها مفعول التحالف الدولي.
 - 5- مدى فعالية التدابير المعمول بها أو مدى كفاءتها العملية في خدمة المصالح المشتركة¹
- * **نظرية المجنون « La Théorie du Fou » :**

لا تعتبر نظرية المجنون نظرية بالمعنى الأكاديمي المتعارف عليه، حيث بدأت كتقنية تفاوضية من طرف هنري كيسينجر، وزير الخارجية الأمريكي الأسبق، بالاتفاق مع رئيسه نيكسون، وذلك خلال جولات التفاوض مع الوفد الفيتنامي، ومفادها أن المفاوض الأمريكي المذكور كان يزعم أن رئيس الولايات المتحدة مجنون لدرجة مواصلة الحرب، بل وقصف فيتنام بالأسلحة النووية ..، بهدف تهريب المفاوضين الفيتناميين وجعلهم يقبلون بالشروط الأمريكية. لكن وبالرغم من فشل هذه التقنية تفاوضياً، فإنها نجحت إلى حد فاق كل التوقعات بسبب المؤثرات العاطفية القوية التي رافقت هجمات 11 سبتمبر من جهة، وتطوير هذه التقنية-النظرية، حيث بدت الإدارة الأمريكية على أتم الاستعداد لاستعمال كل ما لديها من ترسانة تعد الأقوى عالمياً من جهة أخرى، مما يفسر سلوك الإدارة الأمريكية، والسرعة القياسية لتكوين حلف واسع، ولحشد ولاء دولي غير مسبوق.

* كما تم الاعتماد على **المقاربات البنوية النظامية**، التي تعتمد أساساً على مفهوم النظام **System** باعتباره أحد أهم المفاهيم الأساسية في علم العلاقات الدولية حيث تم تطوير هذا المفهوم من قبل العديد من علماء السياسة نذكر منهم "ريمون آرون"، "كينيث بولدينغ"، "ستانلي هوفمان"، "مورتن كابلان"، "ريتشارد روزنكراس"، "كينيث والتز"، "جورج مودلكسي"، "دايفيد سنغر"، وغيرهم.

الإطار الإيتيمولوجي:

على الرغم من تخصيص البحث لباب كامل يتناول، بصفة متدرجة من العام إلى الخاص، شرحاً إيتيمولوجياً، في سياق تحليلي جدلي، فقد ارتأينا في هذا الإطار ضرورة الضبط التحكيمي لبعض أهم المصطلحات المستخدمة بكثرة في هذا البحث، وذلك كما يلي:

- القيم:

القيم هي: (اتجاهات السلوك أو العمل، أو هي السلوك الفعلي للأفراد في تفاعلاتهم مع بيئاتهم كما يدركون أنفسهم، وهم يؤدون ما يؤدون من مواقف في حياتهم. فكل اتجاه للعمل أو السلوك يمكن

ملاحظته أو رصده، هو مجرد مظهر خارجي معبر عن أحكام القيمة الداخلية التي نشأت في نفس الوقت مع السلوك الظاهر).

وهناك من يعرفها بأنها: (ما يعتقد البشر عما يجب أن تكون عليه الحياة) وهي بمثابة البرهان الاجتماعي على شرعية السلوك من عدمه، ويتعلمها الأفراد عادة عن طريق التنشئة الاجتماعية.

- السياسة الخارجية:

المفهوم العام للسياسة الخارجية يشير إلى أي سلوك للدولة خارج حدودها الجغرافية، وبالرغم من ذلك فقد صيغت تعريفات عديدة ومختلفة لهذا المفهوم.

فهناك من يعتبرها (مجموعة الأعمال التي يقوم بها جهاز متخصص لدولة ما لتسيير علاقاتها مع دول أخرى أو أطراف دولية أخرى)¹.

كما أن هناك من يرى أن السياسة الخارجية (تحدد من خلال أهدافها، فهي توصف من خلال المصالح الوطنية المتوخاة من نشاطاتها في المحيط الدولي، وعلاقاتها مع وحدات النظام الدولي).

ويرى كنيث تومبسون أن السياسة الخارجية: (تعرف من خلال النظرة الإيديولوجية، والنظرة التحليلية. أما الأولى فيفترض أن السياسات التي تصطنعها الدول تجاه العالم الخارجي هي تعبيرات عن المعتقدات السياسية والاجتماعية والدينية السائدة. فتصنف السياسة الخارجية -عندئذ- بكونها ديمقراطية أو استبدادية، تحررية أو اشتراكية، محبة للسلام أو عدوانية. وأما الثانية فتفترض أن للسياسة الخارجية عدة مقومات منها: تقاليد الدولة التاريخية، موقعها الجغرافي، المصلحة الوطنية وأهداف الأمن وحاجاته).

- الإستراتيجية:

يعرف "كلاوسفيتس" الإستراتيجية بأنها "استخدام المعركة للوصول إلى هدف الحرب"²، ويعرفها "ليدل هارت" بأنها "فن توزيع وتطبيق الوسائل العسكرية لتحقيق هدف السياسة"³ كما يعرفها "فيليب مورو

دوفارج" بأنها: "فن جدلية القوى أو أكثر من ذلك، فن جدلية الإيرادات باستعمال القوة لحسم نزاعاتها"⁴

بالإضافة إلى هذه التعاريف (المذكورة) نجد عدة تعاريف أخرى مثل: "تعريف "جوميني" على أنها فن خوض الحرب على الخارطة، و"نابليون" على أنها فن قطع الإتصالات، إضافة إلى تعريف الجنرال

"أندريه بوفر" على أنها فن استعمال القوة لتحقيق الأهداف المحددة من طرف السياسة، وأيضا الجنرال "لوسيان بواربييه" على أنها سياسة الحركة، سياسة إحدات: قواعد ومبادئ وتركيب الحركة."⁵

¹ إسماعيل صبري مقلد، مرجع سبق ذكره، ص 272.

² Karl Von Clausewitz: *War, Politics and power*, New York, Regney and Gatway, 1962, P 171.

³ Jean Marie Mathey, (Comprendre la Stratégie.), *France Economica*, 1995, P : 09

⁴ Phillipe Moreau Defarges, *Problemes Stratégiques Contemporaines*, Paris, Machette, 1994, P 10.

⁵ Ibid.

ما نلاحظه من خلال التعاريف المختلفة هو الإتفاق الضمني على ضرورة وجود هدف سياسي تسعى الإستراتيجية إلى تحقيقه.

- الأمن:

يعود استخدام مصطلح "الأمن" إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث ظهر تيار من الأدبيات يبحث في كيفية تحقيق الأمن وتلافي الحرب، وكان من نتائجه بروز نظريات الردع والتوازن ثم أنشئ مجلس الأمن القومي الأمريكي عام 1974، ومنذ ذلك التاريخ انتشر استخدام مفهوم "الأمن" بمستوياته المختلفة طبقا لطبيعة الظروف المحلية والإقليمية والدولية.

* الأمن:

على الرغم من حداثة الدراسات في موضوع "الأمن" فإن مفاهيم "الأمن" قد أصبحت محددة وواضحة في فكر وعقل (إدراك) القيادات السياسية والفكرية في الكثير من الدول.... وقد برزت كتابات متعددة في هذا المجال، وشاعت مفاهيم بعينها في إطاره لعل أبرزها "الأمن القومي الأمريكي"، و"الأمن الأوروبي" و"الأمن الإسرائيلي" و"الأمن القومي السوفييتي" قبل تفككه... الخ . وفي مجال التوصل إلى مفهوم متفق عليه "للأمن"، فإنه يجدر بنا التعرف على ذلك المدلول في إطار المدارس الفكرية المعاصرة.

"قال أمن من وجهة نظر "دائرة المعارف البريطانية" يعني: " حماية الأمة من خطر القهر على يد قوة أجنبية".

ومن وجهة نظر "هنري كيسنجر"، وزير الخارجية الأمريكي الأسبق، يعني "أي تصرفات يسعى المجتمع من خلالها إلى حفظ حقه في البقاء".

ولعل من أبرز ما كتب عن "الأمن" هو ما أوضحه "روبرت ماكنامارا" وزير الدفاع الأمريكي الأسبق وأحد مفكري الإستراتيجية البارزين في كتابه "جوهر الأمن" حيث قال: "إن الأمن يعني التطور والتنمية، سواء منها الإقتصادية أو الإجتماعية أو السياسية في ظل حماية مضمونه".

ثم استطرد قائلا: "إن الأمن الحقيقي للدولة ينبع من معرفتها العميقة للمصادر التي تهدد مختلف قدراتها ومواجهتها، لإعطاء الفرصة لتنمية تلك القدرات تنمية حقيقية في كافة المجالات سواء في الحاضر أو المستقبل".¹

يقول د. زكريا حسين- أستاذ الدراسات الإستراتيجية، المدير الأسبق لأكاديمية ناصر العسكرية بمصر-: "ولعل أدق مفهوم "للأمن" هو ما ورد في القرآن الكريم في قوله -سبحانه وتعالى-: "فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف".² ومن هنا نؤكد أن الأمن هو ضد

¹ www.Islam On line.net/ararbec/mafahem/2000/11/article2.shtml

² Ibid

الخوف، والخوف بالمفهوم الحديث يعني التهديد الشامل، سواء منه الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي، الداخلي منه أو الخارجي.

"وفي إطار هذه الحقيقة يكون المفهوم الشامل "للأمن" من وجهة نظري هو: "القدرة التي تتمكن بها الدولة من تأمين انطلاق مصادر قوتها الداخلية والخارجية، الاقتصادية والعسكرية، في شتى المجالات في مواجهة المصادر التي تتهددها في الداخل والخارج، في السلم وفي الحرب، مع استمرار الانطلاق المؤمن لتلك القوى في الحاضر والمستقبل تحقيقاً للأهداف المخططة"¹.
وللأمن أربعة مستويات:

أولاً: أمن الفرد ضد أية أخطار تهدد حياته أو ممتلكاته أو أسرته.

ثانياً: أمن الوطن ضد أية أخطار خارجية أو داخلية للدولة وهو ما يعبر عنه "بالأمن الوطني".

ثالثاً: الأمن الجماعي، ويعني اتفاق عدة دول في إطار إقليم واحد على التخطيط لمواجهة التهديدات التي تواجهها داخلياً وخارجياً، وهو ما يعبر عنه "بالأمن القومي".

رابعاً: الأمن الدولي... وهو الذي تتولاه المنظمات الدولية سواء منها الجمعية العامة للأمم المتحدة أو مجلس الأمن الدولي ودورهما في الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين.

- الحرب اللامتناسقة "أو اللامتوازية" (Asymmetrical War):

تعريف الجنرال "هنري شيلتون" رئيس هيئة أركان حرب القوات الأمريكية: "هي محاولة طرف يعادي الولايات المتحدة أن يلتف من حول قوتها ويستغل نقاط ضعفها معتمداً في ذلك على وسائل تختلف بطريقة كاملة عن العمليات التي يمكن توقعها، وعدم التوازي يعني أن يستعمل العدو طاقة الحرب النفسية وما يصاحبها من شحنات الصدمة والعجز لكي ينتزع في يده زمام المبادرة وحرية الحركة والإرادة.

وبأسلوب يستخدم وسائل مستحدثة، وتكتيكات غير تقليدية وأسلحة وتكنولوجيات جرى التوصل إليها بالتفكير في غير المتوقع وغير المعقول - ثم تطبيقه على كل مستويات الحرب، من الإستراتيجية إلى التخطيط- إلى العمليات- بعرض أفق عليه بدائل طار إليها خيال لا يخطر على البال منطقياً ولا يطرح نفسه عملياً في التقديرات التي نستطيع تصورها"

¹ Ibid

خطة البحث:

لقد قسمنا بحثنا إلى بابين (من أربعة فصول): يشمل كل باب فصلين اثنين، كما يلي:

مقدمة عامة:

الباب الأول: يتناول جدلية القيم والمصالح في صياغة وتنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية، وينقسم إلى فصلين أساسيين ابتدائيين:

الفصل الأول: القيم والسياسة الخارجية: تأصيل إيتيمولوجي

حيث يتم التركيز على مفهوم القيم تعريفًا وتصنيفًا وتنظيمًا، والمنظومة القيمية، النمط القومي الأمريكي والإيديوستراتيجيا، وأخيرًا المصلحة القومية الأمريكية بصفاتها محركًا للسلوك الخارجي الأمريكي مع التطرق لتطبيقات السياسة الخارجية الأمريكية قبل أحداث 11 أيلول سبتمبر 2001 في ميزان القيم والمصالح.

الفصل الثاني: النمط القومي الأمريكي والمصلحة القومية**- محرك السلوك الخارجي وتطبيقات السياسة الخارجية قبل 9/11**

أين يتم تحليل النمط القومي الأمريكي ومحدداته: الدينية - التاريخية، الفلسفية والسياسية، وتفكيك مفهوم المصلحة القومية كمحرك للسلوك الخارجي الأمريكي، مع ربطه بالأمن والإيديوستراتيجيا الأمريكية، وتتبع تطبيقات السياسة الخارجية الأمريكية وتداعياتها على مكانة الولايات المتحدة وتداعي مصادقية أنموذجها القيمي والحضاري، وتنامي عزلتها الدولية قبيل هجمات 9/11...

الباب الثاني: أحداث 11 أيلول / سبتمبر 2001 وتفكيك السياسة الخارجية الأمريكية:**- ميزان القيم والمصالح**

أين يركز **الفصلان الثالث والرابع** على: التحليل القيمي/الاستراتيجي لأحداث 11 سبتمبر 2001، حيث تشغل القيم دورًا محددًا في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية وفي تفسير الأحداث وتبرير السياسات، وحيث يثار نقاش علمي استدلالي بين الرواية الرسمية والروايات النقدية، مقممة للسياسة الخارجية للأخلاقية واللامتوازنة، إضافة إلى تفكيك السياسة الخارجية الأمريكية بعد 9/11 وهندسة

القيم والمصالح، حيث يُبنى التفكير على تحليل المضمون، وتحديد الفواعل، وشرح البيئة النفسية لصانع القرار، ثم تتبع سير العمليات لإدراك حقيقة السياسات والإستراتيجيات، تحت حكم الرؤساء الثلاثة الذين انتُخبوا ومارسوا مهامهم الدستورية بعد 9/11، والنظر إلى آفاق المسارين: القراري والقيادي العولمي، وتحديد موقع القيم في التفكير الاستراتيجي الأمريكي بعد 9/11 بين مركزية المصالح وتوظيف القيم أو مركزية القيم وانتقائيتها ثم تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية بين القيم والمصالح في الشرق الأوسط، مسرحا للعمليات والفوضى الخلاقة على مستوى المفهوم (مساهمة رالف بيتر) وتطبيقاته المختلفة من جورج بوش الابن إلى دونالد ترامب والتي كان من نتائجها احتلال أفغانستان، غزو العراق ثم فوضى التسليح والتفتت السائدة باسم الربيع العربي إعلاميا وباسم "تيمبر سيكامور" « Timber Sycamore » وعناوين أخرى استخباراتيا.

خاتمة. لخصت أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث، مجيبة على الإشكالية المركزية والإشكاليات الفرعية، وممحصنة للفرضيات المساقاة بصفتها إجابات مؤقتة: تدقيقا وتعديلا.

لقد سمحت لنا الخطة الموضوعية بتتبع وتحليل:

- مختلف مراحل التأصيل للثقافة السياسية الأمريكية (باعتبارها بعدا محوريا وقاعدة انطلاق لسلوك الولايات المتحدة الخارجي)، مكونات هذه الثقافة وما خضعت له من عمليات تنقيح وتفسير وتأكيد متصلة ودائمة، ثم تسليط الضوء على نقاط التقاطع بين التيارين الكبيرين (المثالي ويمثله الرئيس وودرو ويلسن وامتداده النيومثالي الذي جسده أوباما، والواقعي الذي يمثله الرئيس تيودور روزفلت وامتداداته المتمثلة في سياسات الحزب الجمهوري: تدخلية بوش وانعزالية ترامب)...

- ثوابت السياسة الخارجية الأمريكية، ومن أبرزها: مبدأ مونرو، مبدأ إيزنهاور واحتواء الشيوعية، إشعال الحروب من أجل إنعاش الاقتصاد الأمريكي، التنميط والنمذجة (الأمركة)، التحكم في مصادر الطاقة، أمن الكيان الصهيوني وتفوقه السياسي والاستراتيجي، التدخل الإنساني، الحروب التجارية، على الاتحاد الأوروبي وعلى اليابان ثم الصين وتركيا... الخ.

- عقيدة بوش الابن من خلال:

* التحليل القيمي/الاستراتيجي لهجمات 11 سبتمبر 2001 (الفاعلون المحتملون، المستفيدون الحقيقيون، الأهداف السياسية،.... الخ) ثم توظيف القيم والمقاربة الجيحضارية، لتفسير الأحداث وتبرير السياسات

* تسليط الضوء: على المحافظين الجدد (فكرا وممارسة) ومدى تأثيرهم والحركة الصهيونية عموما، في خيارات الرؤساء بعد 9/11، وعلى الجدل الدائر حول صانعي القرار الحقيقيين : مجموعة البروتستانتين البيض ذوي الأصول الأنغلوساكسونية (White Anglo-Saxon Protestant) والتي يرمز لها اختصارا بـ **WASP**، وهي المجموعة المتحكمة في المركب الصناعي العسكري **Le Complexe Militaro-Industriel** أو اللوبي الصهيوني المتغلغل في المؤسسات السياسية والإعلامية، من أجل الإجابة عن إشكالية من يستغل الآخر، وهل ثمة تحالف لطرفين متناسبي القوة بالإضافة إلى تقاطع القيم والمصالح، ...الخ.

- التطبيقات الفعلية للسياسة الخارجية الأمريكية قبل وبعد 11 سبتمبر 2001 ومحطاتها الكبرى (الحرب على أفغانستان، غزو وتدمير العراق، محاولة تغيير الخريطة السياسية والإستراتيجية لمنبع وشريان الطاقة في العالم؛ أي منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وهي ذات المنطقة التي صنع منها الإستراتيجيون الأمريكيون العدو الإستراتيجي والإيديولوجي/القيمي في الفترة محل الدراسة - ما بعد 9/11 - بعد سنوات ما كان يعرف بفترة اللابيين الإستراتيجي أو مرحلة الحيرة الإستراتيجية والتي تعني صعوبة صياغة سياسة خارجية ملائمة في غياب عدو خارجي، ومدى ملاءمة وتناسب المواقف السياسية الأمريكية على المستوى الدولي مع ما تعلنه من قيم إنسانية وسياسية...الخ.

- السياسة الخارجية الأمريكية في عهد جورج وولكر بوش (مقارنتها بعهد كلينتون) ثم في عهد كل من أوباما وترامب.

- تحولات السياسة الخارجية الأمريكية في المستقبل المنظور (إستشراف) على أساس التقاطع أو التعارض بين القيم والمصالح من ناحية، ومكانة الولايات المتحدة في التراتبية العالمية للقوة مع احتمال بروز قطب أو مجموعة من الأقطاب من ناحية أخرى (إشكالية القيادة العالمية بعد وباء كوفيد19...)

الباب الأول:

جدلية القيم والمصالح في صياغة وتنفيذ السياسة
الخارجية الأمريكية

الباب الأول: جدلية القيم والمصالح في صياغة وتنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية
يشمل هذا الباب فصلين تمهيديين، يرتكزان على التدرج من العام إلى الخاص، بحيث يشكلان معا، مسارا متماسكا يبدأ بالشرح المتدرج والدقيق للمفاهيم المفتاحية - قيم، نسق قيمي - إيديولوجية... وينتهي تحكما عند تطبيقات السياسة الخارجية الأمريكية، مؤتمر ديربان والأيام القليلة السابقة لهجمات الحادي عشر من أيلول - سبتمبر 2001 (9/11)، مروراً بالنمط القومي الأمريكي والمصلحة القومية الأمريكية: تعريفا وتصنيفا.

تتجلى جدلية القيم والمصالح في النقاشات بينمؤسسية، الخطابات الرسمية والكتابات الأكاديمية، كما تتضمن إرثاً أنجلوأمريكياً قوياً بحكم الاعتماد المبكر على البحث العلمي والدراسة الجادة التي تُقدم لصانع القرار خيارات متنوعة بالإضافة إلى مختلف الدوافع المتداخلة والمشكلة من قيم ومعتقدات وشبكة مصالح يعاد تعريفها وترتيبها وفقاً لعوامل متنوعة ومتغيرة.

يتمحور البحث حول أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 (9/11) حيث ينتهي الباب الأول عند إرهاباتها وأهم الأحداث التي سبقتها وذلك عند تحليل تطبيقات السياسة الخارجية الأمريكية في ميزان القيم والمصالح، لتشكل منطلق الباب الثاني أين يستند التدرج على تقديم تحليل قيمي - استراتيجي للأحداث نفسها.

الفصل الأول:

القيم والسياسة الخارجية: تأصيل إيتيمولوجي

الفصل الأول: القيم والسياسة الخارجية: تأصيل إيتيمولوجي

بعدما كان قصرا على بعض الباحثين الأنغلو-أمريكيين، شكل الانفتاح الأكاديمي المتأخر على الدراسة العلمية لموضوع القيم من طرف المختصين في علم النفس والتربية وعلم الاجتماع، وعلم الإعلام والاتصال، أرضية خصبة لترسيخ الاهتمام بتأثير القيم في صناع القرار وفي سلوكهم السياسي عموما، وفي السلوك الخارجي خصوصا، مما هيأ مادة علمية شديدة الأهمية لدراسة البعد القيمي في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية وبالتحديد بعد أحداث الحادي عشر من أيلول - سبتمبر 2001 (9/11).

يتدرج الفصل في شرح المفاهيم الأكثر أهمية بالنسبة إلى الأهداف البحثية والأشد التصاقا بموضوعه، منطلقا من تعريف القيم في اللغة وأصل الاشتقاق ثم في العلوم الاجتماعية، مميزا لها عن عديد المصطلحات الأقرب إليها معنى واستعمالا، أهمها: الاتجاهات، المبادئ، المثل، السلوك، المعيار ثم الأكسيولوجيا... كما يتناول بإيجاز مكونات القيم ثم أنواع القيم وفقا لمعايير تصنيف متعددة.

يناقش البحث في هذا الفصل الأول مسائل الثقافة السياسية وصناع القرار ومدى تأثيرهم بالقيم عند اتخاذهم لقراراتهم، خصوصا إذا تعلق الأمر بالسياسة الخارجية لدولهم، مع تقديم بعض الأمثلة العامة والاتجاه التدريجي نحو السياسة الخارجية الأمريكية، ثم إشكاليات التطبيق وصعوبات الانتقاء Values Selection مع تركيز منهجي على النسق القيمي ومحددات اكتسابه، وارتباط القيم العليا بالإيديولوجية التي يعرفها بعض المختصين على أنها النسق القيمي ذاته.

المبحث الأول: القيم: التعريف، التصنيف والعلاقة الإيتيمولوجية

بجدر بنا أن نشرع في محاولة ضبط تعريف جامع ومانع للقيم، ومقارنة المفهوم الرئيس بمفاهيم قريبة منه، لكنها تختلف عنه...

المطلب الأول: القيم: التعريف والعلاقة بالمصطلحات القريبة

إن صعوبة ضبط تعريف موحد ومشارك للقيم تدفعنا إلى المتابعة الدقيقة للمفهوم سواء على مستوى الاشتقاق اللغوي أو على مستوى المسار التاريخي التطوري للمصطلح، حيث لم يبدأ الاهتمام العلمي بدراسة موضوع القيم أو بالأحرى لم تصبح القيم موضوعاً للدراسة العلمية الأكاديمية إلا في أوائل سنوات الثلاثين من القرن العشرين وذلك راجع، بزعم طالب العلم معدّ هذا البحث المتواضع، إلى هيمنة المدرسة الوضعية على العلوم الاجتماعية، أين يصر "أوغست كونت" على وجوب تفسير الظاهرة الاجتماعية بظاهرة اجتماعية أخرى، ويؤكد "إيميل دوركايم" على اعتبار الظاهرة الاجتماعية شيئاً ووجوب دراستها على هذا الأساس، وتكرر المدرسة الأمريكية التأكيد على النزعة الإمبريقية ووجوب القياس، بالإضافة إلى سيطرة، بل عولمة، الإيديولوجيات المادية اشتراكية كانت أو ليبرالية، كما أن "الرغبة في تحقيق مستويات رفيعة من الموضوعية والدقة العلمية دفعت قطاعاً عريضاً من العلوم الاجتماعية في الغرب، طيلة جيل بأكمله، وإلى ما بعد 1990، إلى تحاشي الخوض في موضوع القيم، حيث كان يُنظر إليها بوجه من الوجوه على أنها ذاتية وأنها لا تتدرج في صلب الوقائع التي تمثل الموضوع الحقيقي للدراسة"¹. يجدر بنا ضبط مفهوم القيم، بدءاً بالتعريف اللغوي ثم بتتبع ماهيته في العلوم الاجتماعية...

الفرع الأول: التعريف اللغوي للقيم

بالرجوع إلى أمهات المعاجم والموسوعات العربية والغربية، سواء القديمة أو المعاصرة، فإننا نلمس مساراً تطورياً مقروناً بتنافر حاد ينبئنا عن مدى نسبية النظرة إلى القيم بين مجتمع وآخر وبالتالي بين نخبة سياسية وأخرى.

تعبر القيمة لغوياً عن القدر أو الأهمية (درجة القدر) وهي ما يمثله الشيء، مادياً كان أو معنوياً، من أهمية أو قدر ودرجة الرغبة فيه أو الإعراض عنه.² فهي (أي القيمة) تدل على اسم النوع من

¹ هشام المكي وآخرون، سؤال القيم بصيغ متعددة نماذج في العلوم الاجتماعية والإعلام والتربية والأدب والثقافة، ط1، لبنان، بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، 2015، ص20.

² عبد المجيد لبصير، موسوعة علم الاجتماع ومفاهيم في السياسة والاقتصاد والثقافة العامة، الجزائر، عين مليلة دار الهدى، 2010، ص. 358

الفعل قام بمعنى وقف واعتدل وانتصب وبلغ واستوى¹. وقيم الشيء تقيماً: قدر قيمته²، أي حدّد له القيمة. وكل ما يوصف بأنه قيم فهو ذو قيمة وقدر ومكانة في النفوس، وفي القرآن الكريم: (و ما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة): ذلك الدين الحق، العدل، المطلق.³ يقول ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة: "أي في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ لأنها من عند الله عزّ وجلّ"⁴ ويكرّر الزمخشري في تفسير الكشاف المعنى نفسه، إذ يقول شارحاً: "مستقيمة ناطقة بالحق والعدل"⁵. وقد ورد اللفظ في آيات كريمة أخرى من سور متعدّدة بالمعنى نفسه، منها: الأنعام 161، التوبة 36، يوسف 40، الكهف 02، الروم 30 و43، البينة 05... ولا يبتعد معنى اللفظ لغوياً في أمّهات المعاجم أو في تلك المعاصرة؛ ففي لسان العرب لابن منظور: "... والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تقاوموه فيما بينهم، وإذا انتقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه..."⁶ وفي القاموس المحيط للفيروز أبادي: "... والقيمة بالكسرة واحدة القيم وماله قيمة إذا لم يدم على شيء وقومت السلعة واستقمته ثمنته، واستقام اعتدل، وقومته عدلته، فهو قويم ومستقيم..."⁷ وقد جاء في المعجم الوسيط أن قيمة الشيء هي قدره، وقيمة المتاع هي ثمنه، ويقال ما لفلان قيمة أي ماله ثبات ودوام على الأمر⁸

فبين الثبات والاستقامة، تأتي القيمة في اللغة العربية بمعنى التقدير والتثمين⁹ وهو أقرب إلى المعنى الاقتصادي، حيث يُنقل عن "شيهر" « Schihher » في دراسة صدرت عام 1980، قوله "لا تتوفر الموسوعة البريطانية إلى حد الساعة إلا على مقالة واحدة حول القيمة الاقتصادية"¹⁰ كما ركّزت

¹ محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، المجلد التاسع، لبنان، بيروت، دار صادر، 1966، ص. 36

² إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، القاهرة، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية،

2004، ص. 771. أنظر هشام مكي، مرجع سابق الذكر، ص. 22

³ هشام مكي، المرجع والصفحة

⁴ ابن كثير، تفسير ابن كثير، دار الأندلس، المجلد السابع، ص. 345.

⁵ الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، المجلد الرابع، ص. 782.

⁶ ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، المجلد 12، ص. 500

⁷ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتاب العربي، الجزء الرابع، ص. 168

⁸ إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، القاهرة، 1979 مجمع اللغة العربية، ص. 768. أنظر: سفيان بو عطيط، القيم الشخصية في كل مضامينها، قسنطينة، منشورات جامعة قسنطينة 2 مخر التطبيقات النفسية والتربوية، 2015، ص. 16

⁹ هشام مكي، مرجع سابق، ص. 22

¹⁰ المرجع نفسه، ص. 19، موسى معيرش، فلسفة القيم ماهيتها طبيعتها، قسنطينة، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2016، ص. 41

الموسوعة العربية للعلوم السياسية على الدلالة الاقتصادية أو بالأحرى على لغة الاقتصاد السياسية حيث تمثل القيمة " الأهمية الاقتصادية التي يخلقها الفرد أو المجتمع على مال ما وهي على نوعين: قيمة استعمال وقيمة مبادلة " ¹ ومنه جاء الفعل قِيمَ يَقِيمُ (مصدر تقييم) وقِيمَ التحفة: قدر قيمتها. والقيمة: بمعنى قدر الشيء أو قدر الفرد ومكانته. ²

في اللغات الأجنبية: نجد المعنى نفسه، بين اللفظ الإنجليزي Values والكلمة الفرنسية Valeurs أين يعود الكتاب الغربيون عموماً إلى ما يسمونه مرجعية يونانية، ومنه كلمة Axio التي تشير إلى الاعتدال والاستواء وبلوغ الغاية، فهي مشتقة أصلاً من الفعل قام بمعنى وقف واعتدل وانتصب وبلغ واستوى ³ ومنه جاء اللفظ المركب: Axio و Logos الذي صار يعطي علم القيم أو نظرية القيم الأخلاقية ⁴ أو الأكسيولوجيا Axiology كما سنبين لاحقاً.

الفرع الثاني: مفهوم القيم في العلوم الاجتماعية

إذا كانت المجتمعات الإنسانية تقوم على قيم مشتركة "تمثل المقاييس المعيارية للفكر والعمل والمثل الجماعية التي توجه النشاط الاجتماعي والفكري والاقتصادي للأفراد" ⁵، فإن تعدد الدلالات وتنوع التعريفات واختلافها إلى حد التضارب أحياناً، يعود منشأه في كثير من الحالات إلى كون مفهوم القيمة أصلاً نابعا من الذات ومتأثراً بها" ⁶ (مشكلة الذاتية)، بالإضافة إلى درجة الانغلاق أو الانفتاح، درجة التمسك بالمتوارث أو التخلي عنه، كما أن زاوية النظر والإشكاليات المركزية وتجزئية التخصص، كل ذلك يطرح صعوبة الاتفاق حول المفهوم (مفهوم القيم).

في كتابه حول صناعة السياسة الخارجية، يحاول "جوزيف فرانكل" ربط موضوع القيم بصناعة القرار حيث لا يبدي تمسكاً كبيراً بالمصطلح قدر اهتمامه بتحليل المضمون والمعنى، وعليه فإن "القرارات الإنسانية تشمل أكثر من مجرد ميكانيزمات عقلانية لترشيد صانع القرار أو تأثير البيئة لأن تقييم البيئة لا يؤدي تلقائياً إلى اتخاذ قرارات سياسية أو القيام بعمليات سياسية، لكن فقط من خلال دمجها مع

¹ عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت.ن، ص. 836.

² هشام مكي، مرجع سبق ذكره، ص. 22.

³ موسى معيرش، مرجع سبق ذكره، ص. 33.

⁴ هشام مكي، مرجع سابق، ص. 95.

⁵ المرجع نفسه، ص. 23.

⁶ Joseph Frankel, The Making of Foreign Policy. An Analysis of Decision-Making, Oxford University Press, London- New Yor, 1963, p.111.

عنصر موجود داخل صانعي القرار. العديد من المصطلحات تُستخدم للدلالة على هذا العنصر العميق:

إيديولوجيات، مذاهب، قيم أو تقييمات، منافع، سياسات، أهداف، غايات، برامج، مبادئ، روح الأمة (ethos)، نمط أو أسلوب حياة (The way of life) ... الخ.¹ في السياق ذاته، يعرفها بعض المهتمين بشؤون التربية والتعليم بأنها: "خاصية إن وُجدت في الشيء، جعلته مرغوبا فيه أو غير مرغوب فيه، كالخير والشر، الفضيلة والرذيلة، الجمال والقبح، الصدق والكذب... حيث تندرج هذه الثنائيات ضمن أنواع كبرى من القيم، كالقيم السياسية (المواطنة والديمقراطية)، القيم المنطقية (الصحيح والخطأ)، القيم الاقتصادية (السعر وفائض القيمة)، القيم الأدبية (الذوق والمتعة)، القيم الأخلاقية (الواجب والإيثار).²

فالقيم تمثل "مجموع المعتقدات والتمثلات والآراء ذات الصبغة الأخلاقية أو التوجيهية، والتي تتضمن تمييزات إيجابية (تفضيلات) أو سلبية (تبخيسات)، يجعلها تتحول إلى مبادئ حافزة وموجهة أو معايير سلوكية"³.

لا تميز جل التعريفات المقترحة من بعض المعاجم والموسوعات المختصة في شرح المفاهيم الاجتماعية والسياسية بين القيم والأهداف من جهة، وبين القيم والسلوك الفعلي من جهة ثانية. ففي معجم مفاهيم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، يجمع "عامر مصباح"، بشكل متنافر رغم كونه مفيدا، أربعة تعاريف للقيم، حيث تعبر عن: "اتجاهات السلوك أو العمل، أو هي السلوك الفعلي للأفراد في تفاعلاتهم مع بيئاتهم كما يدركون أنفسهم، وهم يؤدون ما يؤدون من مواقف في حياتهم. فكل اتجاه للعمل أو السلوك يمكن ملاحظته أو رصده، هو مجرد مظهر خارجي معبر عن أحكام القيمة الداخلية التي نشأت في نفس الوقت مع السلوك الظاهر"⁴. بيد أن العنصر الإيجابي في هذا التعريف هو ربط المفهوم بعنصر الإدراك.

¹ هشام مكي، مرجع سبق ذكره، ص. 25 (عن دفاثر التربية والتكوين: "المدرسة المغربية والتربية على القيم في مجتمع قيد التحول"، المغرب، الدار البيضاء، منشورات المجلس الأعلى للتعليم، مكتبة المدارس، العدد 5، شتنبر (سبتمبر) 2011، ص. 90).

² المرجع والصفحة (عن محمد سيلا: في تحولات المجتمع المغربي، ط1، المغرب، الدار البيضاء، دار تويقال للنشر، 2010، ص. 133).

³ عامر مصباح، معجم مفاهيم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، ط1، الجزائر، 2005، ص. 135.

⁴ المرجع والصفحة

التعريف الثاني: يعرف القيم بأنها: "الأهداف المرغوبة أو المكروهة من العوامل من مثل الأمن والديمقراطية والمساواة والحرية، أو المعايير المطبقة في تقييم قيمة هذه الأهداف واختيار الأهداف ورفضها أو وسائل تحقيقها.. وقد يُشار إلى مجموعة القيم في المعنى الثاني بأنه (كذا): نظام قيم وهو: مدى متماسك تقريبا من المعايير التي يتمسك بها ضمنا أو يعتنقها صراحة فرد أو مجموعة. يُعنى التحليل السياسي بتحديد القيم وعلاقتها المتبادلة وارتباطها بالسلوك السياسي وصلتها بالهياكل السياسية. ولما كانت القيم حالات ذهنية فإنها لا يمكن أن تلاحظ مباشرة بل قد تُستنتج من السلوك الشفهي وغير الشفهي"¹. فمثلا ترتبط القيم بالإدراك والسلوك، نلاحظ ارتباطها الوثيق بعنصري الحكم أو الأحكام والتفضيل.

"فالقيم الاجتماعية هي حكم يصدره المجتمع أو الجماعة على الأشياء، الأمور والسلوكيات النافعة للجماعة، ولا يتم إصدار هذا الحكم في فراغ ولكن في بيئة ثقافية اجتماعية تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في عملية إصدار هذا الحكم، والقيم الاجتماعية هي إذن قيم جماعة من الناس في مجتمع، وأن هذه القيم نمت وتطورت في بيئة هذا الأخير، وتأصلت النفوس في السلوك الجمعي والفردية لكونها تسد حاجتهم أو رغبتهم المادية أو الروحية، السياسية أو الاقتصادية أو أي شأن آخر"². بينما تتضمن "القيم السياسية تفضيلات احترام الحرية، المساواة، النظام وما إلى ذلك"³

إذن، فاستمرار المجتمع وتحقيقه لأهدافه وقيامه بوظائفه بشكل متوازن، كل ذلك منوط بوجود القيم⁴ كونها إحدى أهم الخصائص والأبعاد المميزة للشخصية الإنسانية ذات التأثير الكبير في تعامل الأفراد والجماعات وفي التأثير في الطابع القومي⁵. فالقيم هي الموجه لسلوك الأفراد وأحكامهم واتجاهاتهم، حيث إن سلوك الفرد في مختلف مجالات حياته توجهه قيم معينة⁶. فالقيم لا تُتقل بالوراثة البيولوجية وإنما تنتقل عن طريق الوراثة الاجتماعية حيث ينمو الفرد ويتعرض للخبرات المختلفة عن طريق التنشئة الاجتماعية... "فيتعلم القيم ويكتسبها تدريجيا أثناء عملية التطبيع الاجتماعي والقيم من أهم المؤشرات

¹ عبد المجيد لبصير، مرجع سبق ذكره، ص ص. 358-359.

² عامر مصباح، مرجع سابق، ص. 135.

³ عبد اللطيف العاني، القيم والمثل الاجتماعية في الإسلام وأثرها في التحصين ضد الجريمة، بغداد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ص. 1

⁴ ياسر عبد الحسين، القيادة في السياسة الخارجية الأمريكية بعد الحرب الباردة، بغداد، دار ومكتبة عدنان، الطبعة الأولى، 2015، ص. 141

⁵ سمير نعيم أحمد، (أنساق القيم الاجتماعية ملامحها وظروف تشكيلها وتغيرها في مصر)، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 2، 15 حزيران، بغداد، 1989، ص. 222.

⁶ محمد شحاتة ربيع، قياس الشخصية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1994، ص. 183.

على سلوك الأفراد وتعدّ من العوامل المهمة والمؤثرة في شخصية الفرد.¹ أما بالنسبة إلى هولستي، فإنّ القيم هي نتاج لعملية التنشئة السياسية وهي العملية التي تتأثر بظروف البيئة الاجتماعية وبطبيعة التوعية المذهبية وبالخبرات والتجارب التي يمر بها الأفراد ويحصلون عليها إذ هي القاعدة التي ترتفع فوقها الاتجاهات فتشكل بذلك أهم المعايير التي يرجع إليها من تقييم عناصر السلوك الذاتي وسلوك الآخرين². فكلما كان تصرف الآخرين، أفراداً أو منظمات اجتماعية، بما فيها الدول، مطابقة للقيم الذاتية كانت الاستجابة ملائمة وكلما كان سلوك الآخرين متبايناً مع أهداف أوليات فرد ما، كان رد فعل الأخير على هذا يشكل سلوكاً أو تصرفاً سليماً وينسحب هذا السلوك الاجتماعي للفرد على صانع القرار كذلك في تصرفه السياسي الخارجي إذ إن القيم الاجتماعية والسياسية التي يؤمن بها أو السائدة في مجتمعه تؤثر في تصوره لتصرفات الدول الأخرى ومن ثم يؤدي به إلى اتباعه سلوكاً سياسياً خارجياً مماثلاً لقيمه³

الفرع الثالث: علاقة القيم ببعض المصطلحات القريبة

بينما تتقاطع القيم مع بعض المصطلحات القريبة، مما يدفع بعض الباحثين إلى استخدامها كمترادفات، فإنها تتميز مع هذه المصطلحات في بعض خصائصها.

نذكر بهذا الصدد أهم المفاهيم القريبة من مفهوم القيم، وذلك على النحو التالي:

1- القيم والاتجاهات: يعرف هولستي الاتجاهات بأنها المنطلقات التقييمية العامة لتلك الحقائق أو الظروف أو المواقف التي يتعامل معها واضع القرارات أو التي يراها من منظوره الخاص، فإزاء مواقف التعامل الدولي يكون واضعو السياسات متأثرين سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ببعض الاتجاهات المسبقة التي يحتفظون بها عن الأطراف الأخرى سواء عبرت عن مشاعر ثقة أو عداوة أو شك أو ود أو خوف والتي لها تأثيرها الواضح في تحديد أهداف واستجابة واضعي السياسات لتصرفات هذه الدول الأخرى ونواياها ودوافعها⁴

¹ إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، الكويت، جامعة الكويت، 1985، ص. 203.

² أحمد نوري النعيمي، عملية صنع القرار في السياسة الخارجية: الولايات المتحدة الأمريكية أنموذجاً، عمان، دار زهران للنشر والتوزيع، 2011، ص. 392. أنظر: ياسر عبد الحسين، مرجع سبق ذكره، ص. 142.

³ إسماعيل صبري مقلد، مرجع سبق ذكره، ص. 202

⁴ ياسر عبد الحسين، مرجع سبق ذكره، ص. 142. نقلاً عن: Aalex Autor Inkeles, National

Character : A psycho-social Perspective, Transaction publishers, New Jersey, 1997, P.11.

بصورة عامة، تشكل المجتمعات السياسية، عدا البدائية منها، طبقات وصوراً لجنسيات وأمم أخرى، هذا يعني أن لديها انطباعات عما يشبهه مجتمعهم القومي وما الذي يرمز إليه، وما الأعمال الصحيحة والمناسبة، وما هي الأخطار التي تجابهه.. الخ. تظهر هذه الانطباعات نزعة عالمية لتصبح أنواعاً مجسمة بالعبارة الاصطلاحية للعلم السلوكي، هذه الأنواع المجسمة من المحتمل أن تشترك فيها كثيراً أو قليلاً الطبقة الحاكمة في المجتمع، فتعكس بصورة محتملة جداً في اختياراتهم وأحكامهم وقراراتهم.¹

إن الاتجاهات لا تقوم فرادى، بل "تتجمع في تنظيمات، حيث يتمركز كل تجمع من الاتجاهات حول قيمة ما؛ أي أن القيمة يمكن اعتبارها جوهرًا أو مركزاً لتجمع من الاتجاهات.² يتفق الباحث البريطاني "أوبنهم" مع هذا الطرح، إذ يرى بأن الاتجاه يتكون من مجموع الآراء المتراكمة عبر تاريخ الفرد نحو موضوع أو قضية ما، وبثبات هذا الاتجاه بعد مدة معينة، وبترايط الاتجاهات تتكون في النهاية قيمة من القيم.³

على الرغم من أن كلا من الاتجاهات والقيم مكتسبة، وتنشأ نتيجة لعملية التعلم وللتأثير الاجتماعي في الفرد حيث تُكتسب من خلال التفاعل الاجتماعي، إلا أن الاتجاهات تكون أكثر عرضة للتغيير مقارنة بالقيم كون هذه الأخيرة أكثر ثباتاً واستقراراً⁴ فقد تؤدي قيمة واحدة إلى اتجاهات متضاربة لدى الشخص الواحد.⁵

يلخص "ميلتون روكيش" الفرق بين القيم والاتجاهات في العناصر التالية:

- يشير الاتجاه إلى تنظيم لمجموعة من المعتقدات التي تدور حول موضوع أو موقف محدد، في حين تشير القيم إلى معتقد واحد فقط، وتشتمل على ضرب من ضروب السلوك المفضلة أو غاية من الغايات.

- بينما تتركز القيمة على الأشياء والمواقف، يتركز الاتجاه حول موقف أو موضوع محدد.

¹ حلمي المليجي، علم نفس الشخصية، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، 2001، ص. 260.

² ناصر دادي عدون، إدارة الموارد البشرية والسلوك التنظيمي (دراسة نظرية وتطبيقية)، الجزائر، دار المحمدية العامة، 2004، ص. 110-111. أنظر سفيان بوعيط، مرجع سابق، ص. 22.

³ جابر نصر الدين، الهاشمي لوكيا، مفاهيم أساسية في علم النفس الاجتماعي، الجزائر، جامعة منتوري بقسنطينة، مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، ص. 164.

⁴ سفيان بوعيط، مرجع سابق، ص. 23.

⁵ المرجع نفسه، ص. 23-24.

- تقف القيمة كمعيار، بينما الاتجاه ليس كذلك، فالاتجاهات تقوم على عدد قليل من القيم التي تعد كمعايير.

- يتوقف عدد القيم التي يتبناها الفرد وتتنظم في نسقه القيمي على ما كونه أو تعلمه من معتقدات تتعلق بشكل من أشكال السلوك أو غاية من الغايات، أما عدد ما له من اتجاهات فيتوقف على ما واجهه من مواقف وأشياء محددة، ولذلك فالاتجاهات تزيد في عددها عن القيم.

- تحتل القيم مكانة مركزية وأكثر أهمية من الاتجاهات في بناء شخصية الفرد ونسقه القيمي.

- يعتبر مفهوم القيم أكثر ديناميكية من الاتجاهات، حيث ترتبط مباشرة بالدافعية في حين أن الاتجاهات ليست كذلك، فهي ليست عوامل أساسية موجهة للسلوك

- بينما تقوم القيم بدور أساسي في تحقيق الذات وتحقيق توافق الفرد، نجد أن الاتجاهات تقوم بمثل هذه الوظائف ولكن بدرجة أقل.¹

2- القيم والمبادئ: تعد المبادئ قواعد وأساساً موجهة للقيم ولا تُستتبط من شيء آخر ولا تتغير بتغير الزمان والمكان وتمتاز بخاصية الإلزامية، أما القيم فهي تُشتق من المبادئ وهي مطلقة ونسبية.²

3- القيم والمثل: هناك تقارب قوي بين القيم والمثل، فالمثل تمثل الحوافز الطويلة الأمد أو الغايات التي نسعى لتحقيقها، ويمكن أن ننظر إلى القيمة على أنها اهتمام أو اختيار أو تفضيل أو حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة من المبادئ أو المعايير التي وصفها وحددها المجتمع الذي نعيش فيه، والذي يحدد المرغوب (فيه) والمرغوب عنه من السلوك.³

4- القيم والسلوك: تُعتبر القيم أكثر تجريداً من السلوك، فهي ليست مجرد سلوك انتقائي، بل تشمل على المعايير التي قام التفضيل على أساسها، فالاتجاهات والسلوك محصلة لتوجهات الفرد القيمية.⁴

5- القيم والمعيار: المعيار هو سلطة اجتماعية يخضع لها الفرد ولو كان بعيداً عن أعين الرقباء، بحيث يؤثر في كثير من دوافعه وسلوكه وأنفعاله، وهو مصطلح قياسي لتقدير الخطأ والصواب في سلوك الفرد كعضو في الجماعة. والمعايير نتيجة للثقافة والتراث أما القيم فهي نتيجة تكوين نفسي تبعا

¹ المرجع نفسه، ص. 24. نقلا عن: محمد جميل خياط، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 1996، ص. 42.

² المرجع ذاته، ص. 25. نقلا عن: جابر نصر الدين، لوكيا الهاشمي، مرجع سبق ذكره، ص. 165-166.

³ المرجع ذاته، ص. 25. نقلا عن: جابر نصر الدين، لوكيا الهاشمي، مرجع سبق ذكره، ص. 165-166.

⁴ المرجع والصفحة.

للفروق الفردية الإنسانية، ومبادئ وآراء يتبناها الفرد وتتبع من نفسه، فهي ذات منطلق فردي نحو مبادئ وآراء الآخرين¹.

6- القيم "Values" والأكسيولوجيا "Axiology": أشرنا في سياق تعريفنا اللغوي للقيم بأن مصطلح الأكسيولوجيا كلمة يونانية مركبة من كلمتين هما: أكسيو Axio وتعني القيم، ولوجي Logy (تكتب بالفرنسية Logie) التي تعني: علم، فتمت ترجمة الكلمة المركبة أكسيولوجيا إلى علم القيم أو مبحث القيم، وهو مصطلح لم يظهر إلا في نهاية القرن التاسع عشر أو في بداية القرن العشرين مع الفيلسوف الفرنسي "بول لابيه" « Paul Lapié » وقد يعود أول استعمال له إلى الفيلسوف الألماني "لاتسي" « Latze » لينتقله اللاهوتي "ريشل" ويستخدمه، زيادة على مجموعة من علماء الاقتصاد النمساويين من أمثال "مانغر" « Manger »، "فون فيزغ" « Von Wiser » و"فون بوهان بافرك" « Von Bohan Baverk »، لينتشر بعدها في بريطانيا وفرنسا، مع بداية القرن العشرين، بانتشار فلسفة "نيتشه" « Friedrich Nietzsche ».²

نجد مصطلح "نظرية القيمة" أو "نظرية القيم" في عديد المراجع أيضا، مثل: المعجم الفلسفي لمؤلفه "جميل صليبا" وكذا "موسوعة روتلج الفلسفية" « Routledge Encyclopedia of Philosophy » وكذلك "معجم جامعة كامبريدج الفلسفي" « The Cambridge Dictionary of Philosophy »³.

المطلب الثاني: القيم: المكونات، الأنواع ومعايير التصنيف

يطرح "جوزيف فرانكل"، الذي يُعد من أوائل المختصين الذين أقموا البعد القيمي في صناعة السياسة الخارجية، مشكلة الطابوهات الاجتماعية، حيث يرى بأنها غالبا ما تعيق التحليل "بشكل واع في النظم الشمولية وبشكل أقل إدراكا في المجتمعات الديمقراطية"⁴. فالقيم (Values) منتقاة « Chosen » والنظم القيمية (Value-Systems) ممؤسسة « Established ». بينما يتم انتقاء القيم ومأسسة النظم القيمية من خلال التقليد وليس عن طريق عملية التفكير وبالتالي فإن تأثير القيم يعود إلى وقعها الوجداني لا إلى تفسيرها العقلاني، وعليه:

¹ المرجع والصفحة.

² موسى معيرش، مرجع سبق ذكره، ص ص. 23-24.

³ المرجع نفسه، ص ص. 39 - 40.

⁴ Joseph Frankel, Op.Cit, P. 111.

يمكن للتحليل العقلاني أن يضعف الأسس الوجدانية لنظام القيم وذلك عندما يلفت النظر إلى التناقضات الموجودة في هذا النظام.¹

إذن فالاعتقاد عند المجتمعات التقليدية يقابله التحليل العقلاني في المجتمعات التي تركز على تقليد عقلاني، الأمر الذي يؤدي إلى تراجع أهمية القيم (في المجتمعات العقلانية) ليتم الاعتراف فقط بحسن الإدارة والتسيير.²

على قاعدة القيم التقليدية مقابل القيم العقلانية، يتفق عموم الباحثين الغربيين، حتى وإن اختلفت وتعددت تخصصاتهم. فقد " قدّم (نيلسون / L. Nelson) تصنيفاً للقيم، في ضوء ارتباطها بالنمط البنائي للمجتمع، إلى فئتين: قيم تقليدية وقيم عقلية، وهو ما فعله (روبرت ريدفيلد / R. Redfield) عندما ميز القيم، على أساس نوع المجتمع، إلى قيم خاصة بالمجتمع الشعبي القديم الذي تسوده القيم التقليدية، وقيم خاصة بالمجتمع الحضري الذي تسوده القيم العصرية"³.

لم يخرج (رونالد إنغلهارت / Ronald Inglehart)، أستاذ العلوم السياسية ومدير المسح العالمي للقيم (World Values Survey) عن هذا النهج حيث صنف القيم على أساس أنها:

"قيم تقليدية مقابل القيم العلمانية العقلانية، وقيم حياتية (ترتبط بالمعيشة اليومية) مقابل القيم التعبيرية (تحيل إلى علاقة الإنسان بالمجال: الطبيعي، الاجتماعي، السياسي....). كل ذلك في إطار التحول داخل المجتمعات أو بالأحرى تغيير القيم في السياق الاجتماعي والثقافي"⁴.

أما عالم النفس الاجتماعي "روكيثش ميلتون" / « Rokeach Milton » فيميز في مقياسه بين نوعين من القيم:

- القيم النهائية: تعبر عن أهداف المرء في حياته، وعددها ثماني عشرة قيمة

- القيم الأداةية: تُعتبر مجرد وسائل (أو أدوات، ومنه جاء مصطلح أداتي) لبلوغ القيم النهائية وهي أيضاً ثماني عشرة قيمة.⁵

¹ Ibid.

² Ibid.

³ هشام المكي، مرجع سابق الذكر، ص. 28.

⁴ نفس المرجع، ص ص. 26-27.

⁵ نفس المرجع، ص ص. 27-28.

يزعم طالب العلم معدّ هذه الأطروحة المتواضعة، بأن التصنيف العلمي يعتمد وجوباً على معرفة مكونات القيم من جهة وعلى الاستناد إلى معايير محددة من جهة ثانية، وإلا فلن يكون تصنيفاً علمياً ولا عقلانياً، من أجل ذلك، فإن البحث سيتناول مكونات القيم ثم يتطرق إلى تصنيفها بناء على بعض المعايير، وذلك على النحو التالي:

الفرع الأول: مكونات القيم

أبرز من ساهم في تفكيك القيم هو عالم النفس الاجتماعي "روكيثش ميلتون" / Rokeach « Milton. تحتوي القيم من منظور "روكيثش" على ثلاثة عناصر لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى لأنها تتدمج وتتداخل لتعبر في النهاية عن وحدة الإنسان والسلوك، تماماً مثل الاتجاهات والمعتقدات... هذه العناصر المكونة للقيم هي:

1- المكوّن المعرفي: يتضمن إدراك موضوع القيمة وتمييزه عن طريق العقل أو التفكير ومن حيث الوعي بما هو جدير بالرغبة والتقدير، ويمثل معتقدات الفرد وأحكامه وأفكاره ومعلوماته عن القيمة، أو بمعنى آخر وضع أحد موضوعات التفكير على بعد أو أكثر من أبعاد الحكم.

2- المكوّن الوجداني: يشمل الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الداخلية، وعن طريقه يميل الفرد إلى قيمة معينة، ويتصل هذا المكون بتقدير القيمة والاعتزاز بها، وفي هذا الجانب يشعر الفرد بالسعادة لاختيار القيمة ويعلن الاستعداد للتمسك بالقيمة على الملأ.

3- المكوّن السلوكي: هو الجانب الذي تظهر فيه القيمة؛ فالقيمة هنا تُترجم إلى سلوك ظاهري، ويتصل هذا الجانب بممارسة القيمة أو السلوك الفعلي. والقيم بناء على هذا التصور تقف كمتغير وسيط أو كمعيار مرشد للسلوك أو الفعل، والشكل التالي يوضح المكونات والعناصر الأساسية للقيمة:



الشكل رقم (01) يوضح المكونات والعناصر الأساسية للقيمة

المصدر: هاشم فتح الله عبد الرحمن: دور كليات التربية في تنمية وتدعيم بعض القيم لدى طلابها، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة المنيا، 1992، ص 58.

الفرع الثاني: أنواع القيم ومعايير التصنيف

يختلف تحديد أنواع القيم باختلاف المعايير المعتمدة في تصنيفها؛ إذ نجد وفقاً لكل معيار، نوعين أو عدة أنواع من القيم. من أهم المعايير المعتمدة في تصنيف القيم، لدينا: المحتوى، الشدة، العمومية، الغرض أو المقصد، الوضوح، الدوام، بعد الشكل... الخ.

1- تصنيف القيم من حيث المحتوى: هو تصنيف كل من: "ألبرت" « Allport »، "فيرنون" « Vernon » و"ليندزي" « Lind-zey ». يفترض اهتداء الناس بوحدة أو أكثر من القيم الست الآتية:

أ- **القيمة النظرية** : هي مجموعة القيم التي يعبر عنها اهتمام الفرد بالعلم والمعرفة والسعي وراء القوانين التي تحكم الأشياء بقصد معرفتها، وميل الفرد إلى اكتشاف الحقيقة، ويتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة بنظرة موضوعية نقدية، معرفية ويكونون عادة من الفلاسفة والعلماء والمفكرين.

ب- **القيمة الاقتصادية** : يقصد بها اهتمام الفرد وميوله إلى كل ما هو نافع، وهو في سبيل هذا الهدف يتخذ من العالم المحيط به وسيلة للحصول على الثروة وزيادتها عن طريق الإنتاج والتسويق والاستهلاك واستثمار الأموال. ويتميز الأشخاص الذين تسود لديهم هذه القيمة بنظرة عملية نفعية ويكونون عادة من رجال الأعمال. تتمثل القيمة الاقتصادية أيضا في الاهتمام بالنتائج العملية والفوائد المرتقبة، وكثيرا ما تتعارض القيمة الاقتصادية مع غيرها من القيم.¹

ج- **القيمة الفنية - الجمالية** : يعبر عنها باهتمام الفرد وميله إلى ما هو جميل: شكلا أو توافقا أو تنسيقا وتقديره لذلك العالم المحيط به، وليس ضروريا أن يكون فنانا ومبدعا، فالقيمة الجمالية تعبر عن قدرته على تذوق الجمال والفن.²

د- **القيمة الاجتماعية** : تظهر لدى الفرد الذي يحب الناس ويميل إلى مساعدتهم ويشعر بسعادة نفسية ودرجة إشباع كبيرة، كونه يتميز بروح تعاونية عالية، يطبعها البذل والسخاء والعطف والحنان؛ حيث يرى "سبرانجر" بأن القيم الاجتماعية تقترب من القيم الدينية عندما تكون في أنقى صورها وتعني التجرد عن الذات.

هـ- **القيم الدينية** : تظهر لدى الشخص المتدين، وتعبر عن أرفع القيم وأعلاها، حيث يرى "سبرانجر" بأن البناء العقلي للمتدين يتجه باستمرار نحو خلق أعلى الخبرات قيمة ذات الإرضاء المطلق.³

¹ المرجع نفسه، ص. 42. نقلا عن نورهان منير حسن فهمي، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص. 134.

² جابر نصر الدين، الهاشمي لوكيا، مرجع سبق ذكره، ص. 169، أنظر سفيان بوعطيط، المرجع السابق نفسه، ص. 42.

³ Rokeach M, « The nature of Human Values and Values System » in Hallander E.P and Hunt R.G, Current Perspective in social psychology , p. 344.

- و- **القيم السياسية** : يقصد بها اهتمام الفرد بالحصول على القوة والسيطرة، بهدف التحكم في الأشياء والأشخاص ويعبر عنها بالنشاط السياسي وحل مشكلات الجماهير، ويتمتع أفراد هذه القيمة بروح قيادية ويستطيعون التأثير في غيرهم، ومن هؤلاء: الإداريون والسياسيون.¹
- 2- تصنيف القيم على أساس معيار الشدة: تعني الشدة: درجة الإلزام التي تفرضها القيم، ومن ذلك يأتي نوع الجزاء الذي يقرره المجتمع، ويوقعها بالتالي على المخالفين. على أساس هذا المعيار، نجد:
- أ- **القيم الإلزامية** : ما ينبغي أن يكون
- ب- **القيم التفضيلية** : ما يُفضل أن يكون
- ج- **القيم المثالية** : ما يُرجى أن يكون
- 3- تصنيف القيم على أساس العمومية: وفقا لهذا المعيار، لدينا:
- أ- **القيم العامة** : يعم انتشارها في المجتمع كله
- ب- **القيم الخاصة** : تُعرف بقيم الدور؛ أي ما يقوم به فرد معين، أو تحدث في مناسبات محددة.
- 4- تصنيف القيم على أساس الغرض: تنتظم عند "روكيتش" في نوعين رئيسيين:
- أ- **القيم الغائية أو النهائية** : عبارة عن غايات في ذاتها، وتنقسم بدورها إلى قسمين: قيم خاصة بالشخص، وقيم خاصة بالعلاقات بين الأشخاص.
- ب- **القيم الوسيئية** : تمثل أشكال السلوك الموصلة لتحقيق الغايات، وتنقسم هي الأخرى إلى قسمين: القيم الأخلاقية وقيم الكفاءة.
- 5- تصنيف القيم على أساس الوضوح: تنقسم إلى قسمين:
- أ- **قيم صريحة** : يصرح بها الفرد كلاميا
- ب- **قيم ضمنية** : يُستدل على وجودها من ملاحظة السلوك الاجتماعي.

¹ سفيان بوعطيط، مرجع سابق، ص. 43.

6- تصنيف القيم على أساس الدوام: لدينا حسب هذا المعيار:

أ- قيم دائمة نسبية: تستمر لمدة طويلة في حياة المجتمع وتورث من الآباء للأبناء

ب- قيم عابرة: سريعة الزوال مثل قيمة الموضة لدى الشباب

7- تصنيف القيم على أساس معيار الشكل: يعني الثوب الذي تظهر به القيمة، وهي قسمان:

أ- قيم إيجابية: تظهر في ثوب مرغوب ومنه يكون الرفع من القدر ذا قيمة إيجابية.

ب- قيم سلبية: عكس مظهر الإيجابية، وتؤدي إلى تدني قدر صاحبها¹.

يذكر طالب العلم، بأن هذا البحث يركز على القيم السياسية التي ترتبط أساساً بالثقافة السياسية وبصناع القرار.

المطلب الثالث: القيم، الثقافة السياسية وصناع القرار

يدفعنا البحث في العلاقة بين القيم والثقافة السياسية إلى إدراك الروابط الموجودة بين الثقافة، بصفة عامة، الحضارة والقيم، "خصوصاً إذا أدركنا أن كل تفكير في مشكلات الحضارة هو تفكير في مشكلة الثقافة"² وأن "كل تفكير في مشكلة الثقافة هو بالأساس تفكير في مشكلة القيم"³.

في هذا السياق التفاعلي (الثقافة، القيم، صناعة القرار السياسي...) وفي إطار التأصيل المفاهيمي، نشرع في تعريف الثقافة ابتداءً، ثم تعريف الثقافة السياسية وذلك على النحو التالي:

الفرع الأول: تعريف الثقافة

بالرجوع إلى الأصول اللغوية للمصطلح، نجد أن كلمة "ثقافة" (Culture) تعود إلى لفظين لاتينيين هما (Cultura) التي تعني حرث الأرض وزراعتها، ولفظ (Colere) الذي يحمل مجموعة من المعاني كالسكن والتهديب والحماية والتقدير إلى درجة العبادة.⁴ وقد احتفظت الكلمة بهذه المعاني، خصوصاً الزراعة والعبادة، حيث أُطلقت في فرنسا على الطقوس الدينية (Les cultes) ورعاية

¹ المرجع نفسه، ص ص. 44 - 47.

² مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، الطبعة الخامسة عشر، سوريا، دمشق، دار الفكر، 2011، ص: 101

³ هشام مكي وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص: 214 (تُراجع سلسلة مشكلات الحضارة للمفكر مالك بن نبي والفصل الرابع من كتاب "هشام مكي وآخرون": سؤال القيم في الثقافة، مصطفى المريط).

⁴ ريموند ويليامز، الكلمات المفاتيح، ترجمة نعيان عثمان، ط1، المركز الثقافي العربي، 2007، ص: 94.

الحيوان والنبات والعناية بالنمو الطبيعي.¹ وقبل ذلك، استخدمها الفيلسوف اليوناني "شيشرون" (106-43 ق.م) كغاية للفلسفة تعمل على تنقيف الذهن وزراعة العقل وتنميته (Cultura animi).²

أما في عصر النهضة الأوروبية، فقد أصبحت كلمة ثقافة تعني " تنمية العقل وغرسه بالذوق وتزيينه بالمعرفة عند فولتير (Voltaire) أو العمل الذي يبذله الإنسان لغاية تطويرية سواء أكانت مادية أو معنوية مع توماس هوبز (Thomas Hobbes) ".³

في الأنثروبولوجيا، تُعرّف الثقافة بأنها: " التراث البشري، الاجتماعي المتراكم عبر العصور الذي تتناقله الأجيال، من السلف إلى الخلف، وهو تراث يختص به الإنسان ويميزه عن الحيوان".⁴

يعرفها الأنثروبولوجي البريطاني "إدوارد تايلور" (Edward Taylor) في كتابه "الثقافة البدائية" بأنها "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في مجتمع".⁵

لقد ظل هذا التعريف مهيمناً، بل لقد تحول إلى تعريف مرجعي لكل المختصين في العلوم الاجتماعية والإنسانية إلى غاية خمسينيات القرن العشرين⁶، أين ظهرت تعريفات أخرى ما بعد حداثة للثقافة أحدثت قطيعة مع الفكرة الأنثروبولوجية ككل مركب عند "تايلور"، خاصة مع "ت.س. إليوت (Thomas Stearns Eliot) وريتشاردز، وليفيز، ورايموند وليامز ومدرسة فرانكفورت مع أدورنو وهوركهايمر وغيرهم".⁷

لا يختلف تعريف "بيرستد" (R. Biersted) كثيراً عن تعريف تايلور حيث يرى " أن الثقافة تتألف من ثلاثة عناصر هي: الماديات، الأفكار والسلوك، ويعرف الثقافة بأنها ذلك الكل المركب من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في المجتمع".⁸

¹ معن زيادة، (معالم على طريق تحديث الفكر العربي)، سلسلة عالم المعرفة، عدد 115، الكويت، 1975، ص: 29.

² المرجع والصفحة.

³ هشام مكي وآخرون، مرجع سابق، ص-ص: 214-215.

⁴ عبد المجيد لبصير، مرجع سابق، ص: 172.

⁵ Taylor Edward, Primitive Culture, USA, New York, Brentano's, 1924, P: 1.

⁶ هشام مكي وآخرون، مرجع سابق، ص: 215.

⁷ المرجع والصفحة.

⁸ عبد المجيد لبصير، مرجع سبق ذكره، ص: 173.

بينما يذهب "وليام أوغبرن" (William Ogburn) إلى اعتبار الثقافة: "ما يشتمل على الأشياء والنظام الاجتماعي والطريقة الاجتماعية التي يسير عليها الناس في حياتهم"¹، ويربطها جيستان لونغنكر (Justin Longenecker) بالقيم الاجتماعية حيث يعرفها بأنها: "تتضمن نماذج السلوك وقيم الجماعة الاجتماعية. نماذج الاعتقاد هذه تتعلم من أعضاء المجتمع الآخرين"².

في الواقع، تعددت التعاريف الموضوعية لمفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية بشكل لا يسمح بالإلمام أو الحصر، وهو ليس من أهداف البحث، فقد أورد كروبير وكلوكهوهن (Kroeber and Kluckhohn) في كتابهما الموسوعي: "الثقافة: عرض نقدي للمفاهيم والتعريفات" الصادر سنة 1952 ما لا يقل عن 164 تعريفا للثقافة"³.

الأهم بالنسبة للبحث، مدى ارتباط الثقافة السياسية بالقيم، وتأثير هذه الأخيرة في خيارات الحكام عند صنع القرار السياسي عموماً، والقرار الخارجي خصوصاً...

الفرع الثاني: الثقافة السياسية وتأثير القيم في صنع القرار

تمثل القيم عنصراً جوهرياً في تعريف الثقافة السياسية، مع تركيز، نجده طبيعياً، على القيم السياسية، حيث تُعرّف بأنها: "القيم، المعايير والتقاليد والأعراف السياسية المتأصلة في الممارسة السياسية في بلد ما والتي يعكسها رجال الحكم والسياسة في سلوكهم، ويسترشدون بها في التعامل مع مختلف القضايا السياسية. والثقافة السياسية هي ثقافة النخب والأحزاب السياسية سواء كانت في السلطة السياسية الحاكمة أو في المعارضة"⁴. تنمو الثقافة السياسية بصفاتها نسقاً فرعياً من النسق الثقافي العام، حيث تتأثر عادة "بثقافة البلد وبتاريخه، وتكوينه العرقي، ومعتقداته وتطوره الاقتصادي والصناعي"⁵.

كما تُعرّف الثقافة السياسية بأنها: "النموذج الشامل للاتجاهات والقيم والمواقف والعقائد التي يتبناها الأفراد، أعضاء مجتمع سياسي.. وتشمل جوانب الثقافة السياسية: عوامل التنشئة الاجتماعية السياسية وأساليبها، العلاقات بين القيم السياسية وإجراءات النظام السياسي، المواقف إزاء القيادة والسلطة، بؤرة

¹ عامر مصباح، مرجع سابق، ص: 70.

² المرجع والصفحة (عن Justin G. Longnecker , **Principles of Management and Organizational Behavior**. Third Edition, U.S.A : Charles E. Merrill Publishing Company, (1973, P : 339).

³ هشام مكي وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص. 2016.

⁴ عبد المجيد لبصير، ص: 180

⁵ نفس المرجع والصفحة

الهوية السياسية للأفراد والمجموعات.. وتحتوي الثقافة السياسية عموماً ثقافات فرعية ممكنة التميز مستندة إلى الدين والإقليم والعرق والوضع الاجتماعي... وتتكون هذه الثقافات الفرعية من مواقف وقيم سياسية متميزة عن المواقف والقيم السياسية للثقافة السياسية العامة.. الثقافات الفرعية القوية والواضحة جداً قد تضعف أو حتى تهدد بدمير الدمج السياسي للمجتمع...¹

يؤكد "غابريال ألموند" على أهمية دراسة الثقافة السياسية. فعند الاقتراب من أي نظام سياسي، فإنه من المفيد وضع خريطة للأبعاد المهمة لثقافته السياسية، إلى جانب رسم خريطة أخرى لبنى ووظائف ذلك النظام السياسي.² وبالتالي، فإن الثقافة السياسية لا تخرج عن كونها "توزيعاً معيناً للاتجاهات والقيم والأحاسيس والمعلومات والمهارات السياسية. ومثلما تؤثر اتجاهات الأفراد على ما يقومون به، فإن الثقافة السياسية للدولة تؤثر على تصرفات مواطنيها وزعمائها تجاه جميع جوانب النظام السياسي".³ الجدير بالانتباه، كون "ألموند" يسعى في دراساته المختلفة إلى التركيز على القيم المحددة للثقافة السياسية معلماً من شأن قيمة الشرعية التي ترفع نسبة المشاركة وتجعل من الثقافة السياسية توافقية (لا تصارعية) كما هو الحال مثلاً في الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا حيث يضع العديد من المواطنين أنفسهم في منتصف الخط أو المتصل الايديولوجي، حيث يقع معظمهم إما ضمن اليسار المعتدل أو اليمين المعتدل.⁴ من أجل ذلك، تبرز أهمية دراسة الثقافة السياسية "من خلال إدراك أن مجموعة الرموز السياسية والثقافية التي تشكل نظام المعتقدات للأفراد والجماعات تُعتبر أساساً شرعية النظام السياسي".⁵

إن فاهمية الثقافة السياسية تتبع من أهمية القيم وما تشكله من قناعات لدى المواطنين العاديين ولدى النخب على حد سواء وما تمارسه من تأثير في السلوك السياسي لصناع القرار.

يُميز "جوزيف فرانكل"، في هذا السياق، بين الواقع، الذي يمثل ما يكون، والقيمة، أي ما ينبغي أن يكون، غير أنه يعتبرهما عالمين متشابهين في الحقيقة، "فقد كان كل من "أفلاطون" و"أرسطو" يعلمان بأن الحقائق أو الوقائع (Facts) لا يمكن أن تُفهم إلا ضمن إطار منطقي على أساس الانتقاء

¹ عامر مصباح، ص: 72 (عن: عبد الرحمان العيسوي، الوعي السيكلوجي، لبنان، بيروت، دار الراتب الجامعية، دون ذكر تاريخ النشر، ص-ص: 22-26).

² جبرائيل ألموند وآخرون، السياسة المقارنة إطار نظري، ترجمة محمد زاهي بشير المغربي، ط1، ليبيا، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1996، ص: 103.

³ نفس المرجع والصفحة.

⁴ المرجع نفسه، ص: 111.

⁵ محمد زاهي بشير المغربي، قراءات في السياسة المقارنة - قضايا منهجية ومداخل نظرية، ليبيا، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط2، 1998، ص: 217.

والتنظيم الذي يجري على الدوام وفقا لنظام من القيم أو منظومة قيمية (a value-system). لقد تم نسيان هذه الحقيقة مؤقتا وينبغي مراجعتها والتأكيد عليها في عصرنا".¹

فحتى إن كانت القيم مشتركة بين جميع الأعضاء، إلا أنها لا تلتفت الانتباه مثلما تفعله الصدمات العنيفة للإيديولوجيات. فالقيم المحددة (Specific Values) تحمل دلالات عاطفية قوية وبالتالي فإن الميل الاجتماعي الطبيعي عادة ما يكون بالسعي إلى حماية القيم المهددة عبر نسج الأساطير حولها بدلا من السماح لها بالتعرض لخطر التحليل العقلاني البارد.² تهمل هذه الرؤية، برأينا، تلك القيم التي تشكل انسجاما مع الحقائق العلمية وتدعو الذين لا يقعون في نطاق الاقتناع بصحتها إلى رفع التحدي، معلنة عن تماسكها العلمي - العقلاني.

يمكن للقيم أن تؤثر في صناعات القرار بطريقتين (كما اكتشف كل من "فرويد" و"دوركايم" بشكل مستقل ومن وجهتي نظر مختلفتين):

* الاستيعاب الداخلي أو التدخيل (internalization): من قبل الأفراد أو الأشخاص

* المأسسة (institutionalization): ضمن الجماعات أو المجموعات

حيث تُعد عملية الاستيعاب أو التدخيل محور التركيز أو الأساس الذي تقوم عليه جل نظريات العمل (Theories of action).³ من دون هاتين الطريقتين، تظل القيم مجرد عناصر من البيئة.

من هذا المنطلق، ومن أجل ممارسة أي نوع من النفوذ، يجب أن تكون القيم منظورة وأن تخترق البيئة النفسية لصناع القرار.

بما أن أصل القيم اجتماعي وليس فرديا، بالنسبة لبعض المنظرين، "فإن التعليم، في معظم المجتمعات، يُعد مسألة إخضاع للغرائز البيولوجية لمصلحة أو من أجل بناء المنظومة القيمية للمجتمع. فبالنتكاز المستمر تصبح هذه القيم المكتسبة مستدخلة وتكتسب المكانة ذاتها التي تحظى بها القيم البيولوجية أو ربما مكانة أسمى".⁴

لكن القيم المستدخلة، يتم تفسيرها وتأويلها، وبالمقابل يمكن للتفسير الشخصي لصانع القرار، مدعما بموقعه السلطوي، أن يؤثر في التفسير الاجتماعي. حيث "يتم التحقق من الاتفاق العام بين الطرفين،

¹ Joseph Frankel , Op.Cit, P : 117.

² Ibid.

³ Ibid.

⁴ Ibid. pp : 117-118.

في الأنظمة الديمقراطية، من خلال التجديد الدوري للسلطة خلال الانتخابات، بينما، في الأنظمة التسلطية، لا تقي الانتخابات بهذا الدور، وبالتالي تستمر التناقضات إلى أن تصبح من الواضح بحيث تقود إلى العنف".¹

الفرع الثالث: القيم والسياسة الخارجية بين الدوافع والحوافز

بالحديث عن أهمية البيئة النفسية لصانعي القرار، لاسيما على مستوى القرار الخارجي، يجدر بنا أن نتناول علاقة الدوافع الباطنية بالحوافز المادية الباعثة للسلوك السياسي لأولئك الذين يتخذون القرار باسم الدولة. فمن الواضح أن تفسير المسار الدقيق الذي يدفع إلى تقبل القيم وتحويلها إلى أهداف وكذا تأثير الشخصيات في هذا المسار، يتعلق بمجال الدراسات السيكولوجية إذ "يمكن للتحليل النفسي أن يوفر إطارا بديلا تُناقش من خلاله القيم وإشكالية النوايا في السياسة الخارجية"².

لقد اهتمت الدراسات الاقتصادية، أساسا، بموضوع الحوافز والدافعية من أجل تحقيق الرضا الوظيفي وزيادة الإنتاجية، بينما ينصب اهتمام الدارسين لحقل السياسة الخارجية على كشف الروابط الكامنة بين مسار صناعة القرار ومن يصنعه من جهة والقيم وما تشكله من دوافع توجه سلوكهم السياسي من جهة ثانية.

يُعتبر الدافع عملية نفسية عضوية تعطل السلوك الصادر عن الفرد في فترة من الفترات تعليلا جزئيا من حيث وجهته ومن حيث شدته³، فهو المنبه الذي يثير نشاط الإنسان ويحفزه على السلوك لتحقيق الأهداف والغايات، إذ يُعدّ "مفهوما سيكولوجيا اجتماعيا لا يمكن أن ينفصل عن تصور الفرد لذاته أو عن أدواره ومراكزه الاجتماعية ووجوده في مجتمع وثقافة معينة"⁴... وبالتالي، فإن الدافع يتضمن مفاهيم عديدة كالحافز والرغبة والاهتمام والحاجة.⁵

¹ Ibid.

² Ibid.

³ داوود معمر، منظمات الأعمال الحوافز والمكافآت بحث علمي في الجوانب الاجتماعية والنفسية والقانونية، مصر، القاهرة، دار الكتاب الحديث، 1427هـ / 2006م، ص: 24.

⁴ المرجع نفسه، ص. 25 (نقلًا عن محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص. 295).

⁵ نفس المرجع والصفحة.

ومفهوم الدافع هو نفسه مفهوم الدافعية التي تعد "عاملا مهما ومحددا لسلوك الفرد في الأداء بتفاعله مع قدرات وخبرات هذا الفرد، انطباعاته وإدراكه لمحتوى العمل أو الوظيفة التي يؤديها".¹

يشكل السلوك الإنساني إذن محور التعريفات المقترحة للدافع باعتبار أن "كل سلوك أو تصرف أو نشاط يقف خلفه سبب محرك له"² وذلك سواء تعلقت الأسباب بخصائص الفرد الشخصية، كالعوامل الوراثية والفيزيولوجية والثقافية، أو بظروف البيئة المحيطة. فالدوافع إذن ما هي إلا قوى داخلية تحرك السلوك وتوجهه.³

ترتبط هذه القوى المحركة بحاجات الإنسان من حيث يريد إشباعها، بالقوة والنفوذ، من حيث يسعى إلى الاستزادة منها، كما ترتبط بمحاولة تجنب كل ما يهدد مركز الإنسان وأمنه⁴ ثم تأتي الحوافز لتثير الدافع لدى الفرد وذلك بحكم الطبيعة المعقدة للدوافع، حيث تُعتبر محصلة لعوامل عديدة، نذكر منها: الخصائص الشخصية (كمستوى طموح الفرد وقيمه وذكائه وذكراياته)، الظروف الاقتصادية، مناهج التعليم، ثم أساسا: ثقافة المجتمع وما يؤمن به من قيم.⁵

يربط كثير من الباحثين بين الدافعية والحوافز من جهة والقيادة العقلانية من جهة ثانية، مما أثر في كثير من النظريات والمقاربات مثل نظريات (X)، (Y) وخصوصا نظرية (Z) حول التنظيم الياباني أين نلمس أهمية عنصر القيم المشتركة أو بالأحرى القيم الجماعية الموحدة⁶ بالإضافة إلى نماذج كل من "ماسلو"، "هرزبرج" و"ألدرفر".⁷

من الخطأ، بطبيعة الحال، أن تُنسب نية إلى كل سلوك سياسي، كون الدافع كما علمنا التحليل النفسي، في الغالب، لاواعيا، أي مستقرا في اللاوعي، "حيث يتصرف أعوان الدولة وصانعو القرار بدافع من أسباب مجهولة لديهم وتختلف في معظم الأحيان عن تلك التي يؤمنون بها، بل إنهم

¹ سليمان خليل الفارس وآخرون، إدارة الموارد البشرية "الأفراد"، ط7، ، سوريا، دمشق، منشورات جامعة دمشق، 1426-1427 هـ / 2005-2006م، ص. 69.

² نفس المرجع، ص ص. 70-71.

³ نفس المرجع، ص ص. 70-71.

⁴ نورة ديب، "دور تقييم أداء العاملين في تحسين فعالية سياسة التحفيز"، (أطروحة دكتوراه، جامعة باجي مختار - عنابة، السنة الجامعية 2015/2016، ص.55).

⁵ المرجع نفسه، ص.56.

⁶ المرجع نفسه، ص 80.

⁷ Armand Dayan et autres,(Manuel de Gestion), El Djazaïr / Ellipses, édition 2009, volume1, PP. 94 – 95.

يتعمدون تقديم أسباب خاطئة عن أفعالهم¹ وبالتالي فإن الملاحظ الخارجي يمكن أن يرتكب أخطاء جسيمة في التحليل بسبب تماثلات الاستبطان. يصبح الأمر خطيرا بشكل استثنائي في العلاقات الدولية أين نجد موظفين من خلفيات ثقافية تحدد غاياتهم وأهدافهم، اختيارهم للوسائل ومسارات تفكيرهم. تكون الاختلافات الثقافية من القوة بحيث تنطبق حتى على إشباع الحاجات الفيزيولوجية.

يضرب "جوزيف فرانكل" عدة أمثلة في هذا السياق بهدف البرهنة على قوة تأثير الاختلافات الثقافية في صانعي القرار على مستوى السياسة الخارجية لكنه يخطئ، برأينا، في الجمع بين أكلة لحوم البشر الأفارقة، الهندوسي الذي يرفض أكل لحم البقر، الأوروبي الذي يرفض أكل لحم البشر والمسلم الذي يرفض أكل لحم الخنزير وذلك عندما يكونون في وضعية متماثلة، أي عندما يواجه أحدهم خطر الموت جوعاً² وذلك بسبب سطحية طرحه من جهة، الرغبة اللاواعية الدافعة إلى إثبات لاعقلانية بعض الخيارات من جهة ثانية، والمركزية الإثنية التي تدفعه إلى نسبة كل قبح للإفريقي، وكل ما هو جيد للأوروبي من جهة ثالثة. فالمسلم، مثلاً، يستطيع من وجهة النظر القيمة، أن يأكل المحرم عليه أكله في الحالة العادية من أجل أن يحافظ على حياته وفق قاعدة دينية: الضرورات تبيح المحظورات لتحقيق مقصد الحفاظ على النفس أو بالأحرى الحياة، كما يخطئ ثانية عندما يصدر حكماً جازماً، بالطريقة اللاواعية ذاتها، بأن مفهوم الدافع "هو مفهوم غربي بشكل حصري"³ فهو، برأيه، يفترض سلوكاً هادفاً ودرجة من الحرية، وفي كثير من الأحيان يطرح السؤال: لأي غرض؟ بدلاً من السؤال لماذا؟ هذا السؤال الذي يبدي رؤية أكثر حتمية للكون.⁴

بيد إننا، في الوقت ذاته، نتفق معه عندما يعتبر الدافعية عملية معقدة، لأننا لا نستطيع أن نعزو أي قرار سياسي إلى دافع واحد، فالدوافع المختلفة غالباً ما تتصادم، بالإضافة إلى الأهمية العرضية للدوافع المنفردة كونها تساعد ببساطة على ترجيح كفة على كفة مساوية لها.

توضح تسجيلات "بول مانتو" « Paul Mantoux » لمجلس الأربعة أو مؤتمر يالطا، الدور الذي تلعبه، أحياناً، الدوافع الصغيرة في القرارات المهمة حيث ينبغي أن نأخذ بنظر الاعتبار تأثير المستشارين الشخصيين، الصحة والحالة المادية والعقلية لرجال الدولة والحكام.⁵

¹ J. Frankel, Op.cit, P.115.

² Ibid.

³ Ibid.

⁴ Ibid. P. 116.

⁵ Steve Smith, Amelia Hadfield and Tim Dunne, **Foreign Policy– Theorie/Actors/Cases** , second edition, Oxford University Press, U.K, 2012,p. 145.

يزعم بعض الملاحظين بأن الدراسات المختصة في حقل السياسة الخارجية وما تشمله من نظريات ومقاربات، من فواعل وعوامل، من حالات ووقائع، تثبت بأن النماذج العقلانية لم تحز إلا القليل من الصدقية الإمبيريقية، فالناس لا يتفقون إلا نادرا مع توقعات النموذج العقلاني الذي يقترح تفسير الخيارات الإنسانية.

يظهر علم النفس المعرفي (أو الإدراكي) « Cognitive Psychology » بأن الأشخاص يفضلون البساطة والاتساق، والأسوأ أنهم يفضلون الخسارة على أن يكونوا من الساعين إلى الكسب.¹ فبينما يستخدم الزعماء السياسيون منطق القياس لتبسيط البيئة المعقدة، يُصنف خبراء السياسة الخارجية إلى صنفين: الثعالب والقنافذ. فالقنافذ يعرفون شيئا واحدا كبيرا، الأمر الذي يمنعهم من وضع تنبؤات بعيدة المدى، فهم الأنسب لأن يواجهوا السياسة في اتجاه متسق حتى عندما يكونون على خطأ، أما الثعالب، من جهة ثانية، فإنهم يعرفون الكثير من الأشياء الصغيرة فهم أقوياء بشكل استثنائي في تقديم استشراف قصير المدى وبالتالي فإنهم الأقدر على ضمان سياسة أكثر ديناميكية وقيادة أكثر تكيفا.²

عندما تلتقي الدوافع، فإن بعضها يعزز بعضها. فقرار "ترومان" بالتدخل في كوريا كان يعود إلى التزام أخلاقي تجاه كوريا الجنوبية وذلك مخافة الظهور بمظهر الحليف الذي لا يعول عليه الحلفاء الآخرون، وفي الوقت نفسه، التصميم على وقف الاعتداء الشيوعي، فلقي ترومان بهذا قبولا - غير معلن - من طرف الجميع، باعتبار واجب القيام بكل ما ينبغي عمله لمواجهة العدوان.³

لكن الدوافع تتضارب في كثير من الأحيان وعندها يجد صانع القرار نفسه مجبرا على تقديم تنازلات مريرة وتبني خيارات صعبة، خصوصا عندما يتجاوز الصراع مستوى الفرد إلى مستوى المجموعة أين يخضع كل فرد إلى دوافع متباينة.⁴

يبدو العديد من القرارات كمحصلة أو كنتيجة لاستجابات عاطفية قوية. يمكّننا علم الأعصاب من رؤية كيف يبلغ الدماغ إلى أشكال معينة من السلوك، إذ يُعدّ عمل المختصين في علم الأعصاب مصدرا هاما في تحليل السياسة الخارجية.⁵ ومنه تطور علم النفس السياسي...

¹ Ibid.

² J. Frankel, Op.cit, p.116.

³ Ibid.

⁴ Steve Smith and others, Op.cit, P. 145.

⁵ J.Frankel, Op.cit, p. 133.

المبحث الثاني: القيم: تنظيم وتطبيق

المطلب الأول: ترتيب القيم

يركز بعض المختصين على صعوبة إيجاد قيم عليا مطلقة مبررين ذلك بنظرية النسبية، أي نسبية القيم أو نظرية القيمة العلمية، حيث تتنافس القيم وتتضارب، بل وتتصارع وبالتالي وجب علينا المقارنة والترتيب، وإن كان ذلك في مواجهة وضعيات واقعية وليس على مستوى التجريد، كما أن تصنيف القيم وترتيبها يتزامن مع تصنيف وترتيب أهداف ملموسة، كأن يواجه رجل الدولة انتهاكا، وإن كان طفيفا، للحدود الإقليمية، فهو لا يرى أنه من المفيد تقييم أهمية سلامة التراب الوطني بل سيتصرف على أساس التعامل مع الوضع الراهن. من أجل ذلك اقترح البعض، لإيجاد حل لهذه الإشكالية: "التركيز على الأهداف وتجاهل القيم".¹ تشكل مقارنة الأهمية أي أهمية القيم، حتى داخل الحالات الملموسة كعب أخيل أي نقطة الضعف لجميع نماذج العمل العقلاني، باعتبار أن عنصر القيمة يشذ عن أي تقدير كمي. يشكل هذا الطرح برأينا، مبالغة غير علمية في العقلانية، لأن رجل الدولة في المثال السابق ينطلق حتما من قناعاته الأولية الراسخة حول أهمية سلامة التراب الوطني والوحدة الوطنية إلى درجة الاستعداد للتضحية واستخدام جميع موارد الأمة، للمحافظة عليها، ومنه يتصرف بطريقة لاشعورية مع تركيز شديد على الأهداف المسطرة.

بطبيعة الحال، هذا لا يعني بأن القيم ليست مصنفة فعليا في الممارسة العملية، فصعوبة الترتيب لا تنشأ من الحالات البسيطة. يقدم "فرانكل" مثلا بالإهانة التي تعرض لها نائب الرئيس الأمريكي خلال الزيارة الرسمية التي قادته إلى بعض دول أمريكا اللاتينية، فقيمة الحفاظ على علاقات ودية مع هذه الدول سادت وتفوقت، بزعمه، على قيمة إرضاء المسؤول الرسمي وبالتالي لم تُتخذ أية خطوات للحصول على تعويضات أو على إعادة الاعتبار.² يعود، فرانكل، بزعم طالب العلم معد هذا البحث المتواضع، إلى الخلط بين القيم والمصالح، فالحفاظ على العلاقات الاستراتيجية أو على الوحدة الوطنية والحدود ثم على ما يسميه قيمة عليا أي الأمن القومي ما هو إلا محافظة على مصالح استراتيجية للدولة وبالنسبة إليه فإن الصدام ينشأ بين القيم المؤدية إلى أهداف بعيدة المدى والقيم المتعلقة بأهداف قصيرة المدى، لكنه يقر أخيرا بأن العديد من القضايا السياسية تشتمل على مواجهة بين "المبادئ" من جهة و"الفرصة" أو "المنفعة" من جهة ثانية.³ يمكننا أن نشير بهذا الصدد إلى اغتيال الصحفي السعودي "جمال خاشقجي" والتمسك بالعلاقات القوية بين إدارة "دونالد ترامب" وولي العهد السعودي "محمد بن سلمان" على حساب ما يُطلق عليه "القيم الأمريكية" وهذا رغم الإجماع

¹ Ibid.² Ibid.³ Ibid. p. 134.

الواسع في الكونغرس بين الديمقراطيين والجمهوريين على إدانة السياسة القمعية لولي العهد السعودي وضرورة إعادة النظر في العلاقات الثنائية المتميزة.

تنشأ صعوبات جمة عندما تكون بعض القيم عزيزة بدرجة عالية جدا حتى إن أدنى انتهاك لها يكون أمرا غير مقبول، وعندما يحدث ذلك يصبح مجال الاختيار العقلاني الرشيد مقيدا أو محدودا للغاية. مثلما يُرفع الشعاران المتناقضان: "الموت ولا الخضوع" أو "الخضوع بدلا من الموت".

يتجنب صانع القرار العقلاني اختيار قيمة على حساب أخرى، لأن ذلك ينطوي على إمكانية التذبذب العنيف بل التحول إلى الاتجاه العكسي في المستقبل. إذا وُجدت تسوية أو حل وسط فإن العلاقة بين القيمتين تظل متقلبة لكن ليس بعنف. تختلف القدرة على إيجاد أرضية للتسوية أو حل وسط باختلاف الأشخاص والثقافات الوطنية. تكمن إحدى أكبر أخطار الحرب الإيديولوجية في استحالة إيجاد تسوية مشرفة. بالإضافة إلى التعصب، يشكل انعدام الواقعية عدو الحلول الوسطى أو التسويات التوفيقية.

يتفق ج.فرانكل مع النظرة الرسمية لقلوب باشا بأن العرب، بعقليتهم المنطقية، قوم لا يتعاملون إلا مع التصورات والمفاهيم الفكرية الصرفة، ولذلك فهم غير قادرين على تقديم التنازلات والتوصل إلى الحلول الوسطى والتسويات التوفيقية، ويضرب مثلا على ذلك بمعارضة القادة العرب لمقترحات الكونت برنادوت بتجديد الهدنة مع الكيان الصهيوني مذكرا إياهم باحتمال انهزامهم في الحرب، فكانت إجابتهم بأن ذلك وارد ولكنه أفضل من الموافقة على خطأ، وعليه فإن هذا المنطق مختلف تماما مع التقليد البراغماتي للدول الأنجلوساكسونية التي تفضل، بزعمه، الحلول الوسطى (أي الاتفاق).¹ في رسالته الأخيرة إلى الكونغرس يوم 6 جانفي 1945، أكد "فرانكلين روزفلت" النزعة الكمالية « Perfectionism »، وبدرجة لا تقل عن تلك المتعلقة بالانعزالية أو الإمبريالية أو سياسة القوة، قد تشكل عائقا أمام مسار السلام الدولي.²

المطلب الثاني: القيم وصعوبة الانتقاء

تبرز، في هذا التحليل، مشكلة إيجاد سياق ملائم بحكم سقوط كل العناصر البيئية في الصورة الخارجية، كما أن جميع القيم تنتمي إلى المنظومة القيمية أو النسق القيمي، ففي القضايا الملموسة، عموما، ليس نظام القيم برمته ولكن جزء منه فقط قابل للتطبيق. إبان الحرب الباردة، وجد الأمريكيون وحلفاؤهم البريطانيون صعوبة في الاتفاق حول ما إذا كان التعامل مع الصين الشيوعية قضية اقتصادية أساسا أم سياسية، كما واجهت السياسة الخارجية الأمريكية مشكلات في تطبيق القيم مع البلدان غير الشيوعية بحيث أن التطبيق الضيق قد يؤدي إلى انتشار الشيوعية، بينما يؤدي التوسع في

¹ Ibid (See: J. B.Glubb, A Soldier with the Arabs, 1957, p. 151.)

² Ibid.

تطبيق قيم إلى هزيمة قيم أخرى لا تقل أهمية وملاءمة وعليه لاقت اقتراحات البريطانيين إلى فتح المجال لحرية التجارة على أساس اقتصادي قلة فهم من طرف الفرنسيين الذي يركزون على المعايير السياسية.¹

يتفق طلاب العلم معدّ البحث مع بعض الباحثين عندما يقرون بصعوبة تحديد القيم المشتركة بحكم التضليل الذي قد يمارسه صانع القرار عمداً، وبالتالي فلا يمكن لهذه القيم أن تُستنتج إلا من الممارسة (from action). ثم إن الناقد أو الملاحظ قد يربط القرارات بقيم غير تلك التي ينطلق منها المقررون أنفسهم. وهكذا، اشتدت الانتقادات الخارجية لتطوير الفرنسيين للأسلحة النووية كون هذه الأسلحة لم تزد هذا البلد قوة؛ "وواضح أن القنابل لم تكن مجدية في الأزمة الجزائرية كما إنها فشلت في كسب الاعتراف والتفهم ضمن النادي النووي، وساهمت فقط في تحقيق إثبات الذات كقيمة بسيكولوجية (سايكولوجية) مهمة بعد فترة إذلال تعرضت لها فرنسا في الجزائر ولو كانت قيمتها الرمزية غير ذات أهمية عند الفرنسيين أنفسهم".²

وبالمثل، يعتبر النقاد الغربيون الخيارات الاقتصادية الوطنية للبلدان النامية غير عقلانية لأنها، بزعمهم، تنتهك القيم الاقتصادية .. عن طريق تشديد القيود الاقتصادية مع الدولة المستعمرة سابقاً (دولة المركز) مثلما فعلت إندونيسيا، أو عبر تأميم جزء مهم من الصناعة التي يملكها الأجانب (Foreign owned industry) حارمة بذلك البلد، وبشكل مؤقت، من مصدر دخله الرئيسي كما فعلت كل من المكسيك وإيران. لكن يجب أن لا ننسى بأن هذه البلدان تتبع قيماً أخرى غير اقتصادية، سايكولوجية أو سياسية، وتوليها فيما يبدو أهمية عظيمة.

يمكن للمعايير اللاعقلانية أن تتطور لتوجه صانعي القرار من خلال محصلة للغموض واللايقين.

لا تتزوج القيم مع العقل كما هو مبين بالطريقة التي تكون فيها القيم مدفوعة بشكل خفي خلال ما يسمى بعصر العقلانية. حتى في عصرنا، لا يؤدي مجرد تمني العقلانية، تجنب التعسف، التحلي بالموضوعية وبالواقعية إلى كون المرء مستعداً للاعتراف بمركزية القيم. تُعدّ حجة المحافظين من أنصار المدرسة القديمة قوية عندما يعتبرون القيم قابلة للاستيعاب بشكل أفضل من خلال التنشئة وعن طريق التربية من النوع التقليدي في حين أن التدريب الذهني أو التكوين الفكري الخالص يميل إلى إنتاج خبراء يكونون عموماً غير مدركين للقيم ولا واعين بها ويكونون في الأغلب مناصرين لسياسات مدمرة لهم.

¹ Ibid, P. 125.

² Ibid, P. 126.

ينزع أي نوع من الهندسة الاجتماعية إلى تحديد ذاته بأهدافه الآتية دون إغارة أي اهتمام بالقيم الأساسية. حتى لو استوعب صانع القرار، في السياسة الخارجية، القيم الوطنية أو القومية مبكراً، منذ الطفولة وفي المدرسة، فإنه ليس في وضعية سعيدة عندما لا تتطابق هذه القيم مع القيم الدولية أو العالمية. إنه ملزم بتوضيح قيمه بمقارنتها وترتيبها بطريقة عقلانية وقابلة للشرح والتفسير. لكن هذه المهمة الفكرية تتسم بصعوبة بالغة بالإضافة إلى كونها تقتضي بذل مجهود مضاعف من طرف صانع القرار لكي يظل نزيهاً في ظل مقتضيات السياسة التي تدفعه، في بعض الأحيان، ضد النزاهة فيضطر إلى تجاهل التصادم غير المناسب للقيم التي تشكل تعقيدات خطيرة وعنصراً لعدم اتخاذ القرار أو التردد في اتخاذه. يقود التفكير المنطقي المطبق من أجل التوفيق بين العناصر المتنافرة إلى الترشيح والعقلنة بينما تتجح الأفكار المسبقة الراسخة أو الصور النمطية أو ما يسمى بالبقع العمياء الملائمة حول الحقيقة الاجتماعية في المحافظة على سلام نسبي في الضمائر. لكن في بعض الأحيان يجب أن يتم، وبطريقة واعية ومقصودة، الاختيار بين القيم، فالعقل البشري لن يكون سعيداً إلا إذا اقتنع بأن نظام القيم المخزن متماسك منطقياً.¹ لكن العلم الحديث يؤكد تخزين العقل الباطن للفناعات دون تحليل، ومنه يتأتى التمسك بمعتقدات غير عقلانية بالضرورة.

من الممكن أيضاً ترك التدقيق العقلاني كلية وتعويضه بالإشارة إلى الصورة العامة للعلاقة بين الدول المعنية. على هذا المستوى، الأصدقاء دائماً على صواب والأعداء مخطئون دوماً، تفقد السياسة الخارجية مرونتها وتختفي أي إمكانية للتعديل العقلاني إلى غاية التبين الواضح بأن الصورة لا يمكن تحملها أو دعمها وبأن نتائج القرار غير مرغوب فيها. إلى حد ما، بعض الصور النمطية لا يمكن تجنبها. في عالم مقسم إلى ثلاثة أقسام، كما هو الحال خلال الحرب الباردة، من الواضح أن قيماً مختلفة يرجح أن تطبق على كل من الأصدقاء، الخصوم أو المعارضين والمحايدين. ومع ذلك يظل المجال كبيراً والفرصة سانحة لإجراء مزيد من التدقيق العقلاني والفحص الرشيد. لدينا أيضاً مشكلة اختلاف المعايير، حيث يلجأ صانع القرار إلى اعتماد معايير المجتمع الدولي المتمثل في سلوك الدول الأخرى بالرغم من كونها لا تتطابق مع معايير الرأي العام في الداخل.

المطلب الثالث: القيم في التطبيق

الفرع الأول: الأهداف

عندما يتبنى صانع القرار أهدافاً ملموسة، فإن القيم تفقد، بشكل مباشر، إلى العمل السياسي. ضمن الإطار المبسط لأنموذجنا، فإن صانع القرار، بعد أن يكون قد أوضح، قدر المستطاع، قيمه الأكثر ملاءمة، وتعرف على بيئته بأكبر دقة ممكنة، يقرر أو يحدد إلى أي مدى يمكنه تحقيق قيمه،

¹ Ibid.

لكنها لا تتحقق بشكل كامل إلا نادرا أو ربما لن تحقق كاملة أبدا، مما يؤدي إلى قصور في تحقيق الأهداف أو بالأحرى انخفاض مستوى التقدير بشكل ثابت ومطرد. يسمى قرار بذل الجهد والذهاب بعيدا لتأمين القيم: التآرجح على مستوى التطلعات (the pitching of the level of aspirations). يختلف هذا المستوى:

* باختلاف سايكولوجية صانعي القرار، سواء كانوا أفرادا أو جماعات؛

* باختلاف الطابع الوطني.

بعض الأفراد والجماعات متفائلون ومصممون ومستعدون لتحمل المخاطر، البعض الآخر متشائمون، حذرون ومصممون على اللعب المؤمن بشكل تام. يتأرجح الأمر كذلك بين النجاح والإخفاق في العمل. عندما يحققون نجاحا، يميل صناع القرار إلى رفق سقف الطموحات عاليا جدا، قريبا من مثالياتهم (نظرتهم المثالية للكون والحياة). عندما يواجهون الفشل، فإنهم يميلون إلى تخفيض التطلعات بعيدا عن نظرتهم المثالية تماشيا مع القيود التي تواجههم في البيئة.

يمكن مقارنة (أي صناع القرار من أفراد وجماعات) بالريان الذي يرغب في بلوغ وجهته بأسرع ما يمكن ويسعى جاهدا للتحرك في خط مستقيم، لكن يجب عليه أن يستغل الرياح والتيارات ويستفيد منها ووفقا لها يضبط ويعيد ضبط الأشرعة ويعدل، باستمرار، دفته. غالبا ما يكون خط السير دائريا والسرعة أقل كثيرا من تلك المرغوبة.¹ هنا، كما يكون عليه الحال في معظم الحالات، تكون ردود الأفعال الإنسانية متناقضة: يمكن للنجاح، بدلا من بذل جهود جديدة، أن يؤدي إلى التراخي وعدم الاهتمام بتحقيق المزيد من الإنجازات، وبالمقابل، قد يؤدي الفشل، بدلا من الارتداد أو الانتشاء، إلى الرفع من مستوى العزم على تحقيق الهدف كاملا. التوتر حتمي بين المثل والإنجازات، بين المرغوب والممكن، بين القيم والأهداف. يكمن خطر السياسة المثالية المصرة على التمسك بالقيم دون مبرر أو داع، في عدم القدرة على معالجة التفاصيل الواقعية. لقد عانى الرئيس "ويلسن" كثيرا من هذا العجز في مؤتمر فيرساي كما أشار إلى ذلك "كينز" والنقاد الأمريكيون، وبالمقابل هيمن "كليمنصو" لأنه كان واضحا تمام الوضوح في أهدافه مدركا أشد الإدراك لتفاصيل بيئته.²

في كتابه 'تاريخ الحرب العالمية الثانية' يكرر "تشرشل" إصراره على كون المبادئ مهمة بيد أن التخطيط التفصيلي والملموس ضروري أيضا. في تبنيهم لسياسة جد واقعية، يتقبل صانعو القرار المؤثرات البيئية فيصوغون أهدافهم واضعين في اعتبارهم القيود المتحصل عليها أكثر من القيم التي

¹ Ibid, P. 136.

² Ibid, P. 137.

يسعون إلى تحقيقها. من ثم يميل التوتر بين القيم والأهداف إلى الانخفاض لأن صناع القرار، بدلا من تشكيل سياساتهم، يتبعون، بكل بساطة، إملاءات بيئتهم. وهكذا انحرف رجال الدولة البريطانيون والفرنسيون في فترة ما بين الحربين العالميتين وقد يكون هذا هو الحال أيضا مع السياسات الغربية حيال الصراع شرق-غرب. إن العدد المحتمل للأهداف الملموسة لانتهائي، فلماذا يكون السعي حثيثا من أجل تحقيق بعضها، بينما يتم إهمال بعضها الآخر؟ لماذا، على سبيل المثال، امتنع الصينيون القدامى عن تطبيق معارفهم العلمية المعتبرة في تطوير التكنولوجيا؟ لماذا أهملت الأمم الغربية، بشدة، الجوانب المتعلقة بتنمية الشخصية والمجتمع مركزة فقط على التقدم الاقتصادي؟ يندرج هذا الاستقصاء ضمن مجال علم النفس التحفيزي أو سيكولوجية الدوافع، وتلك واحدة من أعقد المشكلات في عملية صنع القرار. في أوقات الأزمات، عندما تكون السياسات المتبعة قاصرة أو غير ملائمة، يصبح صناع القرار مجبرين على مراجعة الأهداف المرسومة. يأتي تصنيف وتكييف الأهداف الرئيسية في صميم صنع السياسة الخارجية. حتى التعديل البسيط لهدف فرعي، متوسط أو قصير المدى على أساس افتراض إدراجه ضمن هدف رئيس، يمكن أن يؤدي إلى بعض الصعوبات، لكن تعديل الأهداف الاستراتيجية، بعيدة المدى، أكثر تعقيدا. في بعض الأحيان ينشأ جدال حول الطبيعة الدقيقة لهدف. على سبيل المثال، يمكن اعتبار نزع السلاح هدفا متوسط المدى ينبغي أن يقود إلى تحقيق السلم الدولي، ومن خلاله، الأمن القومي. بيد أن نزع السلاح لا يمكن إنجازه دون تعريض الأمن القومي، وهو الهدف النهائي، لمخاطر على المدى القصير. لذلك يعارض البعض نزع التسلح باسم الأمن القومي. أثارت خطط نزع السلاح النووي من جانب واحد في بريطانيا، مشكلة حادة بشكل خطير واستثنائي. يتم التوفيق بين الأهداف الكبرى المتضاربة على أعلى مستوى من آلية صنع القرار. عموما، تكون سلطة صنع القرار المتعلق بأهداف أدنى ترتيبا، أسفل التسلسل الهرمي تبعا لتقسيم على أساس إقليمي أو وظيفي. هذا التخصص الذي لا يمكن تجنبه في جهاز بيروقراطي كبير، يؤدي أحيانا إلى تضارب وصراع بين الأهداف الفرعية والأهداف الكبيرة أو الرئيسية بحكم وقوعها خارج الإقليم أو بسبب قصور رؤية المرؤوس لها، خصوصا عندما يكون القرار الفوري حتميا إذ يكون بالتالي الوقت غير كاف لبحث جميع التأثيرات المحتملة على المناطق الأخرى. وهكذا فإن سياسة بريطانيا في تحرير مستعمراتها غرب إفريقيا عرّضت، أحيانا، موقع المستوطنين البيض شرق القارة إلى الخطر، وفي الوقت الذي رفعت فيه الولايات المتحدة من حجم مساعداتها لدول آسيا، فإنها تستعدي جيرانها من دول أمريكا اللاتينية التي أصبحت تحس بالإهانة من المعونة الصغيرة نسيبا التي يتلقونها منها. قرار دفع إعانة مالية أولية ضخمة إلى قبرص يمكنه أن يضعف بسهولة موقف بريطانيا إزاء أجزاء أخرى من الإمبراطورية، مثل مالطة حيث ظلت سياستها أكثر شحا وأقل دعما.¹ تبرز الصراعات عادة

¹ Ibid, P. 138.

بهذا الشكل: لا تكون الأهداف متضاربة بوضوح بل متشابكة ومتداخلة بحيث لا يمكن التنبؤ بالتأثيرات الفرعية لإحداها على الأخرى وليس في الاستطاعة تجنب هذه التأثيرات. حتى عندما يتم تقدير الآثار الجانبية بدقة إلى حد ما، يتم تجاهلها أحيانا عندما تكون الحاجات الآتية ضاغطة. يتطلب الأمر قدرا أكبر من المرونة، لذا فإن السياسة الخارجية أقل التزاما بالأهداف منخفضة المستوى (من حيث الترتيب). تتمتع، بهذا الصدد، الدول الشيوعية بميزة مذهبية معينة. لبراغماتية الغرب أساس ديني يتمثل في كون الديانة المسيحية تؤكد على الأهداف قصيرة المدى، فالصلاة للرب هي من أجل خبز اليوم وليس من أجل الغذاء إلى آخر العمر. في الاتحاد السوفيتي، تتسق الإدارة المركزية جميع مجالات ومستويات القرار مما يفقد المرؤوسين المرونة بحكم وجوب امتثالهم على الدوام لتعليمات المركز بينما تكمن التعويضات الأهم في انعدام المواجهات بين الأهداف الأدنى ترتيبا وضمن الأطر الزمنية المتفق عليها. تم تحليل سيوتنيك بطريقة سليمة لتسبق زيارات خروتشوف الخارجية الهامة، والصحافة السوفيتية تدشن أو تعطل حملات الدعاية حسب الحاجة. كان الانتهاك الوحيد سوء استغلال جائزة نوبل الممنوحة لبوريس باسترناك « Boris Pasternak »¹.

يمكننا أن نفترض أن جميع رجال الدولة الأمريكيين يشتركون، إلى درجة معينة، في قيمتين اثنتين: توثيق عرى الصداقة مع الشعوب الأخرى والاقتصاد في النفقات غير الضرورية والتي يمكن تجنبها. تشمل المساعدات الخارجية، والتي تؤدي دورا محددًا في تأمين الصداقة الخارجية القيمتين كلتيهما بيد أن هاتين القيمتين تتضاربان عند إعداد الميزانية السنوية. بعض الأمريكيين يولي أهمية أكبر للصداقة والبعض الآخر يعطي قيمة أكبر للاقتصاد، لكن من الممكن تصور مجموعة واسعة من الحلول المقبولة لكلا الفريقين. يعتمد المبلغ الإجمالي للمعونة الخارجية على كيفية التوفيق بين آراء المدافعين عن المعونة (أي الصداقة) ووجهات نظر أولئك الذين يدافعون عن الاقتصاد، بالإضافة إلى تقييم حاجات الأطراف المستفيدة من المساعدة المالية وكذا آفاق الصداقة معها. تدخل برأينا عوامل عديدة أخرى مرتبطة أساسا بالأهداف الاستراتيجية والجدوى من توسيع دائرة المستفيدين من المعونات والعائد الذي من المحتمل أن يشكل مجموعة من المكاسب سواء كانت اقتصادية أو سياسية.

الفرع الثاني: مبادئ السلوك

تعتبر مبادئ السلوك محصلة أو نتيجة للتأثير المباشر للقيم في النشاط السياسي، لكن ينبغي تمييزها عن الأهداف. فالمساواة مثلا، بالإضافة إلى كونها قيمة، يمكن أن تكون هدفا مما يعني وجوب اتخاذ إجراءات معينة لتحقيق هذا الهدف. يمكنها كذلك أن تكون مبدءا للسلوك يسمح بترك الأشياء

¹ Ibid, P. 139.

كما هي عليه (أي دون تغيير) ويطلب، إن كان ثمة أي تغيير، أن يذهب كل شيء من أجل عدم الابتعاد عن المساواة. مبادئ السلوك محكومة بما نسميه بالطابع الفردي أو الطابع القومي لأمة ما.

يمكن للسلام أن يشكل هدفا ملموسا في الحرب وفي حالة توتر دولي ولكن كمبدأ للسلوك يمكن أن يشير ببساطة إلى الرغبة في الامتناع عن الحرب (ربما يكون ذلك طالما يمكن الحصول على أهداف هامة دون حرب). في بعض الأحيان يستحيل رسم حدود واضحة بين الأهداف ومبادئ السلوك. ولنضرب مثلا بالنزاعات المشهورة والمتكررة في جميع الحقب بين الراضين عن الوضع الراهن والدول المراجعة غير المستجيبة. يمثل الفرق بين المجموعتين أحد الأهداف القاعدية - الحفاظ على النظام القائم أو تدميره- لا يكون هذا التفسير ملائما إلا عندما تقوم الدول المعنية بالتصرف في الواقع بمثل هذه الرؤية إلى الأهداف. هذا إذا كانت مجرد مشاعر غامضة حول النظام القائم دون القيام بأي عمل أو نشاط معه أو ضده، أما في حالة استخدام تلك المشاعر كأحد المعايير لقراراتهم والاعتماد عليها لدعم النظام أو إضعافه، فمن الأنسب الحديث عن مبادئ السلوك بالمعنى الموصوف.

في غياب مبادئ مشتركة للسلوك، يصبح صعبا للغاية إجراء نقاشات، تفاوض واتفق بين الدول ومن ثم يأتي الاهتمام بالإجراءات الدولية. هنا تكون المواقف تجاه العنف حاسمة.

بالنسبة إلى الأنجلو-أمريكيين، النماذج أو الأنماط (Patterns) الأساسية بسيطة وتبرز في:

* الشعبويين الروس الذين يطمحون إلى الديمقراطية ويلجؤون إلى العنف الذي يتمنون إغائه (أفكار تولستوي وغاندي اللذين يرفضان رفضا تاما استعمال العنف كأداة للنضال)؛

* الأنجلوساكسونيين الذي يعتبرون السلطة خطيرة لكنهم يسعون حثيثا إلى الحد منها وكبح جماحها دون رفضها بشكل تام.¹

يمكن أن تُعزى بعض الاختلافات الجوهرية بين الكتلتين السوفيتية والغربية إلى التركيز على قيم مختلفة، لكن البعض يعود إلى الاختلاف في المبادئ السلوكية لكل منهما. في وقت سابق، إذا كان الخوف من الانتقام هو الذي منع كلا من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي من اللجوء إلى الحرب النووية، فإن مبادئ السلوك هي التي منعت الأمريكيين من شن حرب وقائية ضد الاتحاد السوفيتي في فترة احتكار السلاح النووي ولا يمكن التسليم، يؤكد الباحثون الأنجلو-أمريكيون، بأن الروس سيحتكمون إلى مثل هذه المبادئ في مثل تلك الحالة من التفوق. القيم التأسيسية للمبادئ

¹ Ibid, P. 140.

السلوكية قوية بشكل خاص في البلدان الأنجلوساكسونية، أين تُعتبر إجراءات مثل الانتخابات الحرة، الإجراءات القانونية... الخ، بالغة الأهمية.

استنتج "ماسيمو سلفادوري" بأن الوحدة الأساسية للحياة الأمريكية هي الطريقة أو المنهج أو النمط وليس الهدف. وبالمثل، فإن هذه الوحدة في بريطانيا قد تكمن في مبادئ التسوية وفي أقصى قدر من التسامح.¹

تشير كل هذه الأمثلة إلى أن مبادئ السلوك تتحكم، بشكل أساسي، في اختيار الوسائل. ومن هنا يمكن فهم معناها الكامل بشكل أفضل انطلاقاً من مناقشة العلاقة بين الوسائل والغايات.

الفرع الثالث: الوسائل والغايات

تتطابق الغايات مع الأهداف المتناولة في هذا السياق، بينما تمثل الوسائل الأدوات، المناهج أو الأساليب والأهداف الفرعية المستخدمة للحصول عليها. من الناحية العملية، فإن التمييز بين الغايات والوسائل ليس واضحاً تماماً. في مسعاها لتحقيق هدف رفيع المستوى، يجب على صانع القرار، أولاً، أن يحدد عوامل وسيطة ذات مستوى أخفض، بحيث تشكل وسيلة لتحقيقه. وفي الوقت نفسه تشكل هذه الأهداف غايات في المسارات التي تقود إليها، تفترض صحتها وفي بعض الأحيان، عندما تكون متبعة، تخدم غايات أخرى. على سبيل المثال، قامت الولايات المتحدة بتطوير الأسلحة الذرية لاستباق هتلر وتحذيره ولكن عندما اتضح بأنها لم تعد لازمة لتحقيق هذه الغاية، ظلت هذه الأسلحة في الترسانة لتستخدم في تحقيق سلسلة من الأهداف اللاحقة، لإخضاع اليابان، لتحقيق التوازن مع الاتحاد السوفيتي المتفوق في الأسلحة التقليدية وأخيراً كأداة للردع.²

يشبه بعض المختصين سعي الأفراد لكسب المال بسعي الدول لكسب القوة. كلاهما، المال بالنسبة للأفراد والقوة بالنسبة إلى الدول، في الأساس مجرد وسيلة لتحقيق مجموعة متنوعة من الأهداف ولكنها يتحولان في معظم الأحيان إلى غاية في حد ذاتها. على مستوى الفرد، يهتم الناس اهتماماً بالغاً بالنضال من أجل تحقيق الغايات وبالوسائل التي تحققها لهم، فهي تمنحهم إما قيمة إيجابية أو قيمة سلبية. يفضل الفرد الفائدة، في شكل مدفوعات منتظمة، على الالتزامات الحكومية بينما يفضل آخر فرص الحصول على مكاسب السندات الممتازة. يعتبر قرار ما غير مقبول عندما يصدر عن حكومة الاحتلال في حين يُقبل القرار نفسه دون تردد عندما يصدر عن حكومة وطنية. والحجة القائلة بأن القرار نفسه يخدم هدفاً مختلفاً في إطار النظامين - الاستغلال الاستعماري والمصلحة الوطنية

¹ Ibid.

² Ibid, P. 141.

على التوالي - ليست أكثر من مراوغة كلامية أو موازنة شفوية؛ حيث نستطيع أن نفهم لماذا تصر الدول الاستعمارية عموماً والولايات المتحدة خصوصاً على تنصيب حكومات موالية. في فترات معينة تصبح الوسائل قيمة جداً لدرجة أن الغايات الأصلية تختفي عن الأنظار. في كثير من الأحيان، يصبح النظام البرلماني، والذي يُعد وسيلة لتنظيم النظام الديمقراطي، غاية، ولو تأسس في ظروف غير ملائمة، حيث نجد، وهذه مفارقة، أن بعض الدكتاتوريات العسكرية أكثر اهتماماً بالديمقراطية من الأنظمة البرلمانية الفاسدة. عند تشجيعهم للتكامل الأوروبي، أبدى الأمريكيون اهتماماً بالغاً وارتباطاً قوياً بالوسائل المؤسسية المبتدعة - الجماعة الأوروبية للدفاع والسوق المشتركة - دون مراعاة آثارها العكسية والمثيرة للانقسام.¹ ينطبق الموقف المحافظ بشكل أساسي والذي يمكن تمييزه في معظم السلوك الإنساني، على اختيار الوسائل قدر ما ينطبق على الخيارات الأخرى التي، بمجرد اختيارها، تميل إلى الاستمرار والديمومة. معظم السياسات الخارجية معنية أكثر بالوسائل، لاسيما القوة. القضايا السياسية المركزية والمناقشات الكبرى مثل تلك التي هيمنت في ثلاثينات القرن العشرين، حول الأمن الجماعي والتهدة في بريطانيا أو بشأن الحياد في الولايات المتحدة الأمريكية، كانت تتعلق بالوسائل، أي الوسائل التي تحفظها خارج دائرة الحرب. إذا كان الهدف الأسمى يتكون من مفاهيم غامضة مثل المصلحة الوطنية، أو السلام، أو الرفاهية، فإن جميع الاختلافات السياسية تدور حول الوسائل.

في الواقع، العديد من كتب العلاقات الدولية تتناول الوسائل أساساً، وبوجه خاص عناصر القوة. في بعض الأحيان، تدور الأسئلة الأساسية والإشكاليات المركزية حول تحديد العلاقة: غايات - وسائل.² هل الشيوعية وسيلة لتعزيز القوة الوطنية لروسيا (سابقاً) أو الصين أو هل العكس هو الصحيح، أي أن القومية في هذين البلدين تستخدم كوسيلة لتقوية الشيوعية؟ هل يمكننا قبول الرأي القائل بأن الإيديولوجية الشيوعية تمثل شيئاً مختلفاً عند كل من لينين وستالين، كونها غاية بالنسبة إلى الأول ووسيلة لكسب السلطة بالنسبة للآخر؟ لا يمكننا الجزم بصحة أحد التفسيرين على الرغم من قدرتنا على اعتبار أحدهما أكثر معقولة من الآخر. حتى دون تحديد العلاقة وسائل - غايات، يظل بإمكاننا تحصيل فوائد جمة من مجرد طرح أسئلة حول هذا الموضوع. ومن ثم فمن المفيد التمييز بين العناصر الإيديولوجية والعناصر السلطوية في الاتحاد السوفيتي دون الحاجة إلى تقرير ما إذا كانت السلطة هي التي تخدم الشيوعية أم أن المذهب الشيوعي هو الذي يخدم السلطة الوطنية.

في بعض الأحيان يتم توضيح قضية ما عن طريق فصل مناقشة الوسائل عن الغايات. على سبيل المثال: عملية السويس أو العدوان الثلاثي سنة 1956، يمكن لنقاد العملية أن يختلفوا بعنف مع مؤيديها حول الغاية منها ومزاياها، لكن يمكنهم، على الرغم من ذلك، أن يناقشوا، بموضوعية، الدور

¹ Ibid.

² Ibid, P. 142.

الوظيفي للعملية وسيرها وعلاقة هذه العملية بالهدف: الهجوم الجوي الطويل زمنياً، الانتشار البطيء للقوات في غياب قوات الصاعقة أو بالأحرى المظليين بقدر معتبر، الخ.

تشكل العلاقة غاية - وسيلة الجانب الأكثر عرضة للتحليل في عملية صنع القرار، ربما لأنه الجانب الأكثر قابلية للتحليل العقلاني من الجوانب الأخرى. إن مجرد افتراض لاعقلانية القيم والأهداف يمكّننا من التقييم العقلاني للعلاقة بين الغايات والوسائل. مؤكداً أن هذه الحسابات ليست بمثل هذه السهولة، فالناس لا يتفقون على المعايير الملائمة بل وحتى لو اتفقوا فإن التقييمات الفردية تظل، في أغلب الحالات، مختلفة ومتعددة. المعيار الرئيسي لتقييم الوسائل، ولا جدال في المبدأ، يكمن في مدى فعاليتها أو بالأحرى مدى ملاءمتها لتحقيق الغايات. إذا كانت الوسائل المستخدمة لا تؤدي على الإطلاق إلى تحقيق الغايات المحددة، فمن الواضح أنها غير مناسبة، حتى لو كان الموظف الحكومي غير مدرك لعدم جدواها. بالفعل، أحياناً تكون الوسائل المستخدمة غير مناسبة تماماً لاستنادها إلى حسابات خاطئة. في أوقات اتخاذ القرار، يوجد دوماً مجال للاختلاف في الرأي وأحياناً وجهات النظر الخاطئة هي التي تسود والتاريخ فقط من يحل الخلاف وينهي الجدل. الأمثلة على اختيار الوسائل غير الملائمة كثيرة جداً. عندما خطط الجنرال "لودندورف" « Ludendorff »، في خريف 1918، لتدمير البلاشفة، حذره الجنرال "فون هيننتزي" « Von Hintze » من أن أي حكومة روسية بديلة ستكون أكثر عداءاً لألمانيا. كان هدف كل منهما تحسين موقف ألمانيا في الحرب العالمية الأولى وبالتالي كان لودندورف على خطأ وفون هيننتزي على صواب.¹ بعد حملة سنة 1940، أصبحنا نعرف الخطأ الاستراتيجي في الاستناد إلى خط ماجينو كركن أساسي في السياسة الدفاعية الفرنسية. وقد أدرك ديغول وغيره من النقاد هذه الحقيقة في سنوات الثلاثينات لكن الحكومات الفرنسية المتعاقبة تمسكت برأيها. احتواء الشيوعية من خلال دعم أنظمة آسيوية لا تحظى بشعبية برهن على كون هذه السياسة غير ناجحة. لقد أخفقت تماماً في الصين، وفي عام 1960، بلغت مرحلة حرجة في كل من كوريا الجنوبية وجنوب فيتنام. الحسابات تكون، غالباً، في غاية التعقيد. كيف يمكن التمييز بشكل واضح بين التهديد بالقوة واستخدامها الفعلي في سياسة حافة الحرب « Brinkmanship »؟ وما هي نسبة الموارد اللازمة لحرب حقيقية والضرورية للتهديد بالحرب أو للردع؟ إن سوء التقدير أمر سهل ويسئ إلى السمعة وقد كان السبب وراء الفشل كالهجوم الشيوعي على كوريا الجنوبية، العدوان البريطاني - الفرنسي - الصهيوني في قناة السويس، غزو العراق للكويت وكذا الحرب التي قادها الرئيس الجورجي "سكاشفيلي" على روسيا الفدرالية. يغطي معيار الملاءمة بشكل تام الحالات التي تحدد فيها الوسائل بدقة صارمة حسب طبيعة الغايات وأين تكون، بالتالي، العلاقة بينها بسيطة. وفي الحالات الصعبة حيث يكون هناك نقص شديد في الوسائل، يصبح تحقيق الغايات أمراً مستحيلاً.

¹ Ibid.

فمهما بلغت رغبة بريطانيا في تحقيق الاكتفاء الذاتي في إنتاج الشاي أو المطاط الطبيعي، فإنها لا تستطيع فعل ذلك بسبب المناخ الذي لا يسمح بزراعة هذه النباتات. ومهما كانت إرادة بعض الدول الصغيرة لتصبح قوى نووية، فإنها لا تستطيع تحقيق هذا الهدف دون توفر ثلاث وسائل أساسية: المعرفة التكنولوجية، المواد الانشطارية، رأس المال والعمل الكافيين. فإن كان ينقصها ولو واحد فقط من هذه الشروط، فإنها لن تستطيع بلوغ غايتها إلا بدعم من حليف.. وجدت القوى الغربية ولفترة طويلة أنه من الصعب للغاية مواجهة الدعاية الشيوعية والتخريب لأن ذلك لا يمكن أن يتم إلا بوسائل تعتبر تقليديا غير أخلاقية وغير قانونية. لم تتمكن الحكومة البريطانية من محاربة 'مايكل كولينز' وفرقته ولا 'ماوماو' ولا 'الملايو' ولا « EOKA ».. بالوسائل التي استخدمها المتمردون.¹

في الوضعيات التي تكون فيها حرية الاختيار أو بالأحرى الخيارات محدودة ولا تبدو أي وسيلة أخرى فعالة، يمكن لصناع القرار أن يستخدموا الوسائل المتاحة ولو لم تبتد لهم مناسبة بشكل خاص. لقد هيمنت أفكار 'ليندمان' ومفجر القنابل 'هاريس' بقصف المدن الألمانية، وسيلة لشن الحرب وقمع التقاليد الإنسانية البريطانية رغم كون هذه الوسيلة غير فعالة، كما أظهر المسح الذي أجري بعد الحرب. لم يكن اختيار الأمم المتحدة كوكالة لحل المشكلة الفلسطينية نابعا من قناعة لدى الحكومة البريطانية بكونها وسيلة ناجعة وفعالة، وإنما بسبب بأسها من قطع عقدة غوردي بوسائل تقليدية أكثر قبولا.² وبشكل أقل وضوحا، فإن انعدام الوسائل المناسبة أو الكافية يعيق، بصورة مزمنة، إدارة السياسة الخارجية، حيث تنزع الدول، رغبة منها في تحقيق قيمها، إلى رفع مستوى طموحها عاليا بالنسبة للوسائل المتاحة لديها. وهنا يدخل المعيار الإضافي للتكلفة. في بعض الأحيان لا يمكن تحقيق الأهداف إلا بتكلفة تعتبر باهظة ولا تتناسب مع القيمة المرتبطة بالهدف. معظم القرارات في السياسة الخارجية تتطلب تحديد مستوى الطموحات وفقا لهذا المعيار. كثيرا ما يستمر صناع القرار في السعي لتحقيق غاياتهم رغم عدم كفاية الوسائل وهذا، بالإضافة إلى كونه غير منطقي، محرج من حيث العواقب. ينتقد "جوزيف فرانكل" السياسة الخارجية لكل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية مشبها لها بسياسة الديمقراطيات الغربية في ثلاثينات القرن العشرين، حيث كانت حريصة، بزعمه، على حفظ السلام وفي الوقت نفسه غير مستعدة لدفع الثمن اللازم في التسليح، كما يجزم، مشيرا إلى انتقادات "والتر ليبمان" « Walter Lippmann », بأن الالتزام الدائم لبريطانيا « over-commitment » يعد إحدى أهم مشكلات السياسة الخارجية لها في فترة ما بعد الحرب، إذ يقول: "نحن في الغرب نعتبر التكلفة واحدا من أهم المعايير للسياسة العقلانية، على الرغم من أن الحضارات الأخرى غالبا ما تهمل هذا العامل".³ إن صانع القرار العقلاني مثل رجل الاقتصاد، يحسب موارده المحدودة ويقرر كيفية

¹ Ibid, PP. 142 – 143.

² Ibid, P. 143.

³ Ibid, P. 144.

تخصيصها في سعيه لتحقيق أهدافه المختلفة. إنه واضح بمعقولية عالية بشأن قيمة كل هدف، كما هو الحال بالنسبة لرجل الاقتصاد في تحليل المنافع الحدية، عندما يبلغ نقطة التكلفة المرتفعة جدا بالنسبة إلى الأرباح أو الفوائد المتوقعة، يترك هدفه أو يقوم بتعديله. وبالمثل، عند مقارنة العديد من الوسائل المتاحة لمتابعة هدف ما، فإنه يأخذ بنظر الاعتبار كلا من الفعالية والتكلفة. يمكن أن يصبح هذا الأنموذج بمثابة مقارنة لصناعة القرار ضمن الأطر المستقرة نسبيا للدول الغربية ولكن لا يمكن تطبيقه في مناطق أخرى حيث إنه:

أولا: الأنساق القيمية مختلفة بشكل تام وبالتالي فإن المفاهيم الغربية المتعلقة بأهمية الأهداف الفردية وبالسقف المعقول للتكلفة المقبولة قد تكون مضللة تماما. إن القومية أو الشيوعية أو الرغبة العارمة في تحقيق نمو اقتصادي سريع، بإمكانها وضع أهداف بمثل تلك القيمة التي تبدو تكلفة تأمينها عقلانية تماما لرجال الدولة المعنية ولكن ليس بالنسبة للنقاد الغربيين.

ثانيا: الوسائل المتاحة لعديد الدول تختلف كثيرا، وقد تم تأمين نمو اقتصادي سريع من قبل الاتحاد السوفيتي بتكلفة يعتبرها عدة نقاد غربيين باهظة من حيث التبذير ومن حيث المعاناة الإنسانية. بيد إن الروس يعتبرونها عقلانية تماما بحكم عدم توفر وسائل أخرى أقل إسرافا وتضحية، وهذا بالضبط ما أهمله النقاد الغربيون حيث، في غياب البديل، تعدّ المثابرة بالوسائل الوحيدة المتاحة عقلانية تماما، وينبغي أن لا نخلط بين الإسراف وإهدار الأموال والطاقات من جهة، والتكلفة المرتفعة مع عدم الفعالية من جهة أخرى وطالما لم تكن الوسائل ذات فعالية كبيرة، فإن المثابرة تؤمن الغايات في النهاية.

ثالثا: لا يمكن تعميم المفاهيم الغربية للتكلفة لندرة الموارد لدى الحضارات المختلفة، فالشيوعيون الصينيون منطقيون في سعيهم إلى استبدال العمل، أي عامل الإنتاج المتاح لديهم بوفرة، برأس المال الذي يعانون من ندرته. ولذلك فإنهم، على الرغم من كل أخطائهم، حققوا تقدما اقتصاديا كبيرا.

يعتبر الزمن بعدا مرتبطا بالتكلفة المعبر عنها في التحليل الاقتصادي عن طريق تخفيض قطاع الخدمات وتقليص المرفق العام. من الجدير بالذكر أن الإيديولوجية الشيوعية تتطوي على مقياس زمني ذي طبيعة غير مألوفة للغرب، حيث يمكن، وفقا لهذا المقياس، أن تمتد السياسات قصيرة الأجل إلى عقود من الزمن. فالشيوعيون المتحمسون يولون أهمية قصوى للنهاية السديمية الغامضة للمجتمع الشيوعي ويعتقدون بأن أي تكلفة لبلوغها مبررة، أما بالنسبة للغربيين، فإن هذه النهاية بعيدة جدا عن أن تُمنح قيمة كبيرة.

رابعا: يجب احتساب المخاطر كجزء من التكلفة وتقديرها بمقدار الأموال المنفقة. على سبيل المثال، يشكل خطر نشوب حرب نووية عنصرا مهما في تقديرات السياسة الخارجية مثل تكلفة التحضير لها.

المواقف إزاء الوضع الراهن « Status Quo » يحكمها إلى حد كبير هذا الحساب. الدول الثرية لديها، بطبيعة الحال، الكثير لتخسره وبالتالي فإنها تميل إلى اعتبار الدول التي تملك أقل على أنها دول متهورة لأنها تحسب مخاطرها بخفة وقليل من الجد. كما يفعل الصينيون عندما يقبلون آفاق حرب نووية. المواقف تجاه المخاطر يتحكم فيها أيضا كل من الطابع القومي (أو الوطني)، التقاليد والمزاج.¹

أخيرا، لا تكتمل معاينة أو دراسة العلاقة غايات-وسائل دون النظر إلى النتائج العرضية أو غير المقصودة. تشير كثير من الحكم الشعبية لدى كثير من الأمم إلى الآثار الجانبية غير المرغوبة: يتكلم الفرنسيون عن العجة التي لا يمكن إعادها دون كسر البيض، يحذر البولنديون من تطاير الشظايا عند تقطيع الخشب وقد شرح الساسة الغانيون سياستهم مؤخرا بقولهم "لا يمكنك إسقاط القنابل الاجتماعية والسياسية دون أن تحصل على عدد قليل من الشظايا". تعتبر هذه التأثيرات الجانبية غير المرغوبة هامشية بحكم تركيز صانعي القرار على الأهداف المراد تحقيقها. في الواقع يستند الاعتقاد الواسع الانتشار بأن الغايات يمكن أن تبرر الوسائل إلى هذه الظاهرة تحديدا. إذا اختيرت الغايات من أجل تأمين قيم معينة، وإذا لم تؤخذ الآثار الجانبية المقيمة في الحسبان، فإن الوسائل الأكثر فعالية لبلوغ هذه الغايات تبدو، برأينا لدى مستخدميها طبعاً، مبررة تماما. إن التجاوزات التي قادها هذا المعتقد في المجتمعات الشمولية تدعم التقليد الليبرالي بأن الوسائل ينبغي أن تُدرس بشكل كامل، ليس فقط من حيث فعاليتها بل أيضا من حيث الطريقة التي تؤثر بها آثارها الجانبية في نظام القيم ككل.

إن الاختلاف في المواقف إزاء الغايات والوسائل ثقافي إلى درجة كبيرة. بالنسبة إلى الباحثين الغربيين الإثنومركزيين: "يؤكد التقليد المسيحي على أهمية التقويم الأخلاقي للوسائل بينما في التقاليد الشرقية الاستبدادية تعتبر الوسائل أداة محضة"² وبالتالي قلب أو عكس التكتيكات سهل للغاية. على سبيل المثال، اندهشت القوات التي تحتل اليابان كيف تغيرت اليابان، فجأة وفي قيادة الإمبراطور، من المقاومة المتعصبة إلى الاستعداد للتعاون. كان الانعكاس قراءة منطقية للحالة. فبينما كانت السياسة الوطنية الثابتة (Kokutai) تعتبر، في السابق، الأفضل عن طريق متابعة القتال، كان أمر الإمبراطور واضحا بأن الاستسلام هو الذي سيخدم هذه الغاية بشكل أفضل حسب الوضع الجديد.

إن الأهمية النسبية للغايات والوسائل، تتوقف إلى حد كبير على موقع الأعوان في التسلسل الهرمي الحكومي. فأولئك الذين هم في أعلى الهرم وعملهم هو السياسة الخارجية في مجملها، يهتمون أكثر بالغايات، أما أولئك الذين يقعون أدنى في التسلسل الهرمي، لاسيما المسؤولون عن تنفيذ السياسات التي تقرر في المراكز الأعلى، فإنهم أكثر اهتماما بالوسائل.

¹ Ibid, PP. 145 – 146.

² Ibid.

الاهتمام الحصري أو المبالغ فيه بإحداهما على حساب الأخرى أمر خطير؛ قد تحدد الغايات دون إغارة أدنى اعتبار واجب للوسائل المتاحة، كما يمكن تجاهلها (أي الغايات) أو نسيانها من خلال الانشغال بالوسائل التي يُفترض أن تخدم تحقيقها. إحدى المشكلات الكلاسيكية في الصدمات المتكررة بين الجيش والمدنيين ترجع إلى نظرة الجيش واعتبار المؤسسة العسكرية والأهداف العسكرية البحتة غايات في حد ذاتها. وفي سياق السياسة الحزبية، يجب أن يكون الحزب الحاكم أكثر وعياً وانشغالا بالوسائل لأنه مطالب بتنفيذ برامجه؛ أما المعارضة فإنها أكثر حرية في التركيز فقط على الغايات والانخراط في برامج أقل واقعية. عندما ينفصل حزب سياسي عن السلطة لمدة طويلة، فإنه قد يطور بسهولة اتجاهها مبنياً على مقارنة عقائدية منفصلة عن الواقع، كما فعل حزب العمال (البريطاني) في أواخر الخمسينات. إذا كانت آفاق المعارضة غير مجدية وبلا أمل، فإنها قد تصبح طوباوية تماماً مثلما فعل الشعبويون في روسيا القيصرية.¹

¹ Ibid, P. 147.

المبحث الثالث: النسق القيمي والإيديولوجية

المطلب الأول: مفهوم النسق القيمي ومحددات اكتسابه

الفرع الأول: تعريف النسق القيمي

نحاول بهذا الصدد، تعريف كل من النسق والنسق القيمي، وذلك على النحو التالي:

1- تعريف النسق: يُستعمل مصطلح النسق أو المنظومة أو المنتظم، في العلوم الاجتماعية، عند ترجمة مصطلح « System » بالإنجليزية و« Système » بالفرنسية. يُشير اللفظ، في اللغة، إلى عدة معاني منها: الترتيب، الانتظام، الانسجام، الاتساق، النظام، ونسق الشيء هو انسجام مجموع الأجزاء أو العناصر التي تكوّنه أو تؤلّفه.¹ فالنسق هو: "مجموعة الوحدات المرتبة ترتيباً مخصوصاً، والمتصلة بعضها ببعض اتصالاً به تنسيق، لكي تؤدي إلى غرض معين، أو لكي تقوم بوظيفة خاصة".² فالنسق إذن، هو مجموعة من الأجزاء أو العناصر، تقوم بينها علاقات وتفاعلات، تجتمع لتعمل بشكل جماعي من أجل تأدية وظيفة معينة.³

حسب "نيكلاس لومان" « Niklas Luhman »، يتوافق النسق (أو المنظومة أو المنتظم) مع ممارسة اجتماعية مستقرة أو مع نموذج للسلوك المنظم، نتمكن من خلاله من التمييز بين ما ينتمي إليه وما هو غريب عنه.⁴ وفقاً للومان، تسعى الأنساق إلى البقاء والاستمرارية من خلال الحفاظ على استقلاليتها في بيئات معقدة. ومن أجل ذلك، فإنها تخفّض تعقيد بيئتها المباشرة لتتمكن من تطبيق القرارات الداخلية الموافقة لحاجاتها الخاصة.⁵

2- تعريف النسق القيمي: انبثقت فكرة النسق القيمي أو نسق القيم، من تصور يرى بأنه لا يمكننا دراسة أي قيمة من القيم منفردة أو بمعزل عن القيم الأخرى المشكّلة للنسق.⁶

¹ عبد المجيد لبصير، موسوعة علم الاجتماع ومفاهيم في السياسة والاقتصاد والثقافة العامة، الجزائر، عين مليلة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، ص. 442.

² عبد اللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم (دراسة نفسية)، عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978، ص. 72.

³ سفيان بوعطي، مرجع سبق ذكره، ص. 52.

⁴ Guy Hermet et autres, Dictionnaire de la science politique et des institutions politiques, Paris, Armand Colin, 7^{ème} édition, 2010, P. 292.

⁵ Ibid. Voir, Rasch W., Niklas Luhman's Modernity : The paradoxes of differentiation, Stanford, Stanford UP, 2000.

⁶ سفيان بوعطي، مرجع سبق ذكره، ص. 53.

يُقصد بنسق القيم: مجموعة القيم المترابطة، التي تنظم سلوك الفرد وتصرفاته، ويتم غالباً دون وعي الفرد، ويتعبّر آخر هو عبارة عن الترتيب الهرمي لمجموعة القيم التي يتبناها الفرد، أو أفراد المجتمع، ويحكم سلوكه أو سلوكهم، دون الوعي بذلك.¹

فالقيم، إذن، تنتظم في نسق مترابط، يحدد، بشكل لاواع، سلوك الفرد ومنه السلوك السياسي لصانع القرار عموماً والقرار الخارجي خصوصاً.

الفرع الثاني: محددات اكتساب النسق القيمي

يمر اكتساب الفرد لقيمه، حسب "ريشر"، بمراحل مختلفة: تبنيه لقيمة معينة، إعادة توزيع هذه القيمة وإعطائها وزناً معيناً، ثم اتساع مجال عملها داخل البناء العام للقيم فارتفاع معايير هذه القيمة في ظل وجود أهداف معينة وما تحققه من فائدة لمتبنيها... الخ.²

يقسم "موريس" محددات القيم إلى ثلاث فئات أساسية:

1- الفئة الأولى/ المحددات البيئية والاجتماعية: تتضمن، حسب "بنجستون" ثلاثة مستويات:

أ- **الإطار الحضاري والثقافي:** حيث يتقف كل من "موريس"، "فلورانس كلوكهون"، "دوركايم"، "بارسونز" وغيرهم على أهمية التنشئة الاجتماعية، وخاصة سنواتها الأولى ومدى تأثيرها في تكوين شخصية الفرد حسب القيم وأنماط السلوك السائدة في المجتمع.

ب- **دور الأسرة:** تُعتبر الأسرة المصدر الأول في تكوين قيم واتجاهات الفرد، وعاداته الاجتماعية. فقد توصل "ماكيني" إلى وجود ارتباط بين التوجه القيمي للأبناء وإدراكهم لأنماط معاملة الوالدين، ومنه يميل ذوا التوجهات الآمرية Prescriptive Orientations إلى فعل الصواب، بينما يميل ذوا التوجهات الناهية إلى اجتناب الخطأ³

ج- **دور المتغيرات الفرعية داخل الإطار الحضاري:** يضم هذا المستوى، المستويات الفرعية التالية:

* **المستوى الاقتصادي- الاجتماعي:** بينت الدراسات العملية، تباين القيم طبقاً للطبقة الاجتماعية للأبناء، ارتفاع أو انخفاض المستويات الاقتصادية- الاجتماعية للأمهات، وخصوصاً اختلاف الشرائح

¹ عبد اللطيف محمد خليفة، مرجع سابق، ص. 372، راجع سفيان بوعطيط، ص. 53.

² عبد اللطيف محمد خليفة، ص. 374، سفيان بوعطيط، ص. 53.

³ - Mc Kinney, J.P. « The Development of Values- Prescriptive or Proscriptive », Human Development, Vol 14, 1971, P. 718.

الاجتماعية الثلاث: عمال - ريفيين - حضريين، حيث يختلف ترتيب القيم السياسية، الاقتصادية والدينية لدى كل عينة من الشرائح المذكورة.¹

* *المستوى التعليمي*: تتغير القيم حسب ارتفاع وانخفاض مستوى التعليم، حيث وجد ارتباط بين 36 قيمة من القيم وفقا لمقياس "روكيش" للقيم ومستوى التعليم، كما بينت الملاحظة العلمية وجود علاقة بين التخصص الدراسي والأنساق القيمية.

* *نسق القيم والجنس*: تبين الدراسات أن الإناث يحصلن على درجات مرتفعة في القيم الجمالية والدينية والاجتماعية مقارنة بالذكور، وعلى درجات منخفضة من القيم الاقتصادية والسياسية، وتتفق هذه النتائج مع ما توصل إليه "فيذر" .. إذن، نجد نوعا من التمييز الاجتماعي Social Stereotyping لدور كل جنس ولما يُتوقع منه.²

* *نسق القيم والعمر*: بينت مختلف الدراسات أن النسق القيمي يتغير باطراد مع التقدم في العمر، ولذلك يُعتبر العمر عاملا مؤثرا في النسق القيمي المتبنى من طرف الأفراد.

* *النسق القيمي والدين*: تبين الدراسات العلمية وجود فروق بين المتدينين الذين يعطون أهمية كبيرة للقيم الوسييلية الأخلاقية، مثل الطاعة والأمانة والتسامح، وغير المتدينين أو الأقل تدينا، الذين يعطون أهمية كبيرة للقيم الوسييلية المتعلقة بالكفاءة والاعتدال مثل الاستقلال والعقلانية.³

2- الفئة الثانية/ المحددات السيكولوجية:

تناولتها مدارس ونظريات عديدة، منها: مدرسة التحليل النفسي، النظرية السلوكية والنظرية المعرفية...

1 سفيان بوعطيط، مرجع سابق، ص 53 - 58. أنظر، سيد محمد عبد العال، "دينامية العلاقة بين القيم ومستوى الطموح في ضوء المستوى الاجتماعي والاقتصادي في نماذج من المجتمع المصري"، (رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 1976).

2 سفيان بوعطيط، ص 60.

3 علي خليل مصطفى أبو العينين، *القيم الإسلامية والتربوية*، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم حليبي، الطبعة الأولى، 1988، ص 209 - 210، هشام المكي وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 117 (نقلا عن رايمون بودون، فرانسوا بوريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ص 457).

أ- **مدرسة التحليل النفسي**: تربط عملية اكتساب القيم بمرحلة الطفولة الأولى، أين يقوم الوالدان بدور ممثلي النظام، فيعلمان الطفل القواعد الاخلاقية والقيم التقليدية والمثل العليا للمجتمع، عن طريق المكافأة (الانا المثالية لدى فرويد) والعقاب (الضمير لدى فرويد).

ب- **النظرية السلوكية**: ينظر السلوكيون إلى القيم على أنها سلوك (السلوك الظاهر للفرد) وعليه، فإن كل السلوكات متعلمة نتيجة لتفاعل المتعلم مع المثيرات البيئية وتعزيز استجاباته لها، كون القيم إيجابية أو سلبية؛ فالسلوك أو القيم المرغوبة مثلها مثل القيم غير المرغوبة، متعلمة.

ج- **النظرية المعرفية**: بالنسبة إلى رواد هذه النظرية، يقوم اكتساب القيم وارتقاؤها، على أساس التغير في الأبنية المعرفية Cognitive Constructs عبر مراحل العمر المختلفة وما يصاحبه من تغير في تفكير الفرد من العيانية إلى التجريد، مما يؤثر في الارتقاء الوجداني وفي النسق القيمي للفرد.¹

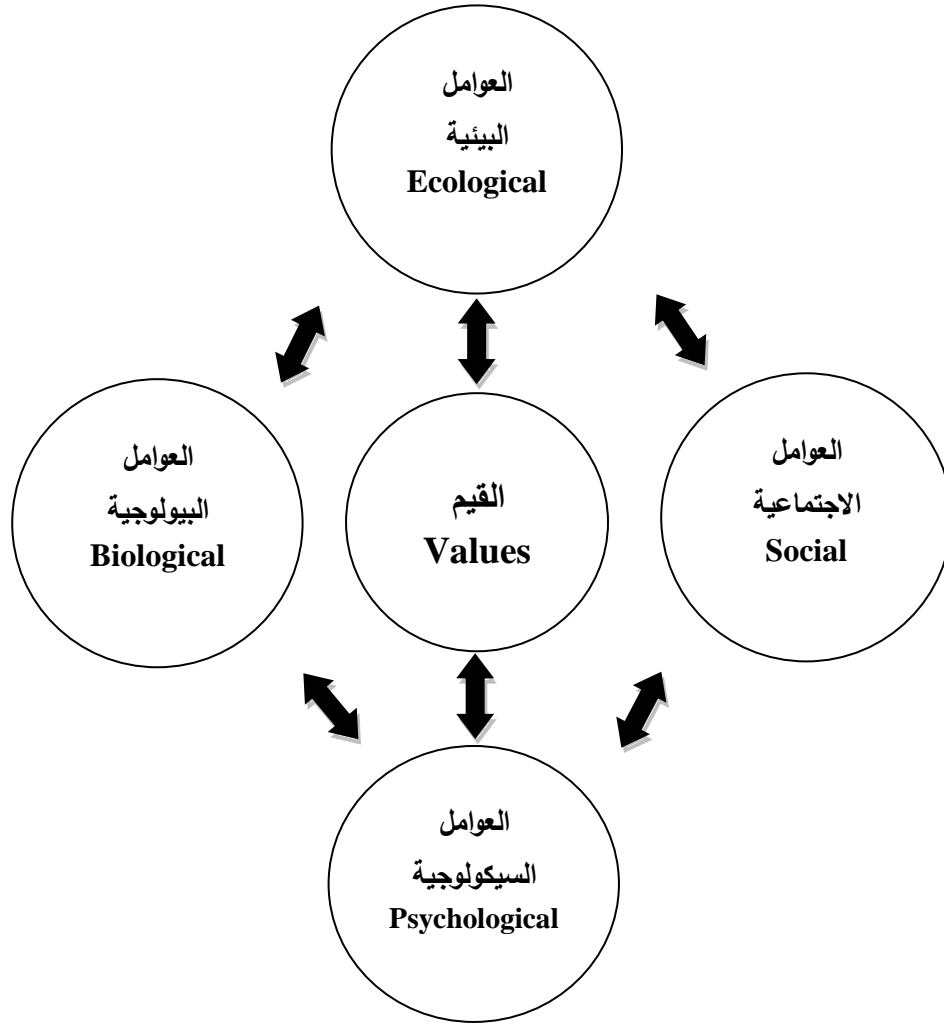
3- الفئة الثالثة/ المحددات البيولوجية:

تؤكد دراسات "أيزنك" نتائج الدراسة التي أجراها "موريس" حول أهمية الأساس البيولوجي للسمات الشخصية وعن علاقة الملامح الجسمية (حجم الجسم، الطول، الوزن...) بالتوجهات القيمية للأفراد؛ حيث ترافق التغيرات الجسمانية، تغيرات انفعالية واجتماعية وفي توجهاتهم القيمية، خاصة لدى فئة الشباب في مرحلة المراهقة². يوضح الشكل التالي (رقم 2) محددات اكتساب القيم:³

¹ سفيان بوعطيط، مرجع سابق، ص ص. 66 - 67.

² المرجع نفسه، ص. 68.

³ المرجع نفسه، ص. 54.



شكل رقم 2: محددات اكتساب القيم

المصدر: عبد اللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم (دراسة نفسية)، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978، ص 73. (سفيان بوعطيط، مرجع سابق ص 54)

المطلب الثاني : القيم العليا والإيديولوجية

الفرع الأول: القيم العليا والمحافظة على الذات

تحدثنا عن صعوبة انتقاء القيم المناسبة، والآن نبحث قضية اعتماد قيمة عليا أو متفوقة أو نهائية من أجل استخدامها كمعيار لجميع القيم الثانوية الأخرى وهو ما يعتبره بعض المختصين هروبا جزئيا من صعوبة اختيار القيم الملائمة. يتقبل العديد من الفلاسفة وجود قيم عليا يمكن اختيارها بالعقل أو بالإرادة أو عن طريق فهم الإيمان أو بالحدس أو بالغريزة. مهما يكن، فإن العديد من علماء الاجتماع يؤكدون على أهمية تجسيد القيم كما يحاولون عادة استيعابها ضمن قيمة عليا وتنظيمها وفقا لتسلسل هرمي.

اقترح "ماكس فيبر" الإجراء التالي:

أولاً: وضع مسلمات القيم النهائية بحيث تستمد منها التقييمات والفحص لمدى اتساقها.

ثانياً: استنتاج وخصم القيم الأخرى من هذه المسلمات

ثالثاً: دراسة الآثار الواقعية المترتبة على متابعة هذه القيم في شكل أهداف ملموسة، لاسيما بالنظر إلى التكلفة والآثار غير المرغوبة

رابعاً: هذه الدراسة أو هذا الفحص قد يؤدي إلى اكتشاف أهمية وملاءمة القيم التي لم تؤخذ بعين الاعتبار¹.

في علم الاجتماع كما في علم السياسة، تعين القيمة، وفقاً لصيغة "كلايد كلوكهوهن" Clyde « Kluckhohn مفهوم المرغوب المشترك بشكل شائع داخل جماعة اجتماعية. هذا المفهوم، يمكن أن يكون موضعاً أو حتى رمزاً، كما يمكن أن يكون ضمناً أو كامناً، وعلى هذا النحو، يكون ناجماً عن ملاحظة سلوك الفواعل الاجتماعية. مستبنة ابتداء من قبل الفرد، من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، تساهم القيمة في دمج كل جماعة تصنع طابعها.² يزعم "كلوكهوهن" مثل بقية المختصين الغربيين، بأن القيمة في المجتمعات التقليدية، تساهم في تماسك المجتمع ككل، وبالتالي فهي تشكل العناصر التأسيسية لضمير جمعي قوي، بينما يؤدي تقسيم العمل الاجتماعي والصراعات الاجتماعية، في المجتمعات الحديثة، إلى التقليل من عدد القيم المشتركة داخل المجتمع.³ قامت العلوم الاجتماعية بدمج التحليل القيمي أو تحليل القيم بهدف تصميم منظور أو نموذج معرفي « Paradigme » يتعارض في الأغلب مع منظور أو نموذج المنفعة: يمكننا شرح "الفعل الاجتماعي" إما بالقيم التي ترتب (علم اجتماع القيم sociologie des valeurs) أو بالفوائد والمنافع التي يمكن أن يمنحها للذين يشاركون فيه (فردانية منهجية individualisme méthodologique).⁴ إلا أن "ماكس فيبر" يقترح أن هذا التعارض يتم تجاوزه، في كثير من الحالات، عن طريق "السلوك العقلاني في القيم le comportement rationnel en valeur" والذي يطلق عليه: « wertrational » والذي يضع من خلاله الفرد حساباته النفعية في خدمة قيمه الخاصة التي يسعى إلى ترقيتها وتعزيزها. على مستوى

¹ Max Weber, « The Meaning of « Ethical Neutrality » in **Sociology and Economics**, in **the Methodology of the Social Science**, 1949, PP. 20 – 21.

² Guy Hermet et autres, Op-cit, p. 303.

³ Ibid.

⁴ Ibid. See : Kluckhohn C., « Values and value-orientation on the theory of action », in Parsons T., Shils E. (ed.), **Toward a General Theory of Action**, Cambridge (Mass.), Harvard University press, 1951.

منهجي أعمّ، يحذّر "ماكس فيبر" عالم الاجتماع من ضرورة "العلاقة بالقيم" وهو المسعى الذي يجب من خلاله إعادة الفعل الاجتماعي محل ملاحظته إلى قيم المجتمع والفترة المدروسة، وأن يأخذ بنظر الاعتبار الفجوة التي تفصل تلك القيم عن قيمه الشخصية بصفته مؤرخاً - ملاحظاً.¹

لاختيار قيم مُرضية علمياً، اقترح غونار ميردال المعايير التالية:

- الفرضيات يجب أن تذكر بشكل صريح وواضح؛
- يجب أن تكون دقيقة وملموسة مثل تقييمات الحقيقة أو الواقع من حيث واقعية المعرفة؛
- يجب أن تكون مختارة بطريقة هادفة حيث إن البحث الواقعي لا يقدمها؛
- لا يمكنها أن تكون إلا ذات طابع افتراضي؛
- بالنظر إلى القيم اللامتوافقة، فإن مجموعة من الفرضيات البديلة مطلوبة وضرورية؛
- ينبغي أن يكون معيار الاختيار ملائماً وذا صلة بالموضوع، وهذا ما تحدده المصالح والمثل العليا للأشخاص الواقعيين والجماعات؛
- تعتمد الأهمية على مجموعات اجتماعية أساسية أو قوية جداً وحاملة للقيم؛
- الأهداف الملموسة يجب أن تكون محددة وقابلة للتنفيذ؛
- يجب ألا تكون مجموعات أماكن القيمة متضاربة، في بعض الأحيان يجب إيجاد حل توفيقى بينها.²

في الواقع، لا يمكن لعالم الاجتماع أن يثبت أو ينفي الطابع الأسمى أو الأعلى لأي قيمة؛ يستطيع، بكل بساطة، أن يحلل صحة القيم في إطار مرجعية ملموسة، إما على أساس الفعالية كأداة لتحقيق قيم أخرى أو على أساس المطابقة لأفكار شخص ما حول الأهداف والمقاصد النهائية. كل المرجعيات مفيدة للتحقق من القيم المرتبة أدنى السلم بمفردها. تشكل المعتقدات في القيم العليا وقبول بعض الأهداف والمقاصد العليا حقائق اجتماعية تعد موضوعاً مشروعاً للبحث العلمي بيد أن هذا البحث لا يتمكن من التحقق من صحتها. على هذا الخط، من الضروري أن نميز بين التحقيق العلمي والبحث الميتافيزيقي حول محتويات القيمة النهائية من طرف أولئك الذين يؤمنون بوحدة ولو كانا

¹ Ibid. Voir : Weber M., **Economie et société**, Paris, Plon, 1971.

² Gunnar Myrdal, « An American Dilemma » quoted in **Value in social theory**, 1958, p. 201.

يبدوان متشابهين. أفلاطون على سبيل المثال، اكتشف الآراء المتباينة للإنسان حول محتوى العدالة بغرض التجريد؛ أي أن نجد منها القيمة المطلقة العميقة أو الكامنة؛ كذلك في عصرنا، يُنظر أحيانا، إلى المعنى المطلق للديمقراطية من خلال دراسة المؤسسات داخل دولة تُعتبر ديمقراطية. يستخدم أفلاطون والعديد من إيديولوجيي الديمقراطية المنهج العلمي عند فحص الوقائع الاجتماعية الخاصة بهم ولا يبتعدون عنه إلا في المرحلة الثانية، أي عندما يبدؤون التعميم انطلاقا منها. طالما هناك أرضية مشتركة بالإضافة إلى نقطة تمايز واضحة، يمكن للمختصين في العلوم الاجتماعية والفلسفة أن يتعاونوا بشكل مثمر.

عبر العصور، ظل الإنسان يبحث عن القيم العليا للدولة الجيدة. اعتبر السلام والأمن من أهم المعايير المقترحة من قبل المفكرين على اختلاف توجهاتهم، مثل "سبينوزا" و"مكيافيلي"؛ استحدث "سبينوزا" الكثير من القيم الفرعية والأداتية مثل التسامح الذي يمكّن الشعب من العيش في انسجام ووثام وكذا الحرية الفكرية؛ كما شدد "مكيافيلي" على فضائل الأمير. إلى غاية 1914، داعي مصلحة الدولة « Raison d'Etat » كان في الغالب يصف القيمة النهائية، وقد عاش هذا المفهوم في شكل "المصلحة القومية" « National Interest ». لقد رفعت الإيديولوجيات الشمولية المعاصرة من شأن الدولة كأداة لتحقيق المصلحة العليا التي تسعى إليها من منظورها، إلى درجة أنها جعلت الحفاظ عليها، أي الدولة، قيمة عليا.¹

يشكل البحث الدائم عن هوية القيمة العليا أساس جميع التفسيرات الأساسية للتاريخ. تجد الماركسية القيمة العليا في الترتيب المثالي لوسائل الإنتاج، يجدها "ماليونفسكي" ومدرسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية في إشباع الحاجات الفيزيولوجية، "هيغل" في الانتصار في الصراع بين الأمم، بينما يجدها كثير من الناس في القرن العشرين في الانتصار في صراع الإيديولوجيات. اختيار القيمة العليا مسألة فردية ولا يمكن الحصول على إجماع حول هويتها. ومع ذلك، فإن مناقشة العلاقات الدولية القائمة على فرضية وجود قيمة عليا محددة أو نوعية أو خاصة، قد تسلط الضوء عليها. لا شك في كون الماركسيين ومؤيدي المصلحة القومية قد أوضحوا الكثير من المشكلات الغامضة حتى الآن، بيد أنهم لم يتمكنوا من الدفاع عنها في فرضياتهم واستنتاجاتهم.

المدارس الحديثة الرئيسية، التي يميزها البروفيسور "أ. بريخت" « A.Brecht »، تجد القيمة العليا في المساواة، الحرية، إرادة الله، الطبيعة، الديمقراطية، السعادة، المجتمع، الأمة، التطور الأخلاقي، القوة، الثقافة، الانسجام والحكم الذهبي. من بين كل هذه القيم، كانت القوة والأمة (المصلحة القومية)،

¹ J.Frankel, Op.cit, p. 129.

منهجيا، الأكثر استخداما في تحليل العلاقات الدولية. القوة هي الشرط الأساسي للبقاء على قيد الحياة ولا غنى عنها لتحقيق العديد من القيم الأخرى. من هنا ركزت إحدى المدارس الأكثر تأثيرا في مجال العلاقات الدولية على سياسات القوة؛ يقودها "هانس مورغنثاو" « Hans Morgenthau » في الولايات المتحدة الأمريكية، و"جورج شفارتسنبورغر" « George Schwarzenburger » و"مارتن وايت" « Martin Wight » في بريطانيا.¹ يعتبر الكتاب كما صنّاع القرار الغربيون، القوة ليس فقط مصلحة أو أداة نفعية بل قيمة عليا، ولكن كثيرا ما يتم الاعتراض على مفهوم القوة بسبب كونه مفهوما شديدا الغموض، ولكن هذه الصفة تنطبق أيضا على جميع القيم العليا الأخرى المقترحة، لأن هذه الأخيرة، مثلها مثل القوة، لا يمكن أن تكون محددة جدا. لكن، ولأسباب أخرى، لا توفر القوة على الدوام تفسيراً مرضياً لجميع الأفعال السياسية. ففي المثال المقتبس سابقا عن الأسلحة النووية الفرنسية، يمكن تقييم التراكم الذي يبدو بلا معنى، للقوة التدميرية في إطار استراتيجية الردع بشكل أكثر إيجابية من حيث كونه أداة للحفاظ على الذات.

يتحدث "ج. فرانكل" عن المصلحة القومية أو الوطنية، بأنها تمثل قيمة عليا، حيث "يمكن تعريف القيمة العليا الأخرى التي يتم اقتراحها كثيرا وبشكل متواتر، وهي المصلحة القومية؛ بأنها الغايات العامة والمستمرة والتي تتصرف من أجلها أمة ما".² الفكرة القائلة بأن السلام قيمة عليا يمكن أن تكون صحيحة على الصعيدين الدولي والقومي. فالسلام هو القيمة الدولية العليا المجسدة في ميثاق الأمم المتحدة، كما أنه أصبح قيمة وطنية لجميع الدول المنفردة لأن البديل ينطوي على خطر الإلغاء الكامل.

بإمكاننا الانطلاق من فرضية عدم وجود قيمة وحيدة سائدة في السياسة الخارجية، وأن نتخلى، بالتالي، عن فكرة إعداد أنموذج جذاب وبسيط يستند إلى فرضية أن تعظيم هذه القيمة (القيمة التي قد يعتقد أنها سائدة) هو الهدف الرئيس لسياسة الدولة. حتى في التحليل الاقتصادي الأبسط للشركة، فإن القيمة العليا لتعظيم الأرباح، على الرغم من أنها تحظى بشعبية كبيرة إلى وقت قريب، تتعرض الآن لانتقادات شديدة كونها غير كافية وتبسيطية، ومع ذلك فإن الشركة لا تستطيع إهمالها، إلى مستوى معين، دون التعرض لخطر الإفلاس. وهذا ما يُسمى "قيمة مُرضية" « Satisficing the value ». يمكننا استخدام هذا الأنموذج الأقل دقة لكن الأكثر واقعية لتحليل السياسة الدولية والاستعاضة عن الحفاظ على الذات بالأرباح. فالتنظيم البشري بجميع أنواعه لا يقتصر على أهدافه الموضوعية فحسب، بل أيضا على الاستمرارية الذاتية، مع الحفاظ على بنية المجموعة. في الدولة كذلك، يلعب

¹ Ibid.

² Ibid, P. 130.

استمرار الدولة أو الحفاظ على الذات، دورا محوريا في السياسة الخارجية وهذا دون أيما حاجة لتمجيد الدولة على الطريقة الهيجلية من أجل قبول هذه القيمة العليا : **الحفاظ على الذات**.

ليس مقترحا أن تسعى الدول دائما إلى الحفاظ على الذات وأن تخضع جميع قيمها وأهدافها الأدنى لمسألة ما إذا كانت تخدم هذا الغرض الأساسي. والواقع أن بعض هذه القيم والأهداف الأدنى ترتيبا قد تتضارب بشكل مباشر مع الحفاظ على الذات عبر إضعاف قدرات الدفاع أو من خلال تقوية منافس محتمل. مع ذلك، وعلى المدى البعيد، يوضح السعي لتحقيق أهداف تتعارض مع قيمة الحفاظ على الذات، نهاية الدولة، لأن إهمال الربح سيؤدي حتما إلى إفلاس المؤسسة. تتغير العلاقات بين الحفاظ على الذات والقيم والأهداف الأخرى بسرعة كبيرة خصوصا في عصرنا الذي يتميز بسرعة التغيرات والتقلبات. عادة ما يعاد التفكير في ذلك فقط عندما يظهر، وبشكل مؤلم، بأن الحفاظ على الذات في خطر.

إن اختيار أنسب الوسائل للحفاظ على الذات لا يقتصر على الدول ومقاطعاتها كأفراد، بل يمليه إلى درجة كبيرة سلوك الدول الأخرى والظروف الخاصة بالحقبة. تحدد التقنيات والتطورات التكنولوجية المقبولة، في كل حقبة، أهمية بعض الأسلحة والصناعات. من حين لآخر يتم وضع القواعد القائمة للعبة على محك القتال وتعديلها وفقا للابتكارات التكنولوجية وغيرها. ومن ثم، في نظام توازن القوى السائد في القرن التاسع عشر، كان الحفاظ على الذات يعتمد بشكل كبير على قدرة الدولة وحلفائها على شن الحرب. أصبح الشعور بمثل هذه القوة أقل يقينا في عصرنا. في هذا السياق، يمكن تمييز اتجاهين بارزين:

الاتجاه الأول: كون الدول منفردة، ومن خلال جهودها الذاتية، أقل قدرة على توفير أمنها؛

الاتجاه الثاني: يتمثل في تراجع الحرب كأداة للسياسة الخارجية.¹

الاتجاه الأول/ كون الدول منفردة، ومن خلال جهودها الذاتية، أقل قدرة على توفير أمنها:

لقد كانت الدول الصغيرة على الدوام مضطرة إلى ضمان الإرادة الصادقة أو بالأحرى النية الحسنة بالإضافة إلى الحماية من طرف القوى الأكبر، سواء كان ذلك في العصور القديمة أو في الأنظمة الحديثة: بالمحفل الأوروبي أو بعصبة الأمم أو بمنظمة الأمم المتحدة؛ حيث ظل يُطلق عليها بمستهلكي الأمن أو "المستهلكين الأمنيين". بل حتى الدول الأقوى ليست محصنة بما يضعها في مأمن من ضرورة تأمين حسن نوايا الدول الأخرى. ففي وقت مبكر من عام 1907، أكد السير "آير كرو"

¹ Ibid, PP. 131 - 132.

« Ayre Crwoe » في مذكرته الشهيرة موضحا وجوب موازنة السياسة الوطنية البريطانية مع "الرغبات العامة والمثل العليا المشتركة للإنسانية" من أجل اجتناب "الحسد والخوف العالميين". واليوم، فإن التعاليم ذاتها يؤخذ بها حتى من قبل القوى العظمى المعتمدة على الحلفاء في محاولتها لإرضاء المحايدون وفي سعيها لاجتناب أي استعداد للخصم إلى درجة إثارة حرب شاملة. في السنوات الأخيرة، أكد رجال الدولة من المحايدون، من الغربيين ومن الشيوعيين على عدم إمكانية تأمين "الحفاظ على الذات" إلا ضمن السياق الدولي. الصينيون فقط هم الذين عبروا، بثقة، عن توقعاتهم بالبقاء في حالة نشوب صراع دولي، بل وزيادة قوتهم نتيجة لذلك.¹

الاتجاه الثاني/ تراجع الحرب كأداة للسياسة الخارجية:

على الرغم من لا فعالية القيود المفروضة حتى الآن، فإن الدول تلاحظ التغيير وتحضر أدوات جديدة في مجالات أخرى. هنا، قواعد اللعبة لم تُبلور بعد، ولكن من الواضح أن ما يهم أكثر هو قدرة الصناعات القاعدية، على إنتاج الفوائض التي يمكن توزيعها في الخارج بسخاء وتعليم عدد كاف من خبراء التكنولوجيا بهدف تحقيق المزيد من التقدم العلمي وتقديم المساعدة التقنية.

مع نمو الإنتاج في الاتحاد السوفيتي، اختار "خروتشوف" « Khrushchev » مستوى المعيشة كتحدي جديد. فبسبب هواجسنا الطبيعية بالقوة العسكرية، ليس سهلا أن نتصور الكفاح من أجل المحافظة على الذات من ناحية الإنجازات، ليس فقط على مستوى الإنتاج الصناعي، بل أيضا في مجالات: التعليم، الصحة وغيرها من الخدمات الاجتماعية، بل وحتى الاستهلاك. لكن، ألا يمكن، مع ذلك، أن تجد الدول نفسها مجبرة، إذا زال خطر الحرب، على أن توفر لشعوبها، وفي جميع الميادين المذكورة، معايير لا تقل شأنًا عن معايير الآخرين، وإلا فإنها قد تخسر ولاءها؟

قد يعتمد رجال الدولة، أحيانا، ما يمكن أن نطلق عليه "البديل الانتحاري" أي سياسة تعرض كيان الدولة ذاته للخطر وتشكل، بالتالي، تحديا لقيمة "المحافظة على الذات".

قد يكون هذا التحدي الوجودي أكثر وضوحا وواقعية عندما تكون التحديات حقيقية، إذ يمكن أن تزول الدولة بالطريقة نفسها، عندما تعلن الشركات عن إفلاسها بسبب فشلها في الحصول على أرباح كافية.²

¹ Ibid, P. 132.

² Ibid.

الفرع الثاني: الإيديولوجية Ideology

بما أن إدراك الوقائع المنفردة يحكمه تنظيم الصور، فإن القيم المفردة القابلة للتحديد تشكل جزءا من منظومة القيم. مثل الصور، لا تكون المنظومات القيمية واضحة بالضرورة ولا متماسكة بشكل كلي، فقد يحمل الشخص قيما متضاربة دون إدراك منه. قد تتضمن منظومتان قيمتان قيما متشابهة من حيث المكونات، لكنهما يختلفان كثيرا بسبب الاختلاف في التركيز. المثال الأبرز على ذلك هو مفهوم "الديمقراطية"؛ حيث يركز التفسير الغربي له على الحرية السياسية ولكن في كثير من الأحيان على حساب المساواة الاقتصادية، في حين يقبل التفسير الشيوعي الأولويات.

إننا واعون تماما بالاختلافات دون أن ندرك، ربما بشكل كاف، التماثلات وأوجه الشبه. والظروف مهمة. إن اهتمام المجتمعات الفقيرة - والأفراد - بالأشياء المادية مقارنة بالاهتمام الأكبر الذي يوليه نظراؤهم الأثرياء للأمر الروحية، لا ينطوي بالضرورة على اختلافات في القيم، كما أن التفاوت بين نسب الدخل المكرسة للدفاع في كل من بريطانيا والدنمارك لا تعكس بالضرورة اختلافا في تقييم الأمن في كلا البلدين. وهكذا، بأحد المعاني، كان المشروع الأولي لليونسكو، لاكتشاف القيم المشتركة بين جميع الحضارات واقعا. ومع ذلك، فإن الشكوك قائمة حول ما إذا كان هذا الاكتشاف قد أسهم إسهاما حقيقيا في إرساء السلام، لأن هذه القيم المشتركة يتم التأكيد عليها بشكل مختلف.

غالبا ما يكون التغيير في السلوك السياسي نابعا، ليس من القيم المتغيرة، ولكن من تغير موقع الموظف من البيئة. على سبيل المثال، بمجرد أداء فعل في سبيل تحقيق القيم، يتم بواسطة هذا الفعل تحويل في البيئة. تكون التغييرات في الأهداف والتكتيكات سهلة بشكل خاص لدى الشيوعيين الذين يسترشدون بالفكر الجدلي وباعتبارات الصعود والهبوط للموجة الثورية.¹

يجرنا الحديث عن السلوك السياسي، طبعا مع التركيز على السلوك السياسي الخارجي، إلى تناول مسألة ارتفاع القيم، ولو إشارة وبما يخدم أهداف البحث؛ حيث يتلخص تصوّر "ريشر" في إعادة توزيع الفرد لقيمه « Value-redistribution » ويؤكد "ماسلو" على وجود أنواع خمسة من الحاجات: فيزيولوجية، أمنية، اجتماعية، احترام الذات ثم تحقيقها، في حين يركز "كارل يونغ" على القيم الجنسية "الليبدو"، بينما يرى "بياجيه" أن ارتفاع القيم يمرّ بمرحلتين: الأخلاق الواقعية أو التبعية، ثم مرحلة الأخلاق الاستقلالية، ويركّز "روكيش" في تصوّره، على النسق الكلي للمعتقدات؛ أين تتمثل القيم الوسيالية والقيم الغائية؛ أي أن قيم الفرد تنتظم في نسق يقوم على منطوق الأولويات، بينما نجد أن محور التركيز عند أصحاب النظرية البنائية - الوظيفية على الوظيفة، على أساس المحافظة على

¹ Ibid, PP. 120 - 121.

توازن عناصر البناء الاجتماعي وأنماط السلوك والتكامل والثبات النسبي للمجتمع أو الجماعات الاجتماعية.¹

ففي حين يضع بعض الكتاب الغربيين الإيديولوجية كمرادف للنسق القيمي أو المنظومة القيمية، فإنهم يقرون في الوقت ذاته، بوجود اختلافات ينبغي تمييزها. جوزيف فرانكل على سبيل المثال، يجزم بأن الاسم المألوف لمنظومة القيم هو الإيديولوجية. يقول، مقترحاً لبعض التعريفات: من غير المرجح أن تكون مناقشة تعريفاتها المختلفة مثمرة جداً، ولكن من المفيد أخذ بعض الأمثلة العشوائية، يعرف البروفيسور "فيليكس غروس" « Feliks Gross » الإيديولوجية بأنها "... نظام من القيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تُستمد منها الأهداف...". يشير إليها "أنطوني داونز" Anthony « Downs » على أنها "... صورة لفظية للمجتمع الصالح و... الوسيلة الرئيسة لبناء هذا المجتمع" وفي العدد نفسه من المقالات، يعرفها أحد المؤلفين بأنها: "... نظام من الأفكار المتعلقة بالنظام الاجتماعي القائم، وفي الوقت نفسه، مجموعة التدابير التي يتعين اتخاذها بشأنه". في حين يشير آخر إلى العقلنة الفكرية للمصالح الاجتماعية السابقة.²

برزت فكرة الإيديولوجيا (أو الإيديولوجية) بعيد الثورة الفرنسية؛ فباسم العلم، يندد الوضعيون، أمثال "أوغست كونت"، بالأوهام القائمة على التخيل المعيق للأداء العلمي للعالم الاجتماعي القائم فقط على الملاحظة الإمبريقية للحقائق. وباسم الوضعية، تم وضع نقد جذري للمفاهيم المسبقة ولأحكام القيمة، هذا النقد الوضعي سيؤدي إلى علم اجتماع "إيميل دوركايم".³ تعمل الإيديولوجية كنظام فكري يساهم في الدفاع عن جماعة اجتماعية؛ حيث يُدين "كارل ماركس" ومن بعده "غرامشي" و"ألوسر" دور الإيديولوجية في الدفاع عن العلاقات الطبقية، ويقدر أصحاب النظريات النخبوية وعلى رأسهم "باريتو" و"موسكا" بأن أي نخبة تنشئ اشتقاقات وتفرعات لتبرير سلطتها، حيث يستخدم هذا الأخير مفهوم "الصيغة السياسية"، بينما يعتقد المعاصرون من علماء السياسة والسلوكيين الأنجلوساكسون، بأننا سنشهد تراجعاً نهائياً للإيديولوجيات، أين سيتترك المتقنون المجال أخيراً للخبراء⁴، وهو منظور إيديولوجي بامتياز، رغم ادعاء الدقة والحياد العلمي.

يزعم بعض المهتمين، تتبع خمسة استعمالات رئيسية للإيديولوجية: انطلاقاً من العقل الفردي في القرن الثامن عشر، ثم منظومة فكرية، حيث يستعملها الفلاسفة الألمان، هيغل والرومانسيون خصوصاً، بالنظر إلى كونها خطة واعية بذاتها، يأتي بعدها الاستعمال الماركسي كعاكسة لبنية النظام الإنتاجي،

¹ سفيان بوعطيط، مرجع سابق، ص 68 - 74.

² J.Frankel, Op.cit, p. 121.

³ Guy Hermet et autres, Op-cit, p. 140.

⁴ Ibid.

فاستعمال "نيتشه" من حيث كونها مجموع الأوهام التي يعاكس بها الإنسان / الضحية قانون الحياة، وبعدها استعمال "فرويد" من حيث تشكل التبرير للسلوك المعاكس لقانون اللذة والضروري لبناء الحضارة.¹

في تصوراتهم النقدية للإيديولوجية، يشير "أدورنو" إلى الفوائد أو المصالح التي يراها "هوركهايمر" غير كافية لأن الطبيعة الإيديولوجية للقضايا تتطلب فهم الوظيفة الاجتماعية؛ فالأفكار هي إيديولوجية ليس بسبب أنها محددة بشكل اجتماعي ولكن بسبب المحتوى التاريخي الخاص، أي، بتعبير "كارل ماركس" إخفاء التناقضات لمصلحة الطبقة الحاكمة، ولذلك استعمل فلاسفة مدرسة فرانكفورت مفهوم "سلب الإيديولوجيا" أو "نفي الإيديولوجيا" لتحليل تحكم الثقافة المادية في الوعي الفردي عن طريق "صناعة الثقافة" بهدف تحقيق الخضوع، حيث يؤكد "ماركيوز" أن السيطرة الدائمة اليوم والانتشار ذاته ليس فقط خلال التكنولوجيا، ولكن فقط بوصفه تكنولوجيا، أين تقدم التكنولوجيا القانون الأعظم لتوسع القوى السياسية التي تستغرق كل مجالات الثقافة (السيطرة المنهجية والعلمية على الطبيعة والبشر). لكن "هابرماس" يجزم بأن الإيديولوجيا اختفت في المجتمعات الصناعية المتقدمة المعاصرة ليحل محلها وبشكل نهائي التكافؤ الوظيفي الذي يجزئ الوعي ويفتته في كل يوم مانعا تشكيل أشكال شمولية للوعي.²

بالنسبة إلى من يُعرّفون الإيديولوجية بأنها مرادف لنسق أو منظومة القيم، تلعب المنظومات القيمية دورا مركزيا في تنظيم الأفعال السياسية ونسجها في نمط متماسك. بيد أن بعض الكتاب ينكرون أي دور لمنظومة القيم (الإيديولوجية) حتى في الاتحاد السوفيتي الذي يُعتبر مثالا كلاسيكيا لبلد منظم، على ما يبدو، على أساس إيديولوجي. على سبيل المثال، يصف "إدوارد كرانكشو" Edward « Crankshaw الإيديولوجية السوفيتية بأنها "... خرقه مذهبية مثيرة للإعجاب، مليئة بالقطع المتفرقة من الأفكار والمشاعر (المشاعر قبل كل شيء) بعضها بناء، البعض سيئ بشكل واضح والبعض الآخر، ببساطة، سخيف".³ هذه الاختلافات الأساسية في تقييم الإيديولوجيات تؤدي حتما إلى استنتاج مفاده أن موضوعها غامض للغاية. تختلف الإيديولوجيات وتتغير، ليس فقط بتغير الزمان والمكان، بل تختلف أيضا وتتغير من شخص لآخر. مع ذلك، مهما كان حجم الاختلافات بشأنها، فإن بداخل كل

¹ عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، الطبعة السابعة، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2003، ص ص. 103 - 104.

² جورج لارين، الإيديولوجيا والهوية الثقافية - الحداثة وحضور العالم الثالث، ترجمة فريال حسن خليفة، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2002، ص ص. 119 - 122.

³ J.Frankel, Op.cit, p. 122.

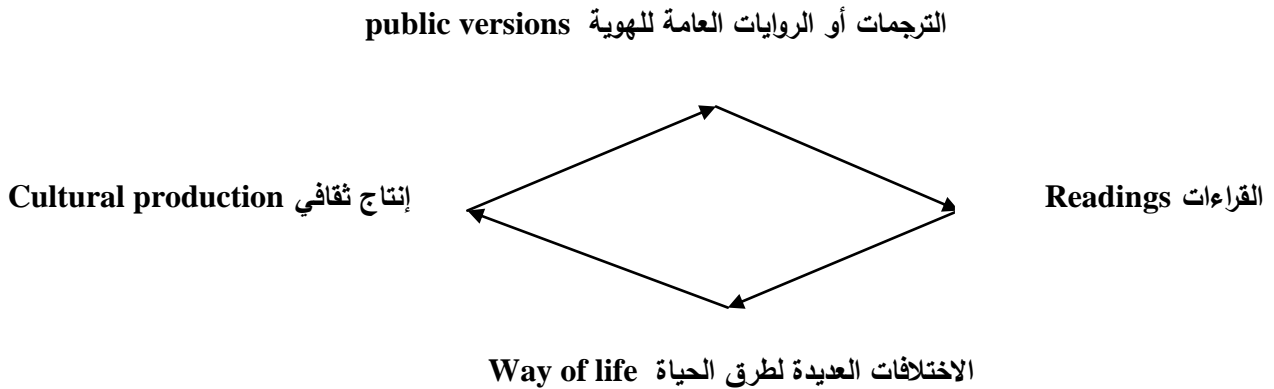
منظومة أو نسق للقيم يوجد مركز صلب يتشكل بشأنه اتفاق عام وتتجمع حوله القيم الأخرى بشكل أكثر غموضاً وأقل وضوحاً، كما يحظى بقبول أقل بشكل متزايد.

تكون المنظومات القيمية، عادة، غامضة ومتضاربة لكنها مع ذلك، مهمة من الناحية العملية. لا يمكن محاربة الأفكار بسهولة، فمحاولة محاربتها في الغرب - إجراءات محو النازية وإزالة الشيوعية - هي حتماً غير فعالة وقد تؤدي من ناحية أخرى إلى حملات تطهير فظة (عزل العناصر غير الموثوقة وتلك التي يُتوقع إصابتها بالعدوى).¹

بما أن تعبير "المذهب" أو "العقيدة" « doctrine » يُستخدم، في كثير من الأحيان، بمعنى قريب من الإيديولوجية، فقد يكون مفيداً اقتراح علاقة بين المصطلحين. أحد التعريفات المقبولة والمتوافقة مع الاستخدام الشائع، يعتبر "المذهب" بمثابة صياغة ملموسة للإيديولوجية.²

يستخدم "ستيوارت هال" مفهوم الهوية الثقافية التي تنبثق من أماكن لها تاريخ، يدركها الفرد بوصفها ماهية ثابتة أو بناء تاريخياً. في الواقع، الاختلافات العديدة والمعقدة للممارسات الاجتماعية والصور أو الأشكال الثقافية لشعب معين تختلف عما نعتبره بشكل عام كوجود أنموذجي لهويته. لذلك جاءت أطروحة "رينتشارد جنسون" بأن الروايات أو الترجمات العامة للهوية، والاختلافات العديدة لطرق الحياة (أو أنماط الحياة) في بلد أو منطقة ما، يكونون لحظتين للهوية أو لدورة الهوية التي يجب أن تكون مميزة ولكنها تغذي الكل الآخر.³

يوضح الشكل رقم (3) دورة الهوية:



الشكل رقم (3) دورة الهوية: المرجع: جورج لارين، مرجع سبق ذكره، ص. 270.

¹ Ibid.

² Ibid.

³ جورج لارين، مرجع سبق ذكره، ص ص. 269 - 270.

تدفعنا مفاهيم الهوية الثقافية، نمط الحياة، الطابع القومي ثم النمط القومي أو الوطني، إلى التركيز في الفصل الموالي على النمط القومي الأمريكي وعلى المصلحة القومية كمحرك للسلوك السياسي الخارجي...

خلاصة واستنتاجات:

نخلص في نهاية الفصل الأول إلى تأخر الاهتمام بموضوع القيم في الدراسات الاجتماعية عموماً وفي البحوث السياسية خصوصاً ثم في موضوعات السياسة الخارجية على نحو أخص، مقارنة بالإدراك الأبعد لبعض المختصين الأنجلوأمريكيين، حيث تناولت دراساتهم ومؤلفاتهم فصولاً كاملة عن القيم ومدى تأثيرها في صانعي القرار الخارجي للدول التي يصدرون قراراتهم باسمها، ومنه نستنتج أن:

- مصطلح القيم قديم، وقد ذُكر في القرآن الكريم بمعنى الثبات والاستقامة والقدر وقد ورد بالمعنى ذاته في مختلف اللغات الإنسانية ومنها اليونانية القديمة، وقد تم استخدامه بمعنى الثمن والتقويم ومنه القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية، ثم صار يرتبط بالدوافع أي ذلك العنصر الذي يدفع رجل الدولة إلى اتخاذ قرار بعينه، حيث لا يعد تقييم البيئة دون دمجها مع عنصر القيم، كافياً لاتخاذ قرارات سياسية.

- القيم نتاج لعملية التنشئة السياسية وهي العملية التي تتأثر بظروف البيئة الاجتماعية وبطبيعة التوعية المذهبية وبالخبرات والتجارب التي يمر بها الأفراد ويحصلون عليها، وهي مختلفة عن الاتجاهات والمبادئ والمعايير، ومنها جاء علم القيم (الأكسيولوجيا).

- الإثنومركزية الغربية دفعت عديد الباحثين إلى تصنيف القيم إلى غربية عقلانية وغير غربية تقليدية، دون تجشم عناء التعمق في البحث لإدراك مدى عقلانية قيم الأمم الأخرى على غرار تلك القيم الإسلامية التي تتدرج في تصنيف المقاصد مقدمة لحفظ النفس على حفظ الدين وبالتالي فهي عقلانية يسهل إدراكها واستيعابها ولو اختلفت الأنساق القيمية والمعتقدات.

- الدراسات السيكولوجية وبحوث علم النفس السياسي توضح كيفية تأثير القيم في الأفراد ومنهم رجال الدولة، بارتباطها بثقافتهم السياسية، إما فردياً عن الطريق التدخل أو الاستيعاب الداخلي وإما جماعياً أو ضمن مجموعات عن طريق المؤسسة، بحيث تكون القيم منظورة وأن تخترق البيئة النفسية لصناع القرار.

- اهتمام الباحثين في حقل السياسة الخارجية ينصب على كشف الروابط الكامنة بين مسار صناعة القرار ومن يصنعه من جهة والقيم وما تشكله من دوافع توجه سلوكهم السياسي من جهة ثانية، في مقابل الدراسات الاقتصادية التي تهتم، أساساً، بموضوع الحوافز الخارجية المادية من أجل تحقيق الرضا الوظيفي وزيادة الإنتاجية.

- مشكلة الانتقاء، أي انتقاء القيم، إضافة إلى ترتيبها عند التطبيق، ترتبط بصعوبة تطبيق النسق القيمي كليا والتسليم بواقعية تطبيقه بشكل جزئي فقط، وبالتالي انتقائي، وهو ما يشكل تطورا مهما على مستوى الخطاب السياسي الأمريكي، أين يلتصق الانتقاء بالمصلحة القومية والأهداف الإستراتيجية المسطرة.

- تماسك النسق القيمي أو المنظومة القيمية مع أنموذج للسلوك المنظم، بحيث لا يمكننا الحديث عن قيم منفردة أو معزولة، وتنوع محددات اكتسابه، إضافة إلى اعتماد قيم عليا، أي تلك المعتبرة أكثر ملاءمة، أو نهائية مقابل القيم الوسيالية أو الأدائية، من أجل استخدامها معيارا لجميع القيم الثانوية... كل ذلك يؤكد على أهمية تجسيد القيم والعمل على استيعابها ضمن قيمة عليا وتنظيمها وفقا لتسلسل هرمي.

- قيم الأمن والسلام وعموم القيم السياسية، وإن شكلت قيما إنسانية مشتركة، فإنها تختلف من حيث الممارسة السياسية أو عند التطبيق، ليس فقط بسبب الاختلاف في النسق القيمي والأنموذج الفكري ومجموعة المصالح، أي الإيديولوجية ونمط الحياة، وإنما يعود ذلك إلى كون هذه القيم المشتركة يتم التأكيد عليها بشكل مختلف حتى داخل النسق القيمي الواحد أو ضمن الإيديولوجية نفسها أو حتى داخل الهوية الثقافية المشتركة، وبالتالي تختلف تقييمات سلم الأولويات وعليه فإن أهداف السياسة الخارجية الأمريكية قد تتضارب مع أولويات حلفائها الذين يتشاركون قيمها التي يطلق عليها: رأسمالية، ديمقراطية ليبرالية، حضارة يهودية - مسيحية، العالم الحر... الخ.

الفصل الثاني:

النمط القومي الأمريكي والمصلحة القومية:

- محرك السلوك الخارجي وتطبيقات السياسة الخارجية

قبل 9/11

الفصل الثاني: النمط القومي الأمريكي والمصلحة القومية

- محرك السلوك الخارجي وتطبيقات السياسة الخارجية قبل 9/11

لقد أجاد "ستانلي هوفمان" « Stanley Hoffman » تعريف وتحليل النمط القومي الأمريكي من منظور العلاقات الدولية: "إدراك وتصور، طريقة مميزة لرؤية العالم خاصة بالأمريكيين مؤثرة في خيارات صانعي القرار وفي توجهات السياسة الخارجية".¹

ينبغي التمييز، ابتداءً، بين النمط القومي والمفهوم الستاتيكي للطابع القومي...

يُعدّ مفهوم الطابع القومي من أقدم المفاهيم في المجتمع الإنساني، استُخدم في وصف الناس في مجتمعات مختلفة: شجاعة / جبن، كرم/بخل... الخ، لأن وصف المجتمعات الصغيرة في القديم كان ممكناً، لكن الأمر أصبح صعباً بالنظر إلى الانفجار الديمغرافي وبروز عديد المتغيرات التكنولوجية، الاقتصادية، التعليمية والثقافية، فهو علم يدرس العادات المشتركة بين الناس داخل المجتمع.²

يتميز مفهوم الطابع القومي بكونه:

- عاما ومجردا، يستمد عناصره من دلالة الخبرة
- نوعا من الافتراض المسبق كإطار لفهم الحقيقة
- أداة للحركة وإطارا رئيسا في صنع السياسة الخارجية.³

إذن، فمن الأنثروبولوجيا الحضارية إلى علم النفس الاجتماعي وصولا إلى نطاق السياسة الخارجية، نجد ارتباطا وثيقا بين الطابع القومي ومفاهيم تناول البحث معظمها بالشرح، مثل السلوك، الدافع، الحافز، الشخصية، الاتجاه، المذهب والإيديولوجيا؛ حيث تتكون نظرية الطابع القومي من عدد من العناصر التي تشكل في مجموعها أساس النظرية، وعلى رأس هذه العناصر نجد: الإيديولوجية السياسية، التركيب الاجتماعي، الثقافة والشخصية، العامل التاريخي، التصور، القيم والاتجاهات.⁴

أما النمط القومي، مثله مثل شخصية الفرد، فهو مفهوم ديناميكي، تطوري وليس معطى ثابتا: إنه قابل للتعديل عن طريق بيئته الاجتماعية وبواسطة تطور المجتمعات، ويظل مستمرا، بشكل ملحوظ،

¹ Charles Philippe David et autres, **La politique étrangère des Etats-Unis fondements, acteurs, formulation**, 2^{ème} édition, paris, presses des sciences po, 2008, p. 55.

² ياسر عبد الحسين، مرجع سبق ذكره، ص. 129.

³ رشاد عبد الله الشامي، **الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1986، ص. 103.

⁴ ياسر عبد الحسين، مرجع سبق ذكره، ص. 133 - 142.

عبر العصور، في جوانبه العامة وينتقل عبر بيئات مختلفة. فبينما ترتبط دراسة الطابع القومي باكتشاف الشخصية الجمعية، تبحث دراسة النمط القومي في تحديد الطريقة التي تتعامل بها الشخصية الجمعية مع محيطها وتؤثر فيه. يسمح لنا النمط القومي بإرساء الروابط بين الأمريكيين الأوائل وأمريكي اليوم. ينبغي التذكير بأن هكذا مفهوم هو إسقاط لبناء عقلي على الواقع. إنه، ككل أنموذج تفسيري، يشتمل على تبسيطات وتعميمات مريحة. إنه يسمح لنا بفهم أفعال الأشخاص وردود أفعالهم في الزمان والمكان، لكنه لا يستطيع أن يمثل جميع التفاصيل. أخيراً، لا يُعرض هذا المفهوم، بأي حال من الأحوال، على أنه التفسير النهائي والحصري للسلوكيات. يمكننا تقديم العديد من الاعتراضات على هذا النمط من التحليل، فبين ثقافة النخب المسؤولة عن القرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية وثقافة عامة الشعب يمكننا أن نلاحظ اختلافات هائلة بين المنعكسات الثقافية من مستوى اجتماعي إلى آخر. وحتى وإن كان دبلوماسيو البلدان المتقدمة يشبه بعضهم بعضاً أكثر مما يتقاطعون مع ثقافة بلدانهم الأصلية، يظل سلوك الدبلوماسي الأمريكي، حتى لا نذكر سوى الحالة التي تهمنا، مختلفاً عن سلوك نظرائه الأجانب. أكثر من ذلك، وبوجه خاص في الولايات المتحدة الأمريكية، كما في العديد من الديمقراطيات، الثقافة الشعبية هي التي تنظم عادات المجتمع التي، على أساس مدى المطابقة معها، يتم تقديم الحساب عن الأفعال السياسية.

يضع بعض المختصين استمرارية هذا النمط موضع شك، مشيرين إلى الفروق المعتبرة بين أهداف السياسة الخارجية من قرن إلى آخر، ومن جيل إلى آخر، ومع ذلك يظل الإطار الثقافي يمثل التقاء مجموعة من العوامل المؤثرة بشكل كبير في إعداد السياسة الخارجية.

بالإضافة إلى الجغرافيا والموقع الجغرافي للولايات المتحدة الأمريكية والتي تلعب دوراً محددًا، تأتي عناصر أساسية لبناء النمط القومي ولتفسير اتجاهاته العميقة وتطوره.¹

تفرض دراسة النمط القومي الأمريكي الانقلاب على كل ما يشكل أسس تلك الملامح المميزة التي تأتي لتتبع في مسار إعداد وصياغة السياسة الخارجية. عناصر تاريخية مرتبطة مباشرة باكتشاف العالم الجديد، وعناصر سياسية من بينها إرث واشنطن، تشكل أسس النمط القومي الأمريكي.

في الواقع، بدأ استعمار أمريكا الشمالية من طرف البريطانيين سنة 1607، مع تأسيس "جايمستاون" بفرجينيا. على الرغم من ذلك، يتفق، جميع المؤرخين على منح أهمية كبيرة وقيمة شبه أسطورية لرحلة "مايفلور"؛ في 1620، حين رسا النظهريون، المسمون أيضاً "الحجاج"، في "كايب كود" بماساتشوستس. لقد كانوا فارين، في رحلة بحثهم عن الحرية، من اللاتسامح والقمع الديني الذي كان

¹ Charles Philippe David et autres, Op-cit, pp. 55 – 57.

سائدا في بريطانيا. كانوا مدفوعين بإيمان قوي، بإعادة اكتشاف "النقاء" أو "الطهر"، أي ما يطلقون عليه: المثالية الإنجيلية المسيحية، وبمعارضة عنيدة للنظام الهرمي للمسيحية الذي كان موجودا في بريطانيا، حتى بعد الإصلاح الديني البروتستانتي. بملاحظة طريقة تدينهم وعيشتهم، نستطيع ملاحظة السمات المميزة التي ستصوغ وتشكل التاريخ الأمريكي كله بل وحتى السياسة الخارجية للولايات المتحدة.¹

¹ Ibid

المبحث الأول: محددات النمط القومي الأمريكي

بالإضافة إلى المغامرين الحالمين بالثروة والباحثين عن الذهب والمال، شكل البروتستانتيون الفارون من الحروب الدينية وقمع الكنيسة الكاثوليكية، وقد كانوا في عمومهم من الأنغلو ساكسونيين، نواة المدتمع الأمريكي وكبرى المجموعات التي انحدرت منها النخبة الدينية والاقتصادية والسياسية التي صار يُطلق على شخصياتها التي قادت فيما بعد حرب الاستقلال عن بريطانيا ثم تأسيس الدولة الفدرالية: "الآباء المؤسسين"؛ ومن ثم الأصولية البروتستانتية والمركزية الإثنية إضافة إلى مقولات راسخة مثل: أرض الميعاد والقدرية الظاهرة، عناصر محددة في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية.

المطلب الأول: المحددات التاريخية - الدينية

تشمل: أرض الميعاد والأصولية البروتستانتية، بالإضافة إلى القدرية الظاهرة والمركزية الإثنية.

الفرع الأول: أرض الميعاد والأصولية البروتستانتية

في الولايات المتحدة الأمريكية، تلعب العقيدة الدينية، بمضمونها البروتستنتي - الكاليفيني، وما تأثرت به من أفكار سياسية - اقتصادية جاء بها عصر النهضة، دورا كبيرا في تحديد معالم الشخصية الأمريكية ونمط تفكيرها سواء في التعبير عن ذاتها، أم في طريقة تعاملها مع الآخرين خارج محيطها الإقليمي.¹

بداية، هم من يُطلق عليهم اليوم بـ "الأصوليين"، يعني أنهم مؤمنون يظنون أنهم مخولون تفسير الكتب الدينية كما تعرض عليهم (أي تفسيراً حرفياً) دون إغارة أدنى اهتمام لسياقها التاريخي ولا لفهمها من منظور تطوري. يعتقدون بأنهم مُلهمون مباشرة من الإله ومهيؤون مسبقاً لأداء، أي مقدر لهم أن يؤديوا مهمة خاصة جدا. يقارنون، بكل بساطة، بين ملحمتهم تجاه العالم الجديد وهجرة الشعب المختار. عبارات مثل "الأرض الموعودة" و"جيروزالم الجديدة" نجدها تتكرر كثيرا في أدبياتهم وقصصهم. تتمثل العناصر الأولى للنمط القومي إذن في ذلك الشعور العميق بكونهم مباركين من الرب، في التفوق الأخلاقي الذي سينطبق على المفهوم الاجتماعي، في المثالية الراسخة بعمق على أساس الإيمان المسيحي. الحجاج مقتنعون بأنهم سيعيدون تشكيل العالم، وسيكتبون بل سيصنعون التاريخ من جديد.² فمنذ استيطانهم ما أطلقوا عليه تسمية "الأرض الجديدة" بداية من القرن السابع عشر، حمل المهاجرون البيوريتانيون العقيدة الدينية البروتستنتية - الكاليفينية بهدف تطبيقها في بلد جديد ومجتمع بكر، وهي العقيدة التي سيكون لها شأن لا يُنزع في زرع قيم وأفكار وقواعد سلوك مؤثرة، ليس فقط في

¹ عبد القادر محمد فهمي، **الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية. دراسة في الأفكار والعقائد**

ووسائل البناء الإمبراطوري، الطبعة الأولى، الاردن، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009، ص. 33.

² Charles Philippe David et autres, Op-cit.

صياغة الشخصية الأمريكية على الصعيد الاجتماعي، إنما أيضا في صياغة العقل الأمريكي ومنهج التفكير السياسي الرسمي في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية.¹

لقد تم تكريس البعد الديني في الولايات المتحدة مبكرا، في الوثائق الرسمية وفي خطب الرؤساء، منها إعلان الرئيس "جورج واشنطن" يوم السادس والعشرين من نوفمبر عيدا قوميا (عيد الشكر) وإعلان "جورج بوش" (الأب) يوم الثالث من فبراير (فيفري) 1991 عيدا قوميا للصلاة... الخ.²

اليوم أيضا، لا يمكننا أن نفهم الخطاب الأمريكي وعقلية النخب، كما لعموم الشعب الأمريكي، إلا إذا أخذنا في الاعتبار هذا الوعي بالاستثنائية الأخلاقية والتي، بلا شك، لم تعد مرتبطة بأسطورة الاصطفاء الإلهي، ولكن وفقا لها، يرى الأمريكيون بأن بلدهم عهد إليه بمهمة خاصة جدا. هناك قدر كبير من الإشارات الدينية في خطب الرؤساء الأمريكيين حيث لا مفر من الاستشهاد بها، حتى إنهم (أي الرؤساء الأمريكيون) مهما كان اتجاههم والحزب الذي أتوا منه، يعلنون عن إيمانهم الديني القوي. ففي خطاباته الرسمية، يستعير "رونالد ريغن"، بشكل غير مباشر، العبارة الواردة في الإنجيل وفقا لرواية القديس متى: "المدينة التي تضيء فوق الجبل أو فوق التلة" « city shining on the hill » وذلك لوصف الحضارة الأمريكية. "جيمي كارتر" و"جورج دبليو بوش"، رغم الاختلاف الكبير بينهما، يصف كل منهما نفسه بأنه مسيحي متجدد « born again christian » : أي أنهما وجدا الإيمان بشكل متأخر³ كما استخدم الرئيس كلينتون في خطابه الافتتاحي سنة 1997 استعارة مكنية من التوراة حينما قال: "استرشادا بالرؤية القديمة لأرض الميعاد، فلنوجه أبصارنا اليوم إلى أرض ميعاد جديدة". لقد اعتمد الرؤساء الأمريكيون بدءا من جورج واشنطن فصاعدا على الحس الديني، ليس للتأثير على عقول أبناء الشعب فحسب، بل على أفئدتهم أيضا لتأييد الأهداف السياسية.⁴

إذا ما اعتبرنا رحلة "مايفلور" أنموذجا، أو حدثا مؤسسا للأمة الأمريكية، فإننا سنجد فيها موقفا محددًا جدا وكاشفا جدا: الحجاج يديرون ظهورهم لأوروبا ويوجهون أنظارهم إلى الغرب. تمثل أوروبا بالنسبة إليهم الانحطاط، الضلال، الهيمنة، التفاوت وعدم المساواة الاجتماعية، عالما بلا أمل. فبمجرد ديمومة هذا الموقف، وتكرار هذه التجربة عن طريق الموجات التالية للاحتلال والهجرة، استمرت هذه النظرة السلبية عن أوروبا، سواء عند القادة أو لدى عامة الناس. يجب الإشارة، رغم ذلك، إلى المكانة المميزة، الغربية والمتناقضة التي تحتلها بريطانيا. على الرغم من كون الولايات المتحدة تأسست ضد

¹ - Charles Philippe David et autres, Op-cit.

² عبد القادر محمد فهمي، مرجع سبق ذكره، ص. 34.

³ مايكل كوريت وجوليا ميتشل كوريت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة، ترجمة عصام فايز وآخرين، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2006، ص. 31.

⁴ Charles Philippe David et autres, Op-cit.

بريطانيا، إلا أنهما اليوم متقاربتان جدا. يشهد على ذلك أن بنود إعلان الاستقلال لم توجه بأي شكل من الأشكال ضد التقليد البريطاني في حد ذاته، بل تحديدا ضد طغيان الملك. لقد أظهر التاريخ لاحقا بأن الأمريكيين وجدوا أنفسهم، في كثير من الأحيان، يتعاملون في يسر وراحة أكبر مع العاصمة الاستعمارية القديمة مقارنة مع بلدان القارة الأوروبية. امتد هذا الرفض لأوروبا بالتأكيد إلى تاريخها بحكم أن هذا التاريخ، في نظرهم، غير قابل لتقديم الدروس المهمة لتتقدم أمريكا، بل أكثر من ذلك، إن الاتجاه قائم على رفض التاريخ برمته، الأمر الذي يتطابق تماما مع المثل الأعلى المسيحي لإعادة بناء العالم ولإعادة كتابة التاريخ. لا لأن الولايات المتحدة تخلت عن التاريخ العالمي كله، بل لأن المسؤولين الأمريكيين لا يعيرون، عموما، سوى القليل من الاعتبار لدروس التاريخ.¹

في كتابها "الجبروت والجبار" تقول "مادلين أولبرايت" وزيرة الخارجية في إدارة "كلينتون" : "غالبا ما أسأل نفسي لماذا لا نستطيع إبقاء الدين بعيدا عن السياسة الخارجية؟ وجوابي هو أننا لا نستطيع ولا ينبغي لنا ذلك، فالدين جزء كبير مما يحفز الناس ويشكل آراءهم في السلوك العادل والصحيح، ويجب أن يُحسب له حساب. لا يمكننا أن نتوقع من قادتنا اتخاذ القرارات بمعزل عن المعتقدات الدينية".²

فعلى الرغم من نذب التاريخ، شكّل الأمريكيون عديد الرموز، وعلى الرغم من فصل الدين عن الدولة رسميا، يبقى تأثير الدين عموما، والبروتستنتية خصوصا والإنجيلية بشكل أخص، قويا ونافذا، حيث يشكل الإنجيليون ربع التعداد السكاني للولايات المتحدة وحوالي خمسي تعداد جميع البروتستنت³ كما توجد 1400 محطة إعلامية دينية، يعمل فيها ثمانون ألف (80 ألف) قسيس إنجيلي، يعدون في أغلبيتهم، الكيان الصهيوني المدعو "إسرائيل" تجليا إلهيا وتجسيدا لنعم الإله من أجل خلاص بني البشر.⁴

تجدر الإشارة بهذا الصدد إلى كون الدراسات المستقبلية أكثر انتشارا في الولايات المتحدة الأمريكية من أي جهة أخرى في العالم وإلى كون العلوم الاجتماعية بأمريكا تتجه إلى الدراسات الإمبريقية والكمية أكثر مما توجه إلى علم اجتماع التاريخ. هذا صحيح بالنسبة للسياسة الخارجية، التي تتمحور في

¹ مادلين أولبرايت، الجبروت والجبار - تأملات في السلطة والدين والشؤون الدولية، ترجمة عمر الإيوي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ناشرون، 2007، ص ص. 242 - 243. أنظر، ياسر عبد الحسين، مرجع سبق ذكره، ص. 151.

² ياسر عبد الحسين، المرجع والصفحة.

¹ المرجع ذاته، ص. 153.

⁴ Charles Philippe David et autres, Op-cit.

الغالب حول "الاستقرار"، لكن دون أن تستلهم إلا القليل من السوابق التاريخية العالمية، مع استثناء التاريخ الأمريكي ذاته.¹

الفرع الثاني: القدرية الظاهرة والمركزية الإثنية

لم تظهر عبارة القدر الجلي أو القدرية الظاهرة (لأول مرة) إلا في سنة 1845 في مقال موقَّع من قبل "جون أوَساليفان" « John O'Sullivan » منشور في "المجلة الديمقراطية" « The Democratic Review » : "من الواضح أنه قدرنا، كتب المؤلف، أن ننتشر في القارة التي منحتنا إياها العناية الإلهية من أجل ضمان التنمية الحرة لشعب يتضاعف، كل عام، بالملايين".² كما يتحدث عن " الثورة العالمية التي ستبتكر مجتمعا جديدا سيولد في الولايات المتحدة بأمر من الله الذي يقف إلى جانب الأمريكيين".³

في فترة الاستقلال، كان الإدراك يتنامى بأن الشعب الأمريكي متميز، مكلف بمهمة إلهية ويتطور وفقا لمسار مختلف تماما، بل لا علاقة له بمسارات الأمم التقليدية. فالأمة الأمريكية الجديدة، حسب الاعتقاد السائد في الولايات المتحدة، صيغت، ليس عن طريق المصادفة التي تنشأ عنها التجمعات الإثنية، الثقافية أو الدينية، بل إنها مؤسسة حول المبادئ الكبرى للحرية وذاتية تقرير المصير.

في سنة 1783، وبعد أن لاحظ تواجد مهاجرين قدموا إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أصول مختلفة: إنجليزية، اسكتلندية، إيرلندية، فرنسية، هولندية، ألمانية وسويدية... الخ (نلاحظ تجلي مقولة الرجل الأبيض الأوروبي)، كتب "هيكتر سان جون دي كرافكور"

« Hector St. John de Crèvecoeur » : " إذن، باختصار، من هو الأمريكي، هذا الإنسان الجديد؟ يُعتبر أمريكا من استقبلته جامعتنا (Alma mater)... هنا ذاب الأفراد من كل الجنسيات في عرق جديد، ستكون أعماله وذريته، في يوم من الأيام، سببا في تغييرات كبرى في العالم".⁴ فالمهم عند "دي كرافكور" أن يكون الأمريكي "منحدرا من أصول أوروبية، لكن الأهم أنه الأمريكي الذي بتخليه عن تعصبه وسلوكياته القديمة، يلاقي بدائل جديدة مستمدة من طراز الحياة الجديدة التي يعيشها"⁵ إذ أن مفتاح التحول عنده هو الطراز الجديد من الحياة، بيد أن التنوع عنده لا يخرج عن

¹ Ibid, p. 75. Cité par Robert Lacour-Gayet, Histoire des Etats-Unis. Des origines à la fin de la guerre civil, Tome1, paris, Fayard, 1976, p.303.

² عبد القادر محمد فهمي، مرجع سبق ذكره، ص. 39.

³ Charles Philippe David et autres, Op-cit, p. 76.

⁴ Ibid.

⁵ ياسر عبد الحسين، مرجع سابق، ص. 156..

الرجل الأبيض الأوروبي، ونخبته المهيمنة ذات الانتماء الإثني الأنجلوساكسوني والديانة البروتستنتية .WASP.

لقد ضمنت هذه التركيبة المتعددة الإثنيات الطابع التعددي الأمريكي وستؤسس لاحقا ذلك الإدعاء بأنه سيصبح أنموذجا لكل شعوب العالم. "ففي أعماق الوعي الإيديولوجي الأمريكي نجد هذه الفكرة، وهي أن الله قد اختار أمريكا ليحمي الخير والحق والحقيقة"¹. فالأمريكي، وصانع القرار تحديدا، يلزمه الشعور بكونه صاحب رسالة من أجلها هاجر إلى أمريكا: "لبناء عالم جديد، حيث يكون الإنسان بمنأى عن القمع وحرًا إلى الأبد"².

لكن ينبغي أن نفحص المسألة عن قرب. فحتى لو كان الشعب الأمريكي، منذ الاستقلال، قد تشكل من مهاجرين قدموا من عدة بلدان أوروبية، فإن البريطانيين هم الذين فرضوا عاداتهم الاجتماعية حيث استمد الإلهام في تحرير إعلان الاستقلال والدستور من البريطانيين، كما أن جميع الآباء المؤسسين الموقعين على الوثيقة الأساسية كانوا من أصول بريطانية. كتب "جون جاي" « John Jay » ، (على الرغم من حقيقة كون أكثر من ثلث الشعب الأمريكي لم يكن بريطانيا في الأصل): « لقد سعدت العناية الإلهية بإعطاء هذا البلد الفريد لشعب موحد، منحدر من نفس الأجداد، يتكلم اللغة نفسها، يدين بالدين نفسه ... متماثل في أخلاقه وفي عاداته وأعرافه » .

فالأوروبيون الآخرون، إذن، هم الذين أدمجوا في هذه "الأمة الإنجليزية الجديدة" وليس العكس. مثلما لاحظت "إيليز ماريينستراس" « Elise Marienstras » ، وهي محقة في ذلك، : « التمثيل العضوي (organicité) المعلن والمراد للمستقبل كان قد حُدِّد وعُرف وفقا للنموذج الذي قدمته الأغلبية البريطانية البروتستنتية ».³ ظلت المواطنة الأمريكية الكاملة، لمدة زمنية طويلة وبطريقة حصرية وعنيفة، حكرًا على البيض من نوي الأصول الأوروبية. لقد حارب الهنود الأمريكيون (السكان الأصليون) وطردهوا وأزيلوا لأنهم كانوا يشكلون عائق في طريق تمدد الحضارة، كما كان الأفارقة-الأمريكيون، لوقت طويل، عرضة للاستعباد ثم للتمييز في ولايات الجنوب (بل حتى في الشمال وإلى حد ما) وذلك بعد الحرب الأهلية بكثير، كما خضع السكان المنحدرون من أصول آسيوية، خصوصا اليابانيون إبان الحرب العالمية الثانية، لمعاملة تعسفية وجائرة.⁴ بل إن أعمال الشغب التي طالت

¹ جبرار ديلودال، الفلسفة الأميركية، ترجمة جورج كتورة وإلهام الشعراني، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، كانون الأول (ديسمبر) 2009، ص. 35.

² المرجع والصفحة.

³ Charles Philippe David et autres, Op-cit, p. 76.

⁴ Ibid, p. 77.

مدينة مينيسوتا في شهر ماي 2020، كان سببها انتشار تسجيل مسموع - مرئي لخنق بربري متعمد أمريكي من أصول إفريقية من طرف شرطي أبيض...

على مستوى السياسة الخارجية، كما سنرى لاحقا، استُخدمت القدرة الظاهرية لتبرير النزعة التوسعية (Expansionnisme) الأمريكية على القارة: "غزو أوريغون، ضم تكساس، ثم هاواي".¹ كتب "جون أوساليفان": "أتاحت لنا القدرة الظاهرة أن نشغل القارة التي منحتنا إياها العناية الإلهية".²

المطلب الثاني: المحددات السياسية

لقد تجذرت الليبرالية الفردية إلى أن أضحت إيديولوجية وطنية (قومية) مطبوعة بالسيادية والنزعة الانعزالية التي تعني للفرين من أوروبا التي تمثل في اعتقادهم الانحطاط والماضي، عدم الخوض في مشكلات القارة القديمة والنظر بثقة إلى التقدم بدلا عن الانحطاط والمستقبل عوضا عن الماضي.

الفرع الأول: الانعزالية والسيادية

طُبعت النزعة الانعزالية، برأينا، بطابع شديد الواقعية وبتقدير دقيق لموازن القوة على مستوى إدراك القادة، بشكل يجعل السياسة الخارجية الأمريكية قادرة على تبرير التوسع والتدخل حين تكون مصالحها مؤكدة، والانعزال وعدم التدخل عندما يسود الشك في القدرة على حماية تلك المصالح. بتعبير مختلف، الانعزالية التي سادت على فترات متقطعة، هي تلك التي "من شأنها جعل الولايات المتحدة قوة عظمى ولكن على هامش النظام الدولي".³

على مستوى القيم أيضا، لا يزال أنصار الانعزالية، يعتبرون علاقات الولايات المتحدة مع دول العالم سببا لتلويث القيم والمصالح الحيوية الأمريكية بثقافات أجنبية ومؤسسات دولية فاسدة تتنافى تقاليدها وقيمها مع القيم الحضارية الأمريكية، على أساس إيمانهم "بالتفوق الأخلاقي الأمريكي، وبأن الولايات المتحدة فقط قادرة على توفير الإطار المقبول والأمثل لرفي هذه الأخلاق".⁴

¹ جيرار ديلودال، مرجع سابق الذكر، ص. 36.

² المرجع والصفحة (نقلا عن: United States Magazine and Democratic Review, July-August 1845)

³ عبد الحليم غازلي، السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إفريقيا، القاهرة، دار الكتاب الحديث، الطبعة الأولى، 2015، ص. 47.

⁴ المرجع والصفحة.

يلجأ الأمريكيون إلى أحداث هامة من تاريخهم أصبحت، على غرار ملحمة "مايفلور"، خرافات مؤسسية. تتشكل مرجعيتهم، بصفة طبيعية، من الوثائق الكبرى التاريخية مثل إعلان الاستقلال والدستور، وكذا من أنثولوجيا الخطابات الهامة، مثل خطاب "لنكلن" في "غيتيسبورغ".

من بين هذه الخطابات، يوجد واحد يُعتبر وصية من الأب المؤسس، الرئيس الأول، "جورج واشنطن" « George Washington » : يتعلق الأمر بخطاب الوداع الذي وجهه للأمة في خريف 1796، بعد إعلانه عدم الترشح لعهدة ثالثة (السلوك الذي أصبح، بالمناسبة، تقليدا لم يُكسر إلا مرة واحدة من طرف "فرانكلين روزفلت" « Franklin Roosevelt » لظروف الحرب العالمية الثانية وأقر بعدها في تعديل دستوري). تكشف هذه الرسالة بوجه خاص عن النمط القومي فيما يتعلق بالسياسة الخارجية.

كانت العهدة الرئاسية الثانية لواشنطن (1793 - 1797) مكثفة بشكل خاص في مجال السياسة الخارجية. لقد كثف النقاش حول السياسة الواجب اتباعها تجاه القوى الكبرى الأوروبية، فرنسا وبريطانيا تحديدا. ففي حين ظلت فرنسا حليفا بسبب الحلف المبرم زمن الثورة، تم الحفاظ على العلاقات مع بريطانيا. في الوقت الذي أصبح فيه تطور فرنسا غير مؤكد ومقلقا، بدا ضروريا بالنسبة إلى البعض، من بينهم وزير الخزانة، "ألكسندر هاملتون" « Alexander Hamilton » التقرب من الوطن الأم القديم والابتعاد عن فرنسا. كانت معاهدة "جاي" سنة 1794، المنظمة للعلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والمستعمرة البريطانية بكندا، تهدف إلى إعادة إقامة علاقات جيدة مع بريطانيا بعد الخلافات الإقليمية للشمال الغربي. ستتم المصادقة عليها لكن دون ذلك صعوبات: فإذا كان "هاملتون" يعتقد بأنها ضرورة، فإن "جيفرسون" « Jefferson » كان يعارضها بضراوة. في الواقع، إذا كانت بريطانيا قد قبلت بالانسحاب من الشمال الغربي للبلاد وبتعويض مُلاك السفن الأمريكيين الذين عانوا من النزاع الإنجليزي - الفرنسي، فإن الامتيازات التجارية الممنوحة من قبل الولايات المتحدة اعتُبرت استسلاما حقيقيا للقوة الاستعمارية السابقة. حرصا منه على وحدة الجمهورية الفتية، عقد "واشنطن" العزم على جمع مجموعة مواطنيه لتقديم توجيه أصبح يشكل اتجاها رئيسيا في السياسة الخارجية:

"القاعدة الكبرى في التعامل مع الأمم الأجنبية هي أننا، ونحن نوسع علاقاتنا التجارية، لا نحتفظ معها إلا بالقليل من الروابط السياسية. [...] تملك أوروبا سلسلة من المصالح البالغة الأهمية والتي لا تعنينا إلا من بعيد. [...] لماذا، إذ نربط مصيرنا بمصير أي جزء من أوروبا، نعيق سلامنا ورفاهيتنا في شرك الطموح، التنافس، المصالح والعواطف أو النزوات الأوروبية؟ ينبغي أن تكون سياستنا الحقيقية اجتناب التحالفات الدائمة مع أي طرف كان من العالم الخارجي، وهذا لأننا نملك في الوقت الراهن

حرية التصرف بهذه الطريقة؛ لأنني لست قادرا على تشجيع النكث بالالتزامات الموجودة.¹ فسُرت هذه التعليمات، في الأغلب، من قبل المؤرخين والمعلقين بأنها برنامج حقيقي للعزلة أو الانعزال، بأنها إرادة أمريكية خالصة بعدم المشاركة في السياسة الدولية التي كانت تُلعب، في ذلك الحين وبشكل أساسي، في الساحة الأوروبية. وفقا لهذا التفسير، الذي مازالت تدافع عنه أقلية إلى غاية اليوم، للولايات المتحدة الأمريكية كل فرص الكسب بالبقاء بعيدة عن الدبلوماسية الأوروبية وعن الشؤون الدولية عموما. يجب عليها بالأحرى أن تحصر تركيزها على الشؤون الأمريكية في نصف الكرة الغربي. بالنسبة للبحث، تمثل هذه التوجيهات، إضافة إلى الإشارة إلى سياسة العزلة، سياسة خارجية لا أخلاقية خالية من القيم Value Free، تسمح لصانع القرار الأمريكي بالتراجع عن أي التزام وحتى اتفاقية دولية بمجرد تقدير انعدام المصلحة في استمرار الالتزام بها، ومنه نفهم اعتبار تركيا حليفة أمريكا وعضو حلف الناتو، بعد أزمة الطائرة مع روسيا، للولايات المتحدة بأنها حليف غير موثوق، ونستطيع تفسير قرارات الانسحاب الكثيرة التي اتخذها دونالد ترامب منذ انتخابه.

يُعدّ مذهب "مونرو" « Monroe » سنة 1823 نتيجة طبيعية أو تتويجا لهذه السياسة: إنذار للقوى الأوروبية من أجل الالتزام بالمعاملة بالمثل، والالتزام بالابتعاد عن القارة الأمريكية. من الواضح أن الولايات المتحدة الأمريكية انخرقت، عدة مرات، عن شعار الأب المؤسس، بداية من إعلان الحرب على إسبانيا سنة 1898، ثم مع بناء إمبراطورية حقيقية دامت على الأقل عشر سنوات، بعد ذلك مع إعلان الحرب على ألمانيا في 1917 واقتراح إنشاء منظمة دولية في 1919، وأخيرا وليس آخرا، الحرب ضد اليابان وألمانيا في 1941 وخصوصا مع وضع شبكة هائلة من التحالفات، منها ذلك التحالف الأوروبي بشكل حصري: "الناتو" « NATO/OTAN » في فترة الحرب الباردة.²

بعد خطاب "واشنطن"، جاء مذهب مونرو « The Monroe Doctrine » مباشرة إثر تأكد القادة الأمريكيين من تأييد بريطانيا لما سُمّي برفع علم الحرية في أمريكا الجنوبية، علما بأن بريطانيا كانت أكبر قوة بحرية حينئذ، حيث صرح "كاننج" وزير خارجية إنجلترا في ذلك الوقت بأنه "أيّد العالم الجديد لكي يحفظ التوازن في العالم القديم".³ وهي، برأينا، نقطة انطلاق التحالف الدائم الأنجلوأمريكي وتقاسم النفوذ العالمي.

تقول رسالة مونرو: "إن سياستنا تحو أوروبا...لازالت كما هي، وهذه السياسة تقضي بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأوروبية... وتقضي بالاعتراف بالحكومات القائمة في أوروبا كحكومات

¹ Charles Philippe David et autres, Op-cit, pp. 68 – 69.

² Ibid, p. 70.

³ محمد محمود السروجي، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية منذ الاستقلال إلى منتصف القرن العشرين، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، (د.ت.ط)، ص. 33.

شرعية.¹ وبالمقابل "فإن أي تدخل في شؤون أمريكا فيه مساس صريح بحقوق الولايات المتحدة ومصالحها."² بعد "مونرو"، جاء الرئيس "أدامز" الذي خلف مونرو، فكان "صاحب الفضل في وضع هذا المبدأ موضع تنفيذ، فطبق هذه النظرية كما يفهمها هو؛ حيث ربطها بمبدأ السيادة.

يمكن إنضاج تحليل الخطاب باستعمال معطيات النمط القومي الأمريكي. فقد ألزم "واشنطن" مواطنيه والرؤساء من بعده بعدم الارتباط مع الأمم الأجنبية إلا بأقل وأضيق علاقات سياسية ممكنة. كان الرئيس الأول مدركا وواعيا بضرورة بناء سياسة خارجية باعتبار أنها برأيه، تشكل شرا ضروريا. يمكننا استنتاج أن البرنامج المقترح يتضمن اجتناب التورط في السياسة الدولية: إذا كانت المشاركة فيها ضرورية، فمن المهم أن يحتفظ البلد بهامش المناورة، بأكبر قدر من الحرية بالنسبة إلى النظام الدولي، بعبارة أخرى: السيادة المطلقة. هذه هي المبادئ التي حافظت عليها، عموما، الدبلوماسية الأمريكية. الملاحظ أن الجملة نفسها تتضمن ضربا من التحفظ: مع الاحتراز من تطوير علاقات سياسية، ينبغي توسيع العلاقات التجارية. فالانعزالية بصفتها انسحابا من النشاطات الدولية، لم تُطبق في معظم الأحيان على المجال الاقتصادي. في الواقع، مع الحفاظ على علاقات سياسية مع الأمم الأخرى قليلة قدر الإمكان، وسّعت الولايات المتحدة علاقاتها التجارية عبر العالم.³ ينطبق هذا المبدأ على علاقة الولايات المتحدة بالجزائر: فإن كانت الدولتان لا ترتبطان بعلاقة استراتيجية وتتخفظ أمريكا على تصدير أي سلاح استراتيجي للجزائر بل وتصدره إلى المملكة المغربية التي يسود التوتر علاقاتها بالجزائر منذ سنة 1963، نجد عدد الشركات الأمريكية للنفط والغاز في الجنوب الجزائري يُقدر بالعشرات.

بالنسبة إلى "ألكسيس دي توكفيل" كانت العزلة تعني انتفاء التقاليد الإقطاعية وما تحمله من جمود اجتماعي، حيث أصبح المجتمع الأمريكي قائما أساسا على الطبقة الوسطى وما تؤمن به من قيم تتعلق برأس المال والديمقراطية.⁴ البعد الاقتصادي، إذن، عنصر أساسي ومكرر في السياسة الخارجية الأمريكية. أقوال "واشنطن" هي أيضا مطبوعة بموقف، بالأحرى سلبي إزاء أوروبا وإزاء النمط الدبلوماسي المطبق فيها. لقد لاحظ "واشنطن" ابتداء وبنبرة حيادية بأن مصالح الأوروبيين لا تعني أمريكا ولا تمسها إلا من بعيد. بعدها كان أكثر تحديدا وحذر مواطنيه من تقلبات الدبلوماسية الأوروبية: "حبائل الطموح، التنافس، المصالح والعواطف أو النزوات الأوروبية." هذا ما يُعتبر رفضا

¹ المرجع نفسه، ص. 39.

² المرجع نفسه، ص. 40.

³ Charles Philippe David et autres, Op-cit, pp. 71.

⁴ ألكسيس دي توكفيل، "الديمقراطية في أمريكا"، ج1، ترجمة أمين مرسي قنديل، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، 1962،

لكل تقليد سياسي أجنبي مبني على القوة وعلى أمن أو سبب الدولة « Raison d'Etat ». بنيت الولايات المتحدة على أخلاقيات سياسية جديدة لم توضع إلى ذلك الحين موضع تنفيذ، على مثل عليا إنسانية، على "إعادة تشكيل العالم"، ستطبق هذه القيم لتجاوز هذه السياسة التقليدية لألعاب القوة، التنافس والخداع. حتى إن "وودرو ويلسن" « Woodrow Wilson » وهو ينخرط في الساحة الدولية، في قلب النظام الأوروبي ذاته، كان يبحث، وفيما للمثل الأمريكية، طي صفحة التاريخ الأوروبي المرفوض منذ أمد بعيد من قبل الأمريكيين.¹

لكن على الرغم من وجود امتداد للانعزاليين المعروفين بمعارضتهم الشديدة لتحرير التجارة، حيث انتقد "روس بيروت" « Ross Perot » الذي كان مرشحا للرئاسة عام 1992 وبعده المرشح الآخر لعام 2000، "بات بوكانان" « Pat Buchanan » اتفاقية "نافتا" « NAFTA » وأي نمو للتجارة مع المكسيك، داعيين إلى عودة الجنود الأمريكيين إلى أرض الوطن، وحماية القيم الحضارية الأمريكية، إلا "أن الواقع يؤكد أن الولايات المتحدة لم تفقد يوما اهتمامها بالسياسة العالمية، حيث ظل دورها يتأرجح بين مهمتي الشرطي أو القاضي، وفي الوقت المناسب تتدخل، مثلما فعلت في الحربين العالميتين، فهي دوما في حالة تأهب واستعداد للتدخل".²

نستطيع ملاحظة المستوى العالي من التقدير الاستراتيجي وما يقابله من حسن التبرير القيمي لكل من الانعزال والتدخل، حسب الحاجة ووفقا للإمكانات المتاحة؛ حيث يمكننا أن نرى في أقوال "واشنطن" تأكيدا على ما يطلق عليه: نقاء أمريكا. إنه يُلزم مواطنيه باجتنب العدوى الآتية من عالم نجس. بل إنه يؤكد في الرسالة ذاتها (و بنغمة روسو)، بأن فضائل الجمهورية يجب أن تُحفظ من التهديد الخارجي: "ضد الحيل الغادرة للنفوذ الخارجي، يجب أن يظل روح الغيرة لشعب حر، يقظا باستمرار، يبرهن التاريخ والتجربة على أن النفوذ الخارجي هو أحد الأعداء الأكثر إيذاء للحكومة الجمهورية".³ يمكننا القول بأن التطهريين الأمريكيين ظلوا بعيدا عن العالم طيلة القرن التاسع عشر، بينما سلّموا لأنفسهم خلال القرن العشرين (باستثناء فترة ما بين الحربين) مهمة هداية العالم.

إذن، على أساس التقدير الدقيق للمصلحة الوطنية، لميزان القوة وللاهداف الاستراتيجية المسطرة، تلعب القيم دورا تيريريا للسياسة المنتهجة حسب الحاجة للتدخلية أو الانعزالية بما يسمح ببناء الذات بعيدا عن الأخطار والتهديدات؛ ففي كل الأحوال، ظلت الولايات المتحدة وفيه للقاعدة التي وضعها "واشنطن" بشأن التحالفات حيث لم تكن أبدا عضوا في حلف لا تسيطر عليه. بالنسبة إلى المؤرخ

¹ Charles Philippe David et autres, Op-cit, pp. 72.

² Salah Mouhoubi, **la fin de l'unilatéralisme américain?**, paris, Editions L'harmattan, 2009, p. 63.

³ Charles Philippe David et autres, Op-cit, pp. 73.

"بيرتن إيرا كاوفمان" « Burton Ira Kaufman » لم يكن خطاب الوداع المذكور سوى بيان إمبراطوري. فقد كان "واشنطن" من أكبر المعجبين بالنظام الإمبراطوري البريطاني وقد يكون لديه طموح إنشاء نظام شبيه في أمريكا. بعبارة أخرى، نالت الولايات المتحدة استقلالها، بنظر "واشنطن"، "هاملتون" « Hamilton » وأعضاء الحزب الفدرالي، بهدف تولي مهام الإمبراطورية. وفقا لكاوفمان « Kaufman »، استبدال الدستور بمواد الاتحاد الكونفدرالي لم يكن له من معنى آخر سوى إرساء دعائم هذه الإمبراطورية. في رسالة إلى تجار فيلادلفيا سنة 1783، كتب "واشنطن": "يمكننا حقا أن نفتخر بأنه غير بعيد ذلك اليوم أين يتم تبني نظام سياسي حكيم وعادل من طرف جميع دول هذا الاتحاد: [إذن ...] سننشر فضائل التجارة واسعا وسندعم إمبراطوريتنا المشكّلة حديثا".¹

منذ بداية عهده، يكون الرئيس الأول قد وضع في تصوره بأن أمريكا ستصبح المستودع ومخزن الحبوب للعالم بأسره. لقد توقع مسبقا سعة الإقليم الذي سيمنح امتيازات استثنائية للولايات المتحدة: "إن الظروف الطبيعية، السياسية والأخلاقية لإمبراطوريتنا الوليدة تبرر الاستباق". كان "واشنطن" يعتبر بلده مباركا من العناية الإلهية، مقارنة بالأمم الأوروبية التي كانت فريسة للاضطرابات. من هذا المنظور، حسب كاوفمان، كان واشنطن مدركا بأن هذه الإمبراطورية بحاجة إلى الوقت لكي تتطور وتصبح قادرة على تولي شؤون الإمبراطورية والحلول محل بريطانيا. حسب مدرسة المؤرخين الأمريكيين الذين يُدعون تنقيحيين أو بالأحرى تحريفيين (Révisionnistes)، لم تكن انعزالية القرن التاسع عشر سوى مجرد تحضير وتهيئة بهدف بناء الإمبراطورية الأمريكية منذ 1898. مهما كانت الأسس الموضوعية لهذه الأطروحة، من المؤكد أن النزعة التوسعية طبعت القرن الأول للجمهورية الأمريكية. "لقد تحققت هذه النزعة التوسعية تحت علامة مهمة مقدسة « mission providentielle » واستثنائية لا تزال تطبع السياسة الخارجية للولايات المتحدة".²

في الوقت الراهن، على مستوى الجدل الدائر والنقاش بينمؤسساتي المستمر، انكمش التيار المناادي بالعزلة بمعنى الانسحاب من الشؤون الدولية، وأضحى مقتصرًا على فكرة تخفيض القوات العسكرية في الخارج وإيجاد آليات بديلة لدورها كدركي للعالم، "من قبيل المنظمات الأمنية الإقليمية، أو منظومة مناطق نفوذ أو توازن للقوى"³ طبعًا لصالح التيار الأقوى والمؤيد لنزعة أكثر تدخلية والتزامًا بالشؤون الدولية، والمشكل من سياسيين، أكاديميين، إعلاميين، بيروقراطية مدنية وعسكرية، ومركبات صناعية كبرى... ومنه تفنقت اللغة السياسية المبتكرة على مستوى السياسة الخارجية، عن مفاهيم مثل: التدخل لأغراض إنسانية، والسلام الديمقراطي... الخ.

¹ Ibid, p. 74.

² Ibid.

³ عبد الحليم غازلي، مرجع سبق ذكره، ص. 57.

الفرع الثاني: الفردانية والديمقراطية الليبرالية

لقد مثلت النزعة الفردانية بما تحمله من قيم تتعلق أساسا بالحرية الأساسية ويتفديس الفرد والمبادرة الفردية، القاعدة التي بني عليها الفكر السياسي والاستراتيجي الأمريكي، سواء تعلق الأمر برسم السياسة العامة أو بالقرار الخارجي أو بالأحرى، السلوك المرتبط بهندسة وتنفيذ السياسة الخارجية. لقد "دعا مفهوم الحرية الفردية إلى حرية الفرص الاقتصادية المتكافئة وحرية السوق وحرية المنافسة".¹ وذلك في سياق تكاملي بين المصالح الفردية والمصالح الجماعية، إذ يفضي هذا المفهوم إلى اقتصار دور الدولة على حماية الملكية الفردية واحترام الثروة الشخصية في ظل مبدأ تساوي الأفراد أمام القانون، و"عدم التدخل إلا في مجال فض النزاعات حين يتصادم الاستخدام الفردي للحرية الأساسية مثل حرية التملك والاعتقاد والتعبير عن الرأي وامتلاك الثروة... الخ".²

لقد تأثر الآباء المؤسسون للولايات المتحدة الأمريكية بأفكار عصر النهضة والتطوير حول حرية الفرد وحقوقه، بل إن بعض الباحثين يؤكدون بأن تازمت الحجاج التطهريين أنتج النزعة الفردانية؛ "لأنهم يرفضون كل سلطة دينية زمنية، فإنهم لا يستطيعون الاعتماد إلا على علاقتهم الشخصية مع الإله وعلى ضمائرهم الفردية. إذن، لقد أثارت التطهريّة المترتبة شعورا عميقا بالاستقلالية الفردية التي هيأت، بالفعل للفلسفة الليبرالية".³ فالخلاص من المنظور البروتستانتي "مسألة مستقلة عن مؤسسة الكنيسة، وفي الوقت نفسه، مرتبطة بالفرد المتفرد بذاته، أي ذلك الإنسان الجديد البروتستانتي".⁴

الاستقلالية الفردية لا تقصي الحياة الجماعية أو الطائفية، لكن الجماعة أو الطائفة البيوريتانية طوعية ومختارة. بعبارة أخرى، إذا كنا لا نملك أي خيار في انتمائنا من عدمه إلى المجتمع القروسي وفي خضوعنا للقانون الطبيعي، فإن المجتمع الليبرالي، بالمقابل، ينتج عن عقد نخرط فيه بحرية وإرادة طوعية. زد على ذلك، فقد احتقل الحجاج الأمريكيون على متن "مايفلاور" بتأسيس جماعة اجتماعية وذلك بموجب عقد رسمي حسب الأصول وهو ما اشتهر بالعهد (covenant) الذي صادق عليه المستوطنون بتوقيع كل واحد منهم.⁵

لم ينقض الأمريكيون أبدا إيمانهم العميق بفضائل الفرد. وهنا أيضا، نجد الخطاب الرسمي، حتى عندما يتعلق الأمر بجمع المواطنين حول قضية سياسية خارجية، عامرا بمرجعيات حول عظمة الفرد

¹ عبد القادر محمد فهمي، مرجع سبق ذكره، ص. 51.

² المرجع نفسه، ص. 54.

³ Charles Philippe David et autres, Op-cit, p. 60.

⁴ علي عبود المحمداوي (تحرير وإشراف) ومجموعة من المؤلفين، الفلسفة السياسية المعاصرة من الشموليات إلى السرديات الصغرى، الطبعة الأولى، وهران، ابن النديم للنشر والتوزيع، 2012، ص. 66.

⁵ Charles Philippe David et autres, Op-cit, pp. 60 - 61.

وأسبقيته. عندما يتحدث بعض الرؤساء مثل "رونالد ريغن" أو "جورج وولكر بوش" عن تخفيض العبء الضريبي من أجل إعادة المال للمواطنين حيث يثمر على أيديهم بأفضل من أي وكالة حكومية، فإنهم لا يحصلون بالمقابل إلا على التأييد والاستحسان.¹

لم تمثل الأرض الجديدة أي تحد لقيم وأفكار عصر النهضة، بل على العكس من ذلك "أسهم هذا الوسط الجديد بفاعلية على غرس هذه الأفكار وسرعة نموها وانتشارها، وبرزت أسماء تطالب بالحرية الفردية وتدافع عن مبدأ المساواة وحقوق وحرريات المواطنين ودور الدولة في توفير ضمانات أكيدة لها، ومن بين هذه الأسماء: (توم بين 1737 - 1809)، (ريتشارد برايس 1723 - 1791) و(جوزيف بريستلي 1733 - 1804).²

بإصراره، منهجيا، على ربط الليبرالية الاقتصادية بالأخلاق البروتستانتية، يميز "ماكس فيبر بين مرحلتين من نمو ونشوء ظاهرة الرأسمالية:

(1) مرحلة روح الرأسمالية: حيث تحولت القواعد الأخلاقية البروتستانتية إلى حقل فكري، نثر فيه كل من "مارتن لوثر" (1483 - 1546) و"جون كالفن" (1509 - 1564) بذور الفكر الفردي الباحث عن الثروة باعتبارها معيارا ماديا للخلاص "كلما تزايدت الثروة، تضاعفت معها فرص البروتستانتية في الخلاص."³

(2) مرحلة الرأسمالية العقلانية المادية: أين تحولت الليبرالية الرأسمالية من صورتها الروحية المعنوية، إلى الحالة المادية المؤسساتية، نتيجة تكاتف العوامل الدينية والممارسة الاقتصادية، أو بالأحرى: التزاوج الثنائي بين المال والقيم.⁴

ظلت الفلسفة الليبرالية تتجذر في التراب الأمريكي وتتأكد كلما تقدم الاستعمار. انتصرت هذه الفلسفة في إعلان الاستقلال وفي الدستور. لقد أضحت الميزة الأساسية التي تجمع الأمريكيين. في كتاب كلاسيكي، منشور سنة 1955، يزعم "لويس هارتز" « Louis Hartz » بأن الليبرالية لم تكن محل تنازع في الولايات المتحدة إلا قليلا وذلك إلى درجة أنها أصبحت إيديولوجية وطنية (ما يفسر عدم وجود آثار معتبرة عن سائر الإيديولوجيات الكبرى مثل الأرستقراطية أو الاشتراكية) بيد أن أطروحته

¹ Ibid.

² عبد القادر محمد فهمي، مرجع سابق، ص. 55 (نقلا عن: شوقي جلال، العقل الأمريكي بفكر، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2000، ص. 61 وما بعدها).

³ علي عبود المحمداوي ومجموعة من المؤلفين، مرجع سبق ذكره، ص. 72.

⁴ المرجع نفسه، ص. 72 - 73.

تغفل النزعة الماكارثية التي يبدو أنه عاصرها، والتي لم تترك المجال الطبيعي للأفكار المناوئة للبرالية أن تنمو في بلد يرفض حكامه أي إيديولوجية منافسة.

يعزو "هارت" هذه الوضعية إلى ابتعاد الولايات المتحدة جغرافيا وسايكولوجيا عن الحوارات الإيديولوجية الكبرى وعن الجدلية الأوروبية التي دفعت هذه المفاهيم إلى الصراع لقرون عديدة. وهكذا، أصبح الأمريكي لبراليا إلى درجة أن المصطلح نفسه فقد معناه الابتدائي في أمريكا. يجب ترجمة هذه الكلمة إلى "الأمريكي المخلص" « Loyal American » ، بينما تُترجم كلمة "البرالي"، في الاستعمال المتكرر كضد لكلمة "محافظ" « conservative » التي تعني "تقدمي" أو "اجتماعي ديمقراطي". نستطيع أن نذهب إلى القول بأن اللبرالية الابتدائية هي المكون للقومية الأمريكية. هذه اللبرالية الأمريكية (يُفهم دائما من هذا المعنى الأولي بأنه لم يعد ساريا في أيامنا)، سواء في شكلها المحافظ، أو في شكل أكثر تقدمية بهدف تصحيح ثغرات ولا عدالة اللبرالية التقليدية، إذن هذه اللبرالية الأمريكية موجودة في كل توجهات السياسة الخارجية الأمريكية. من "ثيودور روزفلت" Theodore « Roosevelt إلى "جورج وولكر بوش" George Walker Bush «، مرورا بـ "ولسن" Wilson «، "فرانكلين دي. روزفلت" Franklin D. Roosevelt «، "ترومان" Truman «، "أيزنهاور" Eisenhower «، "كندي" Kennedy «، "كارتر" Carter «، "ريغن" Reagan «، "كلنتون" Clinton « و"جورج هيربرت بوش" George Herbert Bush «، تأتي اللبرالية، بمعنى ترقية الحريات الأساسية، في قلب السياسات الكبرى للولايات المتحدة الأمريكية. سواء كان ذلك بحثا عن ترقية نظام دولي مبني على حقوق الإنسان والحرية السياسية أو بهدف الدفع لمزيد من اللبرالية الاقتصادية والمبادرات الفردية، تظل السياسة الخارجية الأمريكية دوما لبرالية، حتى وإن كانت اللبرالية قد خانتها المصالح الضيقة، وهو أمر لم يُعترف به أبدا.¹

حتى على مستوى التنظير الأكاديمي، ظلت الولايات المتحدة مهد الإيديولوجية اللبرالية في اتخاذها ذلك الطابع العلمي المقبول والمبرر، أين تنوعت أشكالها واحتدّت المجادلات حولها، من سياسية إلى اقتصادية، ومن مؤسسية إلى دولية ودولية جديدة، كما إن الخطاب الرسمي، على سبيل المثال، لا يلمح أبدا إلى المصالح الاقتصادية الكبرى التي تتضمنها بعض السياسات. هذه اللبرالية التقليدية تحللت إلى شكلين: سياسي واقتصادي. فمن الواضح أن المستوطنين الأمريكيين، منذ البداية، كانوا مدفوعين بالرغبة في تنظيم أنفسهم بأنفسهم. في رد فعلهم على تعسف السلطات السياسية الأوروبية، فإنهم ظلوا ميالين إلى الشك في فضائل البرامج الحكومية. لقد تعزز هذا الاتجاه خلال السنوات السابقة للثورة وبقي قويا حتى في الوقت الذي شعروا فيه بضرورة تأسيس حكومة مركزية.

¹ Charles Philippe David et autres, Op-cit, pp. 61 - 62.

يستند الدستور إلى نظام من التوازنات (القوة والقوة المضادة Checks and Balances) يكبح باستمرار هيمنة سلطة الدولة. هنا أيضا، يتميز الخطاب الرئاسي، وحتى السياسات الوطنية، بهذا الموقف.

يتخوف الأمريكيون عموما من تدخلية الدولة ومن برامج التضامن الاجتماعي. يُترجم هذا في المفردات الشعبية وفي لغة التخاطب؛ حيث نجد بأن بعض الكلمات مثل "سياسة" و"سياسيين" ذات دلالة سلبية تحقيرية. يصل الأمر إلى درجة أن المرشح إلى الرئاسة يتباهى بكونه يملك القليل من التجربة السياسية (مع استثناء المستوى المحلي أي الدولة الاتحادية أو البلدية، أين يزعم المترشح بأنه أقرب إلى الشعب): وهكذا، خلال الربع الأخير من القرن العشرين، لم يشغل أغلبية الرؤساء أي وظيفة انتخابية على مستوى فدرالي قبل انتخابهم على رأس الولايات المتحدة. جيمي كارتر، رونالد ريغن، بيل كيلنتون وجورج و. بوش كانوا كلهم حكام ولايات سابقين. إذا كان النظام السياسي غير ذي قيمة على مستوى الأمة، فإن الأمر لا يختلف على المستوى الدولي. طبيعي أن يُترجم هذا بعدم إيلاء أي قيمة للحلول الدبلوماسية وللممارسة الدبلوماسية. لا شك بأن هذا لا يشكل قاعدة عامة. هناك العديد من الدبلوماسيين الأمريكيين الموهوبين، فمنذ "جورج واشنطن"، نستطيع الحديث عن دبلوماسية أمريكية نشيطة. مع ذلك وجب انتظار سنة 1924 لتأسيس جهاز دبلوماسي حقيقي في الولايات المتحدة. معنى ذلك أن الدبلوماسية ليست مقدرة لدى الأوساط الشعبية بشكل خاص: فمنصب السفير، وهو منصب ذو مقام عال واعتبار وقيمة، يوزع على الأشخاص الذين يرضى عنهم النظام دون أي خبرة سياسية، ويُترك الدبلوماسيون المتمرسون، كما أن ميزانية كتابة الدولة (وزارة الخارجية) تبلغ بالكاد عشر ميزانية وزارة الدفاع. في الأوساط المحافظة خصوصا، الاتجاه الأقوى يشمل خفض قيمة المفاوضات الدبلوماسية كونها لا تسفر عن نتائج استعراضية، وتفضيل الحل العسكري الحاسم والراديكالي.

السمة الأخرى للبرالية الكلاسيكية هي ثقل الضرورات الاقتصادية. بفضل نجاح المشاريع الاقتصادية للمستوطنين الأمريكيين والاقتصاد الوطني (القومي) الذي أنشأه "ألكسندر هاملتون" Alexander « Hamilton زمن الاستقلال، اكتسب الأمريكيون تدريجيا القناعة بأن قوتهم تستند أساسا إلى ثرائهم. ساهم هذا اليقين، مع ذلك، في إخفاء عناصر أخرى مهمة مثل، النظام السياسي، التكيف الثقافي، استطاعت دورها أن تساهم في نجاحات، بل وحتى إخفاقات السياسة الأمريكية. وهكذا، فإن السياسة الإمبراطورية للباب المفتوح التي أعلن عنها "جون هاي" « John Hay » وزير الخارجية في عهد الرئيس "ماك كينلي" « McKinly » في نهاية القرن التاسع عشر، كانت تستهدف، بوجه الخصوص، تعزيز تواجد المستثمرين الأمريكيين في آسيا. اعتقد الرئيس "هاورد تافت" « Howard Taft » أنه من الجيد تركيز كل دبلوماسيته على قوة الدولار الأمريكي. في أغلب الأحيان بعد ذلك، أراد

المسؤولون الأمريكيون اشتراء السلم ومنافع أخرى. استطاعت مثل هذه المقاربة أن تحقق نجاحات حقيقية، مثل حالة برنامج إعادة بناء أوروبا الذي أطلق سنة 1947: مشروع مارشال. على العكس من ذلك، فقد اصطدمت في بعض الأحيان بعدة عقبات. وعلى هذا الأساس، اعتقد الرئيس "ليندون جونسون" « Lyndon Johnson » لبعض الوقت أنه تمكن من تسوية قضية فيتنام الجنوبي ببرنامج مكلف لبناء البنية التحتية. يزعم "شارل فيليب دافيد" ومن معه، بأنه بعد أربعين عاما، اندهش الكثير من الأمريكيين من قلة الحساسية، في أفغانستان وباكستان، تجاه المكافأة المعروضة من طرف "جورج وولكر بوش" لمن يسلم أسامة بن لادن.¹

المطلب الثالث: المحددات الفلسفية

إذا كانت الداروينية الاجتماعية قد أنتجت تبرير العبودية والقتل الجماعي، فإن أسطورة الحدود قد أفرزت سلوكا توسعيا، بينما أضحت الفلسفة الذرائعية أو البراغماتية تمثل نمط التفكير الأمريكي وقد بُنيت عليها وعلى النزعة العلمية سياسة خارجية فعالة حققت مكاسب قوية ومكانة مميزة للولايات المتحدة منذ تأسيسها.

الفرع الأول: المساحة الشاسعة وأسطورة الحدود

بمساحة ظلت تتسع إلى أن قاربت 10 ملايين كلم مربع (9.826.675 كلم²) ويعدد سكان تجاوز 300 مليون نسمة، بعد أن كان لا يتجاوز 4 ملايين نسمة سنة 1790²، كانت الادعاءات غير المنقطعة لمؤسسي الولايات المتحدة الأمريكية بالعالمية، محدودة بحدود الانتماء الأمريكي.

طُعمت العزلة الثقافية بنظرية "نهاية الحدود" التي صاغها "فريدريك جاكسون تيرنر"

« Frederick Jackson Turner » سنة 1890. في الولايات المتحدة، تمثل الحدود خطا متحركا ينتقل، دون توقف، باتجاه الغرب. قامت هذه الحدود باستعمال القوة المفرطة والوحشية ضد الهنود الأمريكيين والمكسيكيين، لكن يصورها الغربيون عموما والأمريكيون خصوصا على أساس ما أطلقوا عليه "السمو الأخلاقي" للشعب الأمريكي « Moral Superiority » والذي تشكل "الداروينية الاجتماعية" « Social Darwinism » منطلقا فلسفيا له³، بل ويطلقون عليها حربا ضد الوحشية التي يجسدها الهنود الأمريكيون والمكسيكيون.

¹ Ibid, p. 65.

² ياسر عبد الحسين، مرجع سابق الذكر، ص. 145،

³ Paul M. Kennedy, Rise and fall of Great Powers : Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000, Random House Inc / January 1988.

يشرح "تيرنر" مفهوم الحدود التي تعني وجود أراض حرة للاستيطان والاحتلال، بأنها شكلت عماد المغامرة الوطنية (القومية) الأمريكية، كما شكلت قبل كل شيء المخرج أو المنتفس من المشكلات الاجتماعية. فقد كانت الولايات المتحدة في نظر "تيرنر" و"ماهان" مثل الكائن البيولوجي الذي يتمثل قدره المحتوم في النمو والتقوي عن طريق التوسع {...} حيث تتطابق التوسعية الأمريكية مع الإرادة الإلهية".¹

تزعّم أطروحة "تيرنر" بأن أمريكا تعاني من خطر قائم؛ فقد تفقد روحها إذا لم يكن لديها حدود لتفتحها، لأن هذا يمثل رأس المال الثقافي لأمريكا. بعد كل شيء، استمر الصراع ضد أعداء الحضارة. في حقبة الحرب الباردة، كانت الشيوعية وحتى بعض الأنظمة الوطنية المشبوهة، هي التي تشكل الشر المطلق الذي ينبغي محاربهه باسم الحرية. استمرت هذه الثنائية بين الحضارة وأعدائها إلى الآن، حتى إن بعض الكتب أعادت طرح محتواها مباشرة بمواجهات كبرى مثل "صراع الحضارات" لـ"صامويل هنتغتون" « Samuel Huntington » والفوضى التي بشر بها "روبرت كابلان" Robert « kaplan ».²

من الناحية الاستراتيجية، يمثل هذا الخط "صناعة للعدو" الضروري الوجود لشحن الطاقات، تكوين رأي عام مؤيد، وتبرير كل من الإنفاق العسكري الضخم والمحافظة على حلف الناتو؛ بل توسيعه ودعمه رغم انهيار العدو السوفياتي القوي.

بل أكثر إحياء تلك التجليات في السياسة الأمريكية التي أطلق عليها المؤرخ "رينشارد هوفشتاتر" « Richard Hofstadter » "النمط الذهاني أو الهذائي" (Le style paranoïaque)؛ أي وصف "هوفشتاتر" لبعض المجموعات المناضلة التي ما فتئت تطور نظريات المؤامرة. والحال أنه من الممكن العثور، في التاريخ الأمريكي وفي بعض التيارات اليمينية في الولايات المتحدة، نزوعا خاصا للمانوية. عزز، دون شك، البعد المادي (المسافة) والسايكولوجي لأمريكا الشمالية، موقعها الجغرافي وعزلتها شبه التامة، هذا الاتجاه إلى تصور مؤامرات دولية خطيرة. ربما تكون صعوبة إدراك الأمريكيين للاتجانس الثقافي للنظام الدولي قد ساهمت في هذه الظاهرة. لقد ظل اليمين الأمريكي مسكونا بهاجس المؤامرة، حيث أثار عضو مجلس الشيوخ "جوزيف مكارثي" Joseph « McCarthy » سنة 1950، مطاردة السواحر التي أصبحت تُعرف باسمه (المكارثية) حين ادعى بأن وزارة الخارجية الأمريكية كانت مختربة من طرف العملاء الشيوعيين، وتوالت إثر ذلك التحقيقات

¹ هاني شادي، (أمريكا من "مونرو" إلى الحدود المتحركة)، جريدة السفير اللبنانية، الموقع الإلكتروني:

<http://www.assafir.com/>، العدد 12618، 2018/11/01. تاريخ آخر زيارة للموقع: 14 ماي 2019

² Elise marienstras, Les Mythes fondateurs de la nation américaine, paris, François Maspero, 1976, p. 157.

والإتهامات لأشخاص يشغلون أعلى المستويات في الوظيفة العمومية، إلى درجة بث مقابلات متلفزة أمام لجنة خاصة لمجلس الشيوخ الأمريكي، ولو أنها فقدت من قوتها مع نهاية الخمسينات. من بين الشعارات التي رُفعت وكانت تحتوي على نزعة محمومة مضادة للشيوعية: « Better dead than red » أي من الأفضل أن أكون ميتا على أن أكون أحمر أي شيوعيا، وأيضا: « Ban the Commies, not guns » لنطرد الشيوعيين لا الأسلحة النارية (وهو شعار يخدم أنصار حمل السلاح). كما دافع المترشح الجمهوري "باري غولدووتر" « Barry Goldwater » سنة 1964، عن أطروحات مصبوغة بصبغة المعاداة للشيوعية، معلنا بأن التطرف في تطبيق الفضيلة ليس عيبا « Extremism in the pursuit of virtue is not vice ». "رونالد ريغن" نصّب نفسه ناطقا رسميا لهذا اليمين المتطرف، هذه النزعة التي نجدها لاحقا في خطابات "جورج وولكر بوش" والتي يضعها "هوفشتاتر" ضمن العناصر المميزة لهذا النمط الذهاني.¹

إنطلاقا من العقدة الجماعية نفسها، يروج المنظرون المعاصرون، المتحمسون للنزعة التوسعية الأمريكية لفكرة "الحدود المتحركة" لفريدريك جاكسون تيرنر، التي تربط الحدود بالقدرة على بلوغها، قائلة: "هذه الحدود موجودة في كل مكان وفي أي مكان يمكن الوصول إليه...أمريكا في كل مكان، أمريكا تصارع في مجمل الكرة الأرضية".²

المصاب بذهان جنون العظمة لا يتصور إمكانية التحكيم أو التفاوض في النزاع المطلق أو عند الصراع الصفري، كما يراه هو، إذ لا تفاوض مع الشيطان. كذلك في النزاعات الدولية، لا مكان للدبلوماسية، ولا اتفاق ممكن بين الخير المطلق الذي يدافع عنه أنصار هذه النزعة، والشر المطلق الذي يعارضونه. الأمر الوحيد الجيد في مثل هذه الحالات هو إرادة القتال إلى غاية إلغاء العدو. لا بديل عن النصر الكامل. العدو محدد بوصفه فوق بشري، لا أخلاقيا ومنعوتا بجميع العيوب: لئيم، كذاب ومستبد والأخطر أنه فعال ولقتاله ودحره ينبغي لنا، وإن كان هذا متناقضا مع قيمنا، أن نقلده، أو على الأقل أن نستعمل وسائله. فمن أجل التخلص من أعداء الحرية، على سبيل المثال، يجب تقييد الحريات. يعود هذا النمط الذهاني بصفة مستمرة إلى الخطابات الرسمية وإلى تعامل وسائل الإعلام اليمينية مع المعلومة. هذا الوعي العميق عند الأمريكيين باتباع قدر خاص بهم، مرسوم لهم دون غيرهم، ماقتى يتجذر في البلد.³

¹ Charles Philippe David, Op-cit, p. 80.

² هاني شادي، مرجع سابق.

³ Charles Philippe David, Op-cit, p. 81.

إذن، فالغزو، الاستغلال وإظهار قيمة هذه القارة الشاسعة، تعزيز لأسطورة الحدود، "إذ إن ذلك لا يفترض المبادرة والمواظبة وكل الفضائل الفردية فقط، بل التكامل والتشارك في القوى والموارد والوسائل".¹

الفرع الثاني: البراغماتية والنزعة العلمية

يعتبر القاموس (الفرنسي) لعلم السياسة والمؤسسات السياسية، البراغماتية أو الذرائعية: "تيارا فلسفيا وسوسيولوجيا، مصدره بشكل حصري، في إلهامه الأولي، أمريكا الشمالية، ويُسمى أيضا: أداتية".²

تنسب المجموعة المؤلفة للقاموس تأسيس البراغماتية أو الذرائعية إلى " الفيلسوف والطبيب ويليام جايمس William James (1842 – 1910)، والذي تشكل حافزه الابتدائي من السعي إلى تحويل علم النفس إلى علم طبيعي محركه الرئيس: إن الأفكار تقدر وفقا لقيمتها الآنية أو العملية. جون ديوي كان خليفته، وقد أتبع من طرف آخرين كثيرا في سياق خطي يمتد إلى جون راولز John Rawls أو ريتشارد رورتي Richard Rorty على سبيل المثال، والذي يشمل في نهاية المطاف الجزء الأكبر من البحث الإمبريقي الأمريكي ثم الأوروبي في المجال السياسي (بعد مرور عابر بالوضعية المنطقية Le Positivisme Logique وكرد فعل عليها).³ بينما يرى بعض المحققين بأن "ألكسندر باين" Alexander Bain هو المؤسس الحقيقي وإن لم يحظ بشهرة "بيرس" و"جايمس" حتى إن "تشارلز س. بيرس" قال عنه بأنه يستحق لقب "جد الذرائعية"⁴، حيث يعود تاريخ تأليف كتاب باين: **الانفعال والإرادة** (The Emotion and the Will) إلى العام 1859. بيد إن الأساس والأصل fons et origo للذرائعية، حسب قول "أوتو كروشار" (Otto F Kraushaar)، هو نصوص "بيرس" الثلاثة (خصوصا النص الأول) وهي:

1- **وظيفة المعرفة** (On the Function of Cognition) الصادر عام 1885

2- **معرفة أشياء كثيرة في وقت واحد** (The Knowing of Things Together) الصادر عام 1895

3- **تصورات فلسفية ونتائج عملية** (Philosophical Conceptions and Practical Results) الصادر عام 1898.⁵ فألى جانب مؤسسي وبناءة البراغماتية الأمريكية: ويليام جايمس

¹ جيرار ديلودال، مرجع سبق ذكره، ص. 34.

² Guy Hermet et autres, op-cit, p. 245.

³ Ibid.

⁴ جيرار ديلودال، مرجع سبق ذكره، ص. 100.

⁵ المرجع نفسه، ص. 104.

Charles Sanders Peirce وشارلز ساندرز بيريس (1910-1842) William James (1839-1914) يمثل "جون ديوي" John Dewey (1859-1952) اسما بارزا وواحدا من ألمع المفكرين المعاصرين في مجال السياسة والأخلاق والتربية والاستيطيقا.¹ فبينما كان جايمس بيارك يناييع النزعة الفردية بصفة أساسية للممارسات الأمريكية، كان بيرس وميد وديوي يركزون على الحاجة إلى تشريع اجتماعي للاتجاه البارع والأخلاقي لتلك النزعة الفردية، حيث شكلت البراغماتية (الذرائعية)، كونها تمثل الواجهة أو التعبير الفلسفي الإيجابي عن الديمقراطية الأمريكية، نقطة ارتكاز مهمة في السياسة (الخارجية) الأمريكية خصوصا بعد الصيغة التي استخدمت لتبرير النزعة التوسيعية التي قادتها الولايات المتحدة في تجربتها الديمقراطية والترويج لها ومن ثم تصديرها إلى شعوب العالم.²

بالعودة إلى قاموس علم السياسة، نجد بأن السوسيولوجية البراغماتية أو الذرائعية تخضع لخمسة مبادئ:

- 1- استخدام العلم في حل المشكلات العملية في حياة المجتمعات
- 2- الاستناد بشكل حصري إلى الفرضيات والنماذج المشار إليها في البحث الإمبريقي
- 3- التركيز على الحاضر والمستقبل، وتجاهل الماضي الذي يعتبر مسرحا لوضعيات متجاوزة (أي تم تجاوزها)
- 4- تعزيز القناعة بأن المجتمع المستقبلي يمكن تحسينه من أجل سعادة الإنسانية
- 5- رفض وجود حقائق ذات طابع ميتافيزيقي³

دفعت التطورات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية التي مر بها المجتمع الأمريكي إلى ضرورة وجود مرجعية فكرية تبرر النزعات الجديدة والتطلعات الموصوفة بكونها ذاتية وأناية، "فاستحق منهج التفكير الأمريكي أن يوصف بأنه منهج براغماتي سواء كان ذلك على مستوى الفكر أم على مستوى السلوك

¹ علي عبود المحمداوي ومجموعة من المؤلفين، مرجع سبق ذكره، ص. 45.

² م. نزار نجيب حميد، الذريعة في الفلسفة البراغماتية وانعكاسها على السياسة الخارجية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين على الموقع: <https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=75709> (آخر زيارة: 2019/12/25)

³ Guy Hermet et autres, op-cit.

والممارسة العملية.¹ لقد كونت البراغماتية أو الذرائعية ما أصبح يُعرف بالفكر الأمريكي الرسمي، حيث أضحت السياسة الأمريكية: "الترجمة السلوكية لنمط التفكير الذرائعي."²

بتطور المجتمع الأمريكي وهيمنة النزعة المادية ذات الطابع الصناعي - التجاري، اتخذت الفلسفة البراغماتية أو الذرائعية أشكالاً ومضامين متنوعة وأطلقت عليها مصطلحات مختلفة: الأدوات (Instrumentalism)، التجريبية، السياقية، العملية... الخ.³

لقد استهدفت الفلسفة البراغماتية أو الذرائعية، التي نمت في المدن التجارية والتجمعات الصناعية في بداية تكوينها، ووصفت بكونها "فلسفة واقعية مادية، استهدفت وضع أسس لفلسفة اجتماعية وسياسية جديدة تتفق ومتطلبات النظام الرأسمالي وأبدت اهتماماً بتبرير الاستغلال وحقوق التجارة أكثر من اهتمامها بالعدالة وحقوق الإنسان. تمثلت طموحاتها في مبدأ حرية العمل، وحرية انتقال البضائع والمنتجات الصناعية وحركة رؤوس الأموال.⁴ فقد حلت الذرائعية محل الليبرالية الدينية والتي حلت بدورها محل الكالفينية الطهرية، باعتبار الذرائعية "الأقدر على موازنة العلم التطوري مع مفهوم ديني يتناول العالم"⁵ فعلى الرغم من ارتباطها بالعلم التجريبي والنظرية التطورية، إلا أن الذرائعية "لم تكن لتقبل إلا لأنها حملت حلاً لمسائل أمريكا الأخلاقية."⁶ لا يعني هذا الحل سوى تبرير السلوك الفردي الأناني، الذي يقوم على تحقيق المصلحة الشخصية وحرية الإنتاج والاستهلاك، حيث لا يهتم الإنسان، كونه "كائناً اقتصادياً، إلا بالبيع في أعلى الأسواق والاشتراء من أرخصها، وما على الدولة سوى حماية هذا النشاط ودعمه {...} فكانت هذه الفلسفة تعبيراً حقيقياً عن طموحات الطبقة المشغلة بالتجارة والمضاربة {...} فإذا تحققت حرية التجارة فسوف تتحقق بالتبعية كل الحريات الأخرى."⁷

إذا كانت الداروينية قد شكلت الأرضية والأساس الفكري للفلسفة البراغماتية، التي شكّلت بدورها الفلسفة الرسمية الأمريكية، فإن ارتباط مختلف المدارس الفلسفية والسياسية الأمريكية بالتقانة أو التكنولوجيا، أو بما يُطلق عليه بعض المختصين في السياسة الخارجية الأمريكية: الفكر الخبير La

¹ عبد القادر محمد فهمي، مرجع سابق، ص. 63

² Morton White, **Pragmatism and the American Mind**, Oxford University, 1973, p. 22.

³ علي عبود المحمداوي ومجموعة من المؤلفين، مرجع سبق ذكره، ص. 45.

⁴ عبد القادر محمد فهمي، مرجع سابق، ص. 64.

⁵ جيرار ديلودال، مرجع سبق ذكره، ص. 91. أنظر:

Herbert Wallace Schneider, A History of American Philosophy (New York : Clumbia University, 1946), pp. 226-232

⁶ Bruce Kuklick, The Rise of American Philosophy (New Haven ; London : Yale University Press, 1977), pp. 26-27.

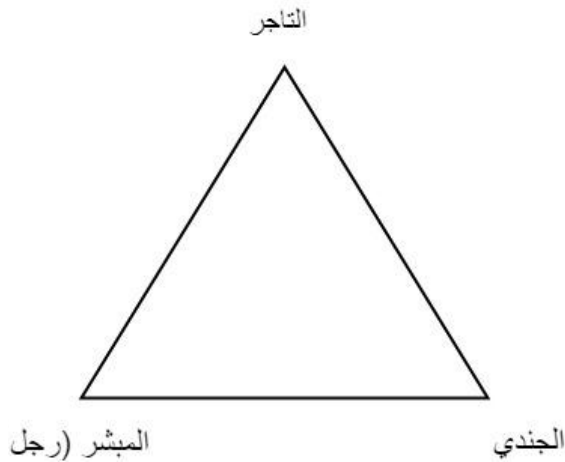
⁷ عبد القادر محمد فهمي، مرجع سابق، ص. 64.

Pensée experte، يمثل إجماعاً واسعاً يُلاحظ بقوة في السلوك السياسي للدولة الأمريكية، خصوصاً على المستوى الخارجي. حيث ترتبط الذرائعية، إضافة إلى نزعتها العقلانية، بالترشيد الأداتي أو الإجرائي الذي "يتعلق بالكفاءة التكنولوجية وتوفير أفضل الوسائل والتقنيات لتحقيق الأهداف بأقل تكلفة ممكنة وفي أقصر وقت ممكن".¹ يتوافق الارتكاز البراغماتي على نظرية التطور والبقاء للأقوى وللأصلح، وعلاقات القوى السائدة في المجتمع الأمريكي، كما يتلاءم مع المكانة الحيوية لأمريكا كقوة صاعدة تتطلع وتتهيأ للسيطرة اقتصادياً وفكرياً على العالم، وبشكل ينسجم مع مقولة "هيرمان مانفيل" التي يقول فيها: "نحن رواد العالم وطلائعه، اختارنا الرب، وتنتظر الإنسانية من جنسنا الكثير. ونحن نشعر في مكنون أنفسنا بالقدرة على فعل الكثير. بات لزاماً على أكثر الأمم أن تحتل المؤخرة. إننا نحن الطليعة، ننتقل إلى البرية لنقدم ما لم يستطع تقديمه أحد".²

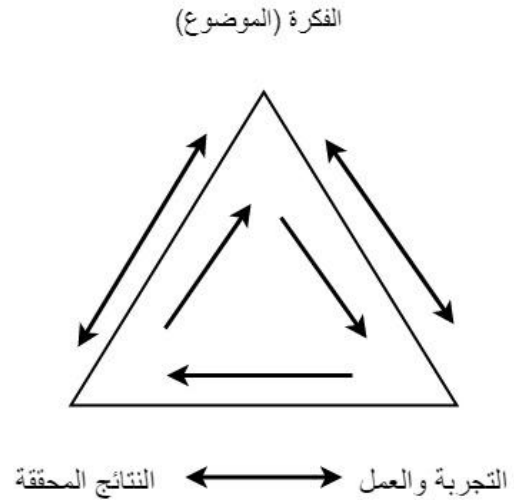
في هذا السياق التطوري، ارتكزت السياسة الخارجية الأمريكية على الثالوث أو الركائز الثلاث:

. فلسفياً: الفكرة أو الموضوع / التجربة والعمل / النتائج والتحقيق

واقعياً: الجندي / التاجر / المبشر أو رجل الدين



الشكل رقم (5)



الشكل رقم (4)

¹ عبد الوهاب المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2006، ص. 138.

² عبد القادر محمد فهمي، مرجع سابق، ص. 75.

المصدر: م. نزار نجيب حميد، الذريعة في الفلسفة البراغماتية، الذريعة في الفلسفة البراغماتية وانعكاسها على السياسة الخارجية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين.

<https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&ald=75709>

المبحث الثاني: المصلحة القومية كمحرك للسلوك الخارجي الأمريكي

بما أن النسق القيمي، بعناصره ومحدداته الدينية والدينيوية، أدى إلى صياغة النمط القومي الأمريكي الذي شكّل دافعا داخليا قويا لصانع القرار في هندسة السياسة العامة والسياسة الخارجية للولايات المتحدة، فإن المصلحة القومية تظل الحافز الخارجي الأقوى والمحرك الرئيس للسلوك السياسي الخارجي، وبالتالي فمن باب أولى معالجة المفهوم بدءا بالتعريف والتصنيف، وانتهاء بالممارسة الواقعية والتطبيقات العملية السابقة لأحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001 (9/11)، مروراً بالأبعاد والمعايير والمستويات والإيديوستراتيجيا الأمريكية.

المطلب الأول: المصلحة القومية: التعريف، الأبعاد والتصنيف

يجدر بنا أن نبدأ بتفكيك المفهوم والتعريف به، على النحو التالي:

الفرع الأول: المصلحة القومية: التعريف

يُعدّ مفهوم "المصلحة القومية" أو "المصلحة الوطنية" « National Interest » غامضا وفضفاضاً، إذ تتعدد تعريفاته إلى حد التناقض وتتنوع أبعاده، عناصره واستعمالاته إلى درجة التضارب، وهذا بغض النظر عن الإجماع الأوسع حول أهميته؛ "حيث يفترض مجموعة متنوعة من المعاني وفي سياقات متعددة"¹. فمن أجل استحداث استراتيجية كبرى، تتمثل المهمة الأساسية لدولة ما في تحديد مصالحها القومية؛ إذ بمجرد تحديد هذه المصالح، "سرعان ما تفرز استراتيجية عسكرية وسياسة خارجية لهذه الدولة"². لكن لماذا يرتبط استحداث استراتيجية كبرى بتحديد المصالح؟ لأن المصالح هي التي تحدد التوجه الرئيسي الذي تسلكه الدولة وأنواع وكميات الموارد التي تحتاجها والطريقة التي يتحتم على الدولة من خلالها أن تستغلها لتحقيق النجاح، وبسبب الدور المحوري الذي تلعبه المصالح القومية أو الوطنية، لا بد أن يتم تبريرها وصياغتها بشيء من الدقة، وليس مجرد افتراضها،³ ذلك بأن مصالح الدولة، على قول دانيال باب Daniel Papp (1994)، تدعى مصلحة وطنية بينما تسمى وسائل وطرائق تحقيقها سياسة وطنية.⁴

سواء في المعاجم والقواميس العامة، مثل: Le petit Larousse، Le Robert، Hachette،

¹ Joseph Frankel, **National Interest**, London, Macmillan, 1970, p. 15

² آلان ج. ستولبيرج، **صياغة المصالح القومية في القرن الحادي والعشرين**، دراسة مقدمة لمؤتمر جمعية الدراسات

الدولية سان فرانسيسكو - كاليفورنيا، ص. 2. على الموقع الإلكتروني / الرابط:

<https://fr.scribd.com/doc/27900314/%D8%B5%D9%8A%D8%A7%D8%BA%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%A7%D9%84%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D9%85%D9%8A%D8%A9>

³ المرجع والصفحة.

Littre... الخ، أو في الموسوعات والمعاجم المختصة، مثل: International Encyclopaedia of Social Sciences، أو A Dictionary of Social Sciences، أو Dictionnaire de la science politique et des institutions politiques، يمكننا رصد بعض المعاني المشتركة لمفهوم المصلحة Interest / Intérêt، مثل: الفائدة أو المنفعة، الأفضلية، ما يستدعي الاهتمام والرعاية، الحاجة من خلال الوعي بضرورتها... الخ¹. وبهذه الطريقة، يمكن تصنيف المصلحة مثلما حاول أن يفعل "راتسهوفو" الذي يعتبرها تعبيراً عن حاجة من خلال الوعي بضرورتها؛ حيث تصير الحاجات، التي هي في حد ذاتها غريزية أو موروثية، مصالح ينبغي إدراكها عن طريق العقل الإنساني بوصفها ضرورية². وبناء على هذا التعريف، قام بتصنيفها إلى خمسة نماذج من المصالح: 1- / 2- فيسيولوجية وتناسلية (الغذاء)، 3- فردية (تأكيد الذات)، 4- اجتماعية (تقوم على القرابة وتوجه نحو رفاهية المجتمع) و5- متعالية (الدين)³. وبإضافة الصفة (القومية أو الوطنية) فإنها ترجع إلى كل من الأمة، أي مجموعة اجتماعية، والدولة، التي تدل على تنظيمها السياسي، وفي معظم الحالات تعود إلى الدولة. ولذلك اقترح الأستاذ "روزنو" « Rosenau » التمييز بين المفهوم: بغرض التحليل السياسي، أو بهدف العمل السياسي⁴.

هذا يعني أن مفهوم المصلحة القومية أو الوطنية، قد يُعدّ أداة للتحليل العلمي وقد يُعتبر أداة للعمل السياسي، وبالتالي:

- كأداة تحليل: يتم استخدامه لوصف، شرح وتقييم مصادر أو كفاءة السياسة الخارجية للأمة

- كأداة للعمل السياسي: فهو وسيلة لاقتراح السياسات، أو تيريرها أو التنديد بها⁵.

يزعم قاموس علم السياسة، بأن تسلسل مجموعة من المسلمات المبنية على سلوك الفرد الإرضائي للمصالح بأفضل التكاليف المتوقعة (Expected Utility Maximization) وعلى أطروحات التيار المعاصر المسمى: فردانية منهجية « Individualisme méthodologique » ومن أقطابه: "أولسون" Olson، "بودون" Boudon و"بوريكو" Bourricaud والذي يقصر المصالح على الجوانب الاقتصادية، كان له تأثير بالغ في نظريات اللعبة، لكن النماذج الأكثر دقة وتطوراً

¹ عامر مصباح، مرجع سبق ذكره، ص 148.

² المرجع والصفحة.

³ عبد السلام قريفة، "تطور مفهوم المصلحة الوطنية في السياسة الخارجية الأمريكية"، (أطروحة دكتوراه، باتنة، جامعة الحاج لخضر، 2011 - 2012، ص. 5).

⁴ Joseph Frankel, National Interest, op-cit, p. 15

⁵ Ibid, pp. 15-16. See : James . N. Rosenau and others, The national interest, Great Britain, 1970, P186.

P. Ordeshook, Game Theory and Political Theory, Cambridge, (منها عمل: (1988

سلطت الضوء على صعوبة وصف وتوقع السلوكات الإنسانية المعقدة.¹

يوضح كل من هنري كيسنجر وروبرت آرت، أن تعريف وتحديد المصالح القومية يُعتبر ضرورة لا بد منها لتطوير السياسة والاستراتيجية، وتتجلى قيمة المصالح في تأسيس وتحديد الخطوط العريضة التي تقدمها لخلق الغايات التي تعمل كأهداف لمسارات تنفيذ السياسة والاستراتيجية. فهي تمثل الأساس ونقطة البداية للتوصيفات السياسية، وتساهم في تقديم الإجابة على سؤال الأهمية؛ أي السبب الذي يجعل سياسة ما مهمة.²

عندما نتمعن في جل التعريفات المقدمة من طرف المختصين الغربيين أو تلك المحاولات التي تقدمها المكتبة العربية، نجدها عموماً تزيد المصطلح غموضاً، وتقتصر على عنصر محدد غير جامعة لعناصره.

متماهيا مع "هانس موغنثاو" الذي يرى بأنها القوة المرتبطة بقضية البقاء القومي أو الوطني، يعرف "ملحم قربان المصلحة القومية أو الوطنية بأنها: تلك الاعتبارات التي تحدد تصرف القوة في تكييف التصرف السياسي وتقريره".³ فلو أنه وضّح معنى الاعتبارات وركز على السلوك السياسي بدلا من تصرف القوة فقط، لكان تعريفه، برأينا، أقرب إلى الدقة، كما أن استعمال مفهوم القوة لدى موغنثاو لم يخل من الغموض والعمومية. يضيف بعض الباحثين عناصر متعددة لمفهوم المصلحة القومية، حيث يجمع "صامويل هنتغتون" « Samuel Huntington » بين الأمن، المصالح المادية والهوية والأخلاق، كما يضيف "دانيال باب" « Daniel Papp » كلا من الثقافة والقيم بالإضافة إلى إيديولوجية الدولة، بينما يقرن كل من "هايم شايك" أو "حاييم شايك" « Haim Shaked »، "جاك بلانو" « Jack Plano » و"راي أولتون" « Ray Olton » الأمن القومي بالرفاهية الاقتصادية « The economic well-being ».⁴

يجتنب "اسماعيل صبري مقلد" الخوض في تفكيك عناصر المفهوم، مفضلا تحديد العلاقة بين المصلحة القومية والسياسة الخارجية ومحिला لمسؤولية القيام بذلك إلى صانعي القرار بالدولة، حيث

¹ Guy Hermet et autres, op-cit, p. 150.

² آلان ج. ستولبيرج، مرجع سابق، ص. 2

³ عبد السلام قريقة، مرجع سبق ذكره، ص. 7

⁴ . المرجع والصفحة.

يكتفي بتعريفها بأنها: "القوة الدافعة والمحددة لاتجاهات السياسات الخارجية للدول. وكل اختلاف في تفسير مضمون المصالح القومية بواسطة أجهزة اتخاذ القرارات المسؤولة لا بد وأن يترتب عليه فوراً وبالضرورة إجراء تغييرات مماثلة في مضمون هذه السياسات الخارجية"¹، بينما يحدد "هايم شايدك" Haim Shaked وزملاؤه (1980) مفهوم المصلحة الوطنية أو القومية انطلاقاً من دراسة حالة السياسة الخارجية للولايات المتحدة، فهم يرون بأن المصلحة الوطنية هي: "مواصلة المحافظة على استقلال الدولة مع مؤسساتها وحماية قيمها، وتحقيق الرفاهية الاقتصادية للمواطنين" إلا أن الأمن القومي هو أولى أولويات المصلحة الوطنية.²

فعلى الرغم من اختلاف الدول عند تحديد المصلحة الوطنية أو القومية لرسم سياستها الخارجية، فإن "تعريف المصلحة الوطنية يعتمد أيضاً على الموقف الذي يتخذه الشخص من بين ثنائيات تقع على طرفي نقيض مثل: المؤثر على نفسه- الأناي (المثاليون - الواقعيون)، الاعتبارات قصيرة-طويلة الأمد، المبادر- الانفعالي، الراديكالي-المحافظ، المرن-المتشدد، التقليدي-المبدع، الجماعي-الفرداني.. الخ. في كل الحالات يكون الأنفع أن لا نفكر في الانقسامات الثنائية DICHOTOMY بل في الطيف SPECTRUM الذي يمكننا من خلاله ترتيب وتصنيف مواقف الأفراد بعد قيامها بواسطة بعض المؤشرات الإمبريقية"³ ولذلك يحتدم الجدل بين الباحثين حول انتساب المصلحة، أي بالنسبة إلى من؛ إلى شخص (صاحب القرار) أو إلى فئة (العائلات الرأسمالية ذات الثراء الفاحش) أو إلى المؤسسة (المركب الصناعي - العسكري) أو إلى الأمة... " ففي بعض الأحيان، لا يكاد يوجد مبرر لبعض المواقف والسياسات في المحيط الدولي إلا بالرجوع إلى معرفة دوافع صناع القرار وخصائص شخصيتهم، ورغبتهم في السيطرة والنفوذ والتحكم في الآخرين. ويمكن إسقاط هذا المعنى على الحروب التي قادها القادة السياسيون دون الرجوع إلى الشعب، كحروب نابليون بونابرت (إمبراطور فرنسا) وأدولف هتلر (رئيس حكومة ألمانيا) وصادام حسين (رئيس جمهورية العراق) ضد الكويت... الخ.⁴

حول التعريف إذن، على الرغم من ارتباط المفهوم بالمدرسة الواقعية، وعلى رأسها "هانس مورغنثاو"، التي اعتبرت المصلحة الوطنية وحدة التحليل الرئيسة للسياسة الدولية وربطتها بمفهوم القوة، وعلى الرغم من الاختلاف في تحديد المصلحة من دولة إلى أخرى وفي ترتيب الأولويات حسب المرحلة

¹ إسماعيل صبري مقلد، الاستراتيجية والسياسة الدولية، المفاهيم والحقائق الأساسية، الطبعة الأولى، بيروت،

مؤسسة الأبحاث العربية، 1985، ص. 28

² عامر مصباح، مرجع سبق ذكره، ص 147

³ Joseph Frankel, National Interest, op-cit, p . 17

⁴ عامر مصباح، مرجع سبق ذكره، ص. 150

الزمنية والحدود الجغرافية والمراحل التي تمر بها الدول، ضعفا وقوة، تمردا وانكماشاً، تطورا وتخلفاً، توحداً وتفككاً، فإن السياسة الخارجية لأي دولة تركز في تحديد وتعريف مصلحتها الوطنية على الأهداف الاستراتيجية القاعدية المتعلقة بحماية الاستقلال والسيادة والأمن والحدود، والتنمية الاقتصادية وتوفير الحاجات الأساسية للمواطنين وحماية حرياتهم الأساسية وقيم المجتمع، وهذا حسب الهرم المستفاد من هرم الحاجات الأساسية لأبراهام ماسلو، تدخل في ذلك عناصر عديدة تصنع الاختلاف بين الدول، تقع على رأسها، بالإضافة إلى القيم المجتمعية، القوة العسكرية، الاقتصاديات، تاريخ الدولة وجغرافيتها، النمو الديمغرافي، التكنولوجيا... الخ، النخب المنظمة والزمر المصلحية المختلفة، حيث نجد في الولايات المتحدة مثلاً: جماعات المصالح التجارية والصناعية، الشركات الكبرى ورأس المال الخاص، فئات الصناعيين والمزارعين والبيروقراطية العسكرية، والجماعات الاجتماعية إثنية كانت أو دينية، لوبيات السلاح، أصحاب البنوك واللوبيات المؤثرة في خيارات الناخبين؛ حيث تسعى كلها إلى تجميع المصالح والتأثير في مخرجات المؤسسات الدستورية بما يتوافق مع رؤاها ومصالحها، مثل اللوبي الموالي للكيان الصهيوني.. الخ.

تقودنا هذه الإشكالية إلى تناول أبعاد المفهوم، وأهم معيار لتصنيف المصلحة الوطنية، خصوصاً ما تعلق منها برسم وصياغة السياسة الخارجية الأمريكية.

الفرع الثاني: المصلحة القومية: الأبعاد ومعايير التصنيف

مجالياً، يتم تحديد نطاق المصلحة القومية (الوطنية) "إما عن طريق المؤثرات البيئية أو بواسطة الأعمال الإرادية، وعلى العموم وكقاعدة عامة، بمزج العنصرين معاً"¹ فعندما تصنف الإدارة الأمريكية دولاً مستقلة ذات سيادة بأنها مارقة « Rogue States » أو تنتمي إلى محور الشر « Evil Axes » وتفرض عليها من جانب واحد عقوبات اقتصادية ودبلوماسية، وبما يصطدم مع مصالح الدول المعنية والدول التي تتعامل معها، بل وتسن قوانين مثلما تسنها داخل المجال السيادي الأمريكي؛ مثل قانون دامتو الذي تعاقب الولايات المتحدة بموجبه كل الشركات التي تستثمر بما يفوق 150 مليون دولار في الدول المصنفة أمريكياً مارقة، مثل إيران وليبيا، سيثير هذا السلوك السياسي الخارجي جدلاً بين الباحثين وصناع القرار حول امتداد السيادة الأمريكية ومصالحها القومية، "ولعل هذا ما أثار الجدل بين واشنطن وباريس ومن ورائها الاتحاد الأوروبي حول قانون دامتو. وقد عبرت الحكومة الفرنسية بوضوح عن قلقها من هذا القانون، وقالت إن القانون الأمريكي يطبق في

¹ Joseph Frankel, National Interest, op-cit, p . 67

أمريكا فقط وليس على دول خارج أمريكا.¹ لكن الإدارات الأمريكية المتعاقبة، ترى ضرورة التدخل في أي مكان من العالم بهدف حماية مصالحها القومية.

يفسر خروج "فرانكلين روزفلت" من العزلة ومشاركته في الحرب العالمية الثانية، على أنه تم بسبب مؤثرات ظرفية، أي صعود الأنظمة الشمولية وتمدد اليابان، لكن بعض المؤرخين الأمريكيين يرجعونه إلى إرادته الطوعية، بينما يعززون تصاعد المصالح الأمريكية والسوفياتية في العالم الثالث إلى الحالة التي تمزج بين العنصرين (بيئة - إرادة)؛ "إذ كان ذلك جزئيا بسبب إنشاء دول مستقلة ضعيفة، يشكل الفراغ السلطوي لديها خطرا محتملا، وجزئيا من المخططات المرسومة إراديا للتدخل لأسباب إيديولوجية، اقتصادية أو حتى إنسانية".²

بالإضافة إلى العقلانية الاقتصادية، أو الجوانب الشخصية الخفية التي لا تستطيع العقلانية الاقتصادية أن تجد لسلوكها السياسي السابق تفسيراً معقولاً، مثل سلوك لويس الرابع عشر أو هتلر، وبغض النظر عما أطلق عليه بعض الباحثين عبارة: "صافي قدرات الإنجاز" Net « Achievement of Capability الذي يمثل الأساس العقلاني لسياسة العزلة، تعبر "القدرات" Capabilities « بارتباطها بوضعية القوة للدولة، عن متغير مهم؛ حيث تملك الدول الضعيفة عددا قليلا من المصالح لمتابعتها والدفاع عنها، بينما تملك القوى الكبرى عددا قليلا من المصالح التي لا تكون مستعدة لمتابعتها وللدفاع عنها، إذ كلما كانت القدرات أعظم وترتيب القوة أعلى، كان مجال المصلحة الوطنية أو القومية أوسع.³

فبالتركيز على البعدين: المكاني والزمني، نتمكن من إدراك درجة الأهمية ومن تحليل موقع المصلحة بالنسبة إلى الدولة وسياستها الخارجية.

. البعد المكاني Spatial demension: يمثل الفضاء أو الأرض أو الجغرافيا، بعدا أساسيا عند الحديث عن صياغة سياسة خارجية للدولة وفقا لتحديد مصحتها الوطنية أو القومية، فمتلما جادل كانط بشكل مقنع، يُعد الفضاء أساس كل تفكير متعلق بالتجربة الإنسانية؛ حيث يتضمن أي نقاش حول السياسة الخارجية بشكل حتمي ولا يمكن اجتنابه، تحليلا للفضاء. إنه البعد الجغرافي للسياسة الدولية وهو يمثل أحد العناصر الأساسية للدولة، خصوصا: الرقعة التي تحتلها أو تشغلها وحدودها".⁴

فقبل الحديث عن مصلحة الدولة، لا يمكن إطلاق مصطلح الدولة، ابتداء إلا إذا استُكملت شروط

¹ عامر مصباح، مرجع سبق ذكره، ص. 152.

² Joseph Frankel, National Interest, op-cit, p . 68

³ Ibid, P. 69.

⁴ Ibid, PP . 76_77.

رئيسية لقيامها، وهي:

1- رقعة من الأرض محددة بحدود موضحة ومعترا بها. (طبعا لدينا استثناءات لدول توسعية حدودها غير موضحة خصوصا عند تشكيلها وقيامها، مثل الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني)

2- وجود شعب أو سكان أصليين يعيشون على تلك الأرض عيشة دائمة

3- التنظيم السياسي

4- السيادة

5- القوة الكافية لحماية الشعب¹.

عن القوة والرقعة الجغرافية، نرجع إلى الخطاب المؤسس للقيادة الأمريكية المركزية U.S « CENTCOM أين حدد الرئيس "ريغن" في شهر أيلول سنة 1982 هدف هذه القوة قائلا: "علينا وضع سياسة مشتركة مع أصدقائنا وحلفائنا لردع السوفيت، أو من ينوب عنهم، ومنعهم من أي توسع آخر يقومون به، حيث تم إنشاء القيادة المذكورة بعدها بعام؛ أي سنة 1983، وعهد إليها العمل لدعم تسعة عشر (19) بلدا.²

لإدراك أهمية هذا البعد، يسوق روبرت كابلان، عبارة كتبها عام 1942 نيكولاس ج. سبيكلمان Spykman، الأستاذ بجامعة ييل، وهو منظر استراتيجي أمريكي- هولندي بارز من حقبة أوائل الحرب العالمية الثانية، أن الجغرافيا لا تجادل، فهي ماهي عليه ببساطة، مستطردا: "الجغرافيا هي العامل الأكثر أهمية في السياسة الخارجية للدول، لأنها أكثرها ديمومة. يأتي الوزراء ويذهبون، وحتى الطغاة يموتون، لكن السلاسل الجبلية تظل راسخة في مكانها. إن جورج واشنطن Washington الذي دافع عن ثلاث عشرة ولاية بجيش غير نظامي، فرانكلين د. روزفلت Roosevelt الذي كان تحت تصرفه موارد قارة بأسرها، لكن المحيط الأطلسي استمر في فصل أوروبا عن الولايات المتحدة، كما أن موانئ نهر سانت لورنس مازالت تُغلق بسبب الجليد في فصل الشتاء. أما ألكسندر الأول Alexander I، وهو قيصر جميع الأراضي الروسية، فقد أورث جوزيف ستالين Stalin، والذي كان عضوا بسيطا في الحزب الشيوعي، ليس فقط سلطته ولكن كفاحه الذي لا ينتهي للوصول إلى البحر،

¹ صبري فارس الهيتي، الجغرافية السياسية مع تطبيقات جيوبوليتيكية، الطبعة الأولى، عمان، دار صفاء للنشر

والتوزيع، 2000م - 1420 هـ، ص ص. 10-11.

² المرجع نفسه، ص. 293.

في حين ورث ماجينو Maginot و كليمينسو Clemenceau من قيصر روما والملك لويس الرابع عشر قلقهما على الحدود الألمانية المفتوحة.¹

. البعد الزمني The time demension

بقدر أهمية الجغرافيا والأرض والموقع والحدود، يندرج الزمن ضمن أهم النقاط المناسبة في تدفق دائم ومطرّد، حيث يمثل الحاضر " النقطة التي يتداخل فيها الماضي والمستقبل".² نتفق مع "فرانكل" في كون الوجود الإنساني لا يتأثر كله بهذا التدفق بطريقة متماثلة؛ إذ لا يمكن أن نتعامل مع أنماط التفكير والمؤسسات التي يوفرها عصر "العربات التي تجرها الخيول" مع المشكلات الناشئة عن تكنولوجيا العصر النووي، كما أن السياسة الخارجية ليست استثناء، فالمصلحة الوطنية تتعلق بما إذا كنا نتعامل مع المشكلات الحالية، أو مع خطط للمستقبل، أو مع تقييم الماضي.³

اقترح الأستاذ مورغانثاو التمييز بين ثلاثة مستويات من النظرية الدولية التي تتوافق تقريباً مع الأزمنة الثلاثة:

- مستوى التاريخ the level of history: الذي يتعامل مع الماضي ؛

- مستوى محاولات الإصلاح the level of attempts at reform: المعنية بشكل رئيسي بالحاضر؛

- مستوى التلاعب البراغماتي the level of pragmatic manipulation: الذي يرتبط بالمستقبل.⁴

هناك أمل ضئيل في أن نحقق على الإطلاق اتفاقاً عاماً حول ترتيب المصالح فيما يتعلق بالوقت، ولكن هناك احتمالات معقولة للنجاح الجزئي، شريطة أن نقصر الممارسة على جانب معين أو قضية تتعلق بالمصلحة الوطنية، لأن هناك أملاً أقل للترتيب الناجح لجميع الجوانب.⁵ فعندما نربط البعد الزمني بالمصلحة القومية أو الوطنية عند صياغة السياسة الخارجية، فإن المدى الزمني يرتبط بأهداف أو مصالح دائمة أو طويلة الأمد أو ثابتة أو إستراتيجية، بينما تكون بعض المصالح قصيرة

¹ روبرت د. كابلان، انتقام الجغرافيا، ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة وعن الحرب ضد المصير،

ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (عالم المعرفة)، 2015، ص. 50.

² Joseph Frankel, National Interest, op-cit, p . 89.

³ Ibid.

⁴ Hans J. Morgenthau , Dilemmas of Politics, Chicago, 1958, p. 48.

⁵ Joseph Frankel, National Interest, op-cit, p . 89.

المدى زمنيا أو سريعة الزوال وبالتالي فإنها تندرج ضمن السياسات الخارجية التكتيكية التي تحقق أهدافا أقل ثباتا أو أسرع زوالا أو لنقل أقل أهمية.

فبعض المجموعات التي تكون محل اهتمام ودعم من طرف قوة كبيرة، لاستغلالها كأداة لتحقيق بعض المصالح التكتيكية، لن تحظى بدعم كاف لمدة طويلة، حين تتغير الأهداف وتتغير بالتالي المصالح وتتقلب المواقف، حيث نجد بعض الجماعات والتنظيمات السياسية والميليشيات المسلحة التي كانت تحظى بدعم الولايات المتحدة، أصبحت تصنف أمريكا على قائمة الإرهاب الدولي، بل إن دولا حليفة، مثل السعودية، تتعرض لضغط كبير من طرف القوة العظمى الحامية لنظامها، بشكل يعرضها لابتزاز مستمر وإذعان للشروط المفروضة، كما هو الحال مع قانون "جاستا"، وعلى هذا الأساس، يأتي ترتيب المصلحة الوطنية وفق معيار الأهمية.

ففي تصور الرئيس الأمريكي الأسبق "رينتشارد نيكسون"، تقع المصلحة الوطنية في ثلاثة مستويات كما يأتي:

- **المستوى الأول:** المصالح الحيوية التي يشكل فقدانها بحد ذاته خطرا مباشرا على الأمن الأمريكي، فتهديد مناطق أوروبا والخليج وشرق آسيا يعد تهديدا للأمن الأمريكي نفسه

- **المستوى الثاني:** المصالح المهمة والتي عند تعرضها للخطر لا تهدد الولايات المتحدة مباشرة لكنها تؤثر بشكل مهم على رفاهها الاقتصادي وهي قد تستوجب إجراء عسكريا إذا كان مفيدا في إنجاز غايات الولايات المتحدة

- **المستوى الثالث:** المصالح الهامشية التي لا يشكل فقدانها تهديدا مباشرا للولايات المتحدة الأمريكية.¹

يتفق "زيبغنيو بريزنسكي" ومعه حوالي مائة باحث مختص وخبير ممارس حول هذا التصنيف وعلى معيار الأهمية ابتداء، حيث يصنفون المصالح إلى:

- **مصالح حيوية:** ويندرج ضمنها "على أساس الامتداد الجغرافي، بالإضافة إلى ما يتعلق منها بالأمن الدولي، مثل حماية الوطن الأمريكي، وتشمل المواطنين الأمريكيين والممتلكات الأمريكية وراء

¹ تائر خليل حمد، الأمن القومي الأمريكي والتغير في المنطقة العربية، الطبعة الأولى، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع، 2016، ص. 39.

البحار"¹ وما يرتبط منها بالاقتصاد الدولي، مثل الحفاظ على نمو اقتصاد الولايات المتحدة واقتصاد الأمم الصديقة وحرمان الدول التي تسعى الولايات المتحدة إلى أن تفرض فيها تغييرا في السياسة (أو الحكومة) من الرفاه الاقتصادي:²

آسيا:

= منع أي دولة معادية من الهيمنة على هذه المنطقة؛
 = توفير الأمن في شبه الجزيرة الكورية؛
 = ضمان الوجود التجاري والسياسي والعسكري في المنطقة ومن خلالها؛
 = منع الأسلحة النووية وتكنولوجيا الصواريخ.³

أوروبا:

= منع أي دولة معادية من الهيمنة على هذه المنطقة

روسيا والبلدان المستقلة حديثا:

= مراقبة ترسانة روسيا النووية وتقليصها؛
 = منع التهديد الذي تتعرض له أوروبا وآسيا والخليج الفارسي، في حال نهوض روسيا ونزوعها إلى الحرب.⁴

الشرق الأوسط:

= الحفاظ على السلام والاستقرار في الخليج الفارسي، وتوفير موارد النفط والغاز للتصدير؛
 = ضمان بقاء إسرائيل (الكيان الصهيوني) على قيد الحياة، دولة قومية؛
 = ضمان أمن مصر والمملكة السعودية والأردن؛
 = وضع ردود منسقة أكثر فاعلية على الإرهاب في الشرق الأوسط.⁵

¹ زيغنيو بريزنسكي وآخرون، (السياسة الخارجية الأمريكية: تحديات القيادة في القرن الـ 21)، شؤون الأوسط، عدد 78-79، ك1 ديسمبر 1998- ك2 يناير 1999، ص. 62.

² المرجع نفسه، ص. 63.

³ المرجع نفسه، ص. 60.

⁴ المرجع نفسه، ص. 61.

⁵ المرجع نفسه، ص. 62.

- مصالِح مهمة:

قبل الحديث عن التوصيات حول السياسات، يتم إدراج أهم المصالح التي تصنف مهمة، وفقا للمنهجية نفسها، مثل: سوق الطاقة، عملية السلام، استقرار المغرب وشمال إفريقيا، تركيا، التحرر السياسي... الخ.

- مصالِح مفيدة:

مثل: الإصلاح الاقتصادي، التعاون والمشاركة مع الحلفاء في منطقة الشرق الأوسط، المساعدة الخارجية... الخ.¹

نلاحظ أهمية السياسات العليا ومشكلات الأمن، حيث تصنف على الدوام، وبغض النظر عن الجهة المعنية: أوروبا أو آسيا أو الشرق الأوسط، على أنها مصالح حيوية، كما يجدر بنا أن نستشف عولمة المدى الذي تبلغه المصالح الأمريكية وقدرات الولايات المتحدة على حمايتها.

المطلب الثاني: المصلحة القومية، الأمن والإيديولوجيا الأمريكية

قبل التطرق إلى مفهوم الإيديولوجيا الأمريكية، يجدر بنا تحليل الأمن والسياسة الخارجية.

الفرع الأول: المصلحة القومية، السياسة الخارجية وأولوية الأمن

يتعلق مفهوم الأمن بشعور الأفراد والمجتمعات بالسكينة والطمأنينة، وبالتحرر من حالة الخوف والقلق، ومنه قوله تعالى: (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)² فالأمن نقيض الخوف، وهو المعنى الذي سيق في شرح المفهوم سواء في المعاجم العربية أو القواميس الأجنبية، أو حتى لدى عديد المختصين، حيث يتحدث "حامد ربيع" عن حالة الحماية من الخطر والتهديد والتحرر من الخوف،³ ويرى "أرنولد وولفرز" « Arnold wolfers » أن الأمن "في جانبه الموضوعي يعني: غياب أية تهديدات تجاه قيم مكتسبة، وفي جانبه الذاتي يعني: غياب الخوف من أن يتم المساس بأي من هذه القيم".⁴

¹ المرجع نفسه، ص ص. 84-90.

² سورة قريش، الآيتان: 3 و4.

³ حامد ربيع، (نظرية الأمن القومي العربي)، دراسات سياسية، العدد 5، بيت الحكمة، بغداد، شتاء 2001، ص. 51.

⁴ تائر خليل حمد، مرجع سبق ذكره، ص. 28.

أما عن مستويات الأمن على أساس الدمج بين المعيارين: الديمغرافي (جغرافي - بشري) والسياسي، فإننا نجد:

1- الأمن الإنساني: ومحوره الفرد أو المواطن أو الإنسان، ويتعلق بمهام الدولة في حماية الأفراد من التهديدات وإشباع حاجاتهم الأساسية.

2- الأمن الوطني والأمن القومي: يتعلق الأمن الوطني بأمن الدولة الواحدة وكذلك الأمن القومي إذا كانت الدولة متكونة من قومية واحدة، ويذهب إلى أمن قومية واحدة مجزأة بين دول عدة.¹

يضرب أنصار التفرقة بين الأمن الوطني والأمن القومي عدة أمثلة على رأسها: اليابان دولة تتشكل من قومية واحدة، فيكون بذلك الأمن الوطني مرادفاً للأمن القومي، والأمة العربية، أين يُعبر الأمن الوطني عن الأمن القطري؛ أي أمن القطر الواحد أو الدولة الواحدة، بينما يمتد الأمن القومي إلى أمن مجمل الدول العربية، بينما يميل طالب العلم معد هذا البحث المتواضع إلى استعمال الأمن الوطني كمرادف للأمن القومي، للاعتبارات التالية:

* الاعتبار الأول: لأن جل الدول تتكون من قوميات مختلفة وإن كانت واحدة غالبية، كما أننا نجد قومية واحدة موزعة على عدة دول؛

* الاعتبار الثاني: يركز البحث على الولايات المتحدة التي تتكون من عديد القوميات، أين يمثل الأمن الوطني أو القومي مفهوماً واحداً يتعلق بالحدود ويمتد إلى حيث تصل المصلحة الأمريكية؛

* الاعتبار الثالث: انسجاماً مع جل المراجع المختصة المؤلفة باللغة العربية أو المترجمة إليها، والتي تتحدث عن الأمن القومي في معرض حديثها عن الأمن الوطني؛

* الاعتبار الرابع: يشكل، في الواقع، سلوك بعض الدول العربية تهديداً لدول عربية أخرى، ولذلك فإننا لا نستطيع الحديث عن أمن قومي إلا في سياق التنسيق الحقيقي بين مجمل هذه الدول أو بعضها، لضمان أمن مشترك، وفي مراحل زمنية محدودة، ومن أجل ذلك فمن الأجدر أن نعبر عن ذلك بالأمن الإقليمي.

3- الأمن الإقليمي: يتمثل باتفاق دول عدة في إطار إقليم واحد على التخطيط والعمل المشترك لمواجهة التهديدات المشتركة؛

¹ المرجع نفسه، ص ص. 29-30.

4- الأمن الدولي: تتولى تحقيقه بعض أجهزة المنظمات الدولية، ومجلس الأمن تحديداً، في إطار ما نص عليه ميثاق منظمة الأمم المتحدة.¹

مجالياً، يعتبر مفهوم الأمن شاملاً ويمكن أن يغطي مجالاً بعينه، فنقول: الأمن العسكري، الأمن الغذائي، الأمن المعلوماتي... الخ.

بالنسبة للسياسة الخارجية والمصلحة الوطنية أو القومية المحددة للأهداف الاستراتيجية والوسائل المتبعة، فإن الأمن الوطني أو القومي هو "المفهوم المفتاحي والرئيس سواء تعلق الأمر بالمختصين المحللين للسياسة الخارجية أو للممارسين الذين يساهمون في صياغة سياسات دولهم الخارجية".²

ينقل "ستيف سميث"، "أميليا هادفيلد" و"تيم ديون" في كتابهم المشترك: "السياسة الخارجية" « Foreign Policy »، تعريفاً شاملاً يتضمن القيم أساساً، حيث يوردون، نقلاً عن "باري بوزان" تعريف كلية الدفاع الوطني الكندية « Canadian National Defence College » بأن الأمن الوطني أو القومي هو "الحفاظ على أسلوب الحياة.... ويشمل التحرر من الهجوم العسكري أو الإكراه، والتحرر من التخريب الداخلي والتحرر من تآكل القيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعتبر ضرورية لنوعية الحياة".³ لكن حتى هذا التعريف لا يجيب على السؤال المتعلق بأفضل استراتيجية لتحقيق الأمن القومي. "يُطلق على هذا المكون الحاسم في السياسة الخارجية لدولة ما: استراتيجية كبرى « Grand Strategy » وتُعرّف بأنها الرؤية الشاملة لأهداف الأمن القومي للدولة وتحديد أفضل الوسائل التي يمكن بها تحقيق تلك الأهداف".⁴

بناءً على ما سبق، ومع الاعتراف بخصوصية كل دولة، ومن أجل رسم السياسات في إطار استراتيجية الأمن القومي، ينبغي توفير ثلاثة شروط تبدأ بتحديد المصالح، الغايات والقيم، ثم تحديد التحديات وتنتهي بتحديد الوسائل والأدوات وبالتالي رسم السياسات.⁵ يُعبر بعض المختصين عن الشروط المذكورة بالمسار ذي الثلاث خطوات ويرتبونها على الشكل التالي:

أولاً: ينبغي لصانعي السياسة الخارجية أن يحددوا الأهداف الأمنية الحيوية للدولة؛

ثانياً: ينبغي لهم أن يحددوا مصادر التهديد الأساسية لتلك الأهداف؛

¹ المرجع نفسه، ص. 30.

² Steve Smith and others, Op-Cit, P. 188.

³ Ibid, P. 189.

⁴ Ibid, P. 197.

⁵ نائر خليل حمد، مرجع سبق ذكره، ص. 35.

ثالثاً وأخيراً: يجب عليهم أن يتأكدوا من الموارد الرئيسية: سياسية، اقتصادية وعسكرية، التي يمكن استخدامها كخيارات للسياسة الخارجية من أجل تحقيق أهداف الأمن القومي.¹

في إطار الإستراتيجية الأمريكية الكبرى « American Grand Strategy » وفي سياق الثنائية القطبية وتكوين الكتلتين بعد تقسيم العالم في مؤتمر يالطا عام 1945، ترسخ تنوع مفهوم الأمن بين: **الأمن الثابت:** حيث كانت أوروبا مسرحاً للمواجهة بين الحلفين الكبارين: شمال الأطلسي ووارسو، أين تتم حماية أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية على أساس مبدأ "توازن الرعب"، إضافة إلى "أمن الفناءات الخلفية الواقعة خارج نطاق حقل عمل كل من الحلفين، فقد اعتبرت أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية الفناءات الخلفية (Back Yards) للولايات المتحدة الأمريكية، فيما اعتُبرت كل من فنلندا وأفغانستان، وفي وقت معين بنغلادش (بعد انفصالها عن باكستان في بداية السبعينات)، الفناء الخلفي للاتحاد السوفيتي.²

2- الأمن الدينامي: مناطق النفوذ والمناطق الرمادية

تمت ممارسة الأمن الدينامي في مناطق النفوذ المتنازع عليها أو المناطق الرمادية حيث لم تكن الهوية الاستراتيجية محددة بشكل نهائي؛ أي خارج نطاق المواجهة النووية بين القوتين العظميين وتوازن الرعب، أين كانت المواجهة ممكنة بالنيابة؛ أي عن طريق فرقاء آخرين. في مجلس الأمن، انحصرت اللعبة الدبلوماسية بين القوتين العظميين، على أساس "عدالة الوسائل المتوفرة" التي تكون إحدى وجوه توازن القوى.³

3-الأمن الوقائي: تركز أفراد الولايات المتحدة باعتماد الأمن الوقائي للأسلحة النووية والجرثومية، بل وحتى ذلك المتعلق بتجارة الأسلحة التقليدية؛ أي بيع الأسلحة ونقلها إلى مناطق الثورات والنزاعات (المناطق الرمادية) وقد شاركها الاتحاد السوفيتي في اعتماد هذا النوع من الأمن الوقائي، وبعد تفككه، أصبحت الولايات المتحدة هي المشرف الأساسي على أعمال النقل منفردة بقيادة البحر والبر والجو، ودائماً بطريقة انتقائية في أحقية وصول الأسلحة، فالسلاح مؤمن حين يكون في خدمة أهدافها

¹ Steve Smith and others, Op-cit, P197.

² عدنان أمين شعبان، **مفهوم الأمن في ظل النظام العالمي الجديد**، الطبعة الأولى، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2000، ص. 5.

³ المرجع نفسه، ص ص. 6، 7.

ومحجوب عندما لا يتناسب وتلك الأهداف.¹ بعد نهاية الحرب الباردة، فُتح نقاش حول أفضل استراتيجية كبرى ينبغي للولايات المتحدة أن تتبعها (الانعزالية الجديدة neo-isolationism، الليبرالية الدولية أو الأممية liberal internationalism... الخ).² يفتح لنا هذا النقاش مدخلا مهما للنظر في أهمية المصلحة القومية لدى صناعات القرار والإيديولوجيين الأمريكيين.

الفرع الثاني: المصلحة القومية والإيديولوجيا الأمريكية

في معرض حديثنا عن الإيديولوجية، وعن أصل المفهوم، قلنا بأنه مصطلح إغريقي مركب من كلمتين: eidos و logos وبذلك تم تعريفها بمعنى علم الأفكار، وتستعمل في الفكر الحديث للدلالة على رابطة فكرية متماسكة. "أما إيديولوجيا فهي بمعنى الاستراتيجية المقترنة بالإيديولوجيا؛ وتعني كلمة استراتيجية خطة طويلة الأجل لتحقيق هدف أو أهداف محددة في مجالات مختلفة".³

دون أن نخوض في ما تم اعتباره إعادة إنتاج لمفهوم الإيديولوجيا عقب انتصار الثورة البلشفية في روسيا عام 1917، ولا في الجدل الذي احتدم بعد ذلك خصوصا مع الرؤى النقدية لكل من "جورج لوكاش" « George Lukacs » (1885-1971) و"أنطونيو غرامشي" « Antonio Gramsci » (1891-1937) وآخرين، نشير، ملتزمين بما يخدم أهداف البحث، إلى مساهمة "كارل مانهايم" « Karl Mannheim » تحديدا، ثم رواد مدرسة فرانكفورت، ليس فقط في تعريف الأمريكيين بالمفهوم، بل أيضا في إعادة تدويره ونقد التجربة؛ حيث ميز "مانهايم" في كتابه "الإيديولوجيا واليوتوبيا" « ideology and Utopia » الصادر عام 1929، بين إيديولوجيات خاصة وأخرى عامة، "ففيما تمثل الأولى الأفراد باعتبارات نفسية وبنية خاصة، تقوم الثانية على تمثيل رؤى أكثر عمومية تُعنى برؤية أكثر شمولية تمثل ثقافة جماعية وحتى حقبة زمنية، بمعنى آخر: البنية الكاملة للتفكير"⁴ وهو بالطبع ما مهد لأطروحة فوكوياما "نهاية التاريخ" بسبب طرح "نهاية الإيديولوجيا" باعتبارها ذات وظيفة اجتماعية تنتهي بانتهائها، وعلى هذا الأساس، ربط كل من "جوزيف روسك" « Joseph Roucek » و"تشارلز هودجز" « Charles Hodges » بين الإيديولوجيا وعلم الاجتماع، الذي انتعش في ظل المدرسة الأمريكية مع بدايات القرن العشرين.⁵ بدوره، يركز "ماكس هوركهايمر" « Max Horkheimer » (1895-1973)، وهو من الجيل الأول من مدرسة فرانكفورت، على "إمعان النظر أو التبصر في الشروط التاريخي (طبيعة القضية أو الاعتبار العام)

¹ المرجع نفسه، ص. 7.

² Steve Smith and others, Op-cit, PP. 197-198.

³ هشام يونس، مرجع سبق ذكره، ص. 105.

⁴ المرجع نفسه، ص. 107.

⁵ المرجع والصفحة.

..... وبالأحرى على الحاجة إلى فهم: وظيفتها الاجتماعية.¹

لقد كانت الحركة الاشتراكية تنعت الليبرالية بأنها إيديولوجية، فيرد عليها الليبراليون بأن الاشتراكية طوباوية، بيد أنهما تشتركان في معنى واحد: الابتعاد عن الواقع والعجز عن إدراكه. "فالعجز الإيديولوجية، في نظر الاشتراكيين، يعود إلى تعلقها بوضع تجاوزه التطور، بينما يعود عجز الطوباوية، في نظر الليبراليين، إلى كونها متعلقة بمستقبل مستبعد التحقيق".² بالنسبة إلى "مانهايم"، كل منظومة فكرية قد تكتسي صبغة إيديولوجية أو طوباوية، حسب الطرف التاريخي الذي تظهر فيه والفئة الاجتماعية التي تستعملها".³

تزامنت مساهمة "كارل مانهايم" مع هجرة مجموعة كبيرة من الباحثين الألمان المنضوين ضمن "معهد فرانكفورت للأبحاث الاجتماعية" (أغلبهم من اليهود) عام 1934 إلى نيويورك حيث سيعملون ضمن "معهد الأبحاث الاجتماعية" « Institute For Social Research » برعاية جامعة كولومبيا ولاحقا سينضم عدد منهم للعمل على مشروع « Studies of prejudice » الذي رعاه وأشرف عليه "تجمع الأمريكيين اليهود" بمشاركة "ثيودور أدورنو" « Theodor Adorno ». المشروع الذي صدرت عنه سلسلة من خمسة أجزاء في الإيديولوجيا والفكر السياسي والاجتماعي، وهو ما شكل، بالنسبة إلى بعض المختصين، مؤشرا غاية في الأهمية على تبلور العقل السياسي الأمريكي والذي ستحضر فيه عناصر تفكير مدرسة فرانكفورت بمكوناتها الماركسية النقدية والفرويدية.⁴

في الواقع، كان العقل السياسي الأمريكي قد تشكل منذ فترة بعيدة، وهو الذي استقطب يهود مدرسة فرانكفورت، وهياً لهم ظروف البحث العلمي الأكثر تحررا للاستفادة من خبراتهم، خصوصا بعيد تولي هتلر والحزب النازي حكم ألمانيا، كما أن الفلسفة الليبرالية كانت، كما سبق وأشرنا في المبحث الأول، قد تجذرت وبشكل أبكر، بل وتطورت في الأرض الأمريكية إلى درجة أنها أصبحت تمثل إيديولوجية وطنية، ولذلك قلنا بأن "لويس هارت" في كتابه المنشور سنة 1955، كان قد عزا إجماع الأمريكيين الواسع حول المذهب الليبرالي، إلى ابتعاد الولايات المتحدة الأمريكية، جغرافيا وسيكولوجيا، عن الحوارات الكبرى المحتدمة في أوروبا ولقرون عديدة. فمنذ "ثيودور روزفلت" إلى "دونالد ترامب" مرورا بـ "ويلسن" "فرانكلين روزفلت"، "كينيدي"، "كارتز"، "ريغن"، "بوش"، "كلينتون"، وولكر بوش" و"باراك أوباما"، ظلت الليبرالية في قلب السياسات الكبرى للولايات المتحدة. "فسواء حاول الأمريكيون ترقية

¹ جورج لارين، مرجع سبق ذكره، ص. 119.

² عبد الله العروي، مرجع سابق، ص. 47.

³ المرجع والصفحة.

⁴ هشام يونس، مرجع سابق، ص. 108.

نظام دولي مبني على حقوق الإنسان والحرية السياسية، أو أرادوا تحقيق مصالح اقتصادية واستراتيجية (غير معلنة في الخطابات الرسمية) ، فإن السياسة الخارجية الأمريكية تبقى مطبوعة دوماً بالطابع الليبرالي.¹

فبدفع من السياسة الاقتصادية التي وضعها وزير الخزانة "ألكسندر هاملتون" وبسبب النجاحات التي حققتها الشركات الأمريكية منذ البدايات الأولى للاستقلال، تشكلت القناعة لدى الأمريكيين بأن قوة الولايات المتحدة ترتكز أساساً على الثروة، مما حدا بكتاب الدولة للخارجية (وزير الخارجية) "جون هاي" « John Hay » تحت رئاسة "ماك كينلي" « Mac Kinley » في نهاية القرن التاسع عشر أن يعتمد سياسة إمبريالية أطلق عليها "الباب المفتوح" والتي كان من أهم أهدافها إدخال المستثمرين إلى آسيا. هذا المبدأ أصبح حجر الزاوية للسياسة الخارجية الأمريكية، حيث ركز بعد ذلك الرئيس "تافت" « Taft » كل دبلوماسيته على قوة الدولار الأمريكي، ورفع وزيره للخارجية "فيلندر نوكس" « Philander Knox » شعار: "يجب على كل دبلوماسي أن يكون تاجراً"، هذا يعني أن كل شيء بالنسبة إلى الأمريكيين يُشترى بالدولار (السلام، الأرض... الخ) ². يمكن لهذا التأسيس التاريخي أن يشكل مدخلاً مهماً لفهم سياسة الرئيس الأمريكي الحالي والمثير للجدل "دونالد ترامب" « Donald Trump ». إذن، فهي ديمقراطية ليبرالية (رأسمالية) عاكسة "لطبيعة المجتمع الأميركي الهجين (رجال أعمال ومضاربون طامحون)، بحسب الدراسة المبكرة لألكسيس دي توكفيل « Alexis de Tocqueville » عن الديمقراطية في أمريكا « Democracy in America » والمتمثلة بسلوكية "نمط الحياة الأمريكية"، حسب "هارتنت" « Hartentt » باعتبارها إيديولوجيا مشوبة بنزعة دينية (بمينة مركبة) كما أشار "جيليز" « Gillis » و"ياتس" « Yates » بالإضافة إلى النزعة الاستعمارية التي رافقت تشكل الولايات المتحدة عبرت عن نفسها بسلسلة من حروب الإبادة بحق الهنود الحمر ودامت حتى أوائل القرن العشرين.³

لقد جاءت هذه النزعة، برأينا، وفقاً لاستراتيجية متماسكة وبعيدة المدى تقوم على ما سنطلق عليه في المطلب الموالي: التمدد المجالي؛ حيث قضت الولايات المتحدة أراضي كانت تابعة لدول أخرى موسعة مجالها الحيوي، تمديد الحدود إلى الفناء الخلفي أو الحديقة الخلفية (المستوى القاري)، ثم عولمة المصالح الأمريكية وما رافقها من نشر لمراكز القيادة والقواعد العسكرية بالإضافة إلى حماية الأنظمة الموالية سواء كانت ديمقراطية أو تسلطية، ما أفضى إلى ترابط القوة والإيديولوجيا والمصالح؛ حيث يشير هذا كله إلى وجود تركيبتين متداخلتين في بنية السياسة الأمريكية:

¹ Charles-Philippe David et autres, Op-cit, P. 62.

² Ibid, P. 64.

³ هشام يونس، مرجع سابق، ص. 112.

← **العقل السياسي الأمريكي:** المركب من منظومة متداخلة من قيم الحرية والتحرر والاستقلال والقوة من جهة، ونزوع السيطرة والمنفعة والمصالح من جهة أخرى.

← **بنية النظام السياسي الأمريكي:** التي عكست مجتمعا ذا ديناميكية هائلة تتوزعه مجموعات وقوى اجتماعية واقتصادية وسياسية ذات رؤى ثقافية ودينية وأخلاقية وبنية ومصالحية.¹

يحلينا هذا العنصر إلى دراسة التوسع المجالي المبني على تقدير استراتيجي لميزان القوة بشكل متجدد ومبرراته الرسمية المستندة إلى الإيديولوجية المركبة من عناصر متعددة: دينية، رأسمالية، براغماتية... الخ.

¹ المرجع نفسه، ص. 113.

المبحث الثالث: تطبيقات السياسة الخارجية الأمريكية قبل 9/11: ميزان القيم والمصالح

تميزت السياسة الخارجية الأمريكية، بحكم الواقعية والتقدير الاستراتيجي الجيد لتراتبية القوة، بالتدرج في الهيمنة، بدءا بتوسيع الحدود الإقليمية (أسطورة الحدود)، ثم السيطرة القارية (مذهب مونرو) وصولا إلى الهيمنة العالمية (القدرية الظاهرة والمهمة التمديدية)، مما جعل رؤيتها الاستراتيجية الطموحة واضحة ووسائلها الفعالة في تحقيق الأهداف المسطرة منتقاة بعناية.

بالإضافة إلى التمدد الحدودي، باعتباره مصلحة قومية وهدفا استراتيجيا مسطرا بشكل أبكر، منذ عهد الآباء المؤسسين، قامت السياسة الخارجية الأمريكية على الهيمنة الثقافية والاقتصادية والسيطرة السياسية وفقا لآليات ذات فعالية قصوى، مبررة جميع سلوكياتها السياسية الإمبريالية والعدوانية اللإنسانية بقيم إنسانية أو دينية حسب الموقف والبيئة المتلقية، وفي إطار منظم ومدروس، حيث تراوح التوسع بين: الإقليم (الوطن) فالقارة (الفناء الخلفي) ثم العالم (مجالا حيويا معولما).

لكن، على الرغم من تحقيق الأهداف المسطرة على مدار قرنين، وتنظيم التبرير إلى درجة نشر ما يُسمى القيم الأمريكية ونمط المعيشة الأمريكي، إلا أن مؤتمر "ديربان" كشف إفلاس الولايات المتحدة الأمريكية على مستوى القيم، وعزلتها على مستوى المجموعة الدولية، مما استدعى تفعيل مشروع القرن الإمبراطوري، فكانت هجمات الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001 ضرورة استراتيجية شبيهة بهجمات بيرل هاربر التي بررت دخول الحرب العالمية الثانية، كما سنرى في العناوين التاليين، بإيجاز وتركيز.

المطلب الأول: التمدد المجالي: من توسيع الحدود الدولية إلى عولمة المجال الحيوي

إتباعا لسياسة خارجية شديدة الواقعية، كبيرة الطموح، قامت الولايات المتحدة بالتوسع المجالي على مستويات ثلاثة: الحدود، فالقارة ثم العالم، وفي كل مستوى، تنوعت القيم الدينية والكونية والمذاهب السياسية والفلسفية التي استُخدمت في تبرير التوسع.

الفرع الأول: توسيع الحدود الدولية

بسيطرة نزعة "شعب الله المختار" على عقول المهاجرين المؤسسين للمستوطنات الأمريكية الأولى، ترسخت النزعة الاستعلائية مبكرا ومعها الشعور بالتفوق الطبيعي الذي يجعل الهيمنة على العالم ضرورة إنسانية وواجبا دينيا مقدسا. ففي كتابه: "عجائب العالم الخفي" « the wonders of the invisible world » الذي نشره سنة 1693، عظم "ماتر" « Mather » مهمة شعب إنجلترا

الجديدة، "هذه المهمة التي تقوم على نشر ملك الله حتى تخوم كامل الكرة الأرضية".¹ كما أكد "فرنسيس هيكنسون" في كتابه "مزرعة إنجلترا الجديدة" «New England Plantation» على قداسة المهمة واستحقاق النصر، قائلاً: "راحتنا الكبرى وحمايتنا العظمى أن نُعلم هنا وفي وسطنا، الديانة الحقّة والوصايا المقدسة لله القدير"،² مضيفاً: "وهكذا، فنحن لا نشك بأن الله معنا، فمن القادر إذن أن يقف ضدنا إذا كان الله معنا؟".³

إذن، على الرغم من هذه الرؤية الدينية النزاعة إلى الانتشار على المستوى العالمي، إلا أن العقلية الاستراتيجية للآباء المؤسسين، وحسن تقديرهم لموازن القوة العالمية، دفعهم إلى اتباع التدرج في التوسع، فبدؤوا بالمستوى الأقرب لبناء الدولة القوية وللتموّج قارياً وعالمياً وإمكان مواجهة القوى الأوروبية المتنافسة والمتصارعة على ما كان يُطلق عليه "العالم الجديد".

بتطبيق "نظرية الحدود" التي تناولناها سابقاً، صوب القادة الأمريكيون وجهتهم، بعد التحكم في الأراضي التي يحتلونها، نحو المحيط الهادي غرباً؛ حيث امتدت الولايات المتحدة عام 1803 إلى لويزيانا التي تم اشتراؤها من نابليون، وأصبحت فلوريدا سنة 1810 ملكية أمريكية "عن طريق الإستيطان والثورة المفتعلة، حسب رأي "جان برنجه" وفي عام 1819 بواسطة التدخل والضغط".⁴

بتوظيف النزعة الدينية الرسالية، والفلسفة الداروينية الاجتماعية، والذرائعية، بدأ القادة الأمريكيون حرب إبادة شاملة على السكان الأصليين، باستخدام مختلف الطرق البربرية، حيث أدى تطبيق تقنيات العمل بالسخرة والتجويع الإجباري والترحيل الجماعي.... إلى ما يُعرف بالشتات الكبير الذي اقتلع عدداً كبيراً من الشعوب الهندية من أوطانها وساقها إلى الغرب أو إلى الشمال الكندي فراراً بحياتها وحياء أبنائها من الإبادة الجماعية. وقد كان هذا التدمير سياسة ممنهجة؛ ففي حملة سنة 1776 ضد هنود الشيروكي، تم إحراق المدن الهندية بمن لم يستطع الفرار منها وأُتلفت محاصيل الذرة وسبق من بقي من الشيروكي إلى الغابات ليفنوا. ولم تمض ثلاث سنوات، حتى أصدر الرئيس الأمريكي "جورج واشنطن" أوامره إلى الجنرال "جون سوليفان" بأن يحيل مساكن هنود الأوروكوا إلى خراب وأن لا

¹ ميشال بونيون موردان Michel Bugnon-Mordant، أمريكا المستبدة، ترجمة حامد فرزات، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001، ص. 20.

² المرجع والصفحة.

³ المرجع والصفحة.

⁴ المرجع نفسه، ص. 35.

يصغي لنداء السلام حتى تُمحي قراهم ومدنهم وآثارهم عن وجه الأرض.¹ وفي رسالة إلى جيمس دواين، السيناتور والمفوض السابق للشؤون الهندية، فسر جورج واشنطن المفهوم الأمريكي للأضرار الهامشية التي ترافق انتشار الحضارة فقال: "إن طرد الهنود الحمر من أوطانهم بقوة السلاح، لا يختلف عن طرد الوحوش المفترسة من غاباتها".²

يورد بعض المؤرخين بان أول رئيس أمريكي (جورج واشنطن) كان معروفا لدى هنود السينيكا باسم: "هدام المدن"، حيث تم، بموجب أوامره، تدمير 28 مدينة من أصل 300 من مدن السينيكا « Seneca » وحدهم، من البحيرات الكبرى شمالا Erie حتى نهر الموهاوك « Mohawk » والأونونداغا والكايوغا، بل إنه بنى عاصمة الدولة المسماة باسمه: "واشنطن" على أنقاض مدينة هندية عامرة على ضفاف نهر اليوتوماك، كانت ملكا لشعب الكونوي المباد مع مدينته التجارية "تكن شنتكه" لكنه أعلن بأنه بناها فوق ما أسماه بالسباخ والمستنقعات الخاوية.³

لقد تمت إبادة الهنود (السكان الأصليين) عن طريق شن ما عُرف رسميا بـ: "الحروب الهندية" « Indian Wars » التي كان الهدف منها هو إفراغ إقليم أمريكا الشمالية من سكانه، وتبريرها كونها حربا عادلة لأنها تستهدف متوحشين بلا رحمة، مثلما نصت عليه رسميا وثيقة "إعلان استقلال الولايات المتحدة".⁴

ينص إعلان الاستقلال في ديباجته، مرسيا بهذه الطريقة دعائم حقوق الإنسان على الطريقة الأمريكية: "إننا نعتبر هذه الحقائق بديهية، بأن كل الناس قد خُلِقوا متساوين، وهبهم خالقهم حقوقا غير قابلة للتصرف، من بينها الحياة، الحرية والسعي لتحقيق السعادة" «We hold these truths to be self-evident, that all men are created equal, that they are endowed by their Creator with certain unalienable Rights, that among these are Life, Liberty and the pursuit of Happiness».⁵

¹ ناصيف ياسين، الإرهاب الأمريكي المعولم، أميركا بنت الإرهاب وولادته: رؤساؤها نموذجا، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت، دار الفارابي، 2013، ص. 52.

² المرجع والصفحة.

³ المرجع نفسه، ص. 53.

⁴ Pierre Jaquet, **Etats-Unis, une politique étrangère criminelle**, Editions Alphée, Jean-Paul bertrand, 2010, P. 13.

⁵ Ibid, PP. 13-14.

https://en.wikipedia.org/wiki/United_States_Declaration_of_Independence#Annotated_text_of_the_engrossed_Declaration

بيد أن المتوحشين (يعني الهنود) والزنوج (أي ذوي الأصول الإفريقية) غير معنيين بهذه الحقوق، مثلما هو عليه الحال (حينئذ) بالنسبة إلى المرأة.¹ إضافة إلى الحروب والطرق التقليدية، استخدم الغزاة الأنجلوساكسون طرقاً غير تقليدية في إبادة الهنود، أبرزها: تعقيم نساء السكان الأصليين، الأويئة والحروب الجرثومية؛ حيث "شن من يسمون أنفسهم شعب الله على من يُطلقون عليهم الكنعانيين الحمر: 93 حرباً جرثومية شاملة منذ أن وطئت أقدامهم صخرة بليموث المقدسة في القرن السابع عشر حتى القرن العشرين.² يصنف "دوبينز" أنواع الحروب الجرثومية الشاملة التي سلطها (رسل الحضارة) على الهنود كما يلي: 41 جدري، 4 طاعون، 17 حصبة، 10 إنفلونزا، 21 سل ودفتريا وتيفوس وكوليرا. ويقول بان هذه الحروب كانت لها آثار وبائية شاملة اجتاحت مساحات شاسعة من الأراضي من فلوريدا في الجنوب الشرقي إلى أورغن في الشمال الغربي، بل إن بعض الشعوب الهندية وصلتها الأويئة وأبيدت قبل أن ترى وجه الإنسان الأبيض.³

زيادة على استخدام نصوص التوراة (المحرفة) لتقديم التبرير الديني لسياسة الإبادة، تم استخدام الفلسفة الذرائعية والداروينية الاجتماعية، للتبرير. يؤكد "تشارلز داروين" حتمية الإبادة قائلاً: "سيأتي زمن على الأعراق المتحضرة تبيد فيه الأعراق الهمجية، وترث منها الأرض حتماً".⁴

يتفق المؤرخ والروائي البريطاني: "تشارلز كينغسلي" « Charles kingsley » مع داروين عندما يقول: "إنتشار الأنجلوساكسون في الأرض توسيع لمملكة الله... وإذا اقتضى الأمر فليكن على جنث الأعراق الضعيفة".⁵

بعد القضاء على السكان الأصليين، بدأ احتلال أراضي جديدة، فانتهزت الولايات المتحدة فرصة ضعف المكسيك، خاصة في مسألة التوسع الحيوية، فقامت بمفاوضات طويلة ثم تدخلت سريراً لتفجير ثورة تكساس Texas ضد الحكم المكسيكي، حيث "أبان الرئيس جاكسون Jackson عن رغبته في الاعتراف بتكساس منفصلة عن المكسيك، بل وأرسل مندوباً من لدنه "قائماً بالأعمال" ليمثل الولايات

¹ Pierre Jaquet, Op-cit, P . 14.

² Henry Dobyns, **Their Numbers Become Thin** (University of Tennessee Press, 1983), pp. 15-23.

³ منير العكش، أميركا والإبادة الجنسية، 400 سنة من الحروب على الفقراء والمستضعفين في الأرض، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، 2012، ص ص. 139-140.

⁴ Charles Darwin, **The descent of Man and Selection in Relation to Sex** (Chicago : Rand McNally, 1874), p. 152. (أنظر منير العكش، ص. 15).

⁵ Charles kingsley, His Letters and Memories of his life, ed. Fanny Kingsley (London, 1877), vol. 1, pp. 222-223. ص. 15. (أنظر منير العكش، مرجع سابق، ص. 15).

المتحدة في هذه الدولة الصغيرة الثائرة".¹ ثم أُحقت تكساس التي شكلت الأداة الرئيسية في الإستراتيجية الأمريكية تجاه المكسيك، بالولايات المتحدة تحت الولاية الرئاسية لجيمس بولك James Polk.² مما أدى إلى نشوب حرب بين الدولتين، انتهت سنة 1848 بنصر أمريكي ساحق، أُجبرت إثرها المكسيك على التخلي عن كاليفورنيا، نيوميكسيكو، أريزونا، نيفادا والوتا، أي ما يوازي نصف أراضي المكسيك،³ الأمر الذي دفع بـ "بوفيرو دياز" رئيس المكسيك بين 1876-1880 ثم بين 1884-1911 إلى القول: "مسكينة أنت أيتها المكسيك، فأنت بعيدة عن الرب وقريبة جدا من الولايات المتحدة".⁴

لقد حقق القادة الأمريكيون أهدافهم الإستراتيجية التوسعية المرتبطة بالمستوى الأول، أين صار الإقليم الأمريكي محاطا جغرافيا بمحيطين كبيرين ساهما فيما بعد في تشكيل العقلية الإستراتيجية لصانعي القرار وللمنظرين على حد سواء.

الفرع الثاني: مذهب مونرو والمجال القاري

نص مبدأ مونرو (Monroe Doctrine)، الذي يكرس بالنسبة للأمريكيين سياسة العزلة بينما يحيل في الواقع أمريكا اللاتينية إلى مجال حيوي أمريكي معطن، على ما يلي:

1- إن قارتي أمريكا، بما تتمتعان به وتحافظان عليه من حرية واستقلال، أصبحتا غير خاضعتين لاستعمار أي دولة أوروبية في المستقبل؛

2- إن النظام السياسي للدول المتحالفة (الأوروبية) يختلف تماما عن نظام أمريكا ويجب أن تُعتبر أي محاولة من جانب تلك الدول، لفرض نظامها على أي جزء في هذا النصف من الكرة الأرضية خطرا على سياستنا وأمننا؛

3- لم نساهم بتاتا، بأي نصيب، في الحروب التي نشبت بين الدول الأوروبية لأمر خاصة بها، كما أنه ليس مما يتفق مع سياستنا أن نفعل ذلك.⁵

قيما: التبشير متعلق بالحرية والاستقلال واستراتيجيا: يتعلق الأمر ببناء اقتصاد أقوى من اقتصاديات

¹ محمد محمود السروجي، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية منذ الاستقلال إلى منتصف القرن العشرين،

مصر، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2005، ص. 47.

² ميشال بونيون موردان، مرجع سابق، ص. 36.

³ المرجع نفسه، ص. 37.

⁴ المرجع نفسه، ص. 38.

⁵ ناصيف ياسين، مرجع سبق ذكره، ص. 57.

القوى الأوروبية وجيش أصبح لاحقا منقذا للحلفاء الأوروبيين الذين استنجدوا به في الحربين العالميتين، وبذلك كان التحذير الذي وجهه الرئيس جيمس مونرو إلى قادة الدول الأوروبية، في خطاب حالة الاتحاد الذي ألقاه بالكونغرس بتاريخ 02 ديسمبر 1823، يحمل طابعا حاسما مبنيا على رؤية استراتيجية وسياسات متدرجة، مقدما للولايات المتحدة، بشكل انفرادي حق الحماية للقارة وحق التدخل في شؤون دول أمريكا اللاتينية التي تحولت إلى محميات لها، مما حدا بنعوم تشومسكي أن يصف المبدأ بـ "الحرية وحيدة الجانب التي أعلنتها الولايات المتحدة لنهب واستغلال بلدان القسم الغربي من الكرة الأرضية".¹

أصبح هذا المبدأ، متبوعا بتعديل "بلات" « Platt » في عهد الرئيس ماكنلي، عنصرا مهما في تفسير وفهم السياسة الخارجية الأمريكية؛ فعن طريق الحروب، مثل الحرب على إسبانيا عام 1898، وعبر الاتفاقيات والاستثمار والهيمنة الاقتصادية، تم ضم أراضي أخرى إلى كيان الدولة، وإتمام السيطرة على بقية أجزاء القارة بنهاية القرن التاسع عشر وحلول القرن العشرين، سواء من خلال الضغط وفرض الشروط، أو تنصيب حكومات موالية... الخ. ففي 7 تموز 1898، صوت الكونغرس على ضم هاواي، التي أصبحت ولاية هاواي سنة 1900،² وهي عملية كانت مخططة منذ زمن طويل³ وفي طريق الاستيلاء على كوبا، بعد هزيمة إسبانيا، تمت السيطرة على الفلبين، بنما وبورتوريكو، كما منح تعديل السيناتور أورفيل هتشوك بلات Orville H. Platt سنة 1901 تحت رئاسة ماكنلي وباقتراح فعلي من وزير الحرب أليهو روت Elihu Root، للحكومة الأمريكية حق التدخل في شؤون كوبا: في الدستور الكوبي، في علاقاتها الخارجية، بذريعة حماية استقلال كوبا، الحق في تنصيب حكومة ملائمة بذريعة حماية الحياة والملكية والحرية الفردية، وكذا الحق في وضع قواعد عسكرية في الجزيرة، وقد تحقق ذلك في خليج غوانتانامو⁴، حيث استمر الوضع إلى غاية قيام الثورة الكوبية التي قادها فيدال كاسترو⁵، ولذلك اعتبر بعض الملاحظين بأن الحكومة الأمريكية أرادت أن تجعل من تعديل بلات أنموذجا للعلاقات بين الولايات المتحدة ودول أمريكا اللاتينية، إذ يُعد: الوثيقة المؤسسة للسياسة الخارجية الحديثة لأمريكا⁶.

¹ المرجع والصفحة.

² <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D8%A7%D9%88%D8%A7%D9%8A>

³ ميشال بونيون موردان، مرجع سابق، ص. 47.

⁴ Pierre Jaquet, op-cit, P. 49.

⁵ ميشال بونيون موردان، مرجع سابق، ص. 50.

⁶ Pierre Jaquet, op-cit, P. 48.

يتحدث بعض المختصين عن ثقافة الدولة وقيمتها بدلا من المصالح المادية وعن المنطق الأخلاقي الذي كانت تتبعه الولايات المتحدة¹ في حربها ضد إسبانيا سنة 1898 خصوصا وفي سياستها الخارجية عموما، بيد إن مقاربات أخرى، من أبرز أنصارها نجد فريد زكريا Fareed Zakaria، تؤكد على ضمان المصالح فيما وراء البحار، وبأن السلوك السياسي الأمريكي ارتبط أساسا بالقدرة²، حيث إن الولايات المتحدة اتبعت سياسة توسعية بمجرد توفر القوة اللازمة والقدرة على تنفيذ سياستها وحماية مصالحها. والحقيقة أن سياسة التوسع طالت جميع بلدان القارة الأمريكية، حيث امتدت إلى البرازيل، نيكاراغوا، السلفادور، غواتيمالا، الإكوادور، الأوروغواي، الشيلي، الأرجنتين، الهندوراس، غرانا، بنما، كولومبيا، فنزويلا... الخ. كل هذه التدخلات كانت ولا تزال تستهدف حماية المصالح الأمريكية تحت غطاء إنساني تُوظف فيه قيم الديمقراطية الليبرالية والحريات الأساسية، رغم إنها في مجملها حامية للدكتاتوريات والطغم العسكرية، قامعة للديمقراطية التي تزعم نشرها، حتى إنها قامت بتقديم الدعم "الاستخباراتي، التنظيمي، والتقني، لقادة البوليس السياسي لأنظمة كل من الأرجنتين، الشيلي، البراغواي الأوروغواي وبوليفيا، تحت عملية سرية تستهدف قمع معارضة الأنظمة القمعية العسكرية، تحت تسمية: مخطط كوندور Condor Plan سنة 1974³.

الفرع الثالث: عولمة المجال الحيوي

في هذا المستوى، أصبحت القوى الأوروبية التقليدية تابعة للولايات المتحدة التي ارتقت في التراتبية العالمية للقوة، إلى قوة عظمى، ثم إلى القطب الأوحـد The Hyper Power، حيث انفردت بالهيمنة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، ولكنها مرت بمرحلة اللايقين الاستراتيجي، كون الحاجة إلى عدو قوي تُعد ضرورة استراتيجية بالنسبة إلى صانعي القرار، الاستراتيجيين والمنظرين الأمريكيين. فبعد احتلال فراكروز، المكسيك (1914)، التدخل في هايتي (1915) واحتلال جمهورية الدومينيكان (1916) والتي فسرهما الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون (1913-1921) بكونها (مجرد) إجراءات لنشر الديمقراطية الدستورية في أمريكا اللاتينية، تم إعلان الحرب على ألمانيا سنة 1917، رغم التزام ويلسون الحياد وقد ضمنه برنامجه السياسي والانتخابي، لكنه برر خوض الحرب كونها "في سبيل جعل العالم أمنا للديمقراطية"⁴. وبعد هجمات بيرل هاربر ودخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية، دعا الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت الأمريكيين إلى نصر حلفاء الولايات المتحدة واصفا

¹ Paul T. Mc Cartney, **Power and Progress, American national identity, the war of 1898, and the Rise of American Imperialism**, First printing, Louisiana State University press, 2006 , P. 9.

² Ibid, P. 7.

³ Pierre Jaquet, op-cit, P. 88.

⁴ هشام يونس، مرجع سبق ذكره، ص. 115.

لهم بالأحرار الأربعة وبأنهم شركاء مشروع عالم ديمقراطي¹. في فترة الصراع الإيديولوجي بين المعسكرين (1945-1989)، وبعد أن أصدر الرئيس ترومان قانون الأمن القومي National Security Act أين تم تأسيس الوكالات التي ستقوم بإدارة الحرب الباردة، تم تحديد العدو ووسائل مواجهته، وتبنى الأمريكيون خطابا مكارثيا معاديا للاتحاد السوفيتي باعتباره قوة خطيرة وعدوانية، وللايديولوجية التي يحملها، باعتبارها مناقضة للقيم الديمقراطية ومعادية لقيم الحرية والرفاهية. وعلى هذا الأساس، طبقت نظريات وأثبتت استراتيجيات لمواجهة الخطر الأحمر؛ منها: الاحتواء، الردع (تقليديا كان أو نوويا)، اللعبة، الدومينو... الخ.

بعد توريط الاتحاد السوفيتي في حرب النجوم وفي المستنقع الأفغاني، وتفكك هذا الأخير، رفع الرئيس رونالد ريغن (1981-1989) شعار سلام القوة أو السلام من خلال القوة Peace through strength، حيث اعتُبر ريغن "إيديولوجيا محافظا ووريثا لويلسونية منحولة تجمع ما بين المكارثية والعسكرية والدعوة لتحقيق نظام عالمي ديمقراطي حر بالقوة² فبدأ "الحرب على الإرهاب الدولي" فارتفعت بذلك ميزانية الدفاع بنسبة 35 في المائة ثم استكمل سياسته واستراتيجيته، نائبه الجمهوري جورج بوش الذي انتُخب رئيسا بعده (1989-1993) وأعلن بعد حربه على العراق سنة 1991 عن تأسيس النظام العالمي الجديد، أو بتعبير أنطونيو ناغري Antonio Negri ومايكل هارت Michael Hardt: "الإمبراطورية" «The Empire» ، ومن ثم تم الترويج عالميا لكتب البرمجة وتهيئة الرأي العام العالمي لتقبل إستراتيجية وسياسات ما بعد الحرب الباردة، مثل نهاية التاريخ لفرنسيس فوكوياما، وصراع الحضارات لصامويل هنتنغتون، حيث سنظل الإيديولوجية الأمريكية مرتكزة على دعائم ثلاث: "القوة وتتجلى بالسيطرة العسكرية، المصالح وتتجلى بالسيطرة الاقتصادية والسياسية، والدعاية التي تمهد من خلال تعميم قيم الاستهلاك والديمقراطية وتغطي في آن الإستراتيجيات وتعمل على توجيهها. ولقد تعزز عنصر القوة والسطوة هذا في السياسات الخارجية الأمريكية تباعا وهو ما كشف عن نمو وسيطرة النزعة الإمبريالية للإمبراطورية الأمريكية The American Empire³. تم ذلك على حساب القيم الإنسانية والحريات وعلى حساب قضايا البيئة والمناخ والقيم التي تهتم الإنسانية.

¹ المرجع والصفحة.

² المرجع نفسه، ص. 119.

³ المرجع نفسه، ص. 131.

المطلب الثاني: بروتوكول كيوتو ومؤتمر ديربان سبتمبر 2001:

- الإفلاس القيمي، العزلة الدولية والضرورة الإستراتيجية للعدو

على الرغم من قيام الولايات المتحدة بعقد اتفاقية بديلة لبروتوكول كيوتو، مع بعض الدول الآسيوية أطلقت عليها تسمية: "الشراكة الآسيوية الباسيفيكية للتنمية النظيفة والمناخ" Asian « Pacific Partnership on Clean Development and Climate » معلنة عن بعض الأهداف الإنسانية القائمة أساسا على "وضع استراتيجية (مشتركة) لمعالجة تغير المناخ"¹، إلا أن الانسحاب الأمريكي الرسمي من بروتوكول كيوتو ورفض المصادقة عليه، كان محل انتقاد عديد المسؤولين والمفكرين والمنظمات غير الحكومية في العالم، خصوصا لكون الولايات المتحدة تمثل لوحدها، مصدرا "لربع (1/4) انبعاث الغازات الدفيئة في العالم"²، كما أن البروتوكول، الذي تم تبنيه سنة 1997 ودخل حيز التنفيذ سنة 2005:

- يهدف إلى الحد من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري والغازات الدفيئة؛

- تم تنظيمه في إطار منظمة الأمم المتحدة؛

- صادقت عليه 191 دولة.

لم تعد الولايات المتحدة دولة معزولة فقط، بل أصبحت سياستها الخارجية ومواقفها الدولية من القضايا التي تهم المجموعة الدولية ومن القيم الإنسانية، برأي عدد متزايد من الملاحظين، تعبيرا جليا عن إفلاس قيمي تام وغير مبرر، خصوصا بعد تفكك العدو الاستراتيجي وزوال منظومته التي ظلت تشكل مصدرا للتهديد وبالتالي لتبرير السياسات والإستراتيجيات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية؛ أي حلف وارسو بقيادة الاتحاد السوفيتي، وقد زاد من حدة الخلاف واتساع الهوة بين الولايات المتحدة والمجموعة الدولية، دوما في إطار المنظمة العالمية التي تهيمن عليها بمختلف الآليات، منها التمويل والتهديد بقطعه، مؤتمر ديربان ضد العنصرية، الذي شهدت أشغاله نقاشا محتدما، تلاه انسحاب الوفد الأمريكي.

يمكن اعتبار سجلات ونقاشات ومواقف الدول والمنظمات الدولية، مؤشرا قويا عاكسا لهوة القيم بين تلك الإنسانية التي عبرت عنها القوى الصغيرة والدول الضعيفة، وتلك النزاعة إلى تبرير السيطرة وفرض قانون القوة والمدعمة من طرف الدول القوية وعلى رأسها الولايات المتحدة، حيث كان صانعو القرار والإستراتيجيون والمنظرون الأمريكيون يجزمون بخطية ولا رجوعية الهيمنة الليبرالية

¹ B. Enzler, **Les Etats-Unis et le protocole de Kyoto** (Les Etats-Unis suggèrent une alternative au protocole de Kyoto), <https://www.lenntech.fr/effet-de-serre/kyoto-etats-unis.htm> تاريخ آخر زيارة للموقع: 2019-11-06

² Ibid.

والإمبراطورية وفرض الرؤية الأحادية للمنتصر، التي كرست نهاية التاريخ ومثلت، بزعمهم، الانتصار الشامل والنهائي.

يدل عنوان المؤتمر (المؤتمر العالمي ضد العنصرية World Conference Against Racism) المنعقد بجنوب إفريقيا تحت رعاية منظمة الأمم المتحدة، قبيل هجمات الحادي عشر من سبتمبر، أي من 13 أغسطس-أوت إلى 07 أيلول-سبتمبر 2001 (انتهت أشغاله فعليا يوم 08 سبتمبر)، على أهمية جدول الأعمال الذي لم تستطع فرضه، لأول مرة، الولايات المتحدة والدول الأوروبية، خاصة فيما يتعلق بنقاط اختلاف حساسة مثل: كون الصهيونية حركة عنصرية وأن الكيان الصهيوني هو كيان فصل عنصري "أبارتايد"، الرق والعبودية ومسؤولية الدول الغربية عنه، مع ضرورة الاعتذار الرسمي وما يفرزه من تعويضات... الخ.

من حيث ديمقراطية التصويت وتوسعة النقاش واحترام الاختلاف، كانت الهيمنة للدول الفقيرة، أين تمثلت في أغلبية عريضة بالنسبة إلى 170 دولة وأكثر من 3000 منظمة غير حكومية شاركت في المؤتمر، أما من حيث استخدام الضغط عن طريق التهديد والإغراء والإبتزاز، فإن الولايات المتحدة والكيان الصهيوني ومعهما كندا، أستراليا والإتحاد الأوروبي، قد مثلت أقلية قوية ضاغطة لكن غير ديمقراطية ومفلسة قيميا، حيث فشل الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش سنة 2001 في فرض إملائه بعدم إدراج موضوعي الصهيونية والدولة العبرية والرق والاعتذار والتعويض، في جدول أعمال المؤتمر¹ في حين نجح أبوه سنة 1991 عندما طلب اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة لإلغاء قرارها لعام 1975 والقاضي باعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية².

يُعد انسحاب الولايات المتحدة والكيان الصهيوني من المؤتمر، وتخفيض تمثيل الدول الأوروبية مؤشرا على أن النفوذ الذي تتمتع به الحركة الصهيونية في مؤسسات صنع القرار الأمريكية (و بعدها الأوروبية) من القوة بحيث تراعى مصالح الكيان الصهيوني قبل مصالح الولايات المتحدة نفسها، مما يدفع الباحث إلى إعادة النظر في تفكيك مستوى تأثير مختلف الفواعل في السياسة الخارجية الأمريكية، كما أن حالة السلم، مثلها مثل قيم العدالة والتكافؤ على مستوى العلاقات الدولية، تنعكس

¹ منير شفيق، مؤتمر ديربان ماله وما عليه وصورة العالم من خلاله،

<file:///D:/D9%85%D8%A4%D8AA%D9%85%D8%B1%20%D8AF%D9%8A%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D9%86%20%D9%85%D8%A7%20%D9%84%D9%87%20%D9%88%D9%85%D8%A7%20%D8B9%D9%84%D9%8A%D9%87%20%D9%88%D8%B5%D9%88%D8%B1%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%20%D9%85%D9%86%20%D8AE%D9%84%D8%A7%D9%84%D9%87.html>

تاريخ آخر زيارة للموقع: 2019-11-06

² المرجع نفسه.

ضعفا على الإستراتيجية الأمريكية وعلى سياستها الخارجية، ومضرة بنفوذها المبني على علاقات القوة والنفوذ، بل هادمة لكل ما بنته عبر العلاقات غير المتكافئة، بالإضافة إلى مشكلات الحافز والتبرير؛ حيث شكل الاتحاد السوفيتي، أي العدو القوي، وإيديولوجيته الشيوعية، حافزا أساسيا لتفوق الولايات المتحدة في مضمار سباق التسلح، التطوير المطرد للاستراتيجيات الشاملة والعسكرية، ابتكار الأنظمة الأمنية والدفاعية، النشاط الإستخباراتي السري... الخ. بيد أن تفكك هذا العدو الإيديولوجي المهدد لبقاء ما يطلق عليه الأمريكيون "العالم الحر"، دفع كلا من صانعي القرار والمنظرين الاستراتيجيين والأكاديميين الأمريكيين، إلى إعادة النظر في العقيدة الإستراتيجية وفي إدراك التهديد وقراءته، ودخلت في فترة "اللإيقين الإستراتيجي" التي امتدت خلال فترة سنوات التسعين من القرن العشرين، بعد أن كان العدو جاهزا، معروفا ومحددا جغرافيا وسياسيا وإيديولوجيا، وبعد تفككه "ظلت التصورات الإستراتيجية حبيسة عقلية الحرب الباردة، رغم أن التصورات الموروثة عن هذه الحقبة غير ملائمة للواقع الجديد"¹.

تُبنى الحضارات، حسب نظرية "أرنولد توينبي" « Arnold Toynbee » على ثنائية: "التحدي/الاستجابة" « Challenge and Response » وبالتالي فبقاء الحضارات، حسب تفسيره "مرتبط بالاستجابة الظاهرة للتحديات المقلقة من تحقيق غاية إلى صراع جديد، ومن حل مشكلة إلى مجابهة أخرى ، ومن هدأة مؤقتة إلى حركة راجعة"².

يقول "توينبي": «يجب أن يكون ثمة دافع حيوي يدفع الفئة المتحددة من التوازن إلى التضعع، ومن التضعع إلى التوازن، وهكذا إلى ما لا نهاية في مجال الممكن³». إن غياب الدافع الحيوي يهدد الحضارات بسقوطها، ويدفع مكونات الكيان الحضاري الواحد إلى التصارع فيما بينها، وهو ما يسميه توينبي "زمن الاضطرابات".

لقد أدرك ذلك بعض الخبراء السوفيات أنفسهم، ففي ماي 1988 أي قبيل الانهيار الرسمي للاتحاد السوفياتي، صرّح "جيورجي أرباتوف"، رئيس معهد الولايات المتحدة وكندا بموسكو، وأحد مستشاري

¹ عبد النور بن عنتر، الإستراتيجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، أنظر كتاب: حسين بوقارة وآخرون، الانعكاسات الدولية والإقليمية لأحداث 11 سبتمبر 2001، الطبعة الأولى، باتنة، شركة باتنتيت للمعلوماتية والخدمات المكتبية والنشر، سبتمبر 2002، ص. 90.

² إسماعيل الشطي، تحديات إستراتيجية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، عن كتاب: إسماعيل الشطي وآخرون، العرب والعالم بعد 11 أيلول/سبتمبر، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، تشرين الثاني/نوفمبر، 2002، ص. 139.

³ المرجع والصفحة.

غورباتشوف لصحفي أمريكي يعمل بنيوزويك قائلاً: « سوف نفعل لكم شيئاً رهيباً ، سوف نحرمكم من عدو¹»

إنّ الولايات المتحدة الأمريكية تدرك أن خلا ما قد أصاب مسيرتها ويتمثل في غياب العدو الاستراتيجي، وبدا لها بأنّ البيئة السياسية الناتجة عن ذلك وصلت إلى مشارف الصراع بين مكونات الكيان الحضاري الواحد (الغرب) وقد تكون بوادر ذلك في فكرة استغناء أوروبا عن مظلة الدفاع الأمريكية والتفكير في بناء قوة ذاتية لها، أو الشعور بأنّ التحالف العسكري (الناو) لم يعد يملك وظائفه الرئيسية بعد زوال الخطر الشيوعي، أو قد تكون بوادر ذلك الخلافات التجارية بينهما والآخذة في الاتساع «خاصة أنه بدا كما لو كان هناك إرهابات نظام دولي يرتكز على الاقتصاد يفسح مجالات أوسع للتنافس والخلاف²»

إذن فوجود العدو مسألة حيوية، وفي حالة انتفاء هذا العدو، فإنّ الأوساط المعنية برسم الاستراتيجية، وإدارة الصراع لا بد أن تبحث عن عدو حقيقي أو حتى وهمي، ومن أجل ذلك، كان البحث عن عدو استراتيجي هاجسا أمريكيا منذ اللحظة التي نكست فيها الأعلام السوفياتية في المحافل الدولية. لقد تابعت "جين باتريك" مندوبة الو.م.أ (السابقة) في الأمم المتحدة هذا المشهد وقالت: «إنّ العدو التالي هو الأصولية الإسلامية» غير أنّ هذا الإعلان ظلّ على طاولة البحث والتداول يبحث له عن مسوّغات مقنعة، إلى أن أعلن الحلف الأطلسي في بيان له صدر في 21 فيفري 1992 بأنّ الأصولية الإسلامية هي العدو القادم للحلف، حيث أنّ الإسلام يملك مقومات سياسية شبيهة بالشيوعية ويسعى لمناهضة المشروع الرأسمالي الإمبريالي، وهي حقيقة تمّ ترديدها إبان المنتصف الأوّل من القرن العشرين عندما واجه الغرب الشيوعية، غير أنّ العقيدة العسكرية اعتبرت أنّ الشيوعية عدوّ في عقر دارها وليس وراء الأسوار.³

في وثيقة أصدرتها وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون *Pentagone*) بعنوان: "*Joint vision*"، نشرت سنة 2000، حدّد العدو في القرن الحادي والعشرين بالإسلام، ثمّ بشكل ثانوي الصين، التي اعتبرها استراتيجيو البنتاغون: «قوة منافسة» "*Peer competitor*" حالياً وعدوّاً مستقبلاً⁴. وعلى هذا الأساس، وبعد انهيار الصورة الدعائية الجذابة عن "الحلم الأمريكي" "*American*

¹ Mehieddine Khelifa, (Le Complexe Militaro-Industriel), **El Watan**, mercredi 12 janvier 2005, P. 13.

² إسماعيل الشطي، مرجع سابق، ص. 140.

³ المرجع والصفحة.

⁴ www.Dtc.mil/jointvisionjvpub2.htm

« Dream » ، نمط المعيشة والفرص والمبادرة داخليا، والتدخل الإنساني، كما في البلقان، وقيادة العالم الحر على مستوى السياسة الخارجية، وبعد تأكيد عزلة الولايات المتحدة عالميا، وإفلاسها قيميا، باعتبار سياستها الخارجية غير عادلة ولا متوازنة (دعمها للدكتاتوريات وتأييدها المطلق واللامشروط للكيان الصهيوني)، بالإضافة إلى فقدانها لمبررات التدخل ونقص التأييد الدولي، جاءت أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001، بعد يومين أو ثلاثة أيام من اختتام أشغال مؤتمر ديريان ضد العنصرية، لتتحول الولايات المتحدة، إثرها، من قوة عسكرية إمبريالية منبوذة، إلى ضحية تحظى بتأييد مجمل دول العالم.

خلاصة واستنتاجات:

نؤكد في نهاية الفصل إلى أن البحث لم يكتف بدراسة مفهوم الطابع القومي الذي يمثل العادات المشتركة بين الناس داخل المجتمع، على الرغم من كون القيم والاتجاهات فضلا عن الثقافة والإيديولوجية السياسية، تشكل أهم العناصر المكونة له، وذلك بسبب كونه مفهوما إستراتيجيا جامدا، عكس مفهوم النمط القومي الذي ركزت عليه الدراسة، بصفته مفهوما ديناميكيا تطوريا وليس معطى ثابتا، مثله مثل شخصية الفرد. فبينما ترتبط دراسة الطابع القومي باكتشاف الشخصية الجمعية، تبحث دراسة النمط القومي في تحديد الطريقة التي تتعامل بها الشخصية الجمعية مع محيطها وتؤثر فيه... ومنه فإننا نورد الاستنتاجات التالية:

- تلعب القيم المهيمنة أو بتعبير أدق: قيم النخب المهيمنة، دورا حاسما في تشكيل الإطار الثقافي الذي يمثل النقاء مجموعة من العوامل والعناصر: الدينية - التاريخية، الفلسفية والسياسية، المكونة للنمط القومي الأمريكي والمؤثرة بشكل كبير (دون إغفال العوامل الجغرافية الأكثر ثباتا) في مسار إعداد وصياغة السياسة الخارجية الأمريكية.

- تؤثر العقيدة الدينية للجماعات المؤسسة، أي البروتستنتية الكالفينية العاكسة لديانة النخبة التي تمثل النواة الصلبة للحكم في أمريكا، تأثيرا بالغا في خيارات صانعي القرار، وذلك بشكل مبكر جدا؛ أي منذ نشأة الدولة الأمريكية، وتحرير موثيقها المؤسسة وبناء مؤسساتها الدستورية، وهو ما انعكس على كل الحياة السياسية عموما، وعلى اختيار ودعم المرشحين للرئاسة خصوصا؛ حيث تم انتقاء ودعم وانتخاب كل الرؤساء الأمريكيين من الأنغلو ساكسون البيض البروتستنتيين WASP باستثناء جون ف. كينيدي، الإيرلندي الكاثوليكي، وقد تم اغتياله، ثم باراك أوباما، البروتستنتي الأسود من أم بيضاء، لظروف خاصة ومن أجل تحقيق أهداف استثنائية، سوف يتعرض لها البحث بالتفصيل.

- بينما يلقي الآباء المؤسسون Founder Fathers إجماعا واسعا واحتراما كبيرا في أوساط النخب السياسية والأكاديمية على حد سواء، وبينما يشكل الـ WASP نواة الحكم الصلبة للنظام الأمريكي، تم الانفتاح على المهاجرين الأوروبيين البيض من جنسيات مختلفة: سويدية، ألمانية، فرنسية، هولندية... الخ، ودمجهم في مجتمع المواطنين، حيث ظلت المواطنة الأمريكية الكاملة، لمدة زمنية طويلة، حكرا على البيض من ذوي الأصول الأوروبية، بينما أبيد السكان الأصليون (هنود أمريكا)، استُبعد السود وهُمّش الآسيويون واللاتينيون، وهو ما يفسر النزعة الإثنومركزية على مستوى الخطاب الرسمي، والعنصرية البيضاء على مستوى السلوك السياسي.

- تتشكل محددات النمط الأمريكي من اندماج تمازجي غريب ومتناسك لقيم دينية، فلسفية وسياسية، شكلت بدورها دافعا لصانع القرار في الولايات المتحدة ومبررا لسياسة عامة عنصرية، وسياسة خارجية توسعية تعتمد على القوة المادية المفرطة والإبادة الجماعية؛ حيث أثر تكريس مفاهيم: دينية على غرار شعب الله المختار، أرض الميعاد أو جيروزالم الجديدة، المدينة التي تضيء فوق النلة، والقدرية الظاهرة... سياسية على منوال السيادة، الانعزالية والديمقراطية الليبرالية... فلسفية مثل: أسطورة الحدود، الداروينية الاجتماعية والبراغماتية... أثر تكريس كل هذه المحددات القيمية، دينية ودينيوية، في صناعة خطاب سياسي تبريري لسياسة خارجية عدوانية، توسعت على حساب جيرانها، بقوة السلاح (القوة العسكرية) وقوة الدولار (القوة الاقتصادية)، وصنعت، بالإضافة إلى الاعتماد الكبير والمبكر على العلم والبحث والتطوير والتكنولوجيا، مجد أمريكا المبني على ثلاثية: الجندي، التاجر والراهب.

- تضيف الثلاثية المذكورة أعلاه، إلى جانب الدافع الداخلي الوجداني، الحافز المادي المحرك، والذي يُعرف بـ: المصلحة القومية أو الوطنية، وهي عادة ما تعبر عن مصلحة النخب المهيمنة أو على أقل تقدير، عن رؤيتها هي لما هو صالح للوطن؛ حيث بمجرد تحديدها (أي المصلحة القومية) بدقة، تتم هندسة السياسة الخارجية وصياغتها ثم يجري تنفيذها ودراسة تغذيتها الاستراتيجية لتكييفها وإنجاح مراحلها وتحقيق أهدافها. ترتبط المصلحة القومية بسلم القيم والإيديولوجيات الاستراتيجية الأمريكية، أين يمتزج مفهوما: القيم والمصلحة؛ حيث يُعتبر الأمن وبعض المفاهيم القاعدية التي على أساسها تُصاغ السياسة الخارجية وتُرسَم الإستراتيجيات، وفي آن معا: مصلحة قومية وقيمة عليا.

- بينما يُضفي الخطاب الرسمي مسحة إنسانية صرفة على مفاهيم معبرة عن سياسات مميزة، مثل الانعزالية، يثبت التطبيق العملي واقعية السياسة والطابع الإستراتيجي لتقدير القوة ورسم الأهداف ذات المدى البعيد، والتي تتجاوز سياسات الحزبين والعهدتين الرئاسيتين؛ حيث أدى التطبيق الإستراتيجي والتقدير السليم لميزان القوة، مع تسريع مدروس وقوي لحركة التنمية والتطوير، إلى توسع متدرج، بدأ بتوسيع الحدود الإقليمية إلى غاية بلوغ المحيط الهادي غربا، ثم تدرج إلى الانفراد بالهيمنة على القارة الأمريكية، لتصل الهيمنة الأمريكية التوسعية إلى الكرة الأرضية: برا، جوا، بحرا وفضاء؛ أين توزعت مئات القواعد العسكرية تقودها عشرة مراكز قيادة، تم تصنيفها وفقا لمعيارين اثنين: جغرافي ووظيفي.

- أدى انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من بروتوكول كيوتو، على الرغم من كونها المصدر الأول لانبعاث الغازات الدفيئة في العالم وكون البروتوكول محل إجماع عالمي (أطرتة الأمم المتحدة وصادقت عليه 191 دولة)، ثم فشلها وانسحاب وفدها، بمعية وفد الكيان الصهيوني، من مؤتمر ديربن بجنوب إفريقيا (الذي أدان عنصرية الحركة الصهيونية)، إلى انكشاف قيمي غير مسبوق، وكشف عن عزلة دولية متزايدة شكلت تهديدا حقيقيا للمصالح الأمريكية العالمية، وفشلا ذريعا للنموذج القيمي

والإيديولوجي الأمريكي، وطرح إشكاليتين كبيرتين، حول أولوية المصالح: أمريكية أو صهيونية، مبرزاً للمدى الخطير الذي بلغه التغلغل الصهيوني في الدوائر المركزية للقرار، من جهة، وحول أولوية المصالح على القيم من جهة ثانية.

- تأكيداً لتهديد "جيورجي أرباتوف" وفي غياب العدو الإستراتيجي الذي مثل الدافع الحيوي إلى التفوق وتحقيق النصر والهيمنة، مرت الولايات المتحدة بفترة اللايقين الإستراتيجي، وعانت من انكشاف وعزلة، جعلتها دولة عنصرية (تؤيد الأبارتايد الصهيوني)، لديمقراطية (تدعم الدكتاتوريات في الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية)، لا إنسانية (معادية للمناخ والمبادرات الدولية)... في مواجهة دول العالم، إلى أن تعرض إقليمها ورموز قوتها لهجمات إرهابية مروعة، شكلت بالمقابل فرصة كبيرة في طريق كسب التأييد الدولي واستعادة المكانة وتوفير هامش واسع لتحقيق الأهداف الإستراتيجية وتبرير الحرب والغزو والإنفاق العسكري المرتفع.

الباب الثاني

أحداث 11 أيلول / سبتمبر 2001 وتفكيك السياسة
الخارجية الأمريكية: - ميزان القيم والمصالح

الباب الثاني: أحداث 11 أيلول / سبتمبر 2001 وتفكيك السياسة الخارجية الأمريكية:**- ميزان القيم والمصالح**

قلبت هجمات الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001 (9/11) وضعية الولايات المتحدة، من قوة إمبريالية منبوذة، تقوم سياستها الخارجية على التوسع و العدوان و دعم العنصرية والدكتاتوريات الدموية، إلى ضحية تكسب تعاطف العالم بأسره، و تثير الخوف الدولي من ردود فعلها التي قد تنتسم باللاعقلانية الإنتقامية.

يتناول الباب الثاني بالتحليل: الأحداث نفسها، ثم مستوى تفسيرها و تبريرها، ومدى توظيفها في صياغة سياسة خارجية أمريكية لما بعد 9/11. يركز تفكيك سياسة الولايات المتحدة الخارجية، علاوة على العوامل و القطاعات، تحديد الفواعل، قيما و إيديولوجيات، جماعات إثنية - دينية و مؤسسات لا رسمية، جامعة للمصالح و حاملة للقيم، ثم مؤسسات رسمية صانعة لقرار دستورية الطابع، و تحليل العمليات المناقضة للخطابات الرسمية و الوثائق المعلنة و السياسات المنشورة.

الفصل الثالث

التحليل القيمي / الإستراتيجي لأحداث 9/11

الفصل الثالث: التحليل القيمي/الاستراتيجي لأحداث 11 سبتمبر 2001

ابتداء من صباح الحادي عشر من أيلول-سبتمبر 2001، تركز اهتمام الإعلام العالمي على ما وُصف بأنه منعرج خطير وغير عادي في تاريخ الولايات المتحدة والعالم، أين "تعرضت رموز أمريكا السياسية، العسكرية والاقتصادية لهجوم انتحاري خاطف أسفر عن التدمير الكامل لمركز التجارة العالمي في نيويورك المكون من برجين عملاقين، بالإضافة إلى تدمير الجانب الشمالي الغربي من البنتاغون معقل وزارة الدفاع الأمريكية"¹. لقد اعتبر بعض الباحثين هجوم الطائرات الانتحاري على برج مركز التجارة العالمي والبنتاغون من أكبر المفاجآت التي هزت العالم بأسره، "حيث شوهد أسوأ الحوادث الإرهابية في التاريخ، والتي وصلت في بشاعتها إلى الحد الذي لم يخطر على ذهن أحد من خبراء الأمن القومي الأمريكي"². حتى إن التقرير الأمريكي الرسمي حول الهجمات الإرهابية، وصف يوم الهجمات، أي 11 سبتمبر 2001، بأنه "كان يوم صدمة ومعاناة غير مسبوق في تاريخ الولايات المتحدة"³ بل إنها، حسب تعبير أحد أبرز الكتاب الإنجليز، "كارثة أحدثت تغييرات في نظام العالم لم يسبق لها مثيل"⁴

وأهم ما أطاح به الحدث، ذلك اليقين الراسخ في وجدان الشعب الأمريكي والإدارات المتعاقبة، في إدراك الإستراتيجيين وصانعي القرار ومختلف المؤسسات السياسية، بأن أمريكا، بين محيطين شاسعين وفي حماية قوتها العسكرية الأسطورية، آمنة وبعيدة عن مشكلات العالم ومخاطره. ووسط ذهول الصدمة التي انتشرت أمواجها من موقع الحدث إلى داخل الولايات المتحدة ثم إلى أرجاء المعمورة خارجها، برزت تساؤلات كثيرة تبحث عن إجابات وسط الركام والدخان المتصاعد إلى عنان السماء، والذي لم ينقشع إلا بعد عدة شهور من حدوث المأساة.

ورغم أن قائمة التساؤلات كانت طويلة، إلا أن عددا قليلا سبق الجميع يبحث عن وصف مناسب لما حدث، ودلالاته الأمريكية والدولية، وعن كيفية نجاح مجموعة صغيرة من البشر، وانطلاقا من كهوف تورابورا، في القيام بتلك المهمة المعقدة ضد معازل أمريكية من المفترض أنها حصينة وتحت حماية كاملة، وعن الظروف الدولية والأمريكية التي سبقت الأحداث وأدت إليها وأثرت فيها ..

¹ محمد قدرى سعيد، عبد المنعم سعيد، 11 سبتمبر 2001، الأفكار والأسرار، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الطبعة الثانية، 2002، ص. 13.

² نسيم بلهول، عن الجيوستراتيجية، الطبعة الأولى، الجزائر، إين النديم للنشر والتوزيع، 2015، ص. 302.

³ Philip Zelikow and others, **the 9/11 commission report: final report of the national commission on terrorist Attacks upon the united states**, first edition, New York, London, Norton et company, (Preface) P. xv.

⁴ نفيذ مصدق أحمد، الحرب على الحرية، كيف ولماذا تم الهجوم على أميركا في 11 سبتمبر 2001، الأردن، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، (دون ذكر المترجم)، 2002، ص. 7.

بدأ الهجوم صباح يوم الثلاثاء 11 سبتمبر 2001 في الساعة 8:45 بتوقيت نيويورك، باصطدام انتحاري مباشر لطائرة ركاب تجارية من طراز بوينغ 767 تابعة لشركة "أميريكان إيرلاينز"، تحمل على متنها 92 شخصا، بالجزء العلوي من البرج الشمالي لمركز التجارة العالمي في نيويورك، بعد أن قام مختطفوا الطائرة بالانحراف بها عكس مسارها الأصلي بين بوسطن ولوس انجلوس . وفي التاسعة وثلاث دقائق 09:03 اصطدمت طائرة ثانية من طراز بوينغ 767 تابعة لشركة "يوناييتد إيرلاينز" بالبرج الثاني الجنوبي وكانت تحمل 65 شخصا، بعد أن تم تحويل مسارها بين بوسطن ولوس أنجلوس إلى نيويورك أيضا، وأعقب ذلك في التاسعة وثلاث وأربعين دقيقة 09:43 اصطدام طائرة بوينغ ثالثة من طراز 757 تابعة لشركة أميريكان إيرلاينز قادمة من مطار دالاس الدولي بواشنطن بمبنى البنتاغون، محدثة فيه فتحة واسعة عرضها مائة قدم مما أدى إلى مقتل 64 شخصا هم كل ركاب الطائرة وحوالي 125 من العاملين في البنتاغون . وفي العاشرة وعشر دقائق 10:10 ، سقطت طائرة رابعة من طراز بوينغ 757 تابعة لشركة "يوناييتد إيرلاينز" في سومرست بالقرب من مدينة بيتسبيرغ بولاية بنسلفانيا، وكان على متنها 45 راكبا، وكانت في رحلة بين نيويورك وسان فرانسيسكو. وهناك اعتقاد أن هدف خاطفي هذه الطائرة كان الاصطدام بالبيت الأبيض أو مبنى الكابيتول أو منتجع كامب ديفيد أو الاصطدام بطائرة الرئيس أثناء تحليقها في الجو¹.

ولقد تسبب هجوم الطائرات المحملة بالوقود في الانهيار الكامل للبرجين الذين يصل ارتفاعهما على التوالي 417 و415 مترا مقسمين إلى 110 طوابق، ويعمل بهما حوالي 40 ألف شخص ويزورهما يوميا قرابة 150 ألفا.

وكان انهيار البرج الجنوبي في العاشرة وخمس دقائق 10:05 والشمال في العاشرة وثمان وعشرين دقيقة 10:28².

وأدى انهيار البرجين إلى تطاير آلاف الأطنان من الحطام في الشوارع المجاورة، وخلف سحابة ضخمة من الغبار الكثيف غطت كامل منطقة جنوب مانهاتن بطبقة سميكة من التراب، وأعلن أيضا وسط تلك الأجواء عن انفجار سيارة بالقرب من مقر وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن.

غالبا ما قورنت هجمات 9/11 بالهجمات على بيرل هاربر، فقد كتب المراسل الصحفي المحقق جيمس بامفورد، عن تصرف بوش بأنه "في معمعة بيرل هاربر معاصرة"³، كما صرحت شبكة سي بي

¹ محمد قدرى سعيد، مرجع سبق ذكره، ص ص. 13-14.

² The 9/11 Commission Report , Op-Cit, PP. 1-14.

³ دافيد راي قريفين، شبهات حول 9/11، أسئلة مقلقة حول إدارة بوش وأحداث 9/11، ترجمة مركز التعريب والترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للعلوم، 2005، ص. 13.

إس للأخبار بأن الرئيس نفسه، قبل أن يذهب إلى فراشه في 9/11، كتب في مفكرته: "وقعت اليوم بيرل هاربر القرن الواحد والعشرين"¹.

كان وصف المراقبين المبكر للحدث بأنه "بيرل هاربر" أخرى بداية لوضعه في مصاف الأعمال العسكرية الخاطفة الكبرى وعدم الاكتفاء بالنظر إليه على أنه مجرد عملية خطف عادية لطائرات مدنية، رغم أن تنفيذ العملية كلها لم يستغرق إلا حوالي ساعتين من الزمن . ومع توالي الكشف عن التفاصيل بدت عملية الهجوم المذهلة عملا رفيعا من أعمال القوات الخاصة ذات التخطيط المحكم والإعداد المتأنى ، وتجلى تفرداها في اختيار الأهداف وما تمثله من قيمة ورمز . ومن ناحية الخسائر، أوحى مشاهد الدمار من اللحظة الأولى بأنها ستكون هائلة بكل المقاييس : بشريا وسياسيا وعسكريا.

فجانب الخسائر البشرية حفرت الأحداث المتسارعة علامات في التاريخ الأمريكي مؤلمة ومهينة ، معظمها يسبقه وصف "أول مرة" ..، فلأول مرة تغلق المطارات الأمريكية كلها أمام الطيران المدني، ولأول مرة يتعرض البنتاغون لضربة عسكرية منذ انتهاء بنائه في 1943، وكذلك كان يحدث لأول مرة إغلاق بورصة الأوراق المالية، وقاعة الاستقلال، ومترو الأنفاق، وديزني لاند، وغير ذلك من الأماكن ذات القيمة الاقتصادية والثقافية الفريدة والتي تعرف بها أمريكا بين بلاد العالم².

¹ المرجع والصفحة. (حتى إن العنوان الأصلي لكتاب غريفين هو: "بيرل هاربر جديدة " The New Pearl Harbor ».

² محمد قدري سعيد، مرجع سبق ذكره، ص. 15.

المبحث الأول: تفسير الأحداث: فرضية الحرب على النمط القومي وإخفاق الوكالات الأمنية

ترتكز رؤيتنا كل من البيت الأبيض والمخابرات المركزية على مقولة إخفاق وكالات الأمن وعجزها عن الإستشراف والتنبؤ وعن اتخاذ التدابير الوقائية الكافية، وتستند إحدهما على الأخرى لتعضدها، فيما تتسابق وسائل الإعلام على تسويقها وترسيخها، مكونة بذلك رأياً عاماً أمريكياً محلياً ورأياً عاماً عالمياً.

المطلب الأول: الرواية الرسمية: عملية PENTTBOM

وفقاً لتصريحات الرسميين ووثائق المحققين التابعين للهيئات الرسمية الأمريكية، وعلى رأسها تحقيق الكونغرس، تُعبّر الهجمات الإرهابية التي استهدفت رموز القوة الأمريكية وأنتجت دماراً هائلاً وضحايا كثرًا، عن فشل ذريع للوكالات الأمنية؛ لتدابيرها الدقيقة، لإجراءاتها العملية النمطية ولتكنولوجيتها العالية « High Tech »، مما استدعى إجراء تحقيق دقيق وموسع يمسح "الحقائق والظروف المتعلقة بهجمات 11 سبتمبر الإرهابية، بما فيها تلك المتعلقة بوكالات الاستخبارات، وكالات تنفيذ القانون، الدبلوماسية، قضايا الهجرة ومراقبة الحدود، تدفق الأصول إلى المنظمات الإرهابية، الطيران التجاري، الدور الرقابي للكونغرس وتخصيص الموارد، ومجالات أخرى تحددها اللجنة ذات الصلة (بالتحقيق)".¹ بل إن كثيراً من المختصين، أمريكيين وغير أمريكيين، يتفقون مع الرواية الرسمية بخصوص الفشل الأمني، حيث فشل "مائة ألف شخص من عملاء المخابرات الأمريكية بجميع صورها وأشكالها وتنظيماتها، في منع كارثة 11 سبتمبر 2001 أن تحدث أو يندروا بحدوثها... على الرغم من ميزانية CIA التي تتعدى ثلاثين ملياراً من الدولارات في العام الواحد بما فيها العمليات المغطاة"² بل "إن ما حدث في 11 سبتمبر 2001، هدم نظرية الأمن الأمريكي، التي كانت تعيش تحت حماية المحيطين الهادي والأطلسي وفي وقاية من جهة الفضاء..."³

جاء تسلسل هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001 بالشكل التالي:

* 08:45: اصطدمت طائرة الخطوط الجوية الأمريكية، الرحلة 11 الآتية من بوسطن بالبرج الشمالي لمركز التجارة العالمي.

* 09:03: اصطدمت طائرة الخطوط المتحدة، الرحلة 175 الآتية من بوسطن بالبرج الجنوبي.

* 09:40: اصطدمت طائرة الخطوط الجوية الأمريكية، الرحلة 77 الآتية من دالاس بالبينتاغون.

¹ The 9/11 Commission Report, Op-Cit, Preface, P. xv.

² نسيم بلهول، مرجع سبق ذكره، ص ص. 303-303.

³ المرجع نفسه، ص. 303.

* 10:10: تحطمت طائرة الخطوط المتحدة، الرحلة 93 الآتية من نيويورك (نيو جرزي) في شانكسفيل، بنسلفانيا.¹

حسب تحقيق أجراه "جارد إسرائيل" « Jared Israel » ، فإن قاعدة أندروز لسلاح الجو هي منشأة عسكرية ضخمة تبعد حوالي عشرة أميال من البنتاغون. وفي الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، كان سربان كاملان من الطائرات الحربية جاهزين في القاعدة. كان عمل الطائرات هو حماية أجواء العاصمة واشنطن، ولكنها فشلت في القيام بدورها. وعلى الرغم من الإنذار الذي سبق الاعتداء الإرهابي قبل أكثر من ساعة، لم تحاول أي طائرة من قاعدة أندروز الدفاع عن المدينة. ولإدارة الدنية للطيران "أف.إي.إي" (FAA : Federal Aviation Administration) ومركز القيادة الشمالية للجيش "نوراد" (NORAD : North American Aerospace Defense) تدابير مشتركة تسمح للطائرات الحربية باعتراض طائرة تجارية تلقائياً في حالات الطوارئ، لكنها لم تُتبع.²

بعد الهجمات، أطلق مكتب التحقيقات الفدرالي الأمريكي أكبر عملية بحث وتحقيق في التاريخ تحت الاسم المختصر "بانتبوم" « PENTTBOM » اختصاراً لكلمات « Pentagone Twin Towers Bombing » ، قاد العملية نائب مدير المكتب توم بيكارد من "مركز المعلومات والعمليات الخاصة" في واشنطن، وعمل معه فريق من 4000 عامل مهمتهم الأساسية جمع المعلومات، بالإضافة إلى 3000 محلل للمعلومات التي يتم جمعها. وكانت الأولوية لجميع كل الآثار الممكنة والأوراق والملفات لمجموعة الأفراد الذين نفذوا هجوم 11 سبتمبر والداعمين لهم بعد أن وضعت قائمة أولية بالأسماء. تطلب ذلك البحث التفتيش في كل الأماكن المحتمل مرورهم بها مثل أماكن التعليم والتدريب والفنادق والبنوك وغيرها داخل وخارج الولايات المتحدة الأمريكية.³

نشأ في البداية تصور مبدئي، أن مجموعة العمل المشاركة في هجوم 11 سبتمبر يصل عددها إلى 30 شخصاً، وأن فصيلة التنفيذ أو "الضرب" لم تكن وحدها بل كانت محاطة بمجموعات أخرى مالية وإدارية ومعلوماتية، أما الأفراد فقد كانوا حاملين لجوازات سفر لدول مختلفة مثل السعودية والإمارات ولبنان، وهناك قدر من الإجماع على أن التحقيق الذي جرى حول أحداث 11 سبتمبر كان غير مسبوق في حجمه وتفاصيله وعدد الأفراد والوكالات والدول التي شاركت فيه. وقد أفضى التحقيق بسرعة إلى الكشف عن خلايا منتشرة لتنظيم القاعدة على امتداد قارات العالم الرئيسية من أمريكا اللاتينية إلى أوروبا وآسيا وأفريقيا، وأن التخطيط للعملية قد بدأ على الأرجح في سنة 1999 مع بداية

¹ نفيذ مصدق أحمد، مرجع سابق، ص. 193. The 9/11 Commission Report, Op-Cit, PP. 1-14.

² Ibid.

³ محمد قدرى سعيد، مرجع سبق ذكره، ص. 39.

التحاق عدد من المشاركين بمدارس تعليم الطيران في الولايات المتحدة الأمريكية، وأن الهجوم على الأهداف الأمريكية قد قام به 19 فردا مقسمين إلى أربع مجموعات مستقلة من ناحية مكان العمل والهدف المطلوب تحقيقه، لكن تجمعهم قيادة واحدة خفية ربما داخل أمريكا أو خارجها، مع وجود اعتقاد آخر أن محمد عطا كان هو رئيس العملية كلها.

ومن ناحية التقسيم العام، يمكن النظر إلى المجموعة كلها على أساس أنها مقسمة إلى نوعين من الأفراد: النوع الأول وعددهم 06 يمثلون القادة وهم الأكبر سنا وقد وصلوا إلى الولايات المتحدة مبكرا في سنة 2000، معظمهم إما يحمل رخصة قيادة للطائرات أو تدرب لفترات معينة في مدارس تعليم الطيران بغرض الاستعداد للعملية.

والنوع الثاني وهم من الأفراد الأقل سنا عددهم 13 شخصا وصلوا إلى الولايات المتحدة قبل العملية بشهور قليلة وكانت وظيفتهم السيطرة على ركاب الطائرة.¹

وقد ساعد على استكمال صورة التحقيقات الأوروبية والأمريكية أن دولة الإمارات العربية كانت قد قبضت في جويلية 2001 على جمال بغال وهو فرنسي مسلم من أصل جزائري. اعترف بغال بأنه يتراس شبكة من الخلايا في أوروبا عن طريق أبو زبيدة مبعوث بن لادن. وكان أبو زبيدة المقبوض عليه في الولايات المتحدة قد قام بمثل هذا الدور في عملية تفجير السفارات الأمريكية وفي عملية مؤامرة الأفية. وأدت المعلومات التي حصلت عليها أجهزة الأمن الفرنسية من الإمارات إلى منع كثير من التفجيرات في أوروبا قبل حدوثها. ونتج عن هذا التنسيق في بداية 2001 إحباط عدد آخر من العمليات الإرهابية ضد سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في إيطاليا والمركز الثقافي الأمريكي في باريس، وأشارت بعض التقارير إلى أن البرلمان الأوروبي في ستراسبورغ كان أيضا هدفا محتملا للإرهاب.

مثلت ألمانيا عقدة اتصال أساسية بالنسبة لعملية 11 سبتمبر، فقد كشفت التحقيقات أن عددا من المشاركين في العملية قد عاش في ألمانيا لفترات طويلة قبل أن يذهب إلى الولايات المتحدة للتدريب على قيادة الطائرات، وفي سجلات "الجامعة التقنية" Technical University القريبة من مدينة هامبورغ وجدت أسماء سبعة طلاب مسجلين في الجامعة ضمن قائمة الثلاثة عشر اسما التي قدمها مكتب التحقيقات الفدرالي إلى عميد الجامعة، كانت المباحث الألمانية قد استطاعت قبل ذلك تحديد أربعة أسماء لطلبة درسوا في مدينة هامبورغ لهم تصرفات مشبوهة وظهرت أسماؤهم ضمن الحاجزين لأماكن على الطائرات المخطوفة في أمريكا، ومع تقدم البحث ظهر أن اثنين من اللذين قادوا الطائرات

¹ المرجع والصفحة.

بعد خطفها وهما مروان الشحي ومحمد عطا، قد عاشا معا في شقة واحدة في هامبورغ حتى جوان 2000، وكانت لهما علاقة وثيقة بتاجر سوري غني اسمه مأمون دركازانلي يمتلك صلاحيات الصرف من حساب مالي لأحد قياديي القاعدة.

وقد جمدت حسابات هذا الأخير في البنوك بواسطة السلطات الأمريكية والأوروبية ضمن حسابات 27 شخصية وهيئة أخرى، أما مروان الشحي فهو من الإمارات العربية وعاش في ألمانيا لسنتين طويلة وخلال الفترة من 1997 إلى 1998 سجل الشحي نفسه في جامعة بون تحت اسم مستعار، وفي سنة 1999 انتقل إلى هامبورغ لدراسة الإلكترونيات في الجامعة التقنية.

وليس معروفا على وجه التحديد أين تمت عملية تجنيد مروان الشحي ولا كيفية اتصال محمد عطا بالقاعدة وأسامة بن لادن.¹

إن عطا هو الذي لفت نظر المحققين إلى أهمية ألمانيا بالنسبة للعملية كلها، لقد بينت تصرفاته وعلاقاته مع الآخرين وسفره إلى أوروبا أنه قد يكون المسؤول عن العملية كلها إلا أن ذلك لم يتأكد بصورة كاملة.

لقد أوضحت مراقبة التليفونات في أوروبا أن مجموعة هامبورغ على علاقة بزكريا موسوي الذي يعتقد أنه العضو رقم 20 في مجموعة 11 سبتمبر الانتحارية، درس موسوي إدارة الأعمال في جامعة سوث بانك في لندن وتخرج في سنة 1995، غادر لندن في فيفري 2001 إلى الولايات المتحدة، حيث قبض عليه في 17 أوت 2001، ويعتبر موسوي واحدا من بين ستة تحفظ عليهم مكتب التحقيقات الفيدرالي كشهود إثبات على وجود المؤامرة، وربما يكون زكريا موسوي هو موضوع "الدليل" الذي هلت له الحكومة الأمريكية بدون أن تذكر اسمه صراحة وكشفته فقط لبعض الحكومات حتى تضمن تأييدها في حربها ضد أفغانستان، وتعتقد السلطات الفرنسية أنه سافر عدة مرات إلى أفغانستان، وتحيط به شكوك في أنه عضو في منظمة الجهاد وأحد العناصر الرئيسية لمنظمة القاعدة، وكان قد وضع على قائمة الاشتباه منذ سنة 1999.

بحث البوليس الألماني أيضا عن شاب آخر يسمى زياد سمير جراح بعد أن وجد اسمه مسجلا على الطائرة التي سقطت في بنسلفانيا، وبالبحث وجدوه مسجلا كطالب في كلية "التعليم المستمر" في هامبورغ وله صديقة في بلدة بوخوم قالت إنه لم يظهر منذ 11 سبتمبر، وقد عثر في مسكنها على

¹ المرجع نفسه، ص. 41.

كثييات عن الطيران والطائرات، وكان جراح قد جاء إلى ألمانيا لأول مرة سنة 1996 وبدأ في دراسة الطيران وتكنولوجيا النقل سنة 1997، ووجد مسجلا في الجامعة حتى سنة 2001.

وبحثت أجهزة التحقيق الألمانية أيضا عن الطالب سعيد باحاجي باعتباره مسؤول الشؤون اللوجيستية والإدارية للخلايا الإرهابية، وكانت مهمته تسهيل الحصول على تصاريح الدخول لأفراد المجموعة عند سفرهم للخارج وتوفير إقامة لهم في هامبورغ، ويحمل باحاجي الجنسية الألمانية وهو من أصل مغربي وخدم في الجيش الألماني في سنة 1999 حتى تم إعفاؤه لأسباب صحية، وعثر في شقته على أوراق تعبر عن إعجابه بالقيادات الإسلامية ومنهم بن لادن، ولوحظ أنه قد غادر ألمانيا إلى أفغانستان في 3 سبتمبر 2001.

وعضو تم اكتشافه هو رمزي بن الشيبية، عمره 29 سنة، سجل اسمه في إحدى مدارس تعليم الطيران في أمريكا لكنه لم يستطع الحصول على تصريح الدخول، ولهذا السبب لم يتمكن من تعلم الطيران في الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت آخر مرة شوهد فيها في هامبورغ في أغسطس /أوت 2000، خلال الحملة الانتخابية لاختيار رئيس أمريكي جديد، ثم بعدها خلال النصف الأول من سنة 2001. كان محمد عطا ومروان الشحي يقضيان وقتهما في التدريب على الطائرة "السيينا" الصغيرة فوق شواطئ فلوريدا. بدأ الإثنان برنامج التدريب في شهر جويلية 2000 في مدرسة هوفمان أفبيشن بفلوريدا، وكانا في عجلة من أمرهما، خاصة بالنسبة لتعلم قيادة الطائرات النفاثة الكبيرة دون اكتراث بضرورة أن يستكملا ألف ساعة من الطيران على الطائرات الصغيرة كشرط للانتقال إلى الطائرات الأكبر.

لم يكن محمد عطا ومروان الشحي وحدهما في الولايات المتحدة، ففي نفس الوقت كان هناك آخرون يحاولون تعلم قيادة الطائرات في وقت قصير، فمنذ سنة 1996 تدرب هاني حنجر على قيادة الطائرات وعمل في مركز "سي آر م" (CRM) للتدريب على الطيران المدني في منطقة سكوشدال في ولاية أريزونا، وفي عام 1999 وصلت ساعات طيران حنجر إلى 250 ساعة وأهله ذلك للطيران مع ممتحن من هيئة الطيران المدني ونجح فعلا في الحصول على رخصة قيادة للطائرات النفاثة، وخلال سنة 2001 أقام حنجر مع رجلين آخرين:

نواف الحزمي، وخالد المحضار في شقة بمدينة سان دييغو، كانت أسماء بعض المشاركين التسعة عشر في هجمات 11 سبتمبر 2001 على قائمة اشتباه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وأكدت المعلومات في صيف 2001 أن بعض الأسماء مثل خالد المحضار ونواف الحزمي لها علاقة بعملية تدمير المدمرة كول، ثم فجأة في جويلية 2001 تأكد وجودهما في الولايات المتحدة من خلال سجلات

خدمة الهجرة والتجنس التي بينت أنهما سبق وأن زارا الولايات المتحدة لوقت قصير سنة 2000، وأنهما يقيمان بعد عودتهما في جويلية 2001 في فندق ماريوت بنيويورك.

في 23 أوت تم إرسال اسميهما إلى مكتب التحقيقات الفدرالي من أجل وضعهما على قائمة المراقبة، وبحث المكتب عنهما في طول البلاد وعرضها دون فائدة لأنهما لم يتركا وراءهما عنوانا له قيمة، ولم يستطع مكتب التحقيقات الفدرالي الوصول إليهما حتى لحظة هجوم طائرتهم على البنتاغون، وأخيرا وبعد 11 سبتمبر فقط، نجح المكتب في الاستدلال على عنوانهما في منطقة كليرمنت في سان دييغو.

في يوم الثلاثاء، وصل أفراد الخلايا الأربع إلى مطارات الإقلاع، مجموعتان كل منهما مكونة من خمسة أفراد توجهتا إلى مطار بوسطن، والثالثة مكونة من خمسة أفراد توجهت لمطار نيويورك، والرابعة مكونة من خمسة أفراد توجهت إلى مطار دالاس بواشنطن، المجموعة الأولى مكونة من وائل الشهري ووليد الشهري ومحمد عطا وعبد العزيز العمري وسطام التهامي سعدوا إلى طائرة أمريكيان إيرلاينز الرحلة رقم 11 المتجهة إلى لوس أنجلوس وصدموها بها البرج الشمالي لمركز التجارة العالمي في نيويورك في الساعة 8:45 وبعد ذلك بدقائق قليلة استقل مروان الشحي وفايز الشهري ومهند الشهري وحمزة الغامدي وأحمد الغامدي طائرة يونيتد إيرلاينز رحلة 175 وبعد تحويل مسار الطائرة اندفعوا بها في اتجاه جسم البرج الجنوبي لمركز التجارة العالمي بعد 18 دقيقة من الهجوم على البرج الأول، وصعد إلى طائرة أمريكيان إيرلاينز رحلة رقم 77 من مطار دالاس الدولي خالد المحضار وماجد مقعد ونواف الحزمي وهاني حنجر وسالم الحزمي واتجهوا بها إلى البنتاغون واصطدموا به في الساعة 9:43، ومن مطار نيويورك استقل طائرة يونيتد إيرلاينز رحلة رقم 93 كل من سعيد الغامدي وأحمد الحزنأوي وأحمد النعمي وزيايد جراح الذين سقطت بهم الطائرة ومعهم الركاب والطاقم في بنسلفانيا¹.

يؤكد التقرير الرسمي عملية البحث الجارية عن عطا من طرف الوكالات الأمنية، إذ نجد في الصفحة الأولى من التقرير، عند الحديث عن الرحلات الأربع: " بوسطن: أمريكيان 11 ويونايتد 175.

استقل عطا وعمري الساعة 6:00 صباحًا، رحلة من بورتلاند إلى مطار لوغان الدولي في بوسطن..... تم اختيار Atta بواسطة نظام وصف طبي محوسب يعرف باسم CAPPS (نظام فحص الركاب بمساعدة الكمبيوتر) ، والذي تم إنشاؤه لتحديد الركاب الذين يجب أن يخضعوا لتدابير أمنية خاصة. بموجب القواعد الأمنية المعمول بها في الوقت المناسب ، كانت النتيجة الوحيدة لاختيار

¹ محمد قدرى سعيد، مرجع سبق ذكره، ص ص. / The 9/11 Commission Report, Op-Cit, PP. 1-46.

عطا من قبل CAPPS هي أن حقايبه التي تم فحصها كانت معلقة على الطائرة حتى يتم التأكد من أنه كان على متن الطائرة.¹ كما أنه تلقى مكالمة هاتفية دامت ثلاث دقائق، من مروان الشحي الذي كان يتواجد بمحطة أخرى من مطار لوغان، مثلما يؤكد محرروا تقرير الكونغرس، متسائلين عن مدى إعاقة الإجراءات الأمنية لخطة عطا، رغم كونه مسجلا على قائمة المطلوبين؟² إذن لا شيء يعيق تنقل مطلوب من الأمن الأمريكي بكل حرية...

المطلب الثاني: رواية "المخابرات المركزية" « CIA »: الضربة المرتدة Blow Back

* ظاهرة الضربة المرتدة (Blowback): هي تسمية لوكالة المخابرات المركزية "سي أي إي" (CIA) وتقصدها تحول المنظمات الإسلامية السياسية المقاتلة، وكذلك أفرادها، والتي خرجت من أعطاف الحرب الأفغانية ضد الإتحاد السوفييتي، إلى العداء لأمريكا... وهي نتيجة غير مقصودة لسياسة الحكومة الأمريكية وممارستها⁽³⁾.

فبالنسبة للأمريكيين، وربما بالنسبة للعالم كله، يبدو العالم بعد 11 سبتمبر مختلفا كثيرا عما كان عليه قبله، لكن من يدقق في مسار الأحداث وتفاصيلها منذ انتهاء الحرب الباردة وحتى يوم الهجوم على أبراج التجارة العالمي في نيويورك سوف يكتشف أن الأمور كانت تتحرك، وكانت الأحداث تتراكم في اتجاه وقوع حدث كبير من هذا النوع، ومع ذلك فشلت الأجهزة الأمنية في الغرب بشكل عام وفي الولايات المتحدة بشكل خاص في رؤية هذا التحرك والتنبؤ بالنتيجة التي سوف يفضي إليها قبل وقوعها.

بداية الطريق المؤدي إلى 11 سبتمبر كانت في أفغانستان، عندما قررت الولايات المتحدة في بداية سنوات الثمانين من القرن العشرين، مساعدة المجاهدين المسلمين، أو المقاتلين من أجل الحرية... ودعمهم بالمال والسلاح والتدريب لمحاربة القوات السوفييتية الموجودة هناك واستنزافها، لقد كانت الولايات المتحدة في الحقيقة هي صاحبة فكرة استخدام مفهوم الجهاد في الإسلام لزعزعة أركان الاحتلال السوفييتي في أفغانستان، وظلت الولايات المتحدة حتى 11 سبتمبر تعتقد أن عملية تسليح وتدريب المجاهدين المسلمين كانت أنجح العمليات السرية لوكالة المخابرات الأمريكية خلال الحرب الباردة⁽⁴⁾، حيث أكد "زبيغنيو بريجينسكي" مستشار الأمن القومي للرئيس "جيمي كارتر"، في حوار مع

¹ Ibid , P. 1

² Ibid.

³ سميح فرسون، (جنور الحملة الأمريكية لمناهضة الإرهاب)، المستقبل العربي، السنة 25، العدد 284 (تشرين الأول/أكتوبر 2002)، ص: 9، العرب والعالم بعد 11 سبتمبر، مركز دراسات الوحدة العربية، مرجع سبق ذكره، ص 190.

⁴ Le Nouvel Observateur, 15-21 Janvier, 1998, P. 76, http://www.entrefilets.com/bryjensky_eurasie.htm

جريدة Le Nouvel observateur الفرنسية سنة 1998، قائلاً: "قمنا بالفعل بمساندة المجاهدين قبل الغزو" واصفا لهذه العملية التي كانت سرية بـ"الفكرة المبدعة... وهي تهدف إلى دفع الروس للوقوع في الفخ في أفغانستان"¹. وهو ما أكده "روبرت غايتس" « Robert Gates » في مذكراته "من بين الضلال" قائلاً: "إن الاستخبارات الأمريكية بدأت بمؤازرة الثوار في أفغانستان قبل ستة أشهر من تدخل الاتحاد السوفياتي"². لكن العملية كلها انفجرت في الاتجاه المعاكس لأن الولايات المتحدة تخلت عنهم بعد أن حققت بهم ما كانت تريد.³

لقد بدأ الطريق إلى 11 سبتمبر مع انسحاب القوات السوفييتية من أفغانستان وعودة أعداد كبيرة من المجاهدين إلى بلادهم، ولجوء أعداد أخرى إلى الولايات المتحدة، بجوازات سفر وتأشيرات دخول رتبها لهم وكالة المخابرات الأمريكية، ولم يكن أمام هؤلاء المجاهدين بعد أن قاتلوا لسنوات طويلة تحت رايات دينية وبعد أن جمعتهم الظروف مرة أخرى معا في "مكتب الخدمات" في بروكلين في نيويورك، أو "معسكر الكفاح" كما كانوا يطلقون عليه، إلا أن يفرغوا طاقاتهم النفسية والفكرية في نفس اتجاهها السابق، فهؤلاء المجاهدون لم يكونوا مرتزقة يغيرون جلودهم بمجرد انتهاء مهمتهم، لكنهم كانوا من البداية أصحاب فكر ديني راديكالي يتفق تماما مع جهادهم ضد الروس الملحددين، ويتفق أيضا وربما أكثر مع حربهم بعد ذلك ضد الولايات المتحدة والغرب الكيان الصهيوني، المعادين من وجهة نظرهم للإسلام.

بالنسبة لهم كانت أفغانستان مجرد مكان يتدربون فيه لتغيير الأوضاع في بلادهم، وأيضا لتغيير العالم مثل أي مشروع فكري وسياسي طموح، وفي الحقيقة لم تقتصر عودة المجاهدين إلى الولايات المتحدة، بل عاد عدد كبير منهم إلى بلادهم واستأنفوا الجهاد كما يرونه من وجهة نظرهم في الجزائر ومصر واليمن، وباقي المنطقة العربية.

وبشكل عام تعرض العالم العربي والإسلامي لاجتياح فكري متطرف ومسلح تزامن مع سقوط الفكر الاشتراكي والشيوعي على مستوى العالم، ومع انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وقيام نظام للحكم فيه من القادة الدينيين⁽⁴⁾.

في تلك الفترة من نهاية الثمانينيات برزت شخصية السيد نصير داخل مكتب الخدمات بنيويورك وظهر معه صديقه الحميم محمود أبو حليلة، كان السيد نصير مهندسا أما أبو حليلة فقد عمل في إزالة الألغام أثناء وجوده في أفغانستان، ومن داخل مكتب الخدمات انطلقت أول عملية على مسرح الجهاد

¹ Ibid.

² Ibid، نفيز مصدق أحمد، مرجع سابق، ص. 27

³ محمد قدري سعيد، مرجع سبق ذكره، ص. 25.

⁴ محمد قدري سعيد، مرجع سبق ذكره، ص ص 25 - 26.

الجديد في نيويورك عندما أطلق نصير في 05 نوفمبر 1990 النار على حاخام يهودي متطرف يسمى مائير كاهانا داخل صالة مزدحمة بفندق ماريوت، كان كاهانا بالغ العدا والكرهية للعرب والمسلمين، ولم يكن يخفي أمنيته في تخليص إسرائيل من "الكلاب العرب" على حد وصفه، ووجدت المباحث الفدرالية عند تفتيش منزل نصير أوراقا بها معلومات عن كيفية صنع القنابل، وصورا لمبان مشهورة داخل الولايات المتحدة مثل مبنى "الأمباير ستيت" Empire State، ومركز التجارة العالمي في نيويورك.

ولم يمض إلا وقت قصير حتى انفجرت سيارة في 26 فيفري 1993 بها 700 كلغ من المواد المتفجرة داخل مرآب مركز التجارة العالمي في نيويورك، ونتج عن هذا الحادث مقتل ستة أفراد وجرح أكثر من ألف شخص، واكتشف المحققون أن الهدف من العملية كان تدمير المركز بالكامل، وأن المادة المتفجرة كانت مخلوطة بمادة السيانييد التي تحولها عند انفجارها إلى سلاح كيميائي سام، واكتشف المحققون أيضا علاقة المنفذين للعملية بالشيخ عمر عبد الرحمان الزعيم الروحي لتنظيم الجماعة الإسلامية في مصر والذي دخل الولايات المتحدة أيضا بمساعدة المخابرات المركزية الأمريكية...

كان من بين المنفذين لهذه العملية رمزي يوسف الذي قبض عليه بعد فراره إلى باكستان وبعد القبض على صديقه عبد الحكيم مراد الذي كان يخطط لقتل بابا الفاتيكان في فيفري 1995. مارس رمزي يوسف وعبد الحكيم مراد مع التفكير في عمليات إرهابية مبتكرة، منها نسف مبنى وكالة المخابرات المركزية (CIA)، ومنشآت نووية، وغير ذلك من الأفكار الجديدة غير التقليدية، وحرص عبد الحكيم ومراد أيضا على حضور دروس لتعليم قيادة الطائرات.

وفي ديسمبر 1994 قامت الجماعة الإسلامية المسلحة الجزائرية (GIA) باختطاف طائرة إيرباص تابعة لشركة "إير فرانس" (Air France) تحمل 272 مسافرا، كانت الخطة بعد خطف الطائرة الاندفاع إلى فرنسا والاصطدام "ببرج إيفيل" الشهير (La Tour Eiffel) في عملية انتحارية، المشكلة التي واجهت الخاطفين، عدم استطاعة أي منهم قيادة الطائرة، وتمكن قائدها من خداعهم وهبط بها في مدينة مارسيليا الفرنسية حيث تمكنت قوات الأمن من اقتحام الطائرة وإنقاذ الرهائن.

ومن الواضح، حسب الرواية الرسمية الاستخباراتية، أن بيروقراطية رجال المخابرات الغربية قد منعتهم من الانتباه لتلك الأفكار الجديدة في اختيار الأهداف وفي طرق تدميرها، واعتبرت التصميمات

والأوراق التي وجدتتها عند تفتيش مقر إقامة هؤلاء المتطرفين مجرد أفكار خيالية، والمفاجأة، بالنسبة إليها، أن تلك الأفكار تحولت في 11 سبتمبر 2001 إلى حقيقة واقعة.¹

عقد من الصراع في أفغانستان، من 1979 إلى 1989، منح المتطرفين الإسلاميين نقطة للتجمع وميدانا للتدريب. حصلت الحكومة الشيوعية في أفغانستان على السلطة في عام 1978 لكنها لم تكن قادرة على إدامة سيطرتها. في نهاية عام 1979، أرسلت الحكومة السوفيتية وحدات عسكرية لضمان بقاء البلاد آمنة ضمن نفوذ موسكو. كان الرد حركة مقاومة وطنية أفغانية هزمت القوات السوفيتية.² من بين الشباب المسلم المتطوع، الذي تدفق من العالم إلى أفغانستان لالتحاق بالحرب والقيام بالجهاد ضد الغازي، وقد كانوا في معظمهم من الشرق الأوسط وبعضهم كانوا سعوديين، نجد أسامة بن لادن. في الثالثة والعشرين عند وصوله إلى أفغانستان عام 1980، كان بن لادن هو السابع عشر من بين 57 طفلاً من (أبناء) قطب قطاع البناء السعودي. كان قد التحق بجامعة عبد العزيز في المملكة العربية السعودية. حسب بعض الروايات، كان مهتماً بالدراسات الدينية، مستلهما من أشرطة التسجيلات الصوتية للخطب النارية التي كان يلقيها عبد الله عزام، فلسطيني وتلميذ للسيد قطب. كان بن لادن بارزا بين المتطوعين، ليس لأنه أظهر دليلاً على التعلم الديني، بل لأنه تمكن من الوصول إلى بعض ثروات عائلته الضخمة. فعلى الرغم من مشاركته الفعلية في معركة واحدة على الأقل، إلا أنه أصبح معروفاً بشكل أساسي كشخص ساعد بسخاء في تمويل الجهاد المعادي للسوفييت. يعتبر محرروا التقرير الرسمي الأمريكي بأن بن لادن فهم بشكل أفضل من معظم المتطوعين مدى اعتماد استمرار الجهاد في أفغانستان ونجاحه في نهاية المطاف على تأسيس منظمة أكثر تعقيداً تمتد تقريباً إلى جميع أنحاء العالم.³ تضمنت هذه المنظمة شبكات دعم مالي أصبحت تُعرف باسم "السلسلة الذهبية"، والتي تم جمعها بشكل رئيسي من قبل الممولين في المملكة العربية السعودية ودول الخليج الفارسي. تدفقت التبرعات عبر الجمعيات الخيرية أو المنظمات غير الحكومية الأخرى (NGOs). لقد استفاد بن لادن و"الأفغان العرب" بشكل كبير من الأموال التي جمعتها هذه الشبكة، التي قام عملاؤها بالتجول في الأسواق العالمية لشراء الأسلحة والإمدادات للمجاهدين أو "المحاربين المقدسين".⁴

إذن، برز أسامة بن لادن على مسرح الأحداث مشاركاً في الجهاد ضد الاحتلال السوفييتي في أفغانستان، ثم انتقل إلى السودان سنة 1991، وتعاون مع النظام الإسلامي هناك، ثم عاد إلى أفغانستان في سنة 1992 ليؤسس في فيفري "الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود

¹ المرجع والصفحة.

² The 9/11 Commission Report, Op-Cit, P. 55.

³ Ibid.

⁴ Ibid.

والصليبيين"، وهو إتحاد مجموعة من الفصائل الإسلامية يتبنى توسيع فكرة الجهاد إلى العالم كله، وظهر بيان إنشاء التنظيم في صحيفة القدس العربي اللندنية بتوقيع أسامة بن لادن عن تنظيم القاعدة، أيمن الظواهري عن تنظيم الجهاد، أبو رمضان ياسين عن الجماعة الإسلامية، والشيخ مير حمزة عن جمعية العلماء الباكستانية، وفضل الرحمان خليل عن الحركة الإسلامية بينغلادش.

شهدت سنوات التسعين من القرن العشرين عملية مراجعة عميقة لدور الأجهزة الأمنية في الدول الغربية، فتم الاستغناء عن أعداد كبيرة من الجواسيس بعد أن قلت الحاجة إليهم بسبب انتهاء الحرب الباردة، وخفضت الميزانيات المخصصة للحصول على المعلومات السرية، وبدأ الحديث عن دور جديد للمخابرات يميل أكثر ناحية جمع المعلومات الاقتصادية والتكنولوجية، أما من ناحية الأدوات المستخدمة وطرق العمل فقد ازداد الاعتماد على الوسائل التكنولوجية مثل التجسس البصري باستخدام الأقمار الصناعية، والتجسس على وسائل الاتصالات الهاتفية وعلى وسائل الإنترنت (Internet) وتحول الاهتمام إلى جمع المعلومات من مصادرها العلنية أو المفتوحة مثل الصحف والمجلات ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة والتجمعات المدنية بهدف تطوير رؤية جديدة للسيطرة الاجتماعية والسياسية.

ومع تصاعد خطر الإرهاب واحتمالات تعرض الأرض الأمريكية نفسها لتهديدات جديدة من الخارج يمكن أن تضرب بنيتها العمرانية والبشرية والمعلوماتية، بدأ الإلحاح على أهمية التنسيق بين وكالة المخابرات الأمريكية (CIA) ومكتب التحقيقات الفدرالي (FBI) لمواجهة الطبيعة الخاصة للإرهاب نظراً للتداخل المتوقع بين وزارتي الداخلية والخارجية، واستجابة لذلك، تم إنشاء مركز لمقاومة الإرهاب، في الدور الأرضي داخل مبنى وكالة المخابرات الأمريكية في لانغلي بفرجينيا، ومن خلال التطبيق العملي برزت صعوبات كثيرة في التنسيق بين الإدارتين، وفي بناء جسور مشتركة بينهما، فالمخابرات المركزية تفضل وتجيد المراقبة وجمع المعلومات على مهل، أما المباحث الفدرالية فتميل أكثر إلى سرعة الوصول إلى الجاني والقبض عليه، ولم يكن هناك من الناحية المؤسساتية على مستويات الحكومة العليا من يملك السلطة التي تؤهله لفرض التعاون والتنسيق على الوكالتين أو معاقبة الخارج منهما عن المسار، خاصة أن موضوع الإرهاب لم يكن ملحا بالنسبة لإدارة الرئيس كلينتون المشغولة في ذلك الوقت بمشكلة البوسنة.

في هذا التوقيت الحرج الذي تمر فيه أجهزة الأمن والمعلومات في الولايات المتحدة بتحويلات هيكلية وفكرية تعرضت معسكرات الجيش الأمريكي في أبراج الخُبر بقاعدة الملك عبد العزيز الجوية في الظهران بالمملكة العربية السعودية لهجوم بعربة معبأة بشحنة كبيرة من المتفجرات في 25 جوان 1996، نتج عنه مقتل نحو عشرين أمريكياً ومئات من الجرحى، وعكست عملية الخُبر حدود التعامل

مع الإرهاب كجريمة عادية، وكذلك صعوبات التعاون والتنسيق بين أجهزة المخابرات والتحقيقات الأمريكية والسعودية نتيجة اختلاف القيم، وأساليب العمل ورفض السلطات المحلية تدخل الأجهزة الأمنية الخارجية في عملها.

وفي أوت 1998 وبأسلوب نفسه، أي استخدام العربات المفخخة بالمتفجرات، تم تفجير سفارتي الولايات المتحدة الأمريكية في تنزانيا وكينيا، وقتل في العملية أكثر من 244 شخصا، منهم 12 أمريكيا. في هذه العملية الكبيرة سجل تنظيم القاعدة نقاطا كثيرة لصالحه، فقد استطاع تفجير سفارتين في بلدين مختلفين في توقيت واحد وبدقة عالية وبدا واضحا فشل المخابرات الأمريكية في التنبؤ بالحادث قبل وقوعه، وأيضا فشلها في اختراق شبكة تنظيم القاعدة واشتعلت بين القاعدة ووكالات الأمن الأمريكية حرب ضروس علنية حينما وخفية في معظم الأحيان، وكثفت الوكالات الأمريكية من أنشطة التنصت على اتصالات تنظيم القاعدة في مواجهة نشاط مضاد من تنظيم القاعدة لإغراق الوكالات الأمريكية في سيل من المعلومات المشوشة . وانتقاما لتدمير السفارتين استخدمت الولايات المتحدة صواريخ كروز (Cruise) بعيدة المدى في ضرب مصنع أدوية في السودان (الشفاء)، بحجة قيامه بإنتاج مواد تصلح لتطوير أسلحة كيميائية وفي ضرب معسكرات تدريب للقاعدة في أفغانستان واكتشفت وكالة المخابرات المركزية أهمية استخدام عملاء يجيدون العربية ويتولون بدورهم تجنيد عملاء آخرين في محاولة لاختراق خلايا تنظيم القاعدة، وفي تلك الفترة تعرفت المخابرات الأمريكية على علي محمد وهو ضابط مصري سابق التحق بالجيش الأمريكي واتصل بسيد نصير في مكتب الخدمات وسافر إلى أفغانستان وحارب مع المجاهدين وعمل بعد ذلك كعميل مزدوج بين الأمريكيين والجماعات الإسلامية المتطرفة ومن خلاله عرفت المخابرات الأمريكية بوجود صلة بين بن لادن وبين محاولة تفجير مركز التجارة العالمي في نيويورك سنة 1993، وهذا الرجل هو أيضا أول من شرح للمخابرات الأمريكية كيفية استخدام بن لادن للعملاء النائمين أو الخلايا النائمة وكيفية تنشيطها عند اللزوم⁽¹⁾.

شهدت السنوات الأخيرة من التسعينيات أكثر من فشل لوكالة المخابرات الأمريكية وبدا ضعفها في جمع المعلومات الضرورية لتنفيذ عملياتها الخارجية مثل عملية قصف مصنع الأدوية في السودان وقصف معسكرات التدريب في أفغانستان، وأيضا فشلها في القضاء على بن لادن في العملية نفسها، وخلال السنة الأخيرة من ولاية الرئيس كلينتون تصاعد قلق الإدارة الأمريكية من خطر الإرهاب، وقال

¹ محمد قدرى سعيد، مرجع سبق ذكره، ص ص 28 - 29.

"ساندي برجر" مستشار كلينتون للأمن القومي: "إنه ينتفض صاحيا كل ليلة متوقعا أن يرن جرس التليفون معلنا عن وقوع عملية إرهابية جديدة"⁽¹⁾.

لم تتوقف عملية صيد بن لادن برغم وجود أمر رئاسي صدر في 1976 يمنع اغتيال القادة الأجانب، إلا أن كلينتون استثنى قادة الإرهاب من هذه الميزة وأصدر في 1998 أمرا يعفي رجال المخابرات من المساءلة في حالة قيامهم باغتيال بن لادن. وحاولت الحكومة الأمريكية التخلص من بن لادن بالتعاون مع المعارضة الأفغانية التي حاولت بالفعل ضربه بقذيفة بازوكا لكن القذيفة أصابت عربة أخرى في القافلة، وأصبح بن لادن على رأس القائمة من عشرة أفراد مطلوب القبض عليهم بواسطة المباحث الفدرالية التي أعلنت عن خمسة ملايين دولار لمن يقدم معلومات تؤدي إلى القبض عليه.

وحاول رئيس وكالة المخابرات الأمريكية "جورج تينيت" التحذير من خطر بن لادن والقاعدة، لكن الكونغرس فسر الأمر بأنه محاولة للحصول على تمويل إضافي للمخابرات. وارتفع القلق إلى مستويات غير مسبوقة عندما بدأ التفكير في احتمال استخدام أسلحة الدمار الشامل الكيماوية والبيولوجية والنووية في عمليات إرهابية، وبرغم كل هذا الاهتمام والعمليات التي لا تتوقف من هذا الطرف أو ذاك، كان الشعور السائد يميل إلى الاعتقاد بأن الخطر حقيقي لكنه ليس عاجلا، وأن بن لادن سوف يستمر في توجيه ضرباته إلى أهداف سهلة في الشرق الأوسط أو أوروبا، لكن الخيال لم يذهب بعيدا إلى عمليات يتم تنفيذها داخل الولايات المتحدة برغم كل المحاولات القليلة السابقة.

ووسط هذا التوتر دق جرس الإنذار بشدة في أذن الإدارة الأمريكية عندما حدث ما عرف في ذلك الوقت بمؤامرة الألفية (Millenium plot)؛ فقبل أعياذ رأس السنة 2000 وقبل بداية الألفية الجديدة تم القبض على أحمد رسام بواسطة أحد رجال الجمارك في لحظة دخوله إلى الولايات المتحدة من الحدود الكندية معه تصميمات قنبلة وكان رسام جزءا من مؤامرة هدفها تنفيذ عملية كبيرة مع بداية القرن الجديد في لوس أنجلوس بتوجيه ضربة إلى هدف مشهور مثل مطار المدينة أو أي هدف آخر له قيمة رمزية عالية وكان رسام عضوا في الجماعة الإسلامية المسلحة الجزائرية (GIA) التي قامت من قبل بمحاولة فاشلة لاختطاف إير فرانس (AIR FRANCE) والاصطدام بها في "برج إيفيل" (La tour Eiffel) سنة 1994، وهي ذات المنظمة التي نفذت عدة تفجيرات داخل ميترó الأنفاق في باريس خلال سنوات التسعين وأخبر رسام المحققين أنه قد عاد لتوه من زيارة لأحد مراكز التدريب التابعة لبن لادن، وهناك بعض التفسيرات ترجع أن بن لادن قد اتخذ من كندا منصة للهجوم على

¹ المرجع نفسه، ص 30.

الولايات المتحدة الأمريكية وأن عددا من المهاجمين الانتحاريين في 11 سبتمبر قد عبروا من خلال الحدود الكندية إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي أكتوبر 2000، وأثناء قيام المدمرة كول بالتزود بالوقود في ميناء عدن اليمني، تعرضت لعملية انتحارية باستخدام قارب محمل بالمتفجرات اصطدم بها وهي راسية ونتج عن الانفجار مقتل 17 جنديا أمريكيا، أما المدمرة نفسها فقد أشرفت على الغرق. ولم تكن تلك العملية هي المحاولة الأولى في تلك المنطقة ضد سفن أمريكية عسكرية، فقد غرق قارب من قبل بحمل متفجرات قبل أن يصل إلى هدفه، وتكررت المحاولة التي نجحت في 12 أكتوبر 2000.

وتعتبر عملية المدمرة كول محطة مهمة في الصراع بين القاعدة والولايات المتحدة، فقد تبين بعد ذلك من خلال التفاصيل الدقيقة أن عددا من الذين شاركوا بالتخطيط للعملية كان لهم دور مباشر في تنفيذ الهجوم على أمريكا بالطائرات في 11 سبتمبر 2001.

جدول رقم 01: الطريق إلى 11 سبتمبر 2001:

التاريخ	الحدث
ديسمبر 1979	الغزو السوفييتي لأفغانستان
فيفري 1989	انسحاب القوات السوفييتية من أفغانستان
5 نوفمبر 1990	مقتل الحاخام اليهودي مائير كاهانا بواسطة السيد نصير
26 فيفري 1993	تفجير أسفل مركز التجارة العالمي في نيويورك بواسطة سيارة تحمل 700 كلغ من المتفجرات.
3 أكتوبر 1993	مقتل 18 من مشاة الرينجرز في مقديشو بالصومال
24 ديسمبر 1994	اختطاف طائرة إير فرانس بغرض الاصطدام ببرج إيفيل بباريس
25 جوان 1996	تفجير معسكر الجيش الأمريكي بمدينة الخبر في السعودية بواسطة عربية محملة بالمتفجرات.
أوت 1998	تفجير سفارتي الولايات المتحدة الأمريكية في تانزانيا وكينيا بواسطة عربات مفخخة.
12 أكتوبر 2000	الهجوم الانتحاري على المدمرة الأمريكية كول أثناء تزودها بالوقود على ساحل عدن اليمني.
11 سبتمبر 2001	الهجوم على مبنى التجارة العالمي في نيويورك ومبنى البنتاغون بواشنطن.

إرتفعت حرارة المواجهة بين تنظيم القاعدة والمخابرات الأمريكية خلال شهور الصيف التي سبقت شهر سبتمبر 2001، وقام التنظيم خلال تلك الفترة بعمليات تمويه واسعة لتحويل الأنظار بعيدا عن الحدث القادم. وبسبب هذه العمليات صدرت تحذيرات متتالية أغلقت على إثرها بعض السفارات، وأرسلت السفن الحربية إلى عرض البحر، ورفعت درجة الاستعداد في بعض قطاعات القوات الأمريكية في الخارج. وقامت لجنة الأمن القومي التي تجتمع في البيت الأبيض مرتين كل أسبوع بإرسال الكثير من التحذيرات حتى إنها بدت في بعض الأحيان متعارضة مع بعضها البعض. وفي نهاية جويلية التقطت السلطات معلومات عن وجود مؤامرة لضرب السفارة الأمريكية في باريس. وفي هذه الحالة لم يكن معروفا على وجه اليقين هل كان هذا التهديد حقيقيا أم أنه كان لتحويل الأنظار بعيدا عن العملية الرئيسية التي يجري التخطيط والإعداد لها. لقد استخدمت الولايات المتحدة في تلك الفترة كل ترساناتها في جمع المعلومات من وسائل التجسس البشري والتتصت الإشاري الأرضي والفضائي. واتبعت سياسة إصدار تحذيرات علنية تمت إذاعتها في وسائل الإعلام المختلفة وبشكل ظاهر ومكرر لاتخاذ إجراءات طوارئ معينة، ولقد حدث ذلك بالفعل في عدة مرات في 22 جوان، وفي 17 جويلية 2001 قبل حادث سبتمبر بأقل من شهرين.

من الواضح أن الحكومة الأمريكية خلال السنوات العشر التي سبقت 11 سبتمبر 2001 كانت مشتبكة في صراع مع القوى الراديكالية الإسلامية وعلى رأسها تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن، وأن هذا الصراع كان حاميا في الشهور القليلة التي سبقت الحدث وأنها اعترضت جملا تحمل رسائل، مثل: "نحن جاهزون للتحرك" و"هناك شيء كبير قادم على الطريق" و"سوف يدفعون الثمن"، لكن هذه الرسائل "Messages" بجانب أشياء أخرى لم تأخذ حقا من التحليل. لم يكن هناك نقص في المعلومات، لكن المشكلة كانت في تحديد "المعلومة" والنقص كان في تخيل الأشياء والارتفاع بها إلى المستوى الصحيح.

كان التخيل الغالب أن أمريكا دولة قوية وأن الشعب الأمريكي آمن برغم الظروف العالمية، وأن الإرهابيين مجرد مجموعة من المجرمين لا يمثلون تهديدا مميتا للدولة.

كانت هناك حالة من القبول أن التطرف الإسلامي قد يمثل خطرا على الآخرين ولكن ليس على أمريكا، حتى بلغ الأمر إلى احتضان كبار الإرهابيين في الولايات المتحدة الأمريكية، وأوربا تحت حجة اللجوء السياسي ولاستخدامهم وقت الحاجة للضغط على حكوماتهم.¹

¹ المرجع نفسه، ص. 34.

وبرغم الإمكانيات التي تتمتع بها الولايات المتحدة، فقد كان أدائها في الواقع تقليديا وبطيئا، وعجزت عن تفعيل هذه الإمكانيات والوسائل لدرء الخطر القادم. لقد قفزت ميزانية مكافحة الإرهاب من 02 مليار إلى 12 مليار خلال عقد التسعينيات، وبلغ الإنفاق السنوي على وكالات وأجهزة جمع المعلومات وتحليلها حوالي 30 مليار دولار، ولم يكن بن لادن مجهولا بالنسبة لهم، بل على العكس كان موضوعهم الأساسي لدرجة أنه كانت هناك حجرة شهيرة في مبنى وكالة المخابرات الأمريكية أطلق عليها "حجرة بن لادن" كانت مقرا لاجتماعات مكثفة على مدى شهور طويلة، بل سنوات قبل 11 سبتمبر 2001، ومن المؤكد أن هناك شيئا ما جوهريا قد حدث في معنى ومستوى خطورة ما يطلق عليه الإرهاب. لقد أخذت أيضا مهمة مكافحة الإرهاب بعدا جديدا ومختلفا عما كانت عليه قبل أن تصبح العمليات الانتحارية العماد الأساسي للإرهاب، وبعد الربط بينها وبين الاستشهاد من أجل الدين، باختصار تحولت مهمة الإرهاب إلى محاولة للإجابة عن سؤال مفاده: كيف يمكن القضاء على شخص هو أصلا يريد أن يموت؟ ومما ضاعف من صعوبة المهمة بالإضافة إلى ما سبق: حجمها الكبير، فلم يعد الأمر مجرد خلايا متفرقة هنا وهناك ولكنه ينتظم بحرا واسعا من الأفراد والفصائل والجماعات والتجمعات المضادة للدولة والنظام العالمي كله⁽¹⁾.

¹ Philip Zelikow and others, **the 9/11 commission report: final report of the national commission on terrorist Attacks upon the united states**, first edition, New York, London, Norton et company, pp 47-70,pp:174-214.

المبحث الثاني: تفسير الأحداث: فرضية لاتوازن / لأخلاقية السياسة الخارجية الأمريكية

المطلب الأول: أطروحة ديفيد ديوك: اللاتوازن والدعم المطلق للإرهاب الإسرائيلي

من أبرز أقطاب هذا الاتجاه في تفسير تنامي ظاهرة الإرهاب، واستهداف الإرهابيين لأمريكا، نجد "جورج براون" (George Brown)، الرئيس الأسبق لأركان القوات المسلحة الأمريكية، والسيناتور "وليام فولبرايت" (William Fullbright)، الرئيس الأسبق للجنة العلاقات الخارجية للكونغرس الأمريكي، و"ديفيد ديوك" (David Duke)، الرئيس الوطني لمنظمة الوحدة والحقوق الأوروبية-الأمريكية، وعضو سابق في البرلمان الأمريكي، ولاية لويزيانا.... إلخ.

تقوم أطروحة "ديفيد ديوك" على ثلاثة عناصر رئيسية:

= دولة إسرائيل قامت على الإرهاب ومازلت تمارسه إلى الآن.

= إسرائيل (أو بالأحرى اللوبي الموالي لإسرائيل) تتحكم في السياسة والإعلام، الأمر الذي جعل السياسة دائما تميل لمصلحة إسرائيل حتى لو تناقضت مع مصلحة الولايات المتحدة نفسها ومصلحة الشعب الأمريكي، والإعلام يقوم دوماً بوظيفة التعتيم على إرهاب إسرائيل أو يبرره إن لم يستطع إخفاءه.

= بناء عليه، فإن الدعم المتواصل واللامشروط لأكبر دولة إرهابية في العالم: إسرائيل هو فعلا وبكل بساطة السبب الحقيقي لجعل أمريكا والأمريكيين ضحايا للإرهاب.

أما العنصر الأخير والمكمل للعناصر السابقة فهو:

خيانة إسرائيل لأكبر صديق وحليف، بل وحام لها، الولايات المتحدة، وذلك:

= إما بتدبير هجمات 11 سبتمبر.

= أو بالعلم بها قبل وقوعها، وعدم إخبار الأمريكيين بذلك.

يقول "ديفيد ديوك": "إن السبب الحقيقي الذي جعلنا ضحايا للإرهاب الذي وجه ضد مركز التجارة العالمي بسيط لحد يصيب بالصدمة، لقد خان كثير جدا من الساسة الأمريكيين الشعب الأمريكي بدعمهم الأعمى لزعيمة الإرهاب في العالم، إسرائيل.

لا يمكن لوسائل الإعلام الأمريكية وللحكومة الأمريكية أن تفرق بين الأمرين: إذا كان الباعث لأمريكا على مهاجمة أفغانستان هو منح الأخيرة العون والملاذ للإرهابيين، فإن بعض الفلسطينيين

يجدون بشكل طبيعي نفس الباعث لمهاجمة أمريكا لأنها تمنح العون، بل الدعم العسكري لإسرائيل: الدولة التي تمارس ضدهم أقصى أنواع الإرهاب"⁽¹⁾.

"لقد سمح خونة الولايات المتحدة، لدولة أجنبية إرهابية، أن تسيطر على حكومة الولايات المتحدة الأمريكية"⁽²⁾.

لا يكفي "ديوك" بالادعاء المجرد، لكنه يحاول دوما البرهنة على تحليلاته، وتوثيق معلوماته مؤكدا بقوله، مخاطبا القارئ: "سوف أبين لك بالبراهين الموثقة أنه خلال 50 عاما قامت إسرائيل بإرهاب قاتل أكثر مما قامت به أي دولة أخرى في العالم، وأن أمريكا بدعمها لسلوك إسرائيل الإجرامي هذا، تحصد الآن الكراهية الشديدة لملايين الناس، حولها في هذا العالم، إن دعم الإرهاب الإسرائيلي أدى بشكل مباشر إلى الإرهاب الواقع حاليا ضد الولايات المتحدة الأمريكية"⁽³⁾.

لقد قدم "ديوك" الكثير من الأدلة الموثقة، وساق العديد من الأمثلة على ما قامت به إسرائيل من اعتداءات إرهابية وحشية ضد الفلسطينيين واللبنانيين، بل والبريطانيين منذ قيام الكيان الصهيوني، وارتكاب المجازر البشعة: دير ياسين، صبرا وشاتيلا، قانا... إلخ، والتي لا يتسع المجال لسردها، لكن ما يجدر التوقف عنده والتمعن فيه هو ما أسماه بـ: "الإرهاب الإسرائيلي ضد أمريكا"⁽⁴⁾، أين سرد بعض الحوادث التي اعتبرها سوابق تجعل من إمكانية قيام إسرائيل بالإشراف على هجمات سبتمبر 2001، جد محتملة (برأيه).

يحاول "ديوك" تفكيك قوة اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة وربط ممارسات إسرائيل الإرهابية بهجمات الحادي عشر من أيلول - سبتمبر 2001، مستعينا بشهادة السياسيين والعسكريين، عبر ثلاثة عناصر للاستدلال:

1- إرهاب إسرائيل منذ قيامها

2- إرهاب إسرائيل ضد حاميتها: الولايات المتحدة الأمريكية

3- دور إسرائيل في هجمات 11 سبتمبر

¹ ديفيد ديوك، أمريكا - إسرائيل و11 أيلول 2001، ترجمة سعد رستم، الطبعة الأولى K دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، 2002، ص.11.

² المرجع والصفحة.

³ المرجع نفسه، ص 13.

⁴ المرجع السابق، ص 33.

ففي برنامج تلفزيوني لمحطة ABC أكد الرئيس الأسبق للجنة العلاقات الخارجية للكونغرس الأمريكي السيناتور "ويليام فولبرايت" « William Fullbright »: "أن إسرائيل تسيطر على مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة الأمريكية". كما إن الرئيس الأسبق لأركان القوات المسلحة الأمريكية "جورج براون" « George Brown » أكد هذا الرأي قائلاً: "تستطيع أن نقول إنه من غير الممكن أن نحمل الكونغرس على دعم برنامج إسرائيلي كهذا. وهم يقولون لا تهتم بأمر الكونغرس، سنتدبر أمره. هذا الكلام يقوله رجل من دولة أخرى، وهم يستطيعون أن يفعلوا ما يقولون. إنهم يملكون، كما تعلمون، البنوك والصحف في البلاد، أنظر فقط اين يوجد المال اليهودي".¹ فبالإضافة إلى إرهاب الكيان الصهيوني والمجازر التي ارتكبتها أبطال جرائم القتل الجماعي وقتل الأطفال، مثل شارون الذي صار رئيس وزراء الكيان، يركز ديوك على العمليات، لتفكيك ظاهرة أطلق عليها: إحتلال اليهود لأمريكا...

الفرع الأول: عملية "سوزانا" (Suzannah)

شنت الحكومة الإسرائيلية عام 1954 عملية إرهابية سرية ضد الولايات المتحدة، أطلقت عليها اسم عملية "سوزانا" (Suzannah). لقد خططت لقتل أمريكيين ونسف مؤسسات أمريكية في مصر، وكانت الخطة تقضي بترك شواهد كاذبة مضللة تشير إلى أن المصريين فعلوا ذلك، لجعل أمريكا تدخل في حرب ضد مصر إلى جانب إسرائيل.

ونجح العملاء اليهود في نسف بعض مراكز البريد والمكتبات الأمريكية في القاهرة والإسكندرية، وحدث أن انفجرت قنبلة عميل إسرائيلي قبل أوانها، وهو في طريقه لنسف دار سينما أمريكية هي مسرح ميترو "غولدوين - ماير" (Metro-Goldwin-Mayer)، ولحسن حظ كل من أمريكا ومصر أن المؤامرة اكتشفت وأجهضت في مهدها. إن القبض على العميل الإسرائيلي كشف للعالم عن تلك المؤامرة مما أجبر، فيما بعد، وزير الخارجية الإسرائيلي "بنحاس لافون" (Pinhas Lavon) على الاستقالة من منصبه، وأصبحت المسألة كلها تعرف باسم "قضية لافون" (Lavon Affair).

اليوم تقوم وسائل الإعلام الأمريكية والمؤسسات الصحفية الأمريكية بإخفاء خيانات إسرائيل ضدنا (أي ضد الولايات المتحدة الأمريكية) بشكل بارع، جعل معظم الأمريكيين لا يعرفون شيئاً عنها"⁽²⁾.

¹ المرجع نفسه، ص ص. 11-12.

² المرجع والصفحة.

الفرع الثاني: اعتداء إسرائيل الإرهابي على البارجة الأمريكية ليبرتي (Liberty)

خلال حرب الأيام الستة عام 1967، ارتكبت إسرائيل مرة ثانية أعمالاً إرهابية جديدة ضد الولايات المتحدة الأمريكية.

في 08 يونيو (حزيران) - جوان - استخدمت إسرائيل جنوداً غير مميزين (أي غير لابسين للباس العسكري الإسرائيلي) وزوارق توربيد حربية لشن هجوم استغرق ساعة ونصفاً على البارجة الأمريكية ليبرتي (Liberty) وقد أوقع هذا الهجوم 34 قتيلاً و171 جريحاً في صفوف الجنود الأمريكيين⁽¹⁾. بدأ الإسرائيليون بمهاجمة أبراج إذاعة البارجة "ليبرتي" في محاولة لمنع الأسطول السادس من معرفة أن المهاجمين إسرائيليون. وبعد أن قصف المقاتلون غير المميزين البارجة "ليبرتي" بشكل عنيف، أرسل الإسرائيليون زوارق "طوربيدو" لإنهاء المهمة، وحتى أنهم رشوا بمدافعهم الرشاشة زوارق النجاة (الطوافات) ليضمنوا عدم بقاء أي أحياء (شهود) يمكن أن يكتشفوا أمرهم.

ولكن بطولة وبراعة كابتن البارجة الأمريكية "ليبرتي" وطاقتها، أفشلت الخطة الإسرائيلية، فقد تمكن الكابتن وطاقمه من الحفاظ على البارجة طافية فوق الماء ومن الاتصال بالأسطول الحربي الأمريكي وإعلامه أن إسرائيل هي التي هاجمت البارجة وليس مصر.

وعندما علمت إسرائيل أن خطتها قد اكتشفت، انسحبت، وادعت أن الأمر كان خطأً في التعرف على هوية البارجة، وأنهم ظنوا أنها بارجة حربية مصرية.

قال وزير الخارجية الأمريكي في حينه "دين راسك" (Dean Rusk)، وقائد الأركان المشتركة الأدميرال "توماس مورر" (Thomas Moorer) كلاهما، إن الهجوم لم يكن حادثاً عرضياً، بل إن إسرائيل هاجمت البارجة "ليبرتي" قاصدة متعمدة، فالهجوم تم في وضوح النهار، والبارجة كانت ترفع علماً أمريكياً كبيراً، وكان على بدنها أرقام تعريف دولية واضحة.

وقد حلقت الطائرات الحربية الإسرائيلية النفاثة فوق "ليبرتي" على سطح منخفض قبل وقت طويل من الهجوم، لدرجة أن الطيارين كانوا يستطيعون رؤية أيدي البحارة تلوح لهم، ومثلما فعلت في مسألة "لافون" كانت إسرائيل تتمنى أن ترمي بإثم هذا الهجوم على عدوتها مصر، وهنا كانت شجاعة وتجربة "ليبرتي" هي التي حالت دون تحقيق ذلك المأرب الإسرائيلي.

يلق "ديوك" قائلاً: "لم تبد الصحافة الأمريكية المسيطر عليها من قبل اليهود أي غضب إزاء هذا الاعتداء، وقبلت ببلاهة الحجة الإسرائيلية المخادعة في تبرير ما يحدث.

¹ المرجع والصفحة.

ورغم أن وزير خارجيتنا وقائد أركان قواتنا أكدا أن الهجوم كان مقصودا ومتعمدا، إلا أن اللوبي اليهودي حال حتى دون تشكيل الكونغرس للجنة تحقيق رسمية في الحادث، وعلى العكس من ذلك تماما لما أوقفت القوات الكورية الشمالية - في العام التالي 1968- أخت البارجة الأمريكية "ليبرتي" أي البارجة "بويلو" (Pueblo)، والذي أوقع قتيلا فقط في صفوف الأمريكيين، شكل الكونغرس بعد سنة من الحادث، لجنة تحقيق رسمية لكشف ملابساته، ولكن إلى يومنا هذا لم يحصل أي تحقيق في حادثة الاعتداء على البارجة "ليبرتي"⁽¹⁾.

الفرع الثالث: إسرائيل دولة تتجسس على أمريكا وتبيع أسرار الولايات المتحدة لأعدائها

جندت إسرائيل في الثمانينيات يهوديا أمريكيا يدعى: "جوناثان بولارد" (Jonathan Pollard) للتجسس على الولايات المتحدة، وبعد اكتشاف أمره، ادعى المسؤولون الإسرائيليون أنه كان عميلا محتالا، لكنهم اعترفوا فيما بعد أنه كان يعمل لحسابهم منذ البداية.

"باستثناء الجاسوسين اليهوديين: "إيثيل" و"جوليوس" روزنبرغ اللذين أعطيا أسرار القنبلة الذرية للسوفييت، لا أعتقد (يقول "ديوك") أن هناك أي جاسوس أضر وطننا بمقدار ما أضره ذلك الجاسوس الإسرائيلي الفرد "جوناثان بولارد".

لم تستخدم إسرائيل المعلومات التي كان يحصل عليها "بولارد" لتخريب عملياتنا الاستخباراتية في الشرق الأوسط، فحسب، بل كذلك لتخريب جهاز استخباراتنا في الإتحاد السوفياتي والمعسكر الشرقي.

فقد تم إعدام أفضل عملائنا وأكثرهم ولاء لنا في العالم الشيوعي بسبب مقايضة إسرائيل للمعلومات التي كان يسرقها "بولارد" مع السوفييت⁽²⁾.

أخيرا وليس آخرا، وعلى الرغم من كثرة التفاصيل، والأدلة التي بوردها "ديفيد ديوك" على وجهة نظره إلا أنه يختصرها تحت عنوان "إسرائيل تريد الإرهاب العربي ضد الدول الغربية" فيما يلي:

"عانت إسرائيل في السنتين الماضيتين^(*) أسوأ كارثة في علاقاتها الدولية في تاريخها، وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير، وصدمت كل من يحترم نفسه في الدنيا، انتخاب إسرائيل للمجرم بجرائم المذابح الجماعية "آرييل شارون" رئيسا للوزراء، وقد دل مؤتمر الأمم المتحدة حول العنصرية، الذي

¹ المرجع نفسه، ص 38.

² المرجع نفسه، ص 40. يرجى العودة إلى:

Hersh, Seymour, (The Traitor : The case Against Jonathan Pollard.), The New York Magazine. 1999 January 18, p 22.

(*) أي السنتين السابقتين لـ 11 سبتمبر 2001.

أطلق على إسرائيل لقب "دولة تمييز عنصري" (أبارتيد Apartheid State) على مدى تنامي رفض إسرائيل واستهجانها، وفجأة جاءت الهجمات على مركز التجارة العالمي لتغير مزاج العالم لصالح إسرائيل مرة ثانية، فهل كان ذلك مجرد مصادفة محظوظة لإسرائيل؟ كما بينته في هذه المقالة، سبق وأن شن زعماء إسرائيل هجمات إرهابية على أمريكا متتكرين بقناع عربي لمعرفتهم بأن أي هجوم إرهابي عربي ضد أمريكا يدفع نحو الأمام بأهدافهم وطموحاتهم.

وهم يعون تماما أنه كلما كانت الضربة ضد أمريكا أكبر، والمذبحة أفجع أفادهم ذلك أكثر، لقد تعلم آريل شارون درسا مهما من بيروت فعوضا عن ارتكاب إسرائيل لهجمات مباشرة (متخفية) ضد أمريكا كما فعلت في "مسألة لافون" والهجوم على البارجة "ليبرتي"، من الأسهل جدا والأكثر أمنا لإسرائيل أن تواصل فظاعاتها الوحشية ضد العرب مثل صبرا وشاتيلا، لكي تسوق أعداءها الإسلاميين إلى الإرهاب ضد الغرب، هذا بالضبط ما حصل في التفجير الانتقامي ضد ثكنة مشاة البحرية الأمريكيين، وضد ثكنة فرقة المظليين الفرنسية في بيروت....، والإرهاب الإسرائيلي المتواصل هو الذي ولد الهجمات على مركز التجارة العالمي⁽¹⁾.

بناء على كثرة العمليات الإرهابية والممارسات الوحشية، التي تقوم بها دولة إسرائيل، ليس فقط في حق الفلسطينيين واللبنانيين، بل ضد الدولة التي ترعى وتحمي الدولة العبرية؛ أي الولايات المتحدة الأمريكية، فإن الدعم الدائم واللامشروط والسياسة الخارجية الأمريكية اللامتوازنة والتي يعبر عنها "ديوك" بالانحياز الأعمى لأكبر دولة إرهابية في العالم، قد جر على أمريكا شعورا متناميا بالعداء وبالتالي ضربا لمصالحها القومية هجمات إرهابية، لكنه لا يكتفي بهذا الطرح، بل يذهب أبعد، حيث يقدر بأن إسرائيل ومخابراتها واللوبي الموالي لها، لها يد في هجمات 11 سبتمبر، أو على الأقل، على علم مسبق بحدوثها، مع إخفاء المعلومة الاستراتيجية عن الأمريكيين لاستغلال الأحداث من أجل تحقيق أهداف غير معلنة...

"فقد صرح كل من مكتب التحقيقات الفدرالي FBI ووكالة المخابرات المركزية CIA أن الهجوم على مركز التجارة العالمي والبنتاغون كان عملية خفية استخدمت شبكة عالمية تتضمن مئات من الإرهابيين ينتمون لدول في القارات الثلاث. فهل من الممكن لعملاء الموساد في القاعدة ولبقية أفراد شبكة الموساد الواسعة التي تشمل آلاف الاختراقات والمخبرين، ألا يكونوا قد اطلعوا على أكبر عملية إرهابية عربية وأكثرها سعة وطموحا في التاريخ؟"² للإجابة على هذا التساؤل، يقر "ديوك" بصعوبة

¹ المرجع نفسه، ص ص 45-46.

² المرجع نفسه، ص. 48.

إثبات دور منظمة استخباراتية سرية كالموساد في عمل إرهابي؛ فهم لا يتفخرون بمآثرهم على شبكة الإنترنت.. ولكن هناك دلائل قوية تتراكم يوماً بعد يوم وتثبت أن الإسرائيليين علموا سابقاً بهجمات 11 سبتمبر (أيلول) على أمريكا. وإذا كانوا حقاً قد علموا سابقاً بهذا العمل الإرهابي القاتل، ثم -و بكل دم بارد- لم يحذروا الولايات المتحدة، لأنهم رأوا أن المذبحة الرهيبة لآلاف الأمريكيين تفيد إسرائيل، فإن ذلك يستتبع أنه من الممكن أنهم لم يجدوا مانعاً أيضاً من تحريض ومساعدة وقوع تلك الخطة الإرهابية بشكل خفي عبر عملائهم من المحرضين¹

من بين أهم الأدلة التي يسوقها "ديفيد ديوك" على علم إسرائيل المسبق بالهجمات، نذكر:

1- أربعة آلاف إسرائيلي كانوا متواجدين في مركز التجارة العالمي والبنتاغون: فقد نشرت صحيفة "جيروسالم بوست" « Jerusalem Post » والتي يصفها "ديوك" بأنها "أشهر صحيفة إسرائيلية وأكثرها احتراماً في العالم" بأن 4000 إسرائيلي فقدوا في الهجوم حسب ما جمعه وزارة الخارجية الإسرائيلية. يقول ديوك معلقاً على المعلومة التي أوردتها الصحيفة: "وحتى لو لم نقرأ مقالة الجيروسالم بوست فإن المنطق يقول لنا إنه لا بد أن يكون هناك مئات إن لم يكن آلاف الإسرائيليين في مركز التجارة العالمي لحظة وقوع الهجمات. فالدور اليهودي العالمي في البنوك والتمويل دور أساسي وأسطوري. فعلى سبيل المثال: أغنى شركتين في نيويورك هما شركتا: "غولدمان ساشز" « Goldman-Saches » و"سولومون برانرز" « Solomon Brothers »، وللشركتين كلتيهما موظفون في برج مركز التجارة العالمي... وتمثل نيويورك مركز القوة المالية اليهودية في العالم بأسره، ومركز التجارة العالمي هو مركز المركز فيها، لذا من الطبيعي أن يتوقع الإنسان أن يكون عدد القتلى فيه من الإسرائيليين عدداً كارثياً.² إذن: عدد القتلى المتوقع من الإسرائيليين كبير؛ لكن العدد الحقيقي الذي أوردته صحيفة نيويورك تايمز هو إسرائيلي واحد، بينما مات 199 كولومبيا و428 فلبينيا، وبعد عملية تحقق قام بها ديوك، تأكد لديه بأن هناك تحذيراً مسبقاً لكثير من الإسرائيليين.³

2- تحذير مسبق للإسرائيليين: تأكد ذلك لدى "ديوك" من عدة مصادر، فقد نشر "نيوزبايتس" « Newsbytes »، وهو موقع خبري تابع لصحيفة "واشنطن بوست" مقالاً بعنوان: "رسائل فورية

¹ المرجع والصفحة.

² المرجع نفسه، ص. 49.

³ المرجع ذاته، ص. 52.

لإسرائيل حذرت من هجوم على مركز التجارة العالمي¹ كما أكدت صحيفة "هآرتز" اليومية الإسرائيلية وقوع تحذيرات مسبقة لإسرائيل عن الهجوم، وأكدت أن مكتب التحقيقات الفدرالي FBI يقوم بالتحقيق في هذه التحذيرات. وفصل المقال ذلك فقال: استلمت شركة إرسال رسائل إسرائيلية باسم Odigo ذات مكاتب في كل من مركز التجارة العالمي وإسرائيل، عددا من التحذيرات، قبل ساعتين فقط من حصول الهجمات².

يورد "ديوك مزيدا من الأدلة، موثقا لادعاءاته، ومستعينا بالتقارير الإعلامية التي يستقيها من مصادر متعددة، بل ومن وسائل إعلام يملكها يهود صهاينة، من أمريكا ومن داخل الكيان الصهيوني، حتى إنه خلس إلى أن دولة إسرائيل استفادت بشكل مباشر من الهجمات، ويقارن بين صورة الإسرائيليين الخمسة الذين أوقفهم مكتب التحقيقات الفدرالي FBI وهم يقومون بتصوير الحادثة كلها من على سقف أحد المباني المجاورة للبرجين، وهم يصيحون تأييدا وابتهاجا، وما قامت به وسائل الإعلام "التي يسيطر عليها، جميعا، اليهود، من العرض المتكرر لبضعة من الفلسطينيين الذين عانوا طويلا، يبتهجون بالهجمات، حتى لقد انطبع عند المشاهدين تصور خاطئ بأن الفلسطينيين لهم يد في هذا الإرهاب ضد مركز التجارة العالمي، هذا، على الرغم من أن المنظمات الفلسطينية كلها أدانته، ولم يثبت تورط فلسطيني واحد فيه. "و كانت أمريكا، طبعا، هي التي تحملت الضرر الأكبر، حيث فقدت قرابة 5000 شخص، وتصدع اقتصادها، وتم تطبيق أسوأ التقييدات ضد الحريات الدستورية في حياتها. لقد كانت "مسألة لافون"، والهجوم على البارجة "البيرتي"، وتجسس "جوناثان بولارد" وقتل 5000 أمريكي في 11 سبتمبر (أيلول)، كلها خيرا لإسرائيل، ولكنها كانت شرا بنحو رهيب للولايات المتحدة³.

¹ المرجع والصفحة، عن Mc Williams, Brian. (2001) Instant Messages To Israel Warned Of WTC Attack. Newsbytes. September. 27

² المرجع نفسه، ص. 53 عن Dror, Yuval. (2001). Odigo says of attack. Haéaretz. Sept. 29. workers were warned

³ المرجع نفسه، ص. 57.

المطلب الثاني: أطروحة تشومسكي: إرهاب السياسة الخارجية الأمريكية

يتفق "نعوم تشومسكي" مع "ديفيد ديوك" في كون السياسة الخارجية الأمريكية منحازة وغير متوازنة، وفي اعتبارها سببا مباشرا في هجمات الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) 2001... لكن بدلا من اعتبار إرهاب الدولة الذي يمارسه الكيان الصهيوني بتواطؤ من مسؤولين أمريكيين رفيعي المستوى هو، على وجه التحديد، السبب الحقيقي والمباشر للهجمات الإرهابية، مثلما يستدل "ديوك"، لا يعبر "تشومسكي" كبير اهتمامه للسلوك السياسي الإسرائيلي، باعتبار أن السلوك السياسي الخارجي الأمريكي هو الذي جلب العداء لأمريكا، لأن سياسة الولايات المتحدة الخارجية، تمثل أكبر تهديد للسلم والأمن الدوليين، ولأن أمريكا هي أكبر دولة إرهابية وراعية للإرهاب في العالم... "ففي نقاش مع طاقمه، قبل أربع وأربعين سنة، وصف الرئيس أيزنهاور حملة الكراهية ضدنا أي ضد الأمريكيين (في العالم العربي)، ليس من قبل الحكومات بل من قبل الناس، وقد بين مجلسه للأمن القومي، الأسباب الرئيسية: الولايات المتحدة تدعم الحكومات الفاسدة والقمعية، وتعارض التقدم السياسي أو الاقتصادي، بسبب اهتمامنا بالسيطرة على مصادر النفط في المنطقة.¹ وتكشف الاستطلاعات التي أجريت بعد الحادي عشر من أيلول، أن الأسباب نفسها موجودة حاليا، بل إن الاستياء من السياسة الخارجية الأمريكية، "ينطبق حتى على القطاعات المميزة ذات التوجه الغربي في المنطقة."²

بالنسبة إلى "تشومسكي" تعتبر هجمات 11 سبتمبر شيئا جديدا بشكل كامل في تاريخ الإنسانية، ليس بسبب درجتها أو طابعها، بل بسبب الأهداف المنتقاة. فهي المرة الأولى، منذ حرب 1812، التي يتعرض فيها الإقليم الوطني للولايات المتحدة لهجوم أو حتى لأي تهديد؛ إذ لا تشبه هجمات "بيرل هاربر"، أين تم الهجوم على قواعد عسكرية أمريكية، لكن هذه القواعد، حتى إن اعتُبرت هاواي إقليما، تقع في مستعمرة تابعة للولايات المتحدة وبالتالي فإن الهجمات لم تقع في الإقليم الأمريكي الذي لم يتعرض للتهديد.³ في الماضي، خلال مئات السنين، أبادت أمريكا ملايين الأشخاص من السكان الأصليين، (شعوبا بأكملها)، إحتلت نصف مساحة المكسيك (في الواقع، هي أراضي كانت تنتمي في البدء إلى السكان الأصليين، وهذه قضية أخرى)، ثم تدخلت بالعنف والقوة العسكرية في جميع المناطق المحيطة، فاحتلت هاواي والفلبين (قتلت مئات الآلاف من الفلبينيين) وخصوصا خلال القرن الماضي، قامت (أمريكا) بتعميم اللجوء إلى القوة في معظم جهات العالم. عدد ضحاياها هائل. هذه هي المرة

¹ نعوم تشومسكي، مداخلات، ترجمة محمود برهوم ونوال القصار سرياني، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2007، ص. 25.

² المرجع والصفحة.

³ Noam Chomsky, **11/9 Autopsie des terrorismes**, Entretiens Traduits de l'anglais par Hélène Morita et Isabelle Genet, Le Serpent à Plumes, PP. 11-12.

الأولى التي توجه فيها الأسلحة إلى الاتجاه الآخر.¹ فالحرب على الحرية إذن خرافة وكره الناس لأمريكا، هو بسبب السياسات الرسمية وليس بسبب الحرية، "وبسبب مثل هذه الأسباب؛ فإن تقييمات بن لادن بعد الحادي عشر من أيلول - ومثال ذلك إزاء الدعم الأمريكي للأنظمة الفاسدة والوحشية - أو "الغزو" الأمريكي للسعودية- لها صدى عميق، حتى بين الذين يمقتونه ويخافون منه ، ومن الاستياء والغضب والإحباط، تأمل الزمر الإرهابية في الحصول على التأييد والمجدين.²

إذن، يوافق "تشومسكي" على تصنيف كثير من شعوب العالم لواشنطن بأنها نظام إرهابي، حيث أقدمت الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة على عمليات، أو ساندت عمليات في كولومبيا ونيكاراغوا وبنما والسودان وتركيا... وهي عمليات تلبي التعريفات الأمريكية الرسمية "للإرهاب" - أي حين يطبق الأمريكيون تلك العبارة على الأعداء.³ وفي المجلة الأكثر اتزاناً، حسب تشومسكي، أي "فورين أفيرز" « Foreign Affairs »، كتب صمويل هنتغتون عام 1999: "في الوقت الذي تشجب فيه الولايات المتحدة، بشكل منتظم، دولا مختلفة وتصفها "بالدول المارقة" ؛ فإن أمريكا في عيون كثير من الدول أخذت تصبح القوة العظمى المارقة- أكبر تهديد خارجي لمجتمعات هذه الدول.⁴

يشير تشومسكي إلى السياسة المنحازة التي تنتهجها الولايات المتحدة في الشرق الأوسط هموماً وتجاه القضية الفلسطينية خصوصاً، "فحملة الكراهية الحالية في العالم العربي تؤججها، بطبيعة الحال، السياسات الأمريكية تجاه إسرائيل - فلسطين والعراق، فقد وفرت الولايات المتحدة الدعم المنه للاحتلال العسكري القاسي من قبل إسرائيل، والذي يدخل عامه الخامس والثلاثين.⁵

و عن سؤال حول المشكلات الداخلية والهيكلية للإمبراطورية، يجيب تشومسكي بأن سياسات أمريكا الخارجية تمثل خزاناً للكراهية والمرارة والغضب تجاه الغرب (أمريكا وأوروبا) ، فبعيد الهجمات الإرهابية، جمعت "الوول ستريت جورنال" « Wall Street journal » مختلف الآراء للأثرياء (وحتى للفقراء) المسلمين: بنكيون، رجال أعمال وآخرون، من المقربين أو بالأحرى من الذين تربطهم علاقات مع الولايات المتحدة. لقد عبروا جميعهم عن اندهالهم، استيائهم وغضبهم من الدعم الذي تقدمه

¹ Ibid, P. 12.

² نعوم تشومسكي، مرجع سبق ذكره، ص. 26.

³ المرجع والصفحة.

⁴ المرجع والصفحة.

⁵ المرجع نفسه، ص. 27. (طبعاً، تشومسكي، اليهودي الأمريكي الذي تربي في كنف الشباب الصهيوني، نكبة 1948

وقيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين المحتلة، غزوا ولا احتلالاً، بل يتحدث فقط عن احتلال مزيد من الأراضي عام 1967)

الولايات المتحدة للأنظمة الاستبدادية ومن الحواجز التي وضعتها واشنطن ضد التنمية المستقلة والدمقرطة.... ومن بين المجموعات الكبيرة للمعانين من الأشخاص الفقراء، فقد عبروا عن غضب أكبر إزاء تركيز ثروات المنطقة لجهة الغرب، بين أيدي نخبة مستغربة من المسؤولين الفاسدين والمدعين (المحميين) من القوة الغربية.¹

لتدعيم أطروحته، يستشهد تشومسكي بشهادات كبار المختصين، من بينهم، "مايكل ستوهل"، الباحث في العلوم السياسية: "يجب أن نعترف... بأن استعمال أو التهديد باستعمال القوة من طرف القوى الكبرى يتم وصفه عادة بكونه دبلوماسية قسرية وليس شكلا من أشكال الإرهاب... ولو تضمن التهديد وفي معظم الأحيان استعمال العنف من أجل أهداف ينبغي أن توصف بالإرهابية لولا أن الأمر يتعلق بالقوى الكبرى التي تستخدم، تحديدا، التكتيكات نفسها."²

المطلب الثالث: جايمس بتراس ونقد فرضيات تشومسكي:

- 9/11 بين قوة اللوبي ومشكلة تحديد المصلحة القومية

لا يناقش "جايمس بتراس" فرضية الرواية الرسمية الأمريكية، بعجز الوكالات الأمنية، وبتورط أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة في هجمات الحادي عشر أيلول - سبتمبر 2001، بل ينطلق منها، بيد إنه يعود إلى مركزية المصلحة الإسرائيلية وما يطلق عليه "سطة إسرائيل في الولايات المتحدة"، متفقا حول قوة اللوبي مع الباحثين الأمريكيين: "جون ميرشايمر" « John J. Mearsheimer » و"ستيفن وولت" « Stephen M. Walt » وحول أولوية المصلحة الإسرائيلية على المصلحة الأمريكية مع "ديفيد ديوك"، ومختلفا مع "نوم تشومسكي" حول كون اللوبي الموالي لإسرائيل مجموعة ضغط عادية لا يتجاوز تأثيرها في السياسة الخارجية الأمريكية تأثير أي لوبي آخر موجود بالولايات المتحدة الأمريكية. كما إنه يثير عديد الإشكاليات التي طرحها "ديوك" وغيره من منتقدي الانحياز والسيطرة، منها: إمكانية تورط الموساد في الهجمات أو على أقل تقدير، إخفاؤه للحقيقة التي كان يعلمها، عن الأمريكيين لاستغلال الأحداث الإرهابية لمصلحة السياسة الخارجية الإسرائيلية...

يورد "بتراس" مزيدا من المعطيات المتعلقة بالإرهاب الإسرائيلي البربري عموما، والإرهاب الإسرائيلي على الولايات المتحدة، البلد الحامي للكيان، خصوصا، ومزيدا من حالات التجسس والتي يعتبرها: "خير مثال على النفوذ الذي تمارسه إسرائيل."³ وحتى في حالة الهجمات، الموصوفة بالأسوأ في تاريخ

¹ Noam Chomsky, 11/9 Autopsie des terrorismes, Op-Cit, P. 14.

² Ibid, P. 18.

³ جايمس بتراس، سطة إسرائيل في الولايات المتحدة، ترجمة حسان البستاني، الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2007، ص. 56.

الولايات المتحدة، تكتمت واشنطن على دليل إخفاء إسرائيل لمعلومات لم تشاركها مع الولايات المتحدة. ومن الواضح أن هذا الدليل قد يطرح أسئلة حول الصلات والروابط بين النخب السياسية والاقتصادية، إضافة إلى إضعاف العلاقات الإستراتيجية في الشرق الأوسط. والأهم من ذلك أن من شأن هذا الأمر إثارة إدارة بوش على اللوبي اليهودي-الأمريكي وشبكاتة القوية الرسمية وغير الرسمية التي تطل تأثيراتها وسائل الإعلام، والشؤون المالية والحكومية.¹

لقد حصلت "فوكس نيوز" على عدد كبير من المستندات السرية من المحققين الفدراليين الذين أحبطهم (ربما) قيام القادة السياسيين في واشنطن بإخفاء الحقائق المرتبطة بالتجسس الإسرائيلي. وتظهر هذه المستندات التي كشف عنها "كارل كاميرون" أنه حتى قبل 11 أيلول/سبتمبر، تم اعتقال أو احتجاز 140 إسرائيلياً آخر أثناء تحقيق سري تناول التجسس الإسرائيلي في الولايات المتحدة على نطاق واسع وعلى المدى البعيد. ولم تورد أي مطبوعة أو وسيلة إعلام إلكترونية رئيسية أخرى تقارير عن هذه الاعتقالات، ولم يتناول الرئيس كذلك أو أي زعيم في الكونغرس المسعى الإسرائيلي المستمر للحصول على معلومات عسكرية ومخابراتية أميركية.²

تورد المستندات السرية تفاصيل لمئات الحوادث التي وقعت في مدن وبلدات عبر البلاد، ادعى المحققون أنها قد تكون نشاطات تقوم بها مجموعة مخابراتية إسرائيلية منظمة. واستهدف عملاء إسرائيليون قواعد عسكرية واقتحموها، بالإضافة إلى مقر إدارة مكافحة المخدرات، مكتب التحقيقات الفدرالي FBI، دائرة العائدات الداخلية IRS، دائرة الهجرة ومنح الجنسية INS، وكالة الحماية البيئية EPA، دائرة المارشالات الأمريكيين وعشرات المؤسسات الحكومية، وحتى مكاتب سرية ومقرات خاصة لتطبيق القانون غير مدرجة على الجداول، كما استهدفوا عناصر المخابرات، وذلك وفقاً لمستندات فدرالية أوردتها محطة فوكس نيوز. وأشار مستند صادر عن مكتب محاسبة الحكومة (وهو شعبة تحقيق تابعة للكونغرس الأمريكي) إلى إسرائيل بأنها "البلد أ"، قائلاً إن "حكومة البلد أ تقوم بعمليات التجسس الأكثر عدوانية ضد الولايات المتحدة وأي حليف لها". وجاء في تقرير لمخابرات الدفاع أن إسرائيل تملك "شهوة نهمة للمعلومات... فهي تكتسب تكنولوجيا عسكرية وصناعية بطريقة عدوانية، والولايات المتحدة هي من أولى أولوياتها".³

¹ المرجع والصفحة عن: "كارل كاميرون يتحرى" (الأجزاء من 1 إلى 4) شبكة فوكس نيوز، 17 كانون الأول/ديسمبر 2001، على الموقع: <http://www.informationclearinghouse.info/article5133.htm>

² جايمس بتراس، مرجع سبق ذكره، ص. 57.

³ المرجع نفسه، ص ص. 57-58.

من بين التقارير التي استند إليها "بتراس"، تقرير "كارل كاميرون" الذي ظهر في موقع فوكس نيوز ثم اختفى بغتة، مما دفعه إلى استنتاج تولي الهيمنة الإسرائيلية مهمة إقناع أو تهديد المؤسسة الإعلامية والقادة السياسيين باتخاذ أقصى درجات الحذر من مغبة إيراد تقارير تتناول وضع إسرائيل يدها على معلومات استراتيجية.¹ بل إن مواقف القادة السياسيين، هي أبرز دليل على سطوة إسرائيل في الولايات المتحدة، فعندما "تتعرض شبكة العملاء الإسرائيليين في بعض الأحيان للاعتقال والاستجواب والطرد، لا تتم أبداً إدانة الدولة الإسرائيلية والوزراء المسؤولين علانية، كما أنه لا تكون هناك ردود فعل دبلوماسية رسمية وسريعة كسحب السفير الأميركي بشكل رمزي ومؤقت. والأسلوب الموازي والأقرب على التصرف الأميركي إزاء الجواسيس الإسرائيليين هو رد فعل دول العالم الثالث الفقيرة والعاجزة حيال عمليات التجسس الأميركية. وفي تلك الحالة، يطلب الحكام المذعنون من السفير، وبهدوء، كبح جماح بعض العملاء الأكثر عدوانية.²

إذن، إضافة إلى تفكيك العمليات التاريخية التي سبق وأوردها "ديفيد ديوك"، مثل: "سوزانا"، "ليبرتي" و"بولارد"، يوسع "بتراس" استدلاله ودائرة تساؤلاته حول احتمال علم الموساد الإسرائيلي المسبق بهجمات 9/11 مع إخفائها عن الأميركيين، حيث يورد في هذا السياق، تمكن الجاسوس "ريتشارد رايد" من دخول إسرائيل في رحلة للعال، رغم إدانته بمحاولة تفجير طائرة ركاب تابعة للخطوط الجوية الأميركية فوق الأطلسي في كانون الأول/ديسمبر 2001.³

– ميرشايمر/والت ونقد بتراس لفرضيات تشومسكي:

بعد إثبات سطوة إسرائيل في الولايات المتحدة وقوة اللوبي الموالي لها داخل أمريكا، يناقش "بتراس" ما يطلق عليه "خمس عشرة فرضية خاطئة لتشومسكي"، مستشهداً بافتتاحية الفايينشل تايمز التي ورد فيها: "إن ردود الأفعال الانعكاسية اللاإرادية التي تنشأ تلقائياً للدفاع عن نقاش مفتوح واستعلام حر تم إيقافه – على الأقل بين قسم كبير من النخبة السياسية في أميركا – ما إن يتناول الموضوع إسرائيل ودور اللوبي الموالي لإسرائيل في تحديد شكل السياسة الخارجية الأميركية... والابتزاز التهديدي الأخلاقي – الخوف من أن يؤدي أي انتقاد موجه للسياسة الإسرائيلية والتأييد الأميركي لها إلى اتهامات بمعاداة السامية – هو عقبة كبيرة أمام نشر وجهات نظر معارضة. وهي نتيجة جزئية للحملات التي تستهدف المعارضين... علاوة على ذلك، لا شيء أكثر ضرراً بالمصالح الأميركية من العجز عن إجراء نقاش ملائم حول النزاع الإسرائيلي الفلسطيني... والتتمر على الأميركيين لحملهم

¹ المرجع نفسه، ص. 58.

² المرجع والصفحة.

³ المرجع نفسه، هامش الصفحة 59.

على الإجماع على سياسة إسرائيلية هو أمر سيء لإسرائيل ويجعل من المستحيل على أميركا تحديد مصالحها الوطنية الخاصة...¹

تقول الرؤية النقدية لبتراس، إن تشومسكي، وبسبب من انتقاده الصريح للسياسة الخارجية الأمريكية وللكتير من الظلم الناتج عنها، أصبح يُدعى من قبل النقاد وبعض قطاعات وسائل الإعلام، بالمفكر الأمريكي الأول، وصار يملك جمهورا واسعا في مختلف أنحاء العالم، ولا سيما في الأوساط الأكاديمية، كما إنه، حتى وإن قام بالدفاع عن وجود دولة إسرائيل الصهيونية، أصبح يُلعن من كافة المنظمات ووسائل الإعلام الرئيسية اليهودية والمالية لإسرائيل بسبب انتقاد السياسة الإسرائيلية حيال الفلسطينيين... لكنه، "بالرغم من سمعته التي تحظى بكل احترام في مجال التوثيق، والكشف عن رياء الأنظمة الأميركية والأوروبية، وتحليل الخدع الفكرية للمدافعين عن الإمبريالية - يصاب بالعمى السياسي - وتغيب عنه هذه الفضائل التحليلية بالكامل عندما يتعلق الأمر بمناقشة تحديد شكل السياسة الخارجية الأميركية في الشرق الأوسط، وبصفة خاصة دور الجماعة الإثنية فيه، أو اللوبي اليهودي الموالي لإسرائيل ومؤيديه الصهاينة في الحكومة."² بالنسبة لبتراس، فإن لتشومسكي تاريخ طويل في الإنكار الجازم لنفوذ اللوبي الموالي لإسرائيل ودوره في تحديد شكل السياسة الأميركية في الشرق الأوسط، لكنه بلغ أوجه "لدى انضمامه لآلة الدعاية الصهيونية الأمريكية لمهاجمة دراسة تنتقد اللوبي الإسرائيلي. أنا أشير، يقول بتراس، إلى البحث الذي نشرته "لندن ريفيو أوف بوكس" بعنوان اللوبي الإسرائيلي بقلم البروفيسور "جون ميرشايمر" من جامعة شيكاغو، والبروفيسور "ستيفان والت" وهو العميد الأكاديمي لكلية كينيدي الحكومية في جامعة هارفرد. (نشرت كلية كينيدي الحكومية نسخة كاملة عن الدراسة في آذار/مارس 2006).³

يطلق "بتراس" على فرضيات "تشومسكي" التي تتناول اللوبي بالاقترحات المريبة، ويلخصها في النقاط التالية:

¹ فايننشال تايمز، الافتتاحية، السبت 1 نيسان/أبريل 2006، عن جايمس بتراس، المرجع السابق نفسه، ص. 313.

² جايمس بتراس، المرجع السابق نفسه، ص. 314.

³ المرجع والصفحة. أنظر الترجمة للكتاب باللغتين العربية والفرنسية:

ستيفن والت، جون ميرشايمر، اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأميركية، الطبعة الأولى، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2007.

Stephen Walt et John J. Mearsheimer, **Le Lobby Pro-Israélien Et La Politique Étrangère Américaine**, Traduit de l'Anglais (Etats-Unis) par Nicolas Guilhot et autres, Paris, La Découverte, 2007 pour la traduction française ; 2009.

- 1- اللوبي الموالي لإسرائيل هو كأي لوبي آخر تماما؛ لا تأثير خاص له ولا مكان له في السياسات الأميركية.
- 2- إن المجموعات التي تدعم اللوبي الإسرائيلي لا تملك نفوذا أكبر من جماعات ضغط مؤثرة أخرى.
- 3- حقق برنامج عمل اللوبي نجاحا لأنه يتوافق مع مصالح القوى المهيمنة ومصالح الولايات المتحدة.
- 4- يثبت ضعف اللوبي من خلال واقع أن إسرائيل هي مجرد أداة لبناء الإمبراطورية الأميركية تُستخدم عند الحاجة، وإلا تعرضت للتهشيم.
- 5- بيغ أويل والمركب العسكري- الصناعي هما القوتان الرئيسيتان اللتان تحددان شكر السياسة الأميركية في الشرق الأوسط، وأي منهما غير مرتبط باللوبي الموالي لإسرائيل.
- 6- تتطابق مصالح الولايات المتحدة عامة مع مصالح إسرائيل.
- 7- الحرب على العراق والتهديدات التي تواجهها سوريا وإيران هما من نتاج المصالح النفطية والمركب العسكري - الصناعي، ولا يعود سببهما إلى دور يلعبه اللوبي الموالي لإسرائيل أو المتعاونون معه في البنّاغون ووكالات حكومية أخرى.
- 8- السلوك الأميركي في الشرق الأوسط مماثل للسياسات التي اتبعتها الولايات المتحدة في أماكن أخرى من العالم، وهذه السياسة تفوق سياسة اللوبي أهمية.¹

تلخص العناصر المذكورة أهم فرضيات تشومسكي حول اللوبي الموالي للكيان الصهيوني ومدى تأثيره في صناعة وصياغة السياسة الخارجية الأميركية، خصوصا ما تعلق منها بالشرق الأوسط، أي البيئة الإستراتيجية لدولة إسرائيل، حيث يتساءل بتراس عن سبب إجماع البروفيسور تشومسكي، الذي يصفه بكلي الاحترام، ربما لأن اللوبي نفسه يسوق له صورة الأكاديمي اليهودي الأمريكي الأكثر موضوعية والأغزر إنتاجا والأوسع اطلاعا، عن سبب "إجماعه بصورة عامة، وعمدا عن مناقشة خطب اللوبي الموالي لإسرائيل، ومقابلاته ومنشوراته، بصفة خاصة، والتي تحلل السياسة الأميركية المتبعة حيال الشرق الأوسط ...

وبما أنه (أي جايمس بتراس) يعتبر مسألة الحرب والسلام في الشرق الأوسط ودور اللوبي الإسرائيلي من الأهمية بمكان... فإن كبت التفكير الحر يسمح بوضع تشريع سياسات تُلحق الضرر بمصالح

¹ جايمس بتراس، المرجع المذكور نفسه، ص. 315.

الشعب الأمريكي، كما إن اللوبي يشكل تهديدا للسلام في الخارج وللحريات المدنية في الوطن الأم¹، وعليه، وجب تفحص الفرضيات الخاطئة التي وضعها تشومسكي (يسوقها تحت عنوان فرعي: فرضيات تشومسكي الخمس عشرة):

1- يدعي تشومسكي أن اللوبي ليس سوى لوبي آخر في واشنطن، ولكنه يهمل أمر ذكر الغالبيات الكبرى التي ضمنها هذا اللوبي في الكونغرس لصالح تخصيص معونة خارجية سنوية لإسرائيل تبلغ ثلاثة أضعاف المعونة الممنوحة لإفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية مجتمعة (أكثر من 100 مليار دولار على مدى 40 عاما). ولا وجود للوبي آخر يجمع بين ما يملكه اللوبي الموالي لإسرائيل من ثروة، وشبكات من المحازبين، وإمكانية الاستفادة من خدمات الإعلام، وقوة تشريعية، وتركيز على هدف واحد.

2- يفتقر عزو تشومسكي إلى بيغ أويل تحقيق أهداف طجاء الحرب إلى الأدلة، ففي الواقع، تُلحق الحروب الأميركية في الشرق الأوسط الضرر بالمصالح النفطية من نواح استراتيجية عدة. فالحروب تولد بشكل عام عداة إزاء شركات النفط التي ترتبط بعلاقات طويلة الأمد مع البلدان العربية. كما تؤدي الحروب إلى إضعاف إمكانية إبرام عقود جديدة تفتح الطريق أمام استثمارات نفطية أميركية في هذه البلدان. لقد كانت شركات النفط الأميركية أكثر تشجيعا من إسرائيل والذين يمارسون الضغوط لصالحها، لإيجاد حلول سلمية للأزمات، كما تؤكد عليه الصحف المتخصصة بصناعة النفط والناطقين باسمها. وبخلاف رأي تشومسكي، فبذهاها إلى الحرب في الشرق الأوسط، ضحت الولايات المتحدة بمصالحها الحيوية المرتبطة بشركات النفط لصالح سعي إسرائيل للهيمنة على الشرق الأوسط، مستجيبة بذلك بدعوة وتوصية اللوبي الموالي لإسرائيل.

3- يرفض تشومسكي تحليل الأضرار الدبلوماسية التي تنتشأ عن قيام الولايات المتحدة بالتصويت ضد قرارات مجلس الأمن الدولي، أو الامتناع عن التصويت عليها، والتي تُدين انتهاكات إسرائيل المنهجية لحقوق الإنسان... لم يكن الدفاع العلني عن الجرائم الإسرائيلية واضحا - أو غير ملائم للمكانة الأميركية العالمية - بوضوح رفض الولايات المتحدة إدانة الضربات التي توجهها إسرائيل للمدنيين في لبنان.

¹ المرجع نفسه، ص. 316.

4- بالنسبة إلى شخص دقيق جدا كتشومسكي، من المدهش إهماله مناقشة دور اللوبي في انتخاب أعضاء الكونغرس، وتمويل المرشحين الموالين لإسرائيل، وإنفاق ما يفوق الخمسين مليون دولار على الأحزاب السياسية والمرشحين والحملات الدعائية.

5- و تكون النتيجة تصويت 90% من أعضاء الكونغرس على مسائل ذات أولوية كبيرة بضغط من اللوبي واتحادات محلية وإقليمية موالية لإسرائيل. وتمت الموافقة على اقتراح للكونغرس حول تدابير تصب في خانة الإبادة الجماعية - إيقاف كل المعونات للفلسطينيين بتحريض من آيباك وكافة المنظمات اليهودية الرئيسية - بنتيجة 361 صوتا في مقابل 37 وامتنع تسعة أعضاء عن التصويت.

6- يهمل تحليل الحالات التي هزم فيها اللوبي المرشحين أو الاعتذارات المذلة التي انترعت من أعضاء الكونغرس الذين تجرؤوا على طرح أسئلة حول سياسات اللوبي وتكتيكاته... فمحاولات تشومسكي الضعيفة للمساواة بين مبادرات آيباك الموالية لإسرائيل ومصالح السياسة الأمريكية هي منافية للعقل بوضوح بالنسبة إلى كل من يدرس عملية انحياز الجماعات السياسية المرتبطة بتدابير آيباك في ما يتعلق بالتخطيط، والضغط، والدعم، والمشاركة في الرعاية.

7- يتجاهل تشومسكي قدرة اللوبي التي لا تُضاهى على دعوة النُخب إلى الاجتماع. إذ يستقطب اللقاء السنوي لآيباك كل القادة الرئيسيين في الكونغرس، وأعضاء أساسيين في الحكومة، وأكثر من نصف أكثر من نصف أعضاء الكونغرس الذين يمنحون إسرائيل دعما لأمشروطا، حتى إنهم يعتبرون المصالح الإسرائيلية والمصالح الأميركية أمرا واحدا. وليس باستطاعة أي لوبي آخر ضمان هذا المستوى من حضور النخبة السياسية...

8- يذكر تشومسكي أهمية إسرائيل بالنسبة إلى الاستراتيجية الإمبريالية الأميركية القاضية بإضعاف القومية العربية، ودورها في توفير معونات عسكرية ومستشارين عسكريين لأنظمة توناليتارية إرهابية (غواتيمالا، الأرجنتين، كولومبيا، التشيلي، بوليفيا...) عندما يفرض الكونغرس عقوبات ليكون التدخل بقيادة أميركية.

9- بغض النظر عن الارتباب في شأن قيام إسرائيل بخدمة أهداف الإمبريالية الأميركية، ولاسيما في أوضاع تُتبع فيها سياسات دامية، فإن التحليل الأشمل للمصالح الأميركية قد برهن أن تكاليف دعم إسرائيل تتخطى بكثير المصلحة العرضية، إذا أخذنا بعين الاعتبار الفوائد الناجمة عن الأهداف الأميركية الإمبريالية أو فوائد أكبر ناجمة عن تفضيل سياسة خارجية ديمقراطية. ففي مقابلة مع الـ وول ستريت جورنال (12 نيسان/أفريل 2006) أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي أولمرت أنه سيطلب 10

مليارات دولار أميركي لإعادة إسكان 70.000 مستوطن يهودي في الضفة الغربية، حشد اللوبي على الفور أعدادا كبيرة من أعضاء الكونغرس لدعم الاقتراح الإسرائيلي الخيالي، في حين كان مئات الآلاف من ضحايا الإعصار كاترينا بلا مأوى أو عمل أو مستقبل.

لم يسبق للولايات المتحدة أن دخلت في حرب إمبريالية عارضها أصحاب النفوذ الاقتصاديون الرئيسيون أو التزموا الصمت حيالها. وإذا تفحصنا الحالات التي ذكرها تشومسكي ومعاونوه: غواتيمالا 1954، إيران 1954، والتشيلي 1973، فقد دعمت المجموعات الاقتصادية الرئيسية آنذاك التدخل الأميركي: يوناييتد فروت في غواتيمالا، ستاندرد أويل في إيران، أناكوندا وأيتيني في التشيلي.

في الحروب الشرق أوسطية والجنوب - آسيوية الحالية، لا وجود لتأثير مماثل تمارسه الاتحادات (النفطية) الاقتصادية أو حتى المؤسسات الفردية. لم يُشر تشومسكي إلى أي تصريح علني، أو مذكرة سرية، أو لوبي في صناعة النفط يقوم بالترويج لبرنامج الحرب. بخلاف ذلك، هناك أكثر من 2000 تصريح، ونشرة إعلامية، ومؤتمر، ومقابلة، ومقالة افتتاحية، ومستند لكافة جماعات الضغط اليهودية الرئيسية وقادتها روجت لاجتياح العراق...¹

¹ المرجع نفسه، ص ص. 316-332.

المبحث الثالث: النقد العلمي للرواية الرسمية: نقض فرضية عجز الوكالات الأمنية**المطلب الأول: تيري ميسان: الخديعة المرعبة والبنتاغايت « Pentagate »**

رغم اعتماد الرواية الرسمية الأمريكية على تاريخ طويل ممتد للأحداث ورغم ما نشر من تفاصيل وأسماء لم تنتفها معظم أجهزة الأمن الغربية والعربية والإسلامية، وبعضها صرح أنه قد أرسل تحذيرات قوية لواشنطن عن مؤامرة قادمة وشيكة، ورغم الأحاديث المذاعة لبين لادن وبعض من قادة تنظيم القاعدة...، إلا أن غموض الحدث وعنصر المفاجأة فيه وموت من قاموا به فتح الطريق لروايات أخرى معظمها لأفراد قدموها في صورة كتب أو محاضرات أو لقاءات تلفزيونية أو من خلال مواقع مخصصة لهذا الغرض على شبكة الإنترنت.

واعتمدت هذه الرواية بصفة عامة على البحث في الثغرات الموجودة في الرواية الأمريكية، والصعوبات التقنية التي تحول دون تنفيذ عملية الهجوم، وأيضا محاولة الحصول على دوافع وراء جماعات أخرى غير تنظيم القاعدة.

ومن أشهر هذه الروايات ما قدمه الكاتب الفرنسي "تيري ميسان" في كتابه "11 سبتمبر الخديعة المرعبة"

(Thierry Maysan (11 Septembre :L'effroyable Imposture) والذي يحمل على غلافه صورة لمبنى البنتاغون وتحتها عبارة مثيرة: "لم تصطم أية طائرة بمبنى البنتاغون"، وظل الكتاب لفترة طويلة من أكثر الكتب مبيعا في أوروبا والعالم. كما أشرف تيري ميسان على إعداد كتاب آخر بعنوان "البنتاغايت، فضائح التستر على حقائق الهجوم على البنتاغون" تم إرفاقه بملف بالصور لدحض الرواية الرسمية وإبراز الخلفيات التي كانت وراء التصريحات والتصريحات المضادة. على غلاف الكتاب الجديد تبرز صورة النقب الذي خلفه الهجوم على مبنى وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) وأمامه بعض الحطام وعون من أفراد الحماية المدنية...

بالإضافة إلى كتابي تيري ميسان نجد مواقع عديدة على شبكة الإنترنت، منها موقع للمرشح الأمريكي الديمقراطي السابق لمنصب الرئيس الأمريكي على امتداد ست دورات "ليندن لاروش" الذي شكك في الرواية الأمريكية المذاعة وانحاز لفكرة أن قوى أمريكية عسكرية هي التي تولت التخطيط وتنفيذ الحدث لصالح اليمين الأمريكي وجناحه العسكري. ثم يأتي موقع إعادة فتح التحقيق حول أحداث 11 أيلول / سبتمبر 2001، بعنوان: www.ReOpen911.info أين تم نشر عديد الدراسات النقدية من مقالات وكتب وشهادات وفيديوهات وتسجيلات، تحمل الكثير من النقد ذي القيمة العلمية، حول حقيقة الهجمات وتهافت الرواية الرسمية واستغلال صناع القرار الأمريكيين للأحداث على مستوى

الاستراتيجية والسياسة الخارجية، كما على مستوى السياسة العامة والتضييق على الحريات الأساسية... الخ.

على الرغم من تركيزنا على أول دراسة نقدية مدعمة باستدلال قوي، من تأليف وإشراف "تيري ميسان"، لا ننسى أطروحة "روجي غارودي" حول ما أطلق عليه: "الإرهاب الغربي" أين استفاض في استقصاء عمليات إرهاب الدولة الممنهج في حق جميع شعوب العالم من طرف الغرب الذي يصفه بأنه مجرد حادث عابر وفقا لمقولته الشهيرة: « L'occident est un accident » ثم مع إفراده للولايات المتحدة بأنها: "طليعة الانحطاط"، يشير الباحث المثقف إلى صعوبة العملية نفسها وأنها من الناحية التقنية أكبر بكثير من أن يقوم بها مجموعة من العرب القادمين من أماكن مختلفة، ملخصا بقناعته على أساس العناصر التفسيرية التالية:

❖ وفقا لإجماع 200 قائد طائرة، مدنية وعسكرية، أمريكيين، فإن عملية في مثل هذه الضخامة وبهذه الدقة لا يمكن أن يقوم بها إلا قادة مختصون ذوو كفاءة عالية جدا حتى يستطيعوا متابعة مسار محدد وصعب بسرعة 1000 كلم في الساعة والاصطدام بدقة متناهية، لهدف يبدو في العلو العادي للطائرة المدنية الكبيرة بحجم قلم الرصاص!⁽¹⁾.

❖ عملية ناجحة بشكل كامل تفترض معرفة تامة بالقواعد القانونية والنظامية، بال ممنوعات، بالرموز السرية في سماء أين يعد كل شبر محروسا من طرف الأمن العسكري ووكالة المخابرات المركزية CIA.!

❖ خلال الهجوم، لم يتدخل أي من أجهزة الأمن: الطائرات المطاردة الموضوعه أصلا في حالة تأهب دائم من أجل إقلاع فوري لضرب أي طائرة مشبوهة تطير فوق سماء كولومبيا، لم تنلق أي أمر! .

❖ في إطار الأبحاث المنجزة من طرف الأمريكيين لمكافحة تحويل وقرصنة الطائرات، تملك الولايات المتحدة الأمريكية نظاما يسمح بشل خطة طيران الجهاز المستهدف، وبالتحكم فيه عن بعد بغرض ضربه وتدميره أو لفرض اتباع مسار محدد...! .

إذن لم تكن هناك حاجة، لا إلى قائد الطائرة ولا إلى قرصان يأخذ مكانه أثناء الهجوم...، فكل شيء كان مسيرا بالتحكم عن بعد، انطلاقا من "أواكس" Awacx.!

¹ Roger Garaudy, **le Terrorisme Occidentale**, 1^{ere} edition, Alger ; Edition Dar El Ouma, Septembre 2002, p 06.

خلاصة هؤلاء الخبراء والقادة المائتين واضحة: "توجب الأحداث وجود تواطؤ من أعلى الهيئات الحكومية، والجيش، والأجهزة الأمنية (نحن أمام خيانة عظمى، أمام مؤامرة)"⁽¹⁾.

ينفي "تيري ميسان" بشكل قاطع اصطدام أي طائرة بمبنى البنتاغون...:

أولاً: كان تناقض الروايات وارتباك المصرحين مدعاة للشك، حيث صرحت وكالة رويترز بأن الحادث ناجم عن انفجار مروحية، وأكد "بول بيغاللا" المستشار الديمقراطي، لوكالة الأسوشيتد برس "Associated press" ثم بعد ذلك توالى التصريحات التي تنفي خبر المروحية وتبين رواية الطائرة.

ثانياً: تهافت رواية قائد النوراد "North American Aerospace Defense "NORAD" Comand. إذ لا يعقل تصديق أن نظام الرادار العسكري الأمريكي عاجز عن تحديد موقع طائرة بوينغ في منطقة لا يتجاوز شعاعها عشرات الكيلومترات، وأن طائرة كبيرة استطاعت تجاوز طائرتي =الأف 16 (F16) اللتين كانتا تطاردانها!.

ثالثاً: عدم وجود أي أثر طائرة في الصور الأولى الملتقطة لمبنى البنتاغون، وخاصة تلك المأخوذة من طرف طوم هوران من الأسوشيتد برس بعد ذلك بمدة زمنية، رغم أن صورة الـ Associated press التقطت في الدقائق الأولى للحادثة أي عند وصول سيارات الإطفاء ولكن قبل انتشار رجال الإطفاء وانهيار الطوابق العليا...، كما أن إدخال شكل صورة الطائرة في صورة القمر الصناعي يجعلنا نلاحظ أن رأس الطائرة وحده قد دخل المبنى في حين بقي جسم الطائرة وجناحها في الخارج.

وتوقفت الطائرة عند هذا الحد من غير أن يصطدم جناحها بواجهة المبنى، ولم يبد أي أثر للاصطدام في غير المكان الذي ارتطمت به مقدمة البوينغ، كان من المفترض إذن أن نرى جناحي الطائرة وجسمها في الخارج على الساحة العشبية وإذا كان رأس الطائرة مصنوعاً من مزيج مركب قابل للصهر بشكل سريع وجناحاه حيث يحفظ الوقود قابلياً للاشتعال فإن جسم طائرة البوينغ مؤلف من مادة مشابهة لهيكل سيارة أو شاحنة، ولذلك فهو يخلف عقب الحريق حطاماً محترقاً ومكلساً...

وهكذا فمع أن بعض المسؤولين وأعضاء البرلمان والعسكر قد زعموا أنهم رأوا الطائرة وهي تسقط إلا أن أحداً لم ير أي قطعة تعود للطائرة ولا حتى عجلات الهبوط: كل ما كان مجرد أجزاء حديدية غير محددة، أما بالنسبة لكاميرات المراقبة في موقف البنتاغون فلم تلاحظ سقوط البوينغ، لا في أي لحظة ولا من أي زاوية كانت...

¹ Ibid, p 07.

لقد تم تليفق هذه الحكاية تدريجياً كذبة تلو الأخرى، فبالعودة إلى البيان الأول الصادر عن البنتاغون، نلاحظ أن الحديث لم يكن عن طائرة بوينغ أصلاً...، ولم تنشأ نظرية "الطائرة-الانتحارية" إلا بعد نصف ساعة، وكذلك لم تطرح فكرة مسألة الطائرتين المطاردتين ومحاولتهما لإيقاف الطائرة الشبح في حديث رئيس هيئة الأركان المشتركة، بل حدث ذلك بعد يومين حين ابتكر النوراد NORAD فكرة شرود طائرتي الأف 16 (F16) (1).

إذن " إذا كانت إدارة بوش قد لفقت الهجوم على البنتاغون لتخفي مشاكل داخلية، ألم تحجب كذلك بعض الأمور فيما يتعلق بالهجمات التي استهدفت مركز التجارة العالمي؟" (2).
لندع رواية الهجوم على البنتاغون الملفقة، ولنعد إلى رواية الرسميين المتعلقة بالهجوم على مركز التجارة العالمي لنشبعها بحثاً وتمعناً...:

-1- وفقاً للمعلومات التي كشف عنها الركاب عبر الهاتف كان القراصنة مسلحين بالأسلحة الأبيض فقط (3).

بعد إغلاق الفضاء الجوي الأمريكي، أخضعت كل الطائرات التي كانت في الجو إلى التفتيش من قبل الأف بي آي (FBI)، فتم العثور في طائرة الرحلة 46 (نيويورك - لوس أنجلوس و 1729 نيويورك - سان فرانسيسكو) على سكاكين متشابهة كانت مخبأة تحت بعض المقاعد، فعمم المحققون استعمال هذا النوع من السكاكين على قرصنة الجو جميعاً.

واكتشفت وكالة المخابرات الأمريكية (CIA) فيما بعد أكياساً من السكاكين في منزل في أفغانستان كان أسامة بن لادن قد أقام فيه، وأثبتت بذلك أن الإسلاميين قد تدربوا على كيفية استعمال هذه الأسلحة.

غير أنه يبدو من غير المعقول أن يهمل الموصي بهذه الهجمات تزويد رجاله بالأسلحة النارية مجازفاً بذلك بنجاح عملياته بكاملها أو جزء منها، ومن وجوه الغرابة أيضاً أنه من السهل أن يمر منقذوا العملية على رقابة المطارات بمسدسات على أن يزودوا بسكاكين (4).

¹ تيري ميسان، 11 أيلول 2001: الخديعة المرعبة، ترجمة سوزان قازان ومايا سليمان، الطبعة الأولى، دمشق، دار

كنعان للدراسات والنشر والتوزيع، 2002، ص: 19 - 20

² المرجع نفسه، ص 22.

³ إلا في الطيران 93 الذي انفجر فوق بنسلفانيا إذ تكلم الركاب عن علبة كان يحملها القراصنة ويقولون إنها قنبلة=

المرجع نفسه، هامش، ص 25 .

⁴ المسدسات المصنعة غير قابلة للكشف عند مرورها في أروقة المطار، لمزيد من المعلومات يرجى الرجوع إلى

الموقع: <http://www.glock.com>

وما الحاجة إلى أسئلة كهذه ؟

من المعروف في الخيال الجماعي أن العرب وبالتالي الإسلاميين يجذبون ذبح ضحاياهم وتبين السكاكين أن قرصنة الجو كانوا جميعا من العرب، وهنا الباقي إثباته.

قبل الوصول إلى نيويورك كان على الطائرتين أن تنخفضا بشكل ملحوظ ليتمكن الطياران من رؤية البرجين مواجهة وليس من أعلى، ذلك أننا نرى المدينة من السماء تبدو لنا شبيهة بخريطة تختفي فيها كل العلامات البصرية، لذلك ينبغي أن يكون الطيار مركزا على علو منخفض جدا لينجح في ضرب البرجين.

لا بد أن الطيارين قد ثبتا الطائرتين جانبا فضلا عن قيامهما بتنظيم درجة ارتفاع الارتطام، ففي حين يبلغ عرض البرجين ثلاثة وسبعين مترا وسبعين سنتيمترا (73.70م) يبلغ مدى اتساع البوينغ 767 سبعة وأربعين مترا وستين سنتيمترا (47.60م)، ونلاحظ على الفيديو أن الطائرتين قد ارتطمتا بمركز الهدف بالضبط ولو انحرفتا مسافة خمسة وخمسين مترا وخمسة وستين سنتيمترا (55.65م) لما حصل الاصطدام.

ويمكن اجتياز هذه المسافة في ثلاثة أعشار من الثانية إذا كانت السرعة عادية أي توازي 700 كلم في الساعة، ونظرا لقلّة المرونة التي يتمتع بها هذان المحركان والوصول إلى الهدف بهذا الشكل فإن تنفيذه يشكل تجربة تتطلب قوة بالنسبة لطيارين محنكين أو بالأحرى متمرسين.

وصلت الطائرة الأولى مواجهة تماما وباتجاه الرياح مما سهل عملية التثبيت، أما الطائرة الثانية فاضطرت إلى القيام بحركة دوران معقدة، خاصة وأنها تطير عكس الرياح إلا أنها نجحت هي الأخرى في ضرب البرج على ارتفاع مناسب وفي المركز تماما.

يقول "تيري ميسان": " أكد الطيارون المتمرسون الذين قابلناهم في هذا الإطار أن عددا قليلا منهم يقدر على القيام بعملية كهذه، ونفوا نفيًا قاطعا إمكانية تنفيذها من قبل طيارين من الهواة"⁽¹⁾.

إنما يبقى استعمال جهاز التحكم وسيلة أكيدة لضمان نجاح عملية كهذه، إذ مكن إصدار إشارة من الهدف لجذب الطائرة التي تقاد في هذه الحالة بشكل آلي، والواقع أن أجهزة راديو غير محترفة أثبتت وجود جهاز تحكم في مركز التجارة العالمية وسجلت إشارته، وكشف جهاز تحكم بسبب تداخله مع انبعاثات هوائيات التلفزيون الموضوعه فوق البرجين ومن المحتمل أن تكون الإشارة قد شغلت في

¹ المرجع نفسه، ص 27.

اللحظة الأخيرة لتفادي اكتشافها وتحطيمها، ولعل القراصنة قد استخدموا جهازي تحكم اثنين، ذلك أنه من الصعب أن تنجح العملية بجهاز واحد رغم تقارب الهدفين.

مهما يكن من أمر فقد احتاج القراصنة لذلك إلى شركاء على الأرض وفي حال كان لديهم شركاء لم يكن من الضروري أن يكون عددهم (أي عدد القراصنة) كبيرا على متن الطائرتين ففريق صغير قادر على تثبيت الطائرة آليا ولم يكن وجود القراصنة على متن الطائرة مهما أصلا.

فبقراصنة أجهزة الكمبيوتر التي على متن الطائرة يمكن السيطرة على الطائرة خلال الطيران بفضل تكنولوجيا الغلوبال هوك Global Hawk أي الصقر الشامل التي اعتمدها وزارة الدفاع⁽¹⁾ ويتم توجيه طائرة البوينغ حينذاك من مسافة معينة⁽²⁾.

-2- بعد أن انهار برج مركز التجارة العالمي عهدت وكالة إدارة الطوارئ الفدرالية : FEMA Federal Emergency Management Agency إلى الجمعية الأمريكية للمهندسين المدنيين (ASCE) بلجنة تحقيقات.

وجاء في التقرير التمهيدي أن اشتعال وقود الطائرتين قد بعث حرارة شديدة أضعفت البنية الحديدية.

غير أن رابطات رجال الإطفاء في نيويورك في مصاف مجلة فاير أنجيينغ Fire Engineering المتخصصة دحضت هذه النظرية وهي تؤكد مرتكزة على الحسابات الهندسية أنه يمكن لهذه البنى مواجهة النيران لوقت طويل.

أما رجال الإطفاء فيؤكدون أنهم سمعوا انفجارات في قاعدة الأبنية ويطالبون بفتح تحقيق مستقل⁽³⁾، ويتساءلون عن المواد المخزنة في الأبنية وعند غياب الإجابة عن سؤال كهذا يدور الحديث عن انفجارات جرائمية يفتعلها فريق على الأرض.

¹ GLOBAL HOCK, THE DOD'S NEWEST UNMANNED AIR VEHICLE:
http://www.defense.link.mil/potos/feb_1997/9702220-D-0000G-001.html.

² تيري ميسان، مرجع سابق، ص 27.

³ شهادة رجل الإطفاء لوي كاشيولي (فرقة 47) أنظر:

<http://www.people.aol.com/people/special/0.71859.174592-3.00.html>

هذا ما يؤكد "فان روميرو" خبير مشهور من معهد مكسيكو الجديد للتعددين والتكنولوجيا (New Mexico Institut of Mining and Technology) فيقول إن المتفجرات⁽¹⁾ هي الوحيدة القادرة على إحداث الانفجار ثم إزاء التأثير العام يرجع عما صدر عنه⁽²⁾.

-3- تحطم الطائرتين لا يفسر انهيار المبنى الثالث أو البرج 7! وقد دحضت الجمعية الأمريكية للمهندسين الأمريكيين فرضية اختلال الأساسات ذلك أن البرج السابع لم ينحن بل انهار على نفسه.

-4- مركز التجارة العالمي الذي كان يعتقد هدفا مدنيا يخفي في الواقع هدفا عسكريا سريرا، ولعل آلاف الأشخاص قد قضاوا لأنهم شكلوا من غير علمهم درعا بشريا، فقد كان البرج السابق ولربما غيره من المباني والطوابق تحت الأرض يخفي قاعدة السي آي أي (CIA)⁽³⁾.

ففيما كانت هذه القاعدة مكتب تجسس بسيط على الوفود البعيدة عن منظمة الأمم المتحدة في الخمسينيات وسعت نشاطاتها في عهد بيل كلينتون بصورة غير شرعية وطالت التجسس الاقتصادي على مانهاتن وانتقلت الموارد الرئيسة لجهاز الاستخبارات الأمريكي من التجسس ضد الإتحاد السوفيتي إلى التجسس في مجال الحرب الاقتصادية.

وقد اعترض على إعادة توجيه جهاز الاستخبارات القسم التقليدي للـ CIA وهيئة الأركان المشتركة.

-5- تم تحذير الكثير من العاملين والموظفين من أجل التخفيف من حجم الخسائر كما تمكنت مصلحة الاستخبارات الأمريكية من تصوير الهجوم الأول وذلك لأنها علمت به قبل حدوثه، وفي هذه الحالة لم تم تفعل شيئا لإنقاذ المواطنين؟

¹ <http://www.abpjjournal.com>

² تييري ميسان، مرجع سبق ذكره، ص: 28.

³ يقول ت.ميسان: "علمنا بشهادات كثيرة تقول إن مقر قاعدة الـ CIA كان موجودا عند المستويين التاسع والعاشر من البرج السابع، ولعلمهم استعملوا NyElectronic Crime Task Force العائدة إلى الوكالة السرية Secret Force كتغطية وبعثت لنا المصادر نفسها بصور للبرج 7 التقطت بعد انهيار البرج الجنوبي: نلاحظ الصور بوضوح وحرقا عند المستوى التاسع لكن لم يتسن لنا التحقق من صحة الصور وصدق المعلومات : الخديعة المرعبة، هامش ص

28 ؛ وأنظر: <http://www.membres.aol.com/erichuf/eh-wtc16.999>

- لنستعد معلوماتنا باختصار:

حصل الإرهابيون على الدعم اللوجستي من الفرق على الأرض، وقد شغلوا جهاز تحكم أو جهازين، أنبؤوا الأشخاص الموجودين في البرجين للتخفيف من الخسائر البشرية وفجروا ثلاثة مبان بالديناميت، كل ذلك يحصل أمام عيني وكالة المخابرات من غير أن تحرك ساكنا.

أيمكن أن يتم التخطيط لعملية كهذه وإدارتها ابتداء من مغارة في أفغانستان؟ وهل يعقل أن تكون جماعة من الإسلاميين هي التي نفذت هذه العملية؟⁽¹⁾.

-6- ما ظهر من حالة ارتباك في أجهزة الأمن الأمريكية بالنسبة لأسماء العرب والمسلمين الموجودين على قائمة الطائرات المخطوفة، فعندما أعلنت الخطوط الجوية الأمريكية أول قائمة بأسماء الركاب، لم يكن فيها اسم أي عربي طبقا للرواية، وتم تغيير القائمة فجأة دون ذكر مبرر للتغيير، وقدمت قائمة أخرى تحتوي على أسماء 19 راكبا عربيا، اتجهت إليهم أصابع الاتهام، وتبين أن القائمة الجديدة تحتوي على أسماء أشخاص توفوا قبل سنتين، كما وردت فيها أسماء أشخاص أحياء ويعملون حاليا في بلدان أخرى⁽²⁾.

فقد أكدت السفارة السعودية في واشنطن أن عبد العزيز العمري ومهند الشهري وسالم الحزمي وسعيد الغامدي يتمتعون بصحة تامة ويعيشون في بلادهم، أما وليد م. الشهري فهو يسكن حاليا في كازابلونكا (الدار البيضاء) ويعمل طيارا في الخطوط الجوية في رويال آير ماروك وأجرى مقابلة مع صحيفة القدس العربي التي تصدر في لندن باللغة العربية.

كما صرح وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل للصحافة بما يلي: "تم التأكد من أن خمسة أشخاص من لائحة "الأف بي أي" (F.B.I) لا علاقة لهم بما جرى من قريب ولا من بعيد"⁽³⁾.

7- ما كتبه صحيفة "Le Figaro"⁽⁴⁾ " (عن أسامة بن لادن) ... خلال فترة استشفائه، حضر لزيارته العديد من أفراد عائلته وشخصيات سعودية وإماراتية، وخلال فترة إقامته هذه، شوهد الممثل المحلي

¹ المرجع نفسه، ص: 32.

² محمد قدرى سعيد، **11 سبتمبر 2001: الأفكار والأسرار**، مرجع سبق ذكره، ص: 50.

³ تيري ميسان، مرجع سبق ذكره، ص: 46.

⁴ Le Figaro : 31 Octobre 2001. PP : 1-2- et 5.

لوكالة CIA الذي يعرفه الكثير في دبي وهو يسلك طريقه نحو المصعد الرئيسي متوجها إلى غرفة "أسامة بن لادن".

" كان أسامة بن لادن في باكستان في الليلة التي سبقت هجمات 11 سبتمبر الإرهابية (...) أدخل بالسر إلى مستشفى عسكري في روالپنڊي Rowalpindi ليخضع فيها إلى ميز Dialyse حسب مراسل لمحطة CBS" (1).

إن الرجل الذي دعا للجهاد ضد الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، وطالب مكتب التحقيقات الفدرالي برأسه مقابل خمسة ملايين دولار، وتقصف معسكرات التدريب التابعة له بواسطة صواريخ قرصنة، يعالج في مستشفى أمريكي في دبي حيث يبحث فيها مع رئيس مكتب الـ CIA المحلي، ويخضع بعدها إلى ميز Dialyse تحت حماية الجيش الباكستاني في روالپنڊي (2). ثم إن الإعلان الرسمي للرئيس "بارك أوباما" عن وفاته الغامضة أضاف ظللا جديدة من الشك واستدعى مزيدا من النقاش والنقد، حيث زعمت الرواية الرسمية بأن جثته أقيمت في البحر دون شهود، هذا على الرغم من إعلان عائلته عن وفاته وحضور أصدقائه لتشييع جنازته، بعد إجرائه حوار مع قناة الجزيرة شهر ديسمبر سنة 2001. وبعدها، بين سنتي 2001 و2011، لم يشهد أي شخص على لقائه أو رؤيته، إلا ما كان من أشرطة الفيديو التي كانت تُنسب إليه، وأبطلتها خبرة معهد دال مول « Dalle Molle » Institute والذي يُعتبر مرجعية عالمية في مجال الخبرة القانونية (3).

لقد تم الإعلان عن وفاته يوم 1 ماي 2011 من طرف الرئيس أوباما، مثلما تم الإعلان من قبل عن وفاة "أدولف هتلر" من طرف سابقه يوم 1 ماي 1945... ونضيف الإعلان عن وفاة البغدادي زعيم داعش في السياقات ذاتها...

¹ <http://www.cbsnews.com>

² ثيري ميسان، مرجع سبق ذكره، ص ص: 92 - 93.

³ Thierrey mayssan, Réflexions sur l'annonce officielle de la mort d'Oussama Ben laden, https://www.alterinfo.net/Reflexions-sur-l-annonce-officielle-de-la-mort-d-Oussama-Ben-Laden-par-Thierry-Meyssan_a58344.html, jeudi 5 Mai 2011. آخر زيارة للموقع: 27 ديسمبر 2019.

الفرع الأول: تقرير الكونغرس حول برنامج الـ CIA السري للتعذيب، تنظيم القاعدة و 9/11

يشير "تيري ميسان" إلى وثيقة رسمية هامة، نُشرت منها مقتطفات تمثل جزءا من اثني عشر جزءا من تقرير لجنة مجلس الشيوخ حول عمليات التعذيب والسجون السرية للمخابرات المركزية الأمريكية. تقع الوثيقة في 525 صفحة، نشرت منها السيدة "ديان فانشتاين" « Dianne Feinstein »، رئيسة لجنة مجلس الشيوخ للاستخبارات، مقتظفا مهما رغم حجب الكثير من المعلومات، وذلك يوم 9 ديسمبر 2014.

تتمحور خلاصة التقرير في علاقته بأحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001، في العناصر التالية:

1- يؤكد التقرير سلسلة التجارب التي قامت بها المخابرات المركزية الأمريكية CIA على 119 عينة بشرية (يوجد في الواقع، أكثر من 80.000 سجين سري لدى قوات البحرية الأمريكية US Navy وبالتالي فإن عدد العينات البشرية أكثر بكثير)، على أساس الأعمال التي قام بها "مارتن ساليغمان" « Martin Seligman »: (نظرية العجز المكتسب/La /Learned Helplessness Theory) تحت إشراف كل من "جايمس ميتشال" « James Mitchell » و "بروس جانسن" « Bruce Jensen » والتي يُطلق عليها رسميا (من طرف الـ CIA): "وسائل غير قياسية للتحقيق" « Non-Standard Means of Interrogation »

2- يتضمن التقرير اعترافا بسعي وكالة المخابرات المركزية عن طريق التعذيب، إلى برمجة وتكييف السجناء من أجل انتزاع اعترافات كاذبة بشأن تورط القاعدة في هجمات 11 سبتمبر 2001.

3- بمحاولتها إثبات التهمة الرسمية على تنظيم القاعدة، تهدف وكالة المخابرات المركزية إلى حماية أطراف أخرى لا تزال مجهولة. كما أنها لم تكن سببا في معاقبة المسؤولين عن الهجمات ولا في منع المزيد منها مستقبلا.¹

4- بعد تسريب معلومات عنه للصحافة، والإضرار بصورة ومصالح الولايات المتحدة في العالم، وتدهور علاقاتها الدولية مع طرح انشغالات ذات طابع قانوني وإنساني، تم إجبار الوكالة على إنهاء برنامجها للاستجواب القسري سنة 2006.²

¹ Thierrey Mayssan, Le rapport du Congrès sur la torture confirme qu'al-Qaida n'est pas impliqué dans les attentats du 11-septembre, réseau voltaire international / Damas (syrie) / 15 décembre 2014. www.voltairenet.org. 21 ديسمبر 2014. آخر زيارة للموقع في: 15 ديسمبر 2014.

² Gilles Paris, Les vingt conclusions du rapport sur les tortures menées par la CIA, 9 décembre 2014 https://www.lemonde.fr/ameriques/article/2014/12/09/les-vingt-conclusions-du-rapport-sur-les-tortures-menees-par-la-cia_4537615_3222.html. آخر 2019 زيارة للموقع: 15 جويلية

إذا نجح الرافضون للرواية الرسمية الأمريكية في التشكيك بل في دحض أهم عناصرها، فإن الإشكالية التي تظل تطرح نفسها بإصرار هي: فمن الذي فعلها؟

بناء على السوابق التاريخية، فإن أجهزة الاستخبارات الأمريكية بإمكانها القيام بعمليات تخريب ضد مؤسسات أمريكية، وذلك من أجل تمرير مشروع كبير...

الفرع الثاني: عملية "ثورث وودز" (North woods)

في هذا السياق تتم الإشارة إلى كتاب "كتلة الأسرار: تحليل لأدق أسرار وكالة الأمن القومي" بامفورد (James Bamford) وهو من العاملين السابقين بوكالة المخابرات المركزية والصادر سنة 2000، وفي هذا الكتاب يكشف المؤلف الستار عن وثائق سرية تعود إلى عهد الرئيس كينيدي، عندما فشل الإنزال الأمريكي في خليج الخنازير، وهي عملية كانت تستهدف الإطاحة بالرئيس الكوبي "فيدال كاسترو"، فقد قامت هيئة الأركان العامة الأمريكية بوضع خطة أخرى أطلق عليها اسم "ثورث وودز" (North woods) وكانت ترى أن العسكريين سينجحون فيما فشل في تحقيقه المدنيون في إشارة إلى رجال المخابرات الأمريكية، وقام رئيس الأركان الأمريكي في 13 مارس 1962 بتقديم ملف كامل إلى الرئيس كندي حيث جاء في شرح المبررات الموجبة للتدخل العسكري في كوبا: "ستبدأ العملية بعد تصعيد التوتر بين الولايات المتحدة وكوبا، وبعد سلسلة متعاقبة من العمليات المرتبة تجعل الرأي العالمي والأمم المتحدة تحت تأثير وقناعة بأن حكومة كوبا تتصرف بشكل غير مسؤول وأنها تشكل تهديدا للغرب والعالم". ومن بين هذه العمليات المقترحة قيام الجيش الأمريكي بالباس موظفين من أصل كوبي من العاملين في القاعدة البحرية الموجودة في خليج "غوانتانامو" من الذين سبق لهم الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية الملابس العسكرية الكوبية، ثم قيام هؤلاء بإشعال حريق في القاعدة العسكرية والهجوم على عدد من الطائرات وإحراقها وكذلك إغراق سفينة حربية فيها..، أي أن رئيس هيئة الأركان الأمريكية كان يخطط لعملية يحرق فيها بعض طائراته الحربية وبعض سفنه.

بل إن التخطيط كان يشمل: " القيام بحملة إرهابية في ميامي وفي فلوريدا، بل حتى في واشنطن، ففي فلوريدا يتم إغراق زورق يحمل مهاجرين كوبيين كما يتم تفجير بعض القنابل في بعض الأماكن والمحلات المختارة، ويعقب ذلك القبض على بعض العملاء الكوبيين وتسريب بعض الوثائق التي تبرهن على عزمهم ارتكاب عمليات إرهابية أخرى، كما يقوم بواسطة طائرة ميغ سوفيتية مزيفة بالتعرض لبعض الطائرات المدنية والتحرش بها، وكذلك فتح النيران من قبلها على بعض سفن النقل التجارية وعلى بعض الطائرات العسكرية التي تقوم بمهام الحراسة وسوف ترتب حادثة تبدو وكأن هذه الطائرة السوفيتية قد أسقطت طائرة مدنية في المجال الجوي الكوبي"، لكن الرئيس كندي رفض

الخطة المدبرة، وأمر رئيس الأركان بإتلاف كل الوثائق المتصلة بعملية نورث وودز، لكن بعض الضباط سربوا عددا من الوثائق المتعلقة بها إلى هذا الكاتب، كما أن رواية ميسان تؤكد على بقاء نسخة "روبرت ماك نامارا" وزير الدفاع محفوظة...، ومن هنا يمكن أن نستنتج أنه ليس مستبعدا أبدا قيام بعض القوى بتنفيذ مثل هذه العمليات لكي تؤثر في الرأي العام الأمريكي والعالمي: ولكي تشكل مبررا للقيام بشن عمليات حربية للوصول إلى أهداف معينة.

واعتمادا على التحليلات السابقة، يشير الاتهام في عملية 11 سبتمبر إلى الجيش الأمريكي وإلى حكومة ظل عسكرية داخل الولايات المتحدة الأمريكية يرأسها صقور الإدارة الأمريكية، وأنهم هم اللذين قاموا بالتخطيط لهجمات 11 سبتمبر 2001 من أجل دعم مؤسسات الصناعة العسكرية الأمريكية، وإقامة ما يسمى بالجيش الفضائي بغية تحقيق هيمنة أمريكية مطلقة على العالم، أما الهدف الأبعد من هذه الآلية العسكرية الرهيبة فهو إثارة صراع للحضارات يضعون فيها العالم المسيحي/اليهودي في جانب والعالم الإسلامي في جانب آخر...، كما تشير أصابع الاتهام بشكل أخص إلى "لوبي المصالح النفطية" متمثلا في نائب الرئيس: "ديك تشيني" ومستشارة الأمن القومي، كاتبة الدولة لدى الخارجية بعد ذلك: "كوندوليزا رايس"⁽¹⁾.

المطلب الثاني: نفي مصدق أحمد: الحرب على الحرية أو الحرب على الحقيقة؟

بعد وقت وجيز من هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001، نشر "نفي مصدق أحمد"، وهو باحث وصفه الكاتب الأمريكي "دافيد راي غريفين" بأنه باحث مستقل في إنكلترا²، كتابه الأول عن الأحداث، بعنوان: "الحرب على الحرية" «The War On Freedom» ناقش فيه مختلف الجوانب المتعلقة بالأحداث نفسها وأطروحة البيت الأبيض التي باتت تُعرف بالرواية الرسمية الأمريكية، خصوصا ما تعلق منها بعجز وكالات الأمن والاستخبارات عن التنبؤ بالأحداث والتعامل معها بسبب عامل المباغته، فتوصل عن طريق البحث الموضوعي، إلى نتائج مختلفة، يؤكد من خلالها استحالة تنفيذ العمليات الإرهابية دون وجود تواطؤ من أعلى المستويات.

¹ محمد قدرى سعيد، 11 سبتمبر 2001: الأفكار والأسرار، مرجع سبق ذكره، ص ص: 50-51؛ تيري ميسان:

الخديعة المرعبة، ص ص: 127/134 ؛ Roger Garoudy, Opcit, pp 7-9.

² دافيد راي غريفين، شبهات حول 9/11: أسئلة مقلقة حول إدارة بوش وأحداث 9/11، ترجمة مركز التعريب

والبرمجة، الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للعلوم، 2005، ص. 23.

بعد نشر تقرير الكونغرس عن الأحداث، نشر مصدق كتابه الثاني عن الأحداث بعنوان: "الحرب على الحقيقة" «The War On Truth» سنة 2005، أين أضاف معطيات ووثائق جديدة مدعمة لأطروحته التي ضمنها كتابه الأول، وقد أصبح هذان الكتابان مرجعين مهمين لعديد الباحثين حول هجمات 9/11 في بريطانيا والولايات المتحدة ومتخلف جهات العالم.

تتناول دراسة نفيز تحليل أحداث 11 أيلول / سبتمبر 2001 والرد الذي جاءت به الحكومة الأمريكية والجيش ووكالات الاستخبارات من جهة وسياق السياسة الأمريكية التاريخي والاستراتيجي والاقتصادي (الحالي) من جهة ثانية. وتتمحور حول تطور السياسة الأمريكية داخل الولايات المتحدة قبل اعتداءات 11 أيلول / سبتمبر وبعدها كما وتلك التي انتهجتها في أفغانستان والمناطق المحيطة.¹

منهجياً، بدأ الباحث بتحليل الأهمية الإستراتيجية لأفغانستان وعلاقة الولايات المتحدة بحركة طالبان، وموازنة صانعي القرار الأمريكيين للقيم والمصالح، إذ "كان من المحال تناول موضوع الديمقراطية أو حقوق الإنسان في ظل الدعم السري الذي توفره الولايات المتحدة لطالبان.... ولما كان لا بد من الاختيار ما بين المصالح الإستراتيجية والاقتصادية وبين المثاليات كحقوق الإنسان والحرية، كانت الكفة ترجح دائماً لصالح الخيار الأول. وينطبق ذلك تماماً على السياسة التي تنتهجها الولايات المتحدة حيال أفغانستان."² وبالفعل، لقد بدأت الولايات المتحدة تتخذ موقفاً مناهضاً من الطالبان ليس بسبب اكتراثها بحقوق الشعب الأفغاني الإنسانية إنما بسبب إدراكها شيئاً فشيئاً أن نظام الطالبان عاجز عن أن يشكل وسيلة تستخدمها الولايات المتحدة للولوج إلى آسيا الوسطى، كذلك، تم تعليق العمل بتنفيذ التخطيط الحكومي والمؤسساتي الواسع والرامي إلى إنشاء خطوط أنابيب لاحتياط النفط والغاز الكبير في حوض القوقاز، بسبب انعدام جو الأمان في ظل حكم الطالبان. ويبدو من الثابت وفقاً لجلسات الكونغرس التي تناولت مصالح الولايات المتحدة في آسيا الوسطى، أنه لا بد من إرساء أسس نظام موحد ومستقر وودي في أفغانستان لكي يعطي الضوء الأخضر للمباشرة بمد خطوط الأنابيب والحفاظ عليها بالتالي.³

لقد استمرت لعبة القرن التاسع عشر الكبيرة التي كانت تعتمد على المنافسة بين القوى للسيطرة على أوراسيا الوسطى حتى القرن الحادي والعشرين بقيادة الولايات المتحدة. وبينما تشكل أفغانستان المحرك الأساسي للسيطرة على آسيا الوسطى، تشكل آسيا الوسطى بدورها أداة أساسية للسيطرة على العالم.

¹. نفيز مصدق أحمد، الحرب على الحرية: كيف ولماذا تم الهجوم على أميركا في 11 سبتمبر 2001، الأردن،

عمان، الأهلية للنش والتوزيع، ص. 7.

² المرجع نفسه، ص. 17.

³ المرجع نفسه، ص. 19.

تمت مناقشة هذا الواقع والتخطيط الاستراتيجي المكثف لتدخل أمريكي مستقبلي في المنطقة خلال دراسة لمجلس العلاقات الخارجية في العام 1997: "رعدة الشطرنج الكبيرة: التفوق الأمريكي ومتطلباته الجيوستراتيجية". ومؤلف هذه الدراسة هو المستشار الأمريكي المحنك والمستشار السابق للأمن القومي خلال إدارة كارتر، زيغنيو بريزينسكي (Zbigniew Brzezinski). وتتناول الدراسة بكامل التفاصيل المصالح الأمريكية في أوراسيا. والحاجة لمشاركة أمريكية "متواصلة وموجهة" في منطقة آسيا الوسطى لتأمين هذه المصالح.¹

بعد مناقشة أهم الجوانب الجيوستراتيجية والخطط الموضوعية قبل أحداث 9/11، يخلص الباحث إلى أن أسامة بن لادن لم يكن مطلوباً من القيادة الأمريكية بل محمياً، فكل ذلك يكشف النقاب عن جدول الأعمال الاقتصادي والإستراتيجي العريض وراء الخطط العسكرية التي رسمت قبل الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001 بوقت طويل. وتم التأكيد مجدداً على جدول الأعمال هذا في شباط/فبراير 1998 في جلسات استماع مجلس النواب الأمريكي التي عقدتها اللجنة الفرعية لآسيا والمحيط الهاديء (لجنة فرعية لمجلس لجنة العلاقات الدولية). وكشفت هذه الاجتماعات المصالح الأمريكية الاقتصادية والإستراتيجية الأساسية في آسيا الوسطى ودور أفغانستان الحاسم في تأمين وسيلة للحفاظ على هذه المصالح.

وحتى بعد أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر، وتنافياً مع ما قيل للشعب، أفصح الجنرال الأمريكي، رئيس القيادة الوسطى ومدير العملية في أفغانستان، أن إيجاد أسامة بن لادن لم يكن في الواقع من أهداف المهمة. أما صحيفة يو.أس. إي توداي (USA Today) فقد نقلت التالي: "قال قائد المعارك الأمريكي نهار الخميس إن اعتقال أسامة بن لادن لا يمثل إحدى مهمات عملية تحمل العاصفة".² وقال فرانكس للصحفيين خلال تصريحه الأول في البنتاغون منذ بداية الحرب قبل شهر: "لم نقل إن أسامة بن لادن هو هدف هذه العملية". وفرانكس هو القائد العام للقيادة الوسطى ورتبته الثالثة في سلسلة القيادة الحربية بعد بوش ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد ومقر قيادته في تامبا.³

يحاول "نفيز" توثيق كل معلوماته بشأن استدلاله، طرحاً لإشكاليات ملائمة وإجابة عليها، ومنه انتقله من الجيواقتصادي والجيوستراتيجي، إلى متابعة التفاصيل المتعلقة بتلقي الإدارة الأمريكية لتحذيرات استخباراتية متعددة ومتضاربة، مجيباً بالتالي على التفاصيل الاستخباراتية الكثيرة الواردة في تقرير الكونغرس والتي سعت إدارة بوش قبل نشر التقرير إلى إقناع الرأي العام بصدقيتها، ثم إلى تحليل فشل

¹ المرجع ذاته، ص. 96.

² المرجع نفسه، ص. 102.

³ المرجع والصفحة.

الإجراءات (الأمنية) العملية النمطية (SOP) في 11 أيلول / سبتمبر 2001، وذلك عن طريق المتابعة العلمية النقدية لمسار الأحداث نفسها، مثلما فعل "ميسان" من قبله، فالتوقف عند العلاقة الوطيدة التي تجمع عائلة بن لادن عموماً وأسامة بن لادن خصوصاً بكل من: المخبرات المركزية الأمريكية، عائلة بوش وعائلة سعود.

فقد أنشأ والد أسامة بن لادن الشيخ محمد إمبراطورية بن لادن للبناء التي تحولت إلى أسطورة للبناء في العالم العربي في المملكة العربية السعودية وفي إمارة رأس الخيمة والأردن وذلك في مجال بناء الطرقات والمطارات والاهتمام بمشاريع بُنى تحتية (في الجزائر، تقوم مجموعة بن لادن في الوقت الحالي ببناء سفارة السعودية بالجزائر العاصمة). واجتذبت هذه الشركة عدداً من المهندسين الموهوبين من مختلف أقطار العالم وجمعت بسرعة فائقة ثروة طائلة. ويشدد "جون ك. كولي" مراسل الـ إي.بي.سي. نيوز والمتخصص في الشؤون الشرق أوسطية، على أن نشاطات بن لادن (بعد انضمامه إلى المقاومة الأفغانية) لقيت التأييد الشامل من وكالة المخبرات المركزية الأمريكية. وقد قام أسامة وشركة العائلة وبموافقة وكالة المخبرات المركزية الأمريكية ببناء الكهوف التي يختبئ فيها ببلايين (ملايين) الدولارات: إذ استقدم مهندسين من شركة والده ومعدات ضخمة بهدف بناء طرقات ومستودعات للمجاهدين كما ساعد في العام 1986 على بناء نفق تموله وكالة المخبرات المركزية ليكون المخزن الأول لتكديس الأسلحة وتسهيل التدريبات وليشكل مركزاً طبياً للمجاهدين. ويقع هذا النفق تحت الجبال قرب الحدود الباكستانية.¹

ويضيف كولي: "رأت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية والاستخبارات السعودية أن أسامة بن لادن هو الاختيار الأمثل لدور القائد في هذه الحرب، نظراً لسمعته كمسلم تقي يؤمن بقضية الإسلام الوهابي، وعبر تدخل شركات بن لادن للبناء في ترميم أماكن مقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقد بدأ بن لادن بتمويل الإمدادات والنقل وتدريب المتطوعين العرب الذين سافروا إلى بيشاور أولاً ثم إلى أفغانستان... وفي العام 1985 جمع بن لادن ما يكفي من الملايين من عائلته وثروة شركته لينظم شبكة القاعدة".²

ترتبط عائلة بن لادن بالعائلة الحاكمة سعود، وبعائلة جورج بوش من جهة ثانية، إذ أعلن المدير التنفيذي لشركة كارليل غروب (كان جورج بوش الأب مستشارها الأول) أن عائلة بن لادن استثمرت مليوني دولار في صفقة للأسلحة في لندن عام 1995 في شركة كارليل بارتر II فاند Carlyle

¹ المرجع نفسه، ص 236-237. (عن كتاب: جون ك. كولي، الحروب غير المقدسة، الإرهاب الأفغاني

والأميركي والدولي)
² المرجع والصفحة.

partners II Fund وجنت أرباحا على الاستثمار قدرت بـ 1.3 مليون دولار، ما يعادل 40%.¹ سيطر صندوق Partners II خلال 29 عملية استثمار أو إعادة اشتراء على عدة شركات طيران.² تستثمر كارليل غروب في أكثر من 164 شركة في العالم. واستفادت كارليل من حرب أفغانستان ومن إضفاء الولايات المتحدة الطابع العسكري على سياستها الخارجية لكونها رائدة في مجال الأسلحة. ونشرت صحيفة وول ستريت (Wall Street): "في اندفاع الولايات المتحدة بردع أسامة بن لادن ونشاطاته الإرهابية، قد يظهر مستفيد غير متوقع لهذه العمليات: عائلة السيد بن لادن..."³ إذن، بالنظر إلى التحالف السري بين كل من عائلات: بن لادن، سعود وبوش، بالإضافة إلى التحالف التقليدي: الأمريكي - السعودي، فإن أمريكا التي كانت قد أعلنت عن مطاردتها لأسامة بن لادن حتى قبل هجمات سبتمبر وقصفت مصنع الشفاء السوداني للأدوية بسببه، كانت في الواقع تحميه. فمُنذ عام 1995، تم رفض جميع عروض تسليم بن لادن، من طرف السلطات السودانية وغيرها، إلى درجة أن صحيفة "لندن أوبزرفر" « London Observer » أفادت: "قام رؤساء الأمن على جانبي الأطلسي بهدر فرص إجراء تحقيق موسع عن أسامة بن لادن وأكثر من 200 فرد في شبكة القاعدة الإرهابية خلال السنوات المؤدية إلى أحداث 11 أيلول / سبتمبر..."⁴ كما أفادت « Jane's » « Intelligence Digest: "قدمت لجنة موسكو الدائمة إلى مجلس الأمن في الأمم المتحدة في آذار / مارس 2001 تقريرا مفصلا عن شبكة القاعدة في أفغانستان، لكن الحكومة الأمريكية صوتت ضد التحرك".⁵ هذا، علاوة على إماطة اللثام عن التحالف الأمريكي الباكستاني ودور المخابرات الباكستانية .ISI

تسعى الأطروحة أيضا إلى مناقشة أزمة بوش من جهة وأزمة الاقتصاد الأمريكي من جهة ثانية وكيف مثلت هجمات الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001 الحل الملائم لهاتين الأزميتين؛ فقبل 11 أيلول / سبتمبر، "أصيبت إدارة بوش بأزمة لا سبيل إلى الخلاص منها... إذ شعر الملايين من الناس في الولايات المتحدة والعالم أن إدارة بوش غير شرعية."⁶ لكن اعتداءات 11 أيلول / سبتمبر "حولت جورج بوش من رئيس أقل يفتقد السيطرة على مجلس الشيوخ إلى أكثر رجالات السياسة نفوذا..."⁷

¹ Eric Laurent, **la Guerre des Bush : Les secrets inavouables**, Plon, 2003, P. 83.

² Ibid.

³ نفيز مصدق أحمد، مرجع سابق، ص. 240.

⁴ المرجع نفسه، ص. 269.

⁵ المرجع نفسه، ص. 271.

⁶ المرجع نفسه، ص. 311..

⁷ المرجع نفسه، ص. 372.

- استنتاجات أطروحة الحرب على الحقيقة مقابل الحرب على الحرية:

قبل أن يقدم الباحث خلاصة دراسته الموثقة وأهم استنتاجاته، طرح سؤالاً ملائماً حول ماهية المستفيدين من هذه الهجمات. يقول الصحفي المحقق "باتريك مارتن": "لابد من طرح سؤال أساسي لدى النظر في أية جريمة: من يستفيد؟. فالمستفيدون الأساسيون من تدمير مركز التجارة العالمي موجودون في الولايات المتحدة: من إدارة بوش إلى البنtagon ووكالة الاستخبارات الأمريكية ومكتب التحقيقات الفدرالي وصناعة الأسلحة وصناعة النفط ومن البديهي أن نسأل عما إذا كان المنتفعون من هذه المأساة قد ساهموا إلى هذا الحد في إحداثها".¹ وجاء عن رئيسة المركز الدولي للسلام والعدالة وعضو اللجنة التنفيذية لمجلس السلام العالمي "كارن تالبوت" ما يلي:

"منحت اعتداءات 11 أيلول / سبتمبر الإرهابية الولايات المتحدة فرصة جديدة نوعية علما أنها تعمل على حساب شركات النفط العملاقة بوجه خاص لتحصن قواتها العسكرية في الجمهوريات السوفياتية السابقة في آسيا الوسطى بشكل دائم وعلى حساب ما وراء القوقاز الذي يُعتبر ثاني أكبر احتياطي للنفط في العالم. إن الطريق مفتوحة الآن للبدء بإعداد المشاريع في مجال النفط وأنابيب الغاز عبر أفغانستان وباكستان حتى كاراتشي على الخليج العربي الذي يشكل أفضل وأرخص طريق لنقل الوقود إلى السوق. وتجدر الإشارة إلى أن أفغانستان تملك كمية كبيرة لا تستغل من النفط والغاز وكذلك الأمر بالنسبة إلى باكستان... أما مكافأة الولايات المتحدة الكبيرة فنتجسد في الفرصة الذهبية المتاحة لها لإنشاء وجود عسكري دائم في آسيا الوسطى الغنية بالنفط والتي تشرع أبوابها لمنطقة أخرى غنية بالموارد وتطمع بها أمريكا هي سيبيريا. وبالتالي فمن الممكن أن يتحقق الهدف الثاني بسهولة أكبر أي بلقنة الأمتين روسيا وآسيا الوسطى بتحويلهما إلى كيانين تشرف عليهما بسهولة الإمارات مثلا، رغم افتقارهما إلى أية سيادة حقيقية".²

من أهم استنتاجات الدراسة الموثقة:

- إن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي مسؤولان عن نشوء التطرف الديني والإرهاب والحرب المدنية في أفغانستان منذ الثمانينات من القرن العشرين غير أن الولايات المتحدة مسؤولة بشكل مباشر، وكذلك الأسلحة والتدريب الأمريكي، عن تثقيف إيديولوجية "المجاهد" المشوهة التي تنمي الحرب المتقدمة وأعمال الإرهاب في البلاد بعد انسحاب القوات السوفياتية.

¹ المرجع نفسه، ص. 385.

² كارن تالبوت، (أفغانستان مفتاح مكاسب النفط)، مركز أبحاث حول العولمة، 7 تشرين الثاني / نوفمبر 2001 .
<http://globalresearch.ca/articles/TAL111A.html>

- وافقت الولايات المتحدة على نشوء الطالبان وواصلت دعمها بشكل ضمني على الأقل رغم تعسفات حقوق الإنسان الفاضحة بحق المدنيين الأفغان وذلك لتضمن مصالحها الاقتصادية والإستراتيجية الإقليمية.

- خططت الحكومة والقوات الأمريكية لشن حرب على أفغانستان قبل اعتداءات 11 أيلول / سبتمبر لمدة سنة على الأقل، وتعود الخطة إلى اعتبارات اقتصادية واستراتيجية واسعة النطاق، مرتبطة بالسيطرة على أوراسيا وترسيخ سيطرة أمريكية عالمية لا تضارع.

- أعاققت الحكومة الأمريكية من دون تردد التحقيقات مع الأمراء ورجال الأعمال السعوديين وأعضاء عائلة بن لادن، وتورطت في دعم أسامة بن لادن والعملاء الإرهابيين الذين يقيمون علاقات معه. ومرد ذلك في الواقع إلى حماية القادة الذين يقيمون في المملكة العربية السعودية وتربطهم علاقات بأسامة بن لادن.

- أعاققت الحكومة الأمريكية من دون تردد محاولات اتهام بن لادن والقبض عليه، أي أنها أمنت له الحماية بشكل غير مباشر وفعلي.

- سمحت الحكومة الأمريكية بتدريب الإرهابيين المشتبه بأمرهم الذين تربطهم علاقات وثيقة بين لادن في منشآت عسكرية أمريكية، تمويلها المملكة العربية السعودية ومدارس الطيران الأمريكية منذ سنوات.

- تلقت عناصر عالية المستوى تنتمي إلى الحكومة الأمريكية والوكالات العسكرية والاستخبارات وتنفيذ القانون تحذيرات صادقة وطائرة لا تحصى، بشأن اعتداءات 11 أيلول / سبتمبر، تعزز الواحدة الأخرى على التوالي بسبب طبيعتها. ومن الممكن أن يكفي تحقيق واحد كامل لتوضيح سبب فشل لجنة الاستخبارات الأمريكية في التصرف بشكل مختلف إثر تلقيها التحذيرات. مع ذلك تشير طبيعة التحذيرات المختلفة التي تم تسلمها والادعاءات الكاذبة التي قامت بها وكالة الاستخبارات الأمريكية بشأن عدم تلقيها أي تحذيرات خاصة حول ما سيحدث إلى أنها تملك معرفة سابقة وشاملة بالاعتداءات غير أنها تحاول الآن تفادي إقرار الشعب بذلك.

- رغم التحذيرات السابقة والشاملة، انهارت أنظمة الرد على الحالات الطائرة التابعة للقوات الجوية الأمريكية من دون تردد في 11 أيلول / سبتمبر، وفي ذلك انتهاك للقوانين الواضحة التي تتبع عادة وبشكل روتيني على أسس صارمة. ومن الممكن تصور حصول هذا الحدث كنتيجة لعوائق متعمدة طرأت على الإجراءات العملية النمطية المعدة لحالات الطوارئ.

- لا يمكن أن تتجح هذه العوائق النظامية إلا إذا وضعتها الحكومة الأمريكية والمسؤولون الرئيسيون. أبدى كل من الرئيس بوش ورئيس أركان الحرب ماييرز لامبالاة لدى حدوث اعتداءات 11 أيلول / سبتمبر مما يشير أيضا إلى مسؤوليتهما الخاصة ولا بد من إجراء تحقيق شامل في المسألة مرة أخرى.

- كشف الصحفيون المستقلون أن المدير العام لوكالة الاستخبارات الباكستانية محمود أحمد قد حول تمويل الحكومة الأمريكية إلى محمد عطا الذي يصوره مكتب التحقيقات الفدرالي FBI على أنه "خاطف الطائرة الرئيسي". أمنت له الحكومة الأمريكية الحماية وأمنتها لنفسها عندما طلبت إليه الاستقالة. وبعد اكتشاف ذلك، منعت إجراء أي تحقيق إضافي وإثارة فضيحة مرجحة.

- في الواقع، حققت إدارة بوش مكاسب أساسية من أحداث 11 أيلول / سبتمبر، فبررت ترسيخ قوة النخبة والريح الذي حققته في الولايات المتحدة والعالم على حد سواء واستغلت الحكومة الأمريكية الأحداث المأساوية التي أدت إلى مقتل آلاف المدنيين الأبرياء لتتخذ إجراءات صارمة بحق الحريات الداخلية وتطلق حملة مدفعية على الشعب الأفغاني الأعزل بشكل واسع مؤيدة قتل ضعف عدد المدنيين الذين ماتوا في 11 أيلول / سبتمبر بشكل مباشر.

لقد سمحت الإدارات الأمريكية المتعاقبة، التي كانت على علم لسنوات بتورط المؤسسة السعودية في تمويل القاعدة، بشكل متعمد في استمرارها في ذلك، تحركها مكاسب النفط التي تحميها السيطرة الأمريكية على النظام السعودي للمحافظة على استمراره مهما كان الثمن، حيث تشكل حماية الدكتاتورية السعودية المستقرة جزءاً لا يتجزأ من برنامج ترسيخ السيطرة وتوسيعها. أفادت حسيبة لندن غارديان (Guardian) بهذا الدور الفعال الذي أداه أسامة بن لادن في جدول أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في تقرير صادر عنها في 18 أيلول / سبتمبر: "لو لم يكن أسامة بن لادن موجوداً، لوجب وجوده."¹

المطلب الثالث: دافيد راي غريفين: نيو-بيرل هاربر والبرهان الجمعي

نلاحظ، بداية، أن النقاش العلمي النقدي والسياسي العام حول أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001، والرواية الأمريكية الرسمية لها، تفسيراً وتبريراً، لم يظهر بشكل جدي في الأوساط الأمريكية إلا بعد سنوات من حدوث الهجمات، وبقي محصوراً في دوائر سياسية وعلمية خارج الولايات المتحدة. لقد لعبت الصحافة الأمريكية دوراً كبيراً في هذه الوضعية المغلقة، إلى درجة أن كاتباً في صحيفة فيلادلفيا ديلي نيوز، سأل في 9/11/2003: "لماذا بعد 730 يوماً نعرف القليل القليل عما حصل حقاً في ذلك اليوم؟"²

¹ نفيذ مصدق أحمد، مرجع سبق ذكره، ص ص. 385-392.

² William Bunch, « Why Don't We Have Answers to These 9/11 Questions ? » Philadelphia Daily News online posting, September 11, 2003.

يعترف 'دافيد راي غريفين' بأن الصحافة الأمريكية لم تقدم أي تحقيق مفصل فيما إذا كانت الرواية الرسمية لما حدث مقنعة أو أنها تتفق مع الدلائل المتوفرة، فيما عدا روايات عديدة على درجة عالية من الأهمية، فُدمت من قبل عدد من الصحفيين، "من بينهم الصحفي المشهور عالمياً والحائز على جائزة في العمل الصحفي غريغوري بالاست، وباري زويكر الحائز على جائزة كندا للصحافة. إلا أنها بقيت مجرد منتجات فردية لتحقيقات صحفية لامعة وشجاعة، نُسيت من قبل الوعي الجمعي، فوسائل الإعلام المختلفة لم تسمح للشعب بالاطلاع على آرائهم، الأمر الذي جعلها بلا تأثير يُذكر".¹

في مقدمة دراسة غريفين التي صدرت في شكل كتاب نقدي، يبرر الباحث 'ريتشارد فالك' فتح باب النقاش والبحث والتفكير، ولو بشكل متأخر، حول الأحداث، بقوله، ميرزا أهمية مسائل الحرب والسلام ومستعينا بالسوابق التاريخية: "ثمة اتفاق متزايد بين المؤرخين على أن الحقائق قد تم تزويرها:

1- في تفجير السفينة الحربية USS Maine لتبرير اندلاع الحرب الأمريكية الإسبانية في العام 1898.

2- فيما يتعلق بالهجوم الياباني على بيرل هاربر من أجل تبرير الدخول في الحرب العالمية الثانية.

3- في حادثة خليج تونكين عام 1964 التي استغلها البيت الأبيض لتبرير التوسيع المأساوي لرقعة الحرب الفيتنامية إلى شمال فيتنام.

4- تصوير العراق بأنه يخبيئ ترسانة مهددة من أسلحة الدمار الشامل، من أجل تبرير اللجوء للحرب دفاعاً عن القانون الدولي والأمم المتحدة".²

تعقد دراسة "غريفين" مقارنة بين تعامل الصحافة الأمريكية مع قضايا شكلت فضائح ضد رؤساء سابقين، على رأسهم: "تيكسون" في فضيحة "ووترغيت"، "ريغان" في فضيحة "إيران كونترا" و"كلينتون" بخصوص علاقته بمونيكا لوينسكي، من جهة... وتعاملها (أي الصحافة الأمريكية) مع هجمات 11 أيلول / سبتمبر الإرهابية، وهي أخطر وأكثر أهمية، حيث أخفقت الصحافة في القيام بعملها. فإذا وُجد بأن الرواية الرسمية كاذبة، فالعواقب ستكون خطيرة، أكثر حتى من كل الفضائح السابقة. فقد استُخدمت الرواية الرسمية كمبرر للحربين على أفغانستان والعراق، الأمر الذي نتج عنه مقتل ليس فقط الآلاف من المقاتلين بل وسقوط الآلاف من المدنيين الأبرياء كذلك، أي أكثر بكثير ممن قُتل في

¹ دافيد راي غريفين، مرجع سبق ذكره، ص. 16.

² المرجع نفسه، ص. 10 (مقدمة ريتشارد فالك).

9/11. وهذه الرواية استُخدمت أيضا كمبرر للعشرات من العمليات المختلفة الأخرى، العديد منها غير معلومة بالنسبة للشعب الأمريكي.

كما استُخدمت لتبرير صدور قانون الوطنية الأمريكية USA Patriot Act، الذي نتج عنه تقييد الحريات المدنية للأمريكيين. واستُخدمت كذلك لتبرير السجن غير المحدد لعدد لا يُحصى من الناس في غوانتانامو وفي أمكنة أخرى. ومع ذلك كانت الصحافة أقل عدائية في مساءلة الرئيس بوش عن 9/11 مما كانت عليه في مساءلة الرئيس كلينتون بخصوص علاقته مع مونيكا لوينسكي، وهي قضية في غاية السخافة إذا ما أردنا المقارنة بين القضيتين.¹

منهجيا: بالإضافة إلى مجمل الدراسات التي اعتمد عليها، يقدم لنا "غريفين" منذ البداية، أي في مقدمة البحث، ثلاث ركائز أساسية تُبنى عليها دراسته حول أحداث 9/11: المعاني المحتملة للتواطؤ الرسمي، البرهان الجمعي وإشكالية المعنى، الاستغلال والقيمة العلمية لما يُسمى نظريات المؤامرة.

الفرع الأول: الدراسات السابقة المعتمدة

على الرغم من توسعه لاحقا واعتماده على عديد المصادر والمراجع الأخرى، يؤكد "غريفين" بأنه اعتمد أساسا على مقال طويل مُعد حسب التسلسل الزمني « Timeline » بعنوان "هل سُمح لهجمات 9/11 بالحدوث؟" للباحث المستقل "بول ثومبسون"، بالإضافة إلى كتاب "غور فيدال": "حرب الحلم": الدم من أجل النفط وانقلاب بوش - تشيني" الذي قاده إلى أكثر الكتب توسعا في موضوع 9/11، وهو "الحرب على الحرية: كيف ولماذا هوجمت أمريكا في 11 أيلول / سبتمبر 2001" الذي كتبه نفيز أحمد، ثم كتب "تيري ميسان" خصوصا "الخدعة المرعبة" و"بنتاغيت"... (أنظر المطلبين السابقين).

فمن أجل السعي إلى جمع كل الخيوط الأساسية للدلائل ذات الصلة بالموضوع، حيث؛ لم يرق أي كتاب سابق بذلك. فكتاب أحمد، رغم أنه الأكثر سهولة على الفهم، فهو لا يحتوي على الكثير من الدلائل الموجودة في مقالة ثومبسون المتسلسلة زمنيا وفي كتب ميسان. فيما لا تملك كتب ميسان معظم المعلومات التي يقدمها كل من ثومبسون وأحمد، إلا أنها تحتوي على دلائل هامة لا توجد في أمكنة أخرى. والشيء ذاته ينطبق على أهم الكتب التي تناولت الموضوع بالإنجليزية، كتاب ميشيل تشوسودوفسكي، الحرب والعولمة: الحقيقة وراء 11 أيلول / سبتمبر. فهو يركز، كما يشير إليه عنوانه الثانوي، على الأسباب الحقيقية لهجمات 9/11، موجها القليل من الاهتمام إلى الهجمات نفسها. أما

¹ المرجع نفسه، ص. 17.

في هذا الكتاب، فقد جمعت فيما يبدو لي أهم الدلائل الموجودة في هذه المصادر وفي بعض المصادر الأخرى.¹

الفرع الثاني: التواطؤ الرسمي: قائمة المعاني المحتملة

لإضفاء المزيد من المرونة والتحفز العلمي على دراسته التي خلصت إلى وجود تواطؤ من الحكومة في الهجمات، يقدم "غريفين" ثمانية احتمالات لمعنى التواطؤ الرسمي:

1- تأليف رواية كاذبة: أي على الرغم من أن المسؤولين الرسميين لم يلعبوا أي دور في تسهيل الهجمات، فقد ألفوا رواية كاذبة عما حدث فعلا - سواء من أجل حماية الأمن القومي، أم من أجل التغطية عن وقائع مريكة، أم من أجل استغلال الهجمات لتنفيذ أجندتهم...

2- شيء ما متوقع من قبل وكالات الاستخبارات: أي أنه على الرغم من عدم امتلاك أي من وكالات الاستخبارات الأمريكية - مثل الأف بي أي FBI والسي آي إي CIA وبعض وكالات الاستخبارات التابعة للجيش - لمعلومات محددة عن الهجمات ودون أن تلعب أي دور في التخطيط لها، فمن الجائز أنها لعبت دورا في تسهيل حدوثها، بمعنى أنها لم تقم بأي خطوات تحول دون وقوعها، دون علم البيت الأبيض، مع إقناع هذا الأخير بتأليف رواية كاذبة وتنفيذ الأجندة التي حدثت من أجلها الهجمات.

3- أحداث محددة ومتوقعة ومن قبل وكالات الاستخبارات: يعني أنها، وليس البيت الأبيض، كانت تملك معلومات محددة عن توقيت وأهداف الهجمات.

4- وكالات الاستخبارات متورطة في التخطيط: أي أن وكالات الاستخبارات، وليس البيت الأبيض، ضالعة في التخطيط للهجمات.

5- البنتاغون متورط في التخطيط: أي أن وزارة الدفاع، وليس البيت الأبيض، ضالعة في التخطيط للهجمات.

6- شيء ما متوقع من قبل البيت الأبيض: أي أن البيت الأبيض، دون امتلاك معلومات محددة مسبقا، إلا أنه كان يتوقع حدوث نوع من الهجمات وكان طرفا في تسهيل حدوثها، على الأقل بعدم إصدار الأمر بمنع وقوعها.

¹. المرجع نفسه، ص. 25.

7- معرفة محددة مسبقاً من قبل البيت الأبيض: أي أن البيت الأبيض كان يملك معرفة مسبقاً بتوقيت وأهداف الهجمات.

8- البيت الأبيض متورط في التخطيط: أي أن البيت الأبيض كان طرفاً في التخطيط للهجمات.¹

الفرع الثالث: البرهان الجمعي

بين الحجة المقنعة التي تتطلب عملاً جماعياً لا فردياً من أجل تقديم دلائل يمكن الاعتماد عليها، والحجة الواضحة التي قدمها منتقدوا الرواية الرسمية الأمريكية، يميز "غريفين" بين البراهين الاستنتاجية والبرهان الجمعي.

فبعض البراهين هي، كما نقول عادة، قوية بقدر ما تكون أضعف الحلقات فيها قوية. إنها البراهين الاستنتاجية، التي تعتمد كل خطوة فيها على حقيقة الخطوة السابقة. فإذا ما وُجد بأن ثمة دليلاً واحداً فيها فقط خاطئاً، فسيتداعى البرهان برمته. على أي حال، فإن البرهان على التواطؤ الرسمي في 9/11 هو برهان جمعي، وليس استنتاجياً. ويمكن تعريف هذا النوع من البراهين بأنه عبارة عن برهان عام يتألف من عدة براهين خاصة مستقلة عن بعضها البعض. وبهذا المعنى، فإن كل برهان خاص يدعم البقية. وإذا ما شبهنا البرهان الاستنتاجي بالسلسلة، فإن البرهان الجمعي سيكون أشبه بالكابل الذي يحوي عدة حبال، كل واحد من تلك الحبال يساهم في تقوية الكابل. ولكن الفرق بين الاثنين يكمن في أن الكابل سيبقى قادراً على حمل الكثير من الوزن حتى لو كانت بعض الحبال فيه منحلة.²

الفرع الرابع: نظريات المؤامرة

يشير "غريفين" إلى الضغط الممارس ضد الأفكار الحرة والدراسات النقدية، المختلفة عن السياق العام وعن الرواية الرسمية المفروضة، ورفض أي رأي مخالف بدعوى وجود نظرية المؤامرة، ففي أغلب الأحوال، "يبدو أن هنالك شرطاً لازماً للدخول إلى الحوار العام، وهو أن تصرح برفضك لنظريات المؤامرة"³... "إننا نقبل، مثلاً، فكرة نظرية المؤامرة عندما نؤمن بأن شخصين أو أكثر قد تآمروا سرا بغية الوصول إلى هدف معين، كسرقة مصرف أو خداع الزبائن أو التلاعب بالأسعار... إذن، سنكون أكثر عقلانية عندما نتبع نموذج مايكل مور حول إهمال نظريات المؤامرة باستثناء الصحيحة منها؛ أي عدم تصنيف الناس وفقاً لمعيار خاطئ: فئة تقبل بنظريات المؤامرة وفئة ترفضها، بل ينبغي قبول الصحيحة منها ورفض تلك الخاطئة.

¹ المرجع نفسه، ص ص. 26-29.

² المرجع نفسه، ص ص. 29-30.

³ المرجع نفسه، ص. 30.

فوفقا للرواية الرسمية، حدثت هجمات 9/11 نتيجة لمؤامرة بين المسلمين، مع كون أسامة بن لادن هو المتآمر الأساسي فيها. بينما يرفض النقاد هذه النظرية، كونها غير كافية، إذ لا يمكن تفسير الأحداث بشكل مقنع دون افتراض وجود تواطؤ من قبل مسؤولي الحكومة الأمريكية، على الأقل بالسماح بنجاح تلك الهجمات.¹

إذن، بالنسبة لغريفيين، وعند التمعن، فإن الرواية الرسمية الأمريكية حول هجمات 9/11، هي بالفعل "نظرية مؤامرة" لكن غير مقنعة وغير كافية، بينما تمارس الجهات الرسمية ووسائل الإعلام الثقيلة، حجرا على الفكر النقدي الحر، وإغلاقا للنقاش بدعوى الانتماء إلى المؤمنين بنظرية المؤامرة، أي الحكم المسبق بانعدام العلمية والواقعية، كما سنرى ذلك واضحا عند مناقشة الرؤى النقدية.

أعاد "غريفيين" صياغة البراهين التي ساقها كل من ثومبسون، نفيز، ميسان وناقدين آخرين، مضيفا إليها حججا واضحة مستقلة أخرى، مقسما دراسته إلى فصول عشرة تقع ضمن أجزاء ثلاثة؛ حيث ركز في الجزء الأول على تحليل أحداث 9/11 ذاتها، أي الرحلات (11 و 175، 77 ثم 93) وعلى سلوك الرئيس، قبل أن ينتقل في الجزء الثاني إلى السياق الأوسع، أين أجاب على عديد الإشكاليات التي شكلت عناوين فصوله، مثل:

- هل كان لدى المسؤولين الأمريكيين معلومات مسبقة حول 9/11؟
- هل أعاق المسؤولون الأمريكيون التحقيقات قبل 9/11؟
- هل كان لدى المسؤولين الأمريكيين أسباب دفعتهم للسماح بحدوث 9/11؟
- هل أعاق المسؤولون الأمريكيون الاعتقالات والتحقيقات بعد 9/11؟
- ليصل في الخاتمة (الجزء الثالث) إلى الإجابة على إشكالية أكثر تقدما:
- هل يمكن اعتبار تواطؤ المسؤولين الأمريكيين التفسير الأمثل لهجمات 9/11؟
- مبرزا، في الأخير، الحاجة لتحقيق شامل حول الهجمات.

في إطار التراكم المعرفي، تُعتبر دراسة غريفيين، إضافة ذات وزن بفضل المنهجية في الطرح، والمواجهة النقدية للأطروحات المنتصرة للرواية الرسمية، وقد بلغت الموضوعية مداها، عندما أبرزت المشكلات التي تواجه نظريته بوجود تواطؤ رسمي، حيث أفرد لها عنوانا فرعيا هو: "مشاكل محتملة تواجه نظرية التواطؤ"، تماما مثلما أفرد عنوانا فرعيا آخر حول المشاكل التي تواجه نظرية المصادفة... كما أن الدراسة لم تكن بتلخيص ما تم تداوله من قبل، بل تعدت كل ذلك إلى إبراز أدلة مختلفة، مستقلة ومدعمة للنظرية، مثل:

¹ المرجع والصفحة.

- الترفقيات التي نالها عديد المسؤولين الأمنيين بدلا من معاقبتهم على ما يُعتبر رسميا: إخفاقا أمنيا.
- قضية سيبيل إدموندز التي أضحت قضية رأي عام، بسبب تعمد الأف بي أي FBI إخفاء أدلة كانت قد كشفتها بحكم عملها كمتريجة، والضغط والتهديدات التي طالتها من الوكالة الأمنية وطالت حتى أقاربها في الولايات المتحدة وتركيا...الخ.
- تقدم الدراسة ملخصا مبسطا وموجزا لأهم الاستنتاجات في شكل دلائل على التورط الرسمي، على الشكل التالي:
- 1- دلائل على أن الحريين على أفغانستان والعراق كانتا محضرتين مسبقا، لأسباب جيوسياسية، الأمر الذي عنى أن هجمات 9/11 لم تكن السبب وراء هاتين الحربين بل الذريعة فقط.
 - 2-دلائل على السماح للرجال الذين لديهم علاقات مع القاعدة بالدخول إلى الولايات المتحدة بالرغم من وجود أنظمة كان ينبغي أن تقيهم خارجا.
 - 3-دلائل على السماح للرجال الذين لديهم علاقات مع القاعدة بالتدرب في مدارس أمريكية لتتعلم الطيران.
 - 4-دلائل على أن هجمات 9/11 لم تكن لتتج بدون وجود أمر من أعلى المستويات في الحكومة بتعليق العمل وفق الإجراءات النموذجية التي تُتخذ للرد على أحداث الاختطاف.
 - 5-دلائل على قيام قادة عسكريين وسياسيين أمريكيين بإصدار بيانات مضللة وحتى خاطئة بشأن ما فعلوه ردا على أحداث الاختطاف.
 - 6-دلائل على أن الرواية الرسمية المقبولة الآن، والتي تقول بأن الطائرات المقاتلة قد أرسلت ولكنها لم تصل في الوقت المناسب، قد اختُرعت بعد عدة أيام من 9/11.
 - 7-دلائل على أن انهيار مباني مركز التجارة العالمي حدث بواسطة متفجرات. وتأتي مشاركة الحكومة الأمريكية في منع إجراء فحص مناسب للحطام، وخاصة الفولاذ، كدليل على إخفاء أمر ما.
 - 8-دلائل على أن شخصا ما في موقع المسؤولية سعى إلى ضمان وقوع قتلى في الهجوم على البرج الثاني من مركز التجارة العالمي والبنتاغون وذلك بعدم إصدار الأمر بإخلاء هذين المبنيين.
 - 9-دلائل على أن ما ضرب البنتاغون لم يكن طائرة بوينغ 757 بل طائرة أصغر منها بكثير، أو بالتحديد، طائرة عسكرية صغيرة.

- 10-دلائل على أن الرحلة 93 أسقطت بعد أن علمت السلطات بأن الركاب كانوا على وشك السيطرة عليها.
- 11-دلائل على أن وزير الدفاع رامسفيلد كشف عن معرفته المسبقة باثنتين من تلك الهجمات.
- 12-دلائل على أن الرئيس بوش تظاهر في 9/11 بجهله بحدوث الهجمات ومدى خطورتها.
- 13-دلائل على أن الرئيس بوش وعملاءه السريين كانوا يعرفون يوم 9/11 بأنه لن يكون هدفا للهجمات.
- 14-دلائل على أن الأف بي أي FBI كانت لديها معرفة محددة بتوقيت وأهداف الهجمات على الأقل قبل شهر من حدوثها.
- 15-دلائل على أن السي أي إي CIA ووكالات الاستخبارات الأخرى كان ينبغي أن تمتلك معرفة محددة جدا ومسبقة بالهجمات وذلك من خلال "خيارات البيع" التي اشترت قبل وقت قصير من 9/11.
- 16-دلائل على أن إدارة بوش كذبت بشأن عدم تلقيها تحذيرات بخصوص الهجمات.
- 17-دلائل على أن الأف بي أي FBI والوكالات الفدرالية الأخرى منعت التحقيقات التي كانت جارية قبل 9/11 والتي كان يمكن أن تكشف المؤامرة.
- 18-دلائل على سعي بعض المسؤولين الأمريكيين لإخفاء كل ما يشير إلى تورط الاستخبارات الباكستانية (الآي إس آي ISI) في التخطيط لهجمات 9/11.
- 19-دلائل على سعي بعض المسؤولين الأمريكيين لإخفاء وجود رئيس الآي إس آي ISI في واشنطن خلال الأسبوع الذي وقعت فيه الهجمات.
- 20-دلائل على أن الأف بي أي FBI والوكالات الفدرالية الأخرى أعاقت بعد 9/11 التحقيقات التي يمكن أن تكتشف الفاعلين الحقيقيين.
- 21-دلائل على وجود دافع تثبته الفوائد، المتوقعة سلفا، التي مزنتها هذه الحادثة -التي سماها بوش نفسه "بيرل هاربر القرن الحادي والعشرين" - بالفعل إلى إدارة بوش...¹

¹ المرجع نفسه، ص ص. 195 - 197.

بالفعل، لقد وظف "غريفين" جميع المعطيات المتحصل عليها من الأدبيات السابقة والدراسات الناقدة التي اعتمد عليها من أجل تقديم القيمة المضافة علمياً، وعلى هذا الأساس، كان العنوان الأصلي لدراسته: "بيرل هاربر الجديدة" «New pearl Harbor»، حيث استند إلى مصادر ومراجع وشهادات، منها مواد منشورة، وإحدى هذه المواد مقالة نُشرت في الغارديان في أيلول / سبتمبر 2003 بواسطة وزير البيئة البريطاني السابق مايكل ميتشر. "ذكر ميتشر، مشيراً إلى وثيقة العام 2000 التي نشرتها منظمة "مشروع من أجل قرن أميركي جديد PNAC" والتي تقول إن تنفيذ أجندتها (جدول أعمالها) سيكون صعباً ما لم تحدث بيرل هاربر جديدة"¹. هذه الوثيقة التي سنتناولها بالتحليل في الفصل الموالي، تقدم تفسيراً لما حصل قبل، خلال وبعد 9/11 أفضل بكثير مما تقدمه فرضية الحرب على الحرية والحرب العالمية على الإرهاب. يؤكد ميتشر بأن ما لا يقل عن 11 بلداً "قدمت تحذيرات مسبقاً للولايات المتحدة تتعلق بهجمات 9/11، مستشهداً بالنائب العام الفدرالي الأمريكي المختص بالجرائم، جون لوفتوس، الذي قد قال: كانت المعلومات المقدمة من وكالات الاستخبارات الأوروبية قبل 9/11 من الاتساع بحيث لا يبقى ممكناً بالنسبة للسي آي إي أو للأف بي أي الدفاع عن تهمة قلة الكفاءة... إذن: هجمات 9/11، حسب ميتشر، قدمت ذريعة ملائمة إلى حد بعيد لوضع خطة PNAC (مشروع من أجل قرن أميركي جديد) قيد التنفيذ"².

بعد مزيد من البحث والمتابعة والتتقيب، وفي إطار إعادة الطبع، قدم غريفين مزيداً من الأدلة الجديدة، نذكر منها، قضية "سيبيل إدموندز" «Sibel Edmons»، أمريكية من أصول تركية، عملت مترجمة لدى الأف بي أي FBI وتعرضت لمضايقات وضغوط شديدة لتأكيداتها، بالأدلة القاطعة بحكم موقعها، على إعاقة التحقيق حول هجمات 9/11 الإرهابية من داخل الوكالة ذاتها، قبل وبعد الأحداث، فبعد تنفيذ تهديدات بتعرضها وأقاربها للخطر إن استمرت في فضح الأخطاء وذلك بصدور مذكرة بالقبض على أختها في تركيا، طُردت من العمل، "وبعد رفعها قضية بموجب قانون حماية كاشفي الأخطاء الحكومية، طالب النائب العام أشكروفت، بناءً على طلب من مدير الأف بي أي، "مويلر"، القاضي برفض القضية من أجل مصلحة الأمن القومي"³. لكنها لم تصمت، وأصبحت تحتل حيزاً كبيراً من الاهتمام الإعلامي، عكس توجهات الأف بي أي والبيت الأبيض، حيث أضحت بطلنة تقف وحيدة في مواجهة إدارة جورج بوش الابن، وصار نضالها يُعرف بقضية إيدموندز، حيث شكلت موضوع وثائقي بعنوان: أقتل الرسول Kill the messenger أو امرأة للقتل أو للذبح Une femme

¹ المرجع نفسه، ص. 224.

² المرجع نفسه، ص. 224-225.

³ المرجع نفسه، ص. 263.

à abattre تم بثه على قناة « Canal + » الفرنسية وقناة « BeTV » البلجيكية.¹ كما وجدت دعماً متزايداً من طرف المثقفين الأمريكيين والأوروبيين والرأي العام العالمي.

بعد تقديم شهادتها أمام أعضاء لجنة 9/11، ذكرت سيبيل إيدموندز، في آذار/ مارس 2004، أنها أخبرت أولئك الأعضاء بأنه في حزيران/يونيو أو تموز/يوليو من العام 2001 كان لدى الأف بي آي "ما يكفي من المعلومات عن هجوم إرهابي له علاقة بطائرات سيحدث في الولايات المتحدة خلال الأشهر القليلة التالية بحيث كان يجب أن تُعلن حالة الطوارئ من اللون البرتقالي أو الأحمر... مكذبة لتصريح كوندوليزا رايس بأن الحكومة الأمريكية لم تكن تملك معلومات محددة عن هجوم محلي مسبق التخطيط يتعلق بطائرات."²

من المعطيات الجديدة التي ظهرت بعد دعوة غريفيين إلى فتح تحقيق جدي، حر وموضوعي، وتوسع جبهة المطالبين بالتحقيق، منهم من فتح مواقع إلكترونية، لا تزال نشيطة، وجامعة للوثائق والمعلومات، أهمها على الإطلاق، مجموعة "إعادة فتح 9/11" « ReOpen 11/9 » التي فتحت موقعاً إلكترونياً تحت عنوان « www.ReOpen11/9.info »، جمعت فيه كل ما يتعلق بالأحداث وتحليلها، من عناصر مفتاحي للفهم، فيديوهات، شهادات، وثائق، ملفات، كتب...³

لقد دفعت الأحداث الجديدة، غريفيين وغيره من النقاد، إلى الانتقال من البرهان الجمعي واحتمالات التواطؤ الحكومي، إلى ما يسمونه براهين قاطعة، لخصها هذا الأخير في أربعين بنداً، نلخص أهمها في النقاط التالية:

1. فشل الإجراءات العملائية النموذجية في اعتراض الرحلة 11
2. فشل الإجراءات العملائية النموذجية في اعتراض الرحلة 175
3. فشل الإجراءات العملائية النموذجية في اعتراض الرحلة 77
4. تغيير القصة الرسمية المتعلقة بهذه الإخفاقات بعد أيام قليلة من 9/11
5. وفقاً للنسخة الثانية من القصة الرسمية، أُعطي الأمر بإرسال طائرات مقاتلة لاعتراض الرحلتين 11 و175 إلى القاعدة الجوية أوتيس بدلاً من القاعدة الأقرب ماغواير، ولحماية البنتاغون، أُعطي الأمر إلى القاعدة الجوية لانغلي بدلاً من القاعدة الأقرب أندروز

¹ تاريخ آخر زيارة: 15 http://www.reopen911.info/11-septembre/l-affaire-sibel-edmonds/ جانفي 2020.

² دافيد راي غريفيين، مرجع سبق ذكره، ص ص. 263-264.

³ www.ReOpen11/9.info.

6. إنهار ثلاثة أبنية شاهقة فولاذية الهيكل في نيويورك يوم 9/11، لأول مرة في التاريخ، بسبب الحرائق - رغم أنها كانت حرائق صغيرة ومحدودة، وخاصة في البرج الجنوبي والمبنى 7.
7. إنهار البرج الجنوبي أولاً، رغم أنه كان يجب أن ينهار ثانياً - حسب النظرية التي تقول بأن الأبنية يمكن أن تنهار بسبب الحريق - لأنه أصيب بعد البرج الشمالي وكان الحريق فيه أصغر.
8. الأنواع المختلفة من الدلائل التي تشير إلى أن البرجين التوأمين والمبنى 7 انهاروا بواسطة عملية هدم متحكم به.
9. حقيقة أن أي طائرة غير عسكرية، لا تمتلك جهاز متلقي مستجيب يرسل إشارة "صديقة"، كانت ستسقط بشكل آلي من قبل بطارية الصواريخ التابعة للبنتاغون.
10. الدلائل التي تشير إلى أن أسامة بن لادن، رغم أنه كان رسمياً أول المجرمين المطلوبين بالنسبة لأمريكا، عولج من قبل جراح أمريكي وزاره عميل للأف بي آي في المستشفى العسكري في دبي قبل شهرين من 9/11.
11. الدلائل التي تشير إلى إعاقة قيادة الأف بي آي لعملاء لديها في مينيسوتا ونيويورك وشيكاغو من القيام بتحقيقات كان يمكن أن تسفر عن كشف الخديعة.
12. مضايقة وتخفيض رتبة عميلة وكالة الاستخبارات الدفاعية DIA، جولي سيرز بعد أن جلبت معها من أفغانستان معلومات عن خطة لاغتيال أحمد مسعود
13. حقيقة أنه، في حين عوقب اشخاص مثل "جولي سيرز" و"سيبيل إدموندس"، لم تكن هناك أي تقارير تشير إلى معاقبة أي شخص أبدى قلة في الكفاءة أو تصرف بشكل غير متعاون فيما يتعلق بأحداث 9/11 - سواء في إدارة الطيران الفدرالية، أو في الأف بي آي، أو السي آي إي، أو وكالة الاستخبارات الدفاعية، أو وكالة الأمن القومي، أو وزارة العدل، أو البيت الأبيض، أو البنتاغون، أو الجيش الأمريكي... الخ¹.

¹ دافيد راي غريفين، مرجع سابق، ص ص. 273-277.

خلاصة واستنتاجات:

كانت الصورة The image التي تداولتها وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية عن هجمات 9/11 المروعة، شديدة التأثير إلى درجة تكوين رأي عام عالمي: متعاطف مع الإدارة الأمريكية ومع الشعب الأمريكي وأهالي الضحايا، متخوف من ردود الفعل العنيفة المتوقعة، ومستعد لتأييد المخرجات الرسمية، بل وتقديم أي دعم ممكن للولايات المتحدة، وبالتالي فقد كان توقيت الهجمات، ملائماً جداً من جهة فك العزلة الدولية والتغطية على الانكشاف القيمي باعتبار السياسة الخارجية الأمريكية سياسة أنانية، عدوانية وخالية من القيم Value Free، بواسطة ما اعتبرته إدارة جورج وولكر بوش: إنكشافاً أمنياً وعجزاً خطيراً لوكالات الذكاء والاستخبارات والأمن التي تُصنف كونها الأقوى في العالم.

بيد إن هذا الالتفاف الكوني حول سياسات الإدارة الجمهورية، لم يدم طويلاً، حيث شرع الباحثون في عملية تفكيك الأحداث والتفسير الرسمي لها، ونقد ما أصبح يُعرف بالرواية الرسمية الأمريكية، كما بدأ الحلف القوي، الذي شكّل بعيد الأحداث ولقي إجماعاً واسعاً من الدول المؤيدة، يتفكك وطُرحت منذئذ عشرات الإشكاليات حول حقيقة الهجمات وطبيعة الأهداف ومدى ملاءمة السياسات وسير العمليات...

يمكننا الوقوف في نهاية الفصل على بعض الاستنتاجات، التي نلخص أهمها في النقاط التالية:

- أدت الهمجية المصورة: انهيار أبراج مركز التجارة الكوني بمانهاتن ، ومقتل آلاف المدنيين، وخصوصاً عن طريق التكرار اليومي والتركيز الممنهج على أبشع الصور، إلى توحيد الرأي العام الأمريكي، بعد أن كان انتخاب بوش مقابل آل غور محل انتقاد بل شرعيته ناقصة ومحل جدل سياسي، وأزالت، في الوقت ذاته، ولو بشكل مؤقت، كل معارضة دولية للسياسات الخارجية الأمريكية وأسكتت الإنتقادات المتصاعدة التي سبقت الأحداث (لم يختتم مؤتمر ديريان أشغاله إلا في الثامن من شهر أيلول / سبتمبر 2001، أي بعد ثلاثة أيام فقط من الهجمات). إذن فقد مثلت الهجمات، بالإضافة إلى كونها ضربة قوية وتهديداً غير مسبوق، فرصة تاريخية.

- اعتمدت الرواية الرسمية الأمريكية لأحداث 9/11 على معلومات استخباراتية بحتة واتهمت، دقائق فقط بعد الهجمات، تنظيم القاعدة الإرهابي وعلى رأسه أسامة بن لادن، ثم تولت وسائل الإعلام، عن طريق التكرار وفتح النقاش المؤطر من داخل الاتهام الرسمي، ونشر قائمة الإرهابيين المحتملين، أمر ترسيخ الإتهام واعتباره حقيقة مطلقة لا مجال لإعادة النظر فيها. رسمياً، أُطلق على العملية الإرهابية تسمية: "باننتيوم" « PENTTBOM » اختصاراً لكلمات « Pentagone Twin Towers Bombing » وتم الاستناد إلى معلومات قدمتها حصرياً وكالات الأمن الأمريكية ومفادها: أن تنظيم

القاعدة المناهض للولايات المتحدة والغرب، بقيادة رئيسه المدعو أسامة بن لادن، قام سرّيا وانطلاقاً من الأراضي الأفغانية، بعملية التخطيط والتنفيذ والإشراف الكامل على سير العملية الإرهابية، مدمراً بطريقة واعية، لرموز القوة الأمريكية الاقتصادية، العسكرية والسياسية، وبالتالي: فإن سبب الانكشاف الأمني هو عجز الوكالات الحكومية المتخصصة في الأمن (ما يقارب عشرين وكالة قوية) عن الاستعلام والتدخل في الوقت المناسب لمنع الهجمات وحماية الأرواح والممتلكات. بيد إن جميع الأدلة المقدمة: مجموعة من المعلومات الاستخباراتية البعيدة عن إمكانية التحقق من صدقيتها.

- بعد نشر معلومات مؤكدة عن إشراف المخابرات المركزية الأمريكية الكامل على الإرهابيين الإسلاميين الذين كانوا يُسمون في وسائل الإعلام الأمريكية: المجاهدين والمقاتلين من أجل الحرية، وذلك عندما كانت ساحة القتال هي أفغانستان والعدو هو الإتحاد السوفياتي، ومن هؤلاء أسامة بن لادن نفسه، اعترفت المخابرات المركزية CIA ونشرت روايتها المدعومة لرواية البيت الأبيض، تحت عنوان: الضربة المرتدة Blow Back. مفاد الرواية أن الضربة التي تلقاها الإتحاد السوفياتي، ارتدت على الولايات المتحدة، حيث حوّل المقاتلون جهة العداء بما اعتُبر: نتيجة عرضية غير مقصودة للسياسة الخارجية الأمريكية؛ لكنها لم تقدم أي دليل خارج عن إطار المعلومات الاستخباراتية، فتم توجيه الإعلام والسينما وتحليل الصحفيين والأكاديميين، ضد العدو الوجودي الجديد، أي الإسلام والأصولية الإسلامية.

- إن أحداث 9/11، إذ شكّلت محور البحث العلمي، ترتبط فعلياً بالسياسة الخارجية الأمريكية وبالميزان المختل للقيم والمصالح؛ حيث إن استنتاج لا أخلاقية ولا توازن سياسة الولايات المتحدة وانحيازها التام والأعمى للكيان الصهيوني، وذلك بغض النظر عن حقيقة الفاعل، بل حتى مع التسليم جدلاً باحتمال ضلوع القاعدة وبشكل مستقل، لا يُعتبر فقط مجرد وجهة نظر واسعة تشمل طيفاً واسعاً من المثقفين والأكاديميين والسياسيين والعسكريين وصانعي الرأي، ومنهم: جورج براون، وويليام فولبرايت، ديفيد ديوك، جو فايلز، ميكل كولينز بايبر، إرنست ف. هولينغز وغيرهم، بل يتعدى ذلك إلى الحقيقة القائمة عن طريق الاستدلال القوي: وقائع موثقة وسوابق تاريخية وعمليات يرفض الإعلام الأمريكي، المخترق صهيونياً، كشفها للرأي العام. أخطر العمليات التي تُعد حروباً إرهابية على الولايات المتحدة: سوزانا، ليبرتي، بروغرس وبطلها جوناثان بولارد، وعدد كبير من العمليات التي أضرت بمصالح الولايات المتحدة وقتلت مواطنيها، دون إحداث أي رد فعل من طرف الإدارات المتعاقبة... طبعاً دون الحديث عن الاحتلال الصهيوني لفلسطين والمجازر المرتكبة: من دير ياسين، صبرا وشاتيلا إلى قانا وغزة، ثم الحروب العدوانية والمواقف الأمريكية منها. كما إن المصالح الإسرائيلية تضر بالمصلحة القومية الأمريكية ومقدمة عليها، وبالتالي فاحتمال تواطؤ الموساد وضلوعه

في الهجمات، أو على أقل تقدير، علمه بها دون إعلام الدولة الحامية والحليفة، لتخوض حروبا ضد أعدائه العرب والمسلمين، وتسمح له بتصفية القضية الفلسطينية، يظل احتمالا قائما، واستنتاجا سليما، بل وهو ما حدث بالفعل؛ حيث اعتُبر كل عمل مقاوم إرهابا (حرب مشتركة) وكل عدوان وإرهاب واحتلال جديد، دفاعا عن النفس ضد الإرهاب الفلسطيني العربي الإسلامي...

- تدفنا مقارنة الدراسات العلمية للأحداث والنقد الموضوعي والتفحص الدقيق للرواية الرسمية الأمريكية، إلى استنتاج مدى الضعف الذي يعتري رواية البيت الأبيض ورواية الـ CIA المدعمة للرواية الرسمية، باعتبارها مجرد نظرية مؤامرة، أين يجتمع متآمرون ينتمون إلى جماعات جهادية (دريتها المخابرات الأمريكية ذاتها في وقت سابق) في كهوف تورابورا، تحت حماية طالبان (المدعمة عسكريا من الولايات المتحدة) فيتحدون أقوى الأجهزة الأمنية وأدق الإجراءات في الكون وينجحون في اختراقها، وفي المقابل تقوم الروايات النقدية على أسس متينة من المنطق والدلائل.

- يقوم التفكير، بالإضافة إلى السابقة التاريخية والعوامل، على العمليات ومنها: عملية نورث وودز التي أوضحت لنا ذهنية صانع القرار واستراتيجي البيت الأبيض والبن تاغون، وإمكانية القيام بعمليات مرفوضة قيميا، من أجل تحقيق مكاسب سياسية ومصالح استراتيجية وتبرير عمليات حربية وسياسات عدوانية، وعليه فإن أحداث 9/11 هي فعليا أشبه ببيرل هاربر ثانية؛ حيث سحبت الأولى الولايات المتحدة إلى الحرب العالمية الثانية، والأخيرة إلى حربي أفغانستان والعراق وما تلاها من تدخلات عسكرية واستخباراتية، خصوصا في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا Middle East and North Africa : MENA.

الفصل الرابع:

تفكيك السياسة الخارجية الأمريكية بعد 9/11: هندسة القيم

والمصالح

الفصل الرابع: تفكيك السياسة الخارجية الأمريكية بعد 9/11: هندسة القيم والمصالح

يبلغ البحث في هذا الفصل مداه التسلسلي (ما بعد 9/11)، حيث يعتمد منهجية التفكيك، من تحليل للمضمون (وثيقة: NSSA، PNAC.. وخطابا: أوباما بجامعة القاهرة...)، تحديد للفواعل (إيديولوجيات مهيمنة: صهيونية، محافظة جديدة... ومركبات ضخمة: صناعية - عسكرية، عسكرية - سينماتوغرافية، إعلامية - تواصلية...)، وصولا إلى الفواعل الرسمية (بيئة نفسية وقرارات سياسية) مع التركيز على الرؤساء الثلاثة الذين تداولوا على الإدارة بعد هجمات 9/11، أي: بوش، أوباما وترامب.

لقد تنوعت الخيارات، تعددت السياسات واختلفت الأولويات في مدة زمنية تقارب العشرين سنة منذ وقوع الأحداث المحورية: سياسة فرض قيم الإمبراطورية باستخدام القوة الصلبة (نزعة تدخلية)، تلتها محاولات استخدام القوة الذكية عن طريق مزج القوتين: الصلبة والناعمة (نزعة نيومثالية)، ثم سياسة التراجع للمحافظة على المكاسب وإعادة بعث القوة الأمريكية عن طريق الاهتمام بالداخل الأمريكي والاستثمار في البنى التحتية وتقوية الذات وتأهيلها أكثر (نزعة نيوانعزالية)، لكن الأهداف الإستراتيجية ظلت أقل تغيرا وأكثر ثباتا (تحديد المصالح وتعيين العدو والمنافس: الوثيقة الإستراتيجية 2000/2020، والعدو الإسلامي ثم المنافس الصيني)...

المبحث الأول: السياسة الخارجية الأمريكية بعد 9/11: تحليل المضمون

يتم التركيز في هذا المبحث على وثيقة الأمن القومي التي صدرت مباشرة بعد أحداث 9/11 لأهميتها القصوى؛ حيث تستعرض، بالإضافة إلى الإستراتيجيات والسياسات، تفسيراً للأحداث وتبريراً يمزج بين قيم الحرية والمصالح الكونية، بالإضافة إلى وثيقة مشروع القرن الأمريكي، التي سبقت الهجمات واتخذت منها ذريعة لاستخدام القوة العسكرية وهو ما حدث فعلياً، في أفغانستان وخصوصاً في العراق.

المطلب الأول: وثيقة الأمن القومي NSSA: تفسير الأحداث وتبرير السياسات

تمثل استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية التي عرضها جورج وولكر بوش على الكونغرس في الذكرى الأولى لأحداث 11 سبتمبر 2001، عرض عضلات غير مسبوق من أيام رونالد ريغان، كما تعكس نزعة فوقية رسالية (Manifest Destiny)، فضلاً عن كونها تؤكد التخلي عن مبدأ "الردع والاحتواء" وتتبنى مبدأ "الضربات المسبقة" وتحدد رؤية الإدارة الأمريكية لموازن القوى في العالم، ولطبيعة العلاقات الدولية الجديدة بعد غزو أفغانستان وقبل أشهر من غزو العراق، كما وظف محرروها القيم والنسق القيمي العام، لتبرير الهجمات وتفسيرها، ثم لتبرير السياسة الخارجية وكسب تأييد البيئة الاستراتيجية، محلياً وعالمياً.

فأول ما يلاحظ عند القراءة المتمعنة للوثيقة هو محاولة صناع القرار الأمريكيين إخراج ما كان يسمى في عهد كلينتون "اللحظة الأمريكية" من إطار التنظير إلى مجال الاستعمال الميداني للقوة العسكرية باعتبارها بعداً أساسياً من أبعاد القوة من أجل تحقيق الأمن القومي حيث تعد أحداث 11 سبتمبر 2001 مبرراً أكثر من كاف لاستعمال القوة الأمريكية المتعاطمة والمتفوقة عالمياً: "تتمتع الولايات المتحدة هذه الأيام بموقع القوة العسكرية التي لا نظير لها والنفوذ السياسي والاقتصادي العظيم"⁽¹⁾.

"تمتلك الولايات المتحدة قوة ونفوذاً غير مسبوقين ولا نظير لهما في العالم. هذا الموقف الذي حافظت عليه الولايات المتحدة لإيمانها بمبادئ الديمقراطية وقيم المجتمع الحر، يفرض مسؤوليات وفرصاً لا مثيل لها. فالقوة العظيمة لهذه الأمة يجب أن تستخدم لتعزيز توازن القوة الداعمة للحرية"⁽²⁾.

¹ نص استراتيجية الأمن القومي الأمريكي، "مجلة الحوار الجديد"، لبنان، بيروت، السلسلة الجديدة، العدد 2- (27)،

نوفمبر/ديسمبر - 2003، ص 28.

² المرجع نفسه، ص 29.

بل إن مبدأ الأمن الجماعي والدفاع المشترك، قد تجاوزه الزمن باعتباره مفهوماً ينتمي إلى ما قبل هجمات 11 سبتمبر الإرهابية، التي أصبح بعدها أمن العالم يبدأ من أمن زعيمة العالم الحر، الولايات المتحدة الأمريكية، المستعدة للتحرك على انفراد إذا لم يتفق معها أي بلد في العالم لحماية مصالحها الممتدة عبر العالم، والتي يعتبر المساس بأي منها مساساً بالأمن القومي للقوة العظمى: "ولدى ممارستنا دور الزعامة في العالم، سوف نحترم قيم وروى ومصالح أصدقائنا وشركائنا، ومع ذلك سنكون على استعداد للتحرك منفردين إذا تطلبت منا ذلك مصالحنا ومسؤولياتنا الفريدة"⁽¹⁾. من أجل ذلك، يجدر بنا، قبل تحديد الفواعل الرئيسة وإدراك من يقف وراء تبني هذه الإستراتيجية المبنية على التوسع الإمبراطوري باعتبار الزمن، زمنَ الفرصة الأمريكية، حتى يتسنى لنا إدراك الخلفية التي تركز عليها صياغة الإستراتيجية بالشكل الذي عرضت به، أن نقوم بتحليل أهم محاورها، باعتبارها الوثيقة الأمنية والإستراتيجية الأقرب، كرونولوجياً، من الأحداث، والمتضمنة، بالتالي، رؤية الإدارة الأمريكية للهجمات والأساليب الأنسب للتعامل معها، مقارنة بوثائق لاحقة، صدرت في سنوات: 2010، 2015 في عهد أوباما، وديسمبر 2017، الصادرة في بداية العهدة الأولى لترامب.

لقد أراد واضعوا الإستراتيجية الأمنية الأمريكية NSSA، ومن صاغوا الوثيقة التأكيد على عنصرين حاسمين، بل محددتين:

* شمولية الإجراءات والمجالات.

* عولمة الاهتمامات الأمنية (عولمة الأمن).

وذلك على أساس قوة الولايات المتحدة الفريدة عالمياً أولاً (-جغرافياً: قوة تستطيع الوصول إلى أي بقعة في العالم، كما لا تضاهيها أية قوة أخرى وهو وضع فريد في التاريخ "اللحظة الأمريكية"- مجالياً: قوة متعددة الأبعاد: عسكرية، سياسية، اقتصادية، إستخباراتية، تكنولوجية، وثقافية...)، وعلى أساس الإمتدادات الكونية لمصالحها ثانياً.

كما أن طابع القوى النافذة التي سنحاول تسليط الضوء عليها من يمينيين مسيحيين، ومحافظين جدد، ومجموعات الضغط الموالية للكيان، وخصوصاً كبار المليارديرات الـ WASP والمركب الصناعي-العسكري...، وتأثيرها كان واضحاً جداً رغم محاولة الظهور بمظهر الدولة الباحثة عن الأمن والسلم الدوليين.

¹ المرجع نفسه، ص 42.

لقد تكررت كلمة "إرهاب" ومشتقاتها "إرهابي"، "إرهابيون"... إلخ، في سطور الوثيقة إحدى وتسعين (91) مرة تليها كلمة "أمن" ومشتقاتها التي تكرر ذكرها 79 مرة، مما يوحي بتركيز كامل الإستراتيجية على المتغيرين: الإرهاب والحرية، أي أن الولايات المتحدة تشن حرب الحرية على الإرهاب، مثلما شننتها من قبل على الفاشية، ثم على الشيوعية والأنظمة الشمولية والتسلطية، أما كلمتا "أمن" و"سلام" فقد تكررتا ثلاثاً وأربعين (43) مرة وستاً وعشرين مرة (26) على التوالي.

من أجل ذلك، كان التركيز في مضمون الوثيقة على المحاور التالية:

- الحرب على الإرهاب.
- تحويل مؤسسات الأمن القومي.
- التعاون الأمني واستراتيجية الولايات المتحدة تجاه دول العالم (حسب مراكز القوة، والأولويات المصلحية، وكذا درجة استجابة الدول...).
- الحرب الوقائية أو الضربة الاستباقية.
- مع الإشارة إلى الحرب غير المتماثلة، وضرورة فتح المجال الاقتصادي، وتحرير التجارة الخارجية... إلخ.

الفرع الأول: الحرب على الإرهاب

مثلت هجمات 11 سبتمبر في نيويورك وواشنطن نقلة نوعية هامة في تطور ظاهرة الإرهاب، وبدت أقرب إلى ما يعرف (بالإرهاب الجديد)، أكثر من كونها شكلاً من أشكال الإرهاب التقليدي القديم. وكان مفهوم الإرهاب الجديد قد دخل إلى الأدبيات السياسية خلال سنوات التسعين من القرن العشرين، من جانب العديد من الأكاديميين والسياسيين بوصفه شكلاً متميزاً من أشكال الإرهاب، تحركه الإيديولوجيات ذات الأساس الإثني المتطرف أو ذات الأساس الديني المتشدد، كما يتميز هذا الشكل باعتماده على شبكات تنظيمية واسعة، بالإضافة إلى كونه أكثر تصميمًا على استخدام أسلحة الدمار الشامل لضرب أهداف محددة، وقد شاع استخدام هذا المصطلح بصفة خاصة من جانب اللجان العديدة التي شكلها الكونغرس الأمريكي، مثل لجان: "بريمر" و"جيلمور" و"دويتش"، التي ركزت على دراسة أشكال الإرهاب المختلفة التي يحتمل أن تتعرض لها الولايات المتحدة، وقد حذرت التقارير الصادرة عن هذه اللجان من أن هذا الإرهاب الجديد ربما يلجأ إلى تنفيذ عمليات واسعة النطاق في الولايات المتحدة، وربما يتم في هذه الهجمات استخدام الأسلحة الكيماوية والبيولوجية، بقصد إحداث آثار نفسية ضخمة، حتى لو كانت الهجمات محدودة النطاق.

في هذا الإطار، شكلت هجمات 11 سبتمبر نقلة نوعية خطيرة في نمط الإرهاب الجديد، ولاسيما من حيث دلالتها الواضحة فيما يتعلق بالاتجاه التصاعدي في نطاق وحجم العمليات الإرهابية والآثار التدميرية المترتبة عليها، فقد شهدت الولايات المتحدة خلال السنوات العشر الماضية ثلاث عمليات إرهابية رئيسية هي: محاولة تفجير مركز التجارة العالمي (فيفري 1993)، تفجير سفارتي الولايات المتحدة في تنزانيا وكينيا (أوت 1998) وهجمات نيويورك وواشنطن (11 سبتمبر 2001)، وفي هذه العمليات الثلاث، ظل عدد الضحايا وحجم الدمار يزداد بصورة طردية حتى وصل إلى ذروته في هجمات نيويورك وواشنطن، بل إن عدد الضحايا زاد عن ضحايا الكثير من الحروب التقليدية التي خاضتها الولايات المتحدة، وهو ما دفع بظاهرة الإرهاب إلى مستوى نوعي جديد.

ولا تقتصر أهمية هذا التحول على ما يمثله من تهديد جديد جزئيا للأمن الدولي، ولكن أيضا على ما استثاره من ردود أفعال من جانب الولايات المتحدة والقوى الدولية الأخرى، والتي لم تقتصر فقط على شن حملة دولية واسعة بقيادة الولايات المتحدة ضد الإرهاب، ولكنها وصلت إلى تبني الرئيس الأمريكي جورج وولكر بوش لموقف يقوم على أن "وقف الإرهاب ومحاسبة الدول التي ترعاه أصبحت التركيز الرئيسي للإدارة الأمريكية"⁽¹⁾. وأن "من ليس معنا فهو مع الإرهاب!؟"، وهو ما يعني بجلاء أن أحداث 11 سبتمبر قد غيرت السياسة الخارجية الأمريكية بصورة جذرية، حيث أصبحت هذه السياسة موجهة بالكامل نحو أهداف مكافحة الإرهاب، بما ينطوي هذا الأمر من تخصيص للموارد المادية والبشرية الدولية، وهو ما يعتبر أوضح تعبير عن المكانة التي باتت الإرهاب يحتلها كشكل رئيسي من أشكال الصراع المسلح على الساحة الدولية.

الفرع الثاني: أسباب استهداف الولايات المتحدة

إن الأمر الملفت للنظر حقا، هو أن العالم كله بعيد أحداث 11 سبتمبر 2001، (بما في ذلك الكثير من المفكرين داخل الولايات المتحدة) ظل يعيد طرح جملة من التساؤلات التي صيغت بالشكل التالي:

- لماذا حُصت الولايات المتحدة أساسا بمثل هذه العمليات الإرهابية؟ ولماذا استُهدفت رموز قوتها: الاقتصادية، العسكرية والسياسية؟ ولماذا ظل الشعور بالعداء لهذه الدولة يتعاظم مع مرور الزمن؟

باستثناء الإدارة الأمريكية التي ما فتئت ترفض الإجابة على هذه الإشكالية، بل ترفض مجرد طرحها للنقاش، وظلت تطرح بشكل تبسيطي فكرة أن:

¹ أحمد إبراهيم محمود، (الإرهاب الجديد: الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية)، ملف السياسة الدولية، عدد 147، جانفي/يناير 2002، ص 45.

- الإرهاب عدو الحرية.

- الولايات المتحدة أول وأكبر بلد حر في العالم.

- وعليه فإن الولايات المتحدة على رأس قائمة المستهدفين من طرف الإرهابيين أعداء الحرية.

هذا بينما يصر العديد من المفكرين، والمحللين على تسليط الضوء على سياسات الولايات المتحدة العدوانية في العالم، بل وقيامها بإرهاب الدولة على أوسع وأبشع نطاق، وكذا مساندتها المطلقة لأكبر الأنظمة الدكتاتورية والإرهابية في العالم.. .

1- وجهة النظر الأمريكية الرسمية - محاربة قوى الشر:-

إن مصطلحات مثل "محور الشر" و"مرتكبي الشرور"، تعيد إلى الذاكرة الصفات التي كانت إدارة "ريغان" تطلقها على الإتحاد السوفييتي "إمبراطورية الشر"، وفي حملتها الخاصة ضد "الإرهاب"، فقد وصف ريغان الرئيس الليبي السابق "معمر القذافي" بأنه إرهابي، ويستحق أن يطاح به.

الحقيقة هي أن ريغان كان يتعمد الخلط وعدم التمييز لخصوم الهيمنة الأمريكية المتعددين في أمريكا الوسطى والشرق الأوسط وغيرهما من المناطق، مع المجرمين ومهربي المخدرات والمجانين... .

لقد تم التركيز على الوسائل الناجعة، والأهداف المرجوة من شن حرب عالمية على الإرهاب، دون الالتفات إلى الدوافع والأسباب، وذلك لأن "الحرية مطلب لا يقبل المساومة بالنسبة للكرامة الإنسانية التي تعد حقا أساسيا لكل فرد في كافة الحضارات، ولقد تعرضت الحرية عبر التاريخ لتهديدات الحرب والإرهاب، وواجهت تحديات تعارض إرادات الدول الكبرى، والمخططات الشريرة للطغاة، كما أنها اختبرت عن طريق انتشار الفقر والمرض، وتمسك الإنسانية اليوم بيدها الفرصة لتحقيق انتصار الحرية على كافة أعدائها، وترحب الولايات المتحدة بمسؤوليتها لقيادة هذه المهمة العظيمة"⁽¹⁾.

فبعد ثلاثة أيام من أحداث 11 سبتمبر "تجد أن الأمريكيين ليسوا بعيدين عنها تاريخيا بعد، ولكن مسؤوليتنا أمام التاريخ واضحة مسبقا للرد على هذه الاعتداءات وتخليص العالم من الشر، لقد

¹ جورج و. بوش، البيت الأبيض 17 أيلول/سبتمبر 2002. عن نص استراتيجية الأمن القومي الأمريكي، مرجع سابق الذكر، ص 29.

شنت الحرب علينا، خلصة وبإلخاداع، والقتل، وهذه أمة مسالمة، ولكنها عنيفة عندما يثار غضبها، والنزاع بدأ في توقيت وشروط الآخرين، وهو سينتهي بطريقة وتوقيت نختارهما نحن⁽¹⁾.

في هذه الحرب على الإرهاب يبدو أن الرئيس مساق بشعور بأن العالم الذي نعيش فيه اليوم هو عالم هوبزي^(*)، وغير مستقر ويحتاج إلى يد حازمة، ومسؤوليات الدولة العظمى الوحيدة في مثل هذا "الفضاء الطبيعي الكئيب" وهي عبارة استخدمها روبرت كابلان Robert Kaplan في كتابه: "شرقاً نحو الوحشية East ward to Tartary" هي واضحة لا لبس فيها: "إنك لا تستطيع أن تبقى في الظل، واجهه بتصميم شديد وعزم لا ريب فيه"⁽²⁾.

لقد تأثر الرئيس بوش كثيراً بكتاب كابلان إلى حد أنه طلب من جهاز معاونيه دعوة المؤلف إلى البيت الأبيض لمهمة تدريب أثناء العمل⁽³⁾، يمكن لكابلان، -وربما لكوندوليزا رايس- أن يضيفا محتوى عقليا إلى مشاعر بوش الداخلية الخاصة وإلى ميوله التي تفتقر إلى بنية.

لم يستطع الرئيس بوش أن يفلت من الأثر المدوي لتحذير كابلان من فوضى وعدم استقرار، وكذلك مشورته بأن تستجيب الدول الكبرى "التي لها قادة يعرفون متى يتدخلون ودون أن تكون لديهم أوهام"⁽⁴⁾.

هذه النظرة المظلمة على العالم، التي عززتها أحداث 11 سبتمبر، أعطت لبوش شعورا لا يناع بالرسالة، وقد استنتج كابلان بعد ندوته مع بوش: "أعتقد أن وجهة نظر بوش في العالم أن الهيمنة الأمريكية واهنة ... إن العالم مكان سيء، شعوبه سيئة، ويمكن أن تلحق بنا الضرر، وأهم إلتنزام أخلاقي على أمريكا هو أن تصون قوتها".

لقد كتب كابلان كتابا آخر: "سياسات المحاربين: لم تتطلب القيادة روحا جماعية وثنية" (Warriors Politics : Why Leadership Demands a Pagan Ethos)

وفيه يتابع موضوع الدور الإمبريالي والأمزجة الأخلاقية والسياسية التي يظن أن الإمبرياليين الأمريكيين المحدثين لابد أن تعترتهم.

¹ جورج و. بوش، واشنطن D.C (الكاتدرائية الوطنية) 14 أيلول/سبتمبر 2001، عن المرجع نفسه، ص 30.

(*) نسبة إلى " توماس هوبز " (T.Hobbes) الفيلسوف الإنجليزي (1588 - 1679) الذي دافع في فلسفته السياسية بشدة عن الملكية المطلقة كنظام للحكم، معتبرا أن الشر متأصل في طبيعة الإنسان.

² - Steven Mafson, (Bush's View of world Evolves), **Washington Post**, 3/3/2002, p 33.

³ نصير عاروري، مرجع سابق، ص 233.

⁴ المرجع نفسه، ص 134.

يتخذ كابلان موقفا نقديا، من أي تأكيد على العدالة وحقوق الإنسان، كذلك الذي يزعم أن كلينتون اتخذه، على حساب الاستقرار والنظام، حتى وإن كان دعم هذين الأخيرين يعني الدخول في معاهدات مع شياطين نعرفهم من السلطويين، ومن ثم لا تستطيع السياسة الخارجية أن تخضع لتوجيه "أوهام عاطفية" مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان أو أن تضلها شواغل بشأن طغيان الدولة، حينما يكون من المتوجب إعادة توطين النظام.

ففي الحقيقة توطين النظام كان هو الذي قاد ريغان إلى إرسال قوات إلى لبنان في عام 1983، وبعدها إلى غرانا، وكان هذا هو السبب وراء غزو جورج بوش الأب لباناما وبعدها الصومال⁽¹⁾.

ولما كانت ممارسات الولايات المتحدة الإمبريالية، وسياساتها الخارجية العدوانية لا تمثل السبب والدافع لاستهدافها، فإن السبب الحقيقي جاهز في استراتيجية الأمن القومي، وكذلك الحل المثالي...، إن السبب الحقيقي إذن هو: الدول الفاشلة، ففي "عالم يعيش فيه البعض في راحة ووفرة، بينما يعيش نصف الإنسانية بأقل من دولارين في اليوم لا يعد عالما عادلا ولا مستقرا، وإن ضم كافة فقراء العالم في دائرة متسعة من النخبة، وتوفر الفرص يعد واجبا أخلاقيا، وأحد أولى الأولويات في السياسة الدولية للولايات المتحدة.

لقد فشلت عقود من معونات التنمية الضخمة في تحفيز النمو الإقتصادي في البلدان الفقيرة، والأنكى من ذلك أن معونات التنمية نتج عنها في أغلب الأحيان ظهور سياسات فاشلة، وتخفيف الضغوط الداعية للإصلاح، وإدامة البؤس، ونتائج التنمية تقاس عادة بالمبالغ التي أنفقتها الجهات المتبرعة، وليس وتيرة النمو، وتخفيف الفقر لدى من تلقوا الأموال، وهذه هي مؤشرات الإستراتيجية الفاشلة⁽²⁾.

"الفقر لا يدفع الفقراء ليصبحوا إرهابيين وقتلة، ومع ذلك، فإن الفقر والمؤسسات الضعيفة والفساد، يمكن أن تجعل الدولة الضعيفة هشة أمام الشبكات الإرهابية ومجموعات تجارة المخدرات داخل حدودها"⁽³⁾.

ومن أجل الرد على هذه التحديات، ستتبع الولايات المتحدة "استراتيجيات رئيسية لتحقيق الأهداف التالية:

¹ مرجع نفسه، ص 134.

² نص استراتيجية الأمن القومي الأمريكي، مرجع سابق، ص 37.

³ مرجع نفسه، ص 29.

- توفير مصادر لمساعدة الدول التي تواجه تحديات الإصلاح الوطني.
- تحسين مستويات الحياة في دول العالم الفقيرة.
- الإصرار على نتائج يمكن قياسها.
- زيادة معونات التنمية التي تقدم في شكل منح بدلا من قروض.
- فتح أبواب المجتمعات أمام التجارة والاستثمارات.
- تأمين الصحة العامة.
- التركيز على التعليم.
- الاستمرار في دعم التنمية الزراعية⁽¹⁾.

وأخيرا وفي بيان واضح عن سياسة إدارة بوش تجاه ما أطلقت عليه الدول الفاشلة، قال ريتشارد هاس مدير مكتب تخطيط السياسة في وزارة الخارجية الأمريكية في مقابلة: "إن ما تراه من هذه الإدارة هو بزوغ مبدأ جديد... ولست على ثقة بأنه يشكل مذهبا في السيادة. فالسيادة ترتب التزامات، واحد من هذه الالتزامات أن لا تدبح شعبك، وآخر أن لا تدعم الإرهاب على أي نحو، فإذا ما فشلت حكومة في الوفاء بهذه الالتزامات، فإنها تفقد بعضا من المزايا العادية للسيادة، بما في ذلك الحق في أن تترك وشأنك داخل أراضيكم، وتكسب حكومات أخرى - بينها الولايات المتحدة - حق التدخل، وفي حالة الإرهاب يمكن أن يؤدي هذا حتى إلى حق الدفاع الذاتي الوقائي أو الاستباقي"⁽²⁾.

2- تفسير مدرسة الصور النمطية:⁽³⁾

تطلق هذه المدرسة من أن بعض التكنولوجيات الثقافية، وأجزاء من تراث وتقاليد وقيم بعض الشعوب تسهم في دفع أفراد منها إلى التطرف والعنف، وتؤثر هذه المجموعة التركيز على الصور النمطية والقوالب الجاهزة، وأطلقت "يوكسيل سيزغين" على أصحاب هذا الاتجاه "المستشرقين الجدد"⁽⁴⁾، وتتهم هذه المجموعة بأن غالبية أعضائها يحملون توجهات سياسية وإيديولوجية معادية للعرب والمسلمين، وتضم برنارد لويس، دانيال بايبس، ومارتن كرامر، يوسف بودانسكي، ويعكس مقال برنارد لويس "جذور الغضب الإسلامي" "The Roots of Muslim Rage" وكتاب بودانسكي "استهداف أمريكا" "Targetting America"، أفكار هذه المدرسة، كما أن تصفح السيرة الذاتية لبودانسكي،

¹ المرجع نفسه، ص 38.

² المرجع نفسه، ص 199.

³ حسن الحاج علي أحمد، حرب أفغانستان: التحول من الجيوستراتيجي إلى الجيوثقافي، من كتاب العرب والعالم بعد 11 أيلول/سبتمبر، مرجع سبق ذكره، ص 250.

⁴ المرجع نفسه؛ يوكسيل سيزغين، (هل يشكل الإسلام تهديدا للغرب؟)، ترجمة: هشام الدجاني: مراجعة: عبد السلام رضوان، الثقافة العالمية، العدد 107، جويلية 2001، ص 136.

الذي بدأ حياته العلمية محرراً لمجلة سلاح الطيران الإسرائيلي في سنوات السبعين، وانتهى بعدها في الولايات المتحدة مديراً للجنة المهتمة بالإرهاب التابعة للجنة الأبحاث الجمهورية في مجلس النواب، تعزز صحة هذا الاتهام بمعاداة العرب والمسلمين، إن رؤية هذه المدرسة تتسم بالتناول السطحي، وتستخدم أفكارها أجهزة الإعلام الغربية لإثارة مشاعر الغربيين ضد العرب والمسلمين، وهي تتجاهل تعقيدات التاريخ التي لا يمكن اختزالها وتبسيطها⁽¹⁾، كما أنه لا يمكننا النظر إلى ما يحدث على اعتبار أنه نتيجة سياسية لثقافة بالية، فهنا يجب علينا أن ننظر إلى الثقافة والسياسة بناء على أنها نتيجة معاصرة لأوضاع معاصرة هي أنماط العلاقات والصراع، فبدلاً من إلقاء السياسة والتاريخ كما يوحي بذلك الحديث الذي يرمي إلى التركيز على الثقافة وعزلها عن بيئتها المحلية والعالمية، علينا أن نفتح النقاش الثقافي في أطره التاريخية والسياسية، فالإرهاب الحالي ليس إفراراً لثقافة آفلة ولكنه تشكيل سياسي معاصر⁽²⁾.

3- تفسير المدرسة السياسية⁽³⁾:

تهتم تيارات هذه المدرسة بالعوامل السياسية وتعتبرها المؤثر الرئيسي في تصاعد العنف، وتركز بصورة خاصة على التغيرات العالمية التي صاحبت انتهاء الحرب الباردة، فيرى تيار فيها أن النظام العالمي لم يفقد ثنائية القطبية رغم انهيار الإتحاد السوفييتي الذي كان يمثل القطب الشيوعي الموازي للولايات المتحدة داخل النظام العالمي، فبعد انهيار النظام السوفييتي تحول الإرهاب من قوة هامشية وجانبية إلى قوة مركزية، وأصبح القطب الآخر، ولكنه خارج عن شرعية النظام العالمي، وعملت أحداث سبتمبر على إبرازه بصورة أكثر وضوحاً⁽⁴⁾.

لكن "كوردسمان" (Gordesman) يعتقد أن غياب قطب منافس واحتكار الولايات المتحدة، لقوة كونية ضاربة، جعل القوى المنافسة أمام خيارين:

إما القبول بالهزيمة أو الدخول في نطاق حرب غير متكافئة Asymmetric Warfare⁽⁵⁾.

¹ Edward W. Said, (The Clash of Ignorance), **Nation** (22 October 2001), (<http://www.the.nation.com>).

² Mahmoud Mamdani , « Good Muslim, Bad Muslim : An African Perspective », **Social science Research Council**, (<http://www.ssrc.org/-56=Sept> 11/essays/mamdani.html).

³ حسن الحاج علي أحمد، مرجع سبق ذكره ، ص ص 250 - 251.

⁴ المرجع نفسه، ومحمد سيد أحمد، في الخليج، 2001/11/08 :<http://www.alkareej.co.ae>

⁵ Gordesman, (Defending America : Redefining the Suspectual Borders of Homeland Defence), P.5.

المطلب الثاني: وثيقة مشروع القرن الأمريكي PNAC

تم تأسيس "مشروع القرن الأمريكي الجديد" Project for the New American Century بصفته مركزا للبحث والتفكير « Think Tank » سنة 1997 بالعاصمة الأمريكية واشنطن، من طرف سياسيين، كتاب، عسكريين ورجال أعمال ينتمون إلى ما أصبح يُعرف لاحقاً، على نطاق واسع، بتيار "المحافظين الجدد" « New Conservatives ». قام بتمويله أساساً كل من "ويليام كريستول" و"روبرت كاينغ"¹، ويُعتبر مسؤولاً عن سياسات جورج بوش الخارجية، خصوصاً فيما يتعلق بالحربين الأمريكيتين ضد أفغانستان والعراق، وتم حله سنة 2006، في سياق أزمة شاملة للمحافظين الجدد الأمريكيين، استبدل بعدها بـ"مبادرة السياسة الخارجية" « Foreign Policy Initiative » بين سنتي 2009-2017.²

تمثل وثيقة مشروع القرن الشهيرة في الأوساط السياسية والأكاديمية، بيان مبادئ يدعو إلى تحقيق أهداف إمبريالية، منها: تعزيز الريادة العالمية الأمريكية كونها مفيدة لأمريكا وللعالم، ودعم السياسة الريغانية (نسبة إلى الرئيس الأمريكي السابق "ريغان") وما أطلقوا عليه بالوضوح الأخلاقي، ثم غزو العراق، حيث تضمن البيان نص مقال نشره ممولا المشروع الرئيسان: كريستول وكاينغ في مجلة "فورين أفيرز" « Foreign Affairs » سنة 1996.

في سياق الحملة المضادة لسياسة كلينتون الخارجية، وقع خمسة وعشرون شخصية أمريكية على إعلان أطلق عليه "بيان مبادئ" يدعو إلى زيادة إنفاق الدفاع، تعزيز الحرية السياسية والاقتصادية بالخارج، الهيمنة العالمية الهادفة، تحدي الأنظمة المعادية لقيم الولايات المتحدة ومصالحها... الخ.³

من بين الموقعين على البيان، نجد أقطاب إدارة جورج بوش، على رأسهم: ديك تشيني، دونالد رامسفيلد، جون بولتون، بول وولفوويتس، ريتشارد بيرل، إليوت أبرامز وآخرين.

حسب "ويليام ريفرز بيت" « William Rivers Pitt »، حدثان اثنان أتيا بمشروع القرن PNAC إلى التيار المهيمن بالحكومة الأمريكية: الانتخابات محل الجدل والتي فاز بها "جورج بوش"، وأحداث 9/11... عندما تولى بوش رئاسة الولايات المتحدة، أدار مخترعوا أحلام الإمبراطورية ورعاتها

¹ آخر زيارة للموقع: 20 جانفي 2020 https://www.marefa.org/مشروع_القرن_الأمريكي_الجديد

² Pierre Bourgeois, Retour sur le Project for the New American Century (1997-2006) et le moment néoconservateur post-guerre froide : <https://www.cairn.info/revue-politique-americaire-2018-2-page-173.htm> آخر زيارة للموقع: 20 جانفي 2020

³ مشروع القرن الأمريكي، مرجع سابق.

البنتاغون، وزارة الدفاع، والبيت الأبيض، ورأوا في سقوط البرجين Twin Towers فرصتهم لتحويل مشروعاتهم من الأوراق إلى سياسة ملموسة.¹

بغض النظر عما كُتب عن مجموعة الضغط/مركز التفكير المعروف اختصاراً بـPNAC، يمكن إجمال مجموعة الوثائق - المصادر لمشروع القرن، فيما يلي:

- خطابات وبيانات Letters and Statements (منشورة على الموقع الرسمي للPNAC)
 - توجيه سياسة الدفاع 1994-1992 Defence Policy Guidance
 - بيان المبادئ 3 Statement of Principles, Project for The New American century
جوان 1997
 - رسالة إلى الرئيس كلينتون حول العراق Letter to president Clinton on Iraq، 26 جانفي 1998
 - رسالة إلى نيوت غينغريش وترينت لوت حول العراق Letter to Newt Gingrich and Trent Lott on Iraq
29 ماي 1998
 - إعادة بناء دفاعات أمريكا: الإستراتيجيات والقوى والموارد لقرن جديد Rebuilding America's Defences : Strategies, Sources and Defences For A New Century
سبتمبر 2000
 - بيان حول عراق بما بعد الحرب Statement on Post-War Iraq
19 مارس 2003
 - البيان الثاني حول عراق ما بعد الحرب Second Statement on Post-War Iraq
28 مارس 2003
- على الرغم من وجود نقاش مستمر وتفاعل تدافعي متواصل بين النخب الأكاديمية والإعلامية والسياسية، فإن وثائق مشروع القرن عموماً، وبيان المبادئ وإعادة بناء دفاعات أمريكا خصوصاً، لم تحظ بأهمية كبيرة إلا بعد وصول جورج بوش إلى سدة الحكم وتعيينه لمجموعة معتبرة من الموقعين عليه في مناصب توصف بالحساسية من جهة، وحدثت هجمات 11 سبتمبر 2001 وما تلاه من إعلان حربين على أفغانستان والعراق من جهة ثانية، حيث وصفها "دايفد ساونسن" بالكذبة وألف كتاباً ناقدة من أهمها كتاب: "الحرب كذبة" « Wa ris a lie » ، بينما تحدث مقال "جايسن فاست" « Jason Vest » عن حرب صقور بوش « Bush's War Hawk » ، كما حاول "تايل ماكاي" « Neil MacKay » في مقال نُشر في 15 سبتمبر 2002 التأكيد على أن بوش قد خطط لتغيير

¹ Project for the new American century ,
https://www.sourcewatch.org/index.php?title=Project_for_the_New_American_Century&oldid=721284, آخر زيارة للموقع: 19 مارس 2020

النظام في العراق قبل أن يُصبح رئيساً « Bush planned Iraq 'regime change' before becoming president... الخ.¹ »

تركز وثائق مشروع الهيمنة الأمريكية على العالم على النقاط التالية:

- تطوير ونشر دفاعات صاروخية شاملة للدفاع عن الولايات المتحدة الأمريكية: وطنا وحلفاء، وتوفير أساس آمن لإطلاق القوة الأمريكية في جميع أنحاء العالم
- السيطرة على المشاعات الدولية الجديدة للفضاء والفضاء الإلكتروني، وتمهيد الطريق لغنشاء خزمة عسكرية جديدة - قوات الفضاء الأمريكية US. Space Forces ومهمتها: السيطرة على الفضاء
- زيادة الإنفاق العسكري (الدفاعي) بإضافة سنوية تقدر بـ 15 إلى 20 مليار دولار²
- تأسيس القوة المستقبلية المهيمنة: "في الوقت الحالي، لا يوجد منافس للولايات المتحدة، فيتوجب على الإستراتيجية الأمريكية أن تخطط لحفظ وتوسيع مواقع المصالح لأطول فترة ممكنة في المستقبل... على الولايات المتحدة تجهيز قوات كافية قادرة على الإنتشار المتسارع والإنتصار في حروب متطورة وشاملة ومتزامنة... على الولايات المتحدة إعادة نشر قواتها لتتجاوب مع الحقائق الإستراتيجية في القرن الجديد عبر نقل القواعد الدائمة إلى جنوب شرق أوروبا وجنوب شرق آسيا...³
- إذن، فرغ الإنفاق العسكري بشكل مطرد، وإعادة نشر القوات إلى تخوم روسيا والصين، بالإضافة إلى ضمان التفوق الساحق على مستوى القدرات الصاروخية الشاملة والتحكم التام في الفضاء، تُعتبر كلها أهدافا عاجلة تتطلب سياسة إمبريالية تستند إلى طموح الإمبراطورية المهيمنة قيميا ومصليا، بيد إن تنفيذها وبسرعة يقتضي حدثا مأساويا أو بتعبير المشروع: "حدثا محفزا" « Catalyzing Event » بحجم هجمات بيرل هاربر، لضمان إجماع واسع حول السياسة المطلوب هندستها وتنفيذها، أو بالأحرى "المهام المطلوبة" حسب تعبير مشروع القرن.

حتى على مستوى الخطاب الرسمي الذي ألقاه كل من الرئيس "فرانكلين د. روزفلت بعيد بيرل هاربر و"جورج بوش الابن" بعيد 9/11، كان التشابه في استخدام مصطلحات مثل الأمة المسالة، الضحية التي تعرضت للتو لهجوم مباغت وظالم، حق الدفاع عن الحياة، الحرية والسلم ثم قدرة الأمة المسالة على الانتصار في الحرب المفروضة عليها... الخ. عدديا، أزيد من 3000 قتيل في الحالتين، ومن ثم على مستوى القرار السياسي المصيري: الحرب العالمية الثانية بعد "بيرل هاربر" والحرب الشاملة على الإرهاب بعد 9/11.

¹ Ibid.

² . Ibid.

³ النسخة المترجمة إلى العربية من الفيلم الوثائقي للمخرج ماسيمو مازوكو ، ترجمة أزهر الهادي Ajoutée le 28

، <https://www.youtube.com/watch?v=hVYShFzCF7g> ، <https://militarist-janv.2012>

Project for the New /monitor.org/profile/project_for_the_new_american_century
American Century , last updated : October 16, 2019

- إستغلال الثورة في الشؤون العسكرية « Revolution in Military Affairs : RMA » لضمان التفوق (طويل الأجل) للقوات التقليدية الأمريكية.

لقد تزامنت أطروحة الثورة في الشؤون العسكرية في سنوات التسعين من القرن العشرين مع خطابات ووثائق المحافظين الجدد وطرح الإمبراطورية ومشروع القرن (الحادي والعشرين) ولكن ترجع جذور هذا الطرح، أي الثورة في الشؤون العسكرية، إلى مفهوم سابق ظهر لأول مرة في الكتابات العسكرية السوفياتية وأطلق عليه «ثورة التقنية العسكرية *MTR – Military Technical Revolution*» وعكس قلق المؤسسة العسكرية السوفياتية من التقدم المطرد في مجال التكنولوجيا العسكرية وخاصة فيما يتعلق بنظم الكمبيوتر والمعلومات والتي تتمتع الو.م بتفوق واضح في تصنيعها، مما قد يخل بالميزان العسكري بين القوتين العظميين على المدى البعيد.

إرتكز المفهوم السوفياتي لظاهرة الثورة العسكرية على تحليل مفاده أن استمرار تطور تكنولوجيا المعلومات بمعدلاتها الحالية، سواء من حيث تدني التكلفة أو زيادة القوة الحاسبة للكمبيوتر، من شأنه أن يحدث ثورة تقنية في نظم السلاح التقليدي، بحيث يسمح بدمجها فيما أطلق عليه المحللون السوفيات «منظومات استطلاع ضاربة» (*Reconnaissance Strike Complex*) تجمع بين نظم الصواريخ التقليدية ونظم الرصد والاستطلاع في منظومات بالغة التعقيد يدار الجزء الأكبر منها آليا بحيث تستطيع استهداف صفوف العدو بدقة فائقة وسرعة تفوق الوتيرة العادية التي اعتادت عليها القوات التقليدية في إدارة عملياتها¹.

هذه الكتابات بدأت تؤثر في الفكر العسكري الأمريكي بعد أن تمت ترجمتها وتطويرها من خلال "مكتب التقييم الشامل" office of net assessment وهو وحدة تختص بالبحث والتحليل تتبع مكتب وزير الدفاع مباشرة.

إلا أن التحليل الأمريكي بالنسبة لمدى تأثير الثورة التكنولوجية في المجال العسكري اختلف جذريا عن الكتابات السوفياتية، فبينما اقتصر التحليل السوفياتي على رصد المكون التكنولوجي وكيفية دمجها في نظم السلاح التقليدية، وهو ما يتفق إلى حد كبير مع المنهج الماركسي الذي يركز على البعد المادي في تحليل الظواهر، أدرك المحللون الأمريكيون أن قدوم الثورة التكنولوجية يمثل جزءا من ظاهرة أعمق انعكست في انتقال مجالات العمل الإنساني من الحقبة الصناعية إلى عصر تعتمد فيه هذه المجالات على تحليل وتوزيع المعلومات على العلوم العسكرية يتعدى بكثير مجرد توظيف التكنولوجيا الحديثة لرفع الكفاءة القتالية لنظم السلاح التقليدية، فهي تتطوي في الواقع على تحول فكري وتنظيمي بواجب

¹ Eliot A.cohen, (A revolution of Warfare) , Foreign Affairs ,March-April 1996, p 53

طبيعة التغيرات التي أفرزتها الثورة المعلوماتية، وهو ما يفسر الاختلاف بين المصطلح السوفياتي لتوصيف هذه الظاهرة الذي ارتكز على البعد التقني MTR، والمصطلح الأمريكي الذي أخذ في الاعتبار شمولية التغيير في المجال العسكري ككل RMA وخاصة أبعاده الفكرية والتنظيمية¹.

و تتضح ملامح هذا التحول الفكري عند تحليل الرؤية الأمريكية لطبيعة الـ RMA، فالتحليل السائد في الأوساط العسكرية يحصر مكونات الثورة العسكرية في أربعة مجالات متشابهة:

*** الدقة المتناهية في التصويب:** هي نتاج ثلاثة عقود من البحث والتطوير في نظم التوجيه الدقيقة، وبالتالي لا يعتبر مجالاً عسكرياً جديداً تماماً نظراً لخبرة المؤسسة العسكرية الطويلة في دمج مثل هذه النظم في الترسانات العسكرية لأفرع القوات المسلحة المختلفة.

غير أن الأثر التراكمي لهذه النظم بدأ يولد إقتناعاً بأن استمرار معدلات التقدم في تطوير أنظمة التوجيه من شأنه أن يغير طبيعة الحرب ذاتها، فعلى سبيل المثال كان إجمالي الأهداف العسكرية التي كان بمقدور سلاح الجو الثامن أن يستهدفها عام 1943 لا يتعدى الخمسين (50) هدفاً على مدار العام كله، بينما في حرب الخليج تمكنت القوات الجوية لدول التحالف من استهداف 150 هدفاً في الساعات الأربع والعشرين الأولى من عملية عاصفة الصحراء أي زيادة في الكفاءة بمقدار الألف مقارنة بالإمكانات السائدة في عام 1943، الأمر الذي يستوجب بلا شك إعادة النظر في مسلمات المذهب العسكري والهياكل التنظيمية للقوات المسلحة.

*** حرب المعلومات:** تتمثل أساساً في التطور الفكري للمذهب العسكري الأمريكي، ويتركز على رؤية العدو كمنظومة معقدة تعتمد عملياتها على كفاءة الهيكل التنظيمي في تحليل الأساس النظري لتغيير محور التركيز في تخطيط العمليات العسكرية، فبينما اعتمدت هذه العمليات في السابق على التدمير المادي لصفوف العدو، تقوم حرب المعلومات على تدمير انسياب المعلومات داخل هيكله التنظيمي سواء من خلال استخدام التكنولوجيا المتقدمة لتخريب نظم المعلومات وتعطيل نظم القيادة والسيطرة أو بتسريع وتيرة العمليات العسكرية الموجهة ضد العدو بحيث يعجز عن تكوين صورة واضحة لسير المعركة، وأياً كانت الوسيلة التي يتم بها شئ مثل هذه الحرب فإن الهدف الرئيسي هو إصابة العدو بالشلل التام مما سيؤدي إلى إرباك العمليات التنظيمية داخل هيكله القيادي.

*** التفوق في مجال المناورة (Dominating maneuver):** يعتمد أساساً على دمج نظم المعلومات الحديثة في هياكل القيادة لرفع كفاءة نظم القيادة والسيطرة في إدارة الحملة العسكرية، ولكن

¹ كريم حجاج، مرجع سابق، ص 70.

كما ذكرنا فإن جوهر الثورة العسكرية لا يكمن في مجرد رفع كفاءة النظم التقليدية القائمة بواسطة التكنولوجيا الحديثة، فالأهم من ذلك بالنسبة لمجال المناورة هو توظيف هذا التفوق لاستهداف مراكز الثقل في البنية التنظيمية للعدو من خلال توجيه أرصدة عسكرية متنوعة ومن مواقع متفرقة نحو تلك النقاط التي إذا تم استهدافها بنجاح يمكن أن تؤدي إلى انهيار شامل في هيكله الاستراتيجي، إذا فإن الجديد الذي يقدمه هذا المفهوم يكمن في عنصرين أولهما يتمثل في توظيف المناورة لتنفيذ خطة عسكرية تركز على الدقة في توجيه القوة العسكرية ضد مراكز ثقل العدو ويعتمد نجاحها على المهارة في الأداء أكثر من مجرد امتلاك التكنولوجيا ذاتها، وثانيهما يكمن في تغيير الأبعاد الزمنية والمكانية التي تحكم التخطيط العسكري، إذ أن الميزة الحقيقية التي يوفرها التفوق في مجال المناورة تكمن في إمكانية تنسيق تحركات القوات الأمريكية بغض النظر عن بعد مواقع مركزها خارج مسرح العمليات، وفي هامش زمني ضيق بحيث تستطيع اقتحام المجال الاستراتيجي للعدو من مواقع متباعدة وبسرعة فائقة تفوق قدرته على بلورة خطة محكمة للتعامل مع هذا الوضع المعقد .

التفوق في قراءة "فضاء المعركة – Dominant Battle space Awareness":

وهو مفهوم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة حرب المعلومات إذ يركز على افتراض أن تدمير انسياب المعلومات للعدو يتطلب تطوير البنية المعلوماتية داخل الهيكل التنظيمي للطرف الآخر، ويعتمد تحقيق هذا التفوق – أو ما يطلق عليه البعض "التفوق المعلوماتي Information Dominance" – على تجميع وتحليل معلومات من مصادر متنوعة وأساساً من منظومة أجهزة الاستشعار والاستطلاع وقواعد المعلومات التي قد لا تتواجد بالضرورة في مسرح العمليات، ودمجها لبلورة صورة واضحة لسير العملية العسكرية مما يسمح بتعديل الخطة العسكرية بسرعة فائقة إذا اقتضى الأمر ذلك، والمهم هنا ليس التجميع الكمي للمعلومات وإنما توظيفها للتوصل إلى تحليل دقيق للمعركة وبلورة خطط متلاحقة للتعامل معها تواكب سرعة التغيير في بيئة العمليات¹.

من واقع هذا التحليل للمكونات الأربعة التي تشكل الـ RMA يتضح أن جوهر مفهوم الثورة العسكرية لا يكمن في أثر التكنولوجيا في هذه المكونات فرادى، بل يقوم في الأساس على دمجها في منظومة عسكرية بالغة التعقيد أطلق عليها رئيس هيئة الأركان المشتركة السابق الأدميرال " William Owens " منظومة النظم " System of Systems " للتأكيد على الدرجة العالية من الاندماج في الهياكل التنظيمية لتحقيق الاستفادة القصوى من استيعاب هذه التكنولوجيا، والواقع أن هذا المفهوم يبرز البعد التنظيمي كأحد أهم أركان الثورة العسكرية إذ أن الوصول إلى هذه الدرجة من الاندماج

¹ المرجع نفسه، ص: 70 - 71

يعتمد في المقام الأول على الانسياب المطلق للمعلومات داخل الهيكل التنظيمي للقوات الميدانية الأمر الذي يستوجب إعادة النظر في الإبقاء على الهيكل الهرمي الذي طالما اعتمدت عليه نظم القيادة في إدارة المعركة والذي ينظم حركة المعلومات وفقاً لضوابط وقنوات محددة تعرقل تدفقها الحر داخل المنظومة العسكرية¹.

هذا الإدراك لأهمية البعد التنظيمي للثورة العسكرية يشكل الآن الأساس لعملية إعادة هيكلة واسعة في أفرع القوات المسلحة لم تشهد المؤسسة العسكرية مثيلاً منذ الحرب العالمية الثانية، استمدت إطارها الفكري من المنهج التنظيمي الذي حكم هيكلة شركات الأعمال الأمريكية منذ منتصف الثمانينيات وعرف باسم Business Process Reengineering يرتكز هذا المفهوم على تحويل الهياكل الهرمية التي شكلت النموذج التنظيمي لنظم القيادة والهياكل الإدارية لأجهزة الدفاع إلى هياكل مسطحة "تزيل الفوارق بين المستويات التنظيمية المختلفة من بلورة "إدراك مشترك Common Situational Awareness " يحل محل التجزئة القائمة في المنظمات الهرمية، بحيث تتمكن المنظمة من تحقيق أقصى درجات المرونة في مواجهة التقلبات في بيئتها الخارجية².

و الواقع أن تأثير هذه الفلسفة التنظيمية لم يقتصر فقط على المؤسسة العسكرية بل تعداها إلى أجهزة الحكومة الفيدرالية الأخرى المعنية بالأمن القومي وخاصة أجهزة الاستخبارات والخارجية. فقد ساد الاعتقاد في أوساط مؤسسة الأمن القومي أن الثورة المعلوماتية سيصاحبها تغير جوهري في بيئة القرار التي اعتمدت عليها إبان حقبة الحرب الباردة مما يستوجب تغيير أسلوب جمع وتحليل المعلومات وإعادة هيكلة عملية اتخاذ القرار، رغم أن نطاق هذا التغيير لا يماثل شمولية الفكر السائد في مؤسسة الدفاع³.

- الحاجة إلى تطوير عائلة جديدة من الأسلحة النووية المصممة لمعالجة فئات جديدة من المتطلبات العسكرية.

فالإضافة إلى التفوق في مجال الأسلحة التقليدية، يسعى مشروع القرن إلى ضمان التفوق الساحق في مجال الأسلحة النووية.

¹ Stuart Johnson and martin Libicki, Dominant Battle space Awareness, Washington D.C: National Defense University Press, October,1995,p 60.

² كريم حجاج، مرجع سابق، ص 71.

³ U.S Department of State, State 2000: A New Model for Managing Foreign Affairs. Report of the U.S Department of State Management Task Force (Washington D. C. , January 1993; Senate Intelligence Commission, preparing for the 21st Century: An appraisal of U.S Intelligence(March 1, 1996).

- منع كوريا الشمالية، إيران، العراق أو الولاة المماثلة من تقويض القيادة الأمريكية أو تخويف حلفاء أمريكا أو تهديد الوطن الأمريكي ذاته

- تتمثل المهام العسكرية الرئيسية والضرورية، للحفاظ على "السلام الأمريكي" « Pax Americana » و"أحادية القطبية في القرن الحادي والعشرين" « Unipolar 21st Century » في:

= تأمين وتوسيع مناطق السلام الديمقراطي

= ردع صعود منافس جديد للقوة العظمى

= الدفاع عن الجهات المفتاحية Key Regions (أوروبا، شرق آسيا، الشرق الأوسط)

= استغلال تحول الحرب Exploit Transformation of War¹.

لقد لاحظ عديد الملاحظين، من الأكاديميين والإعلاميين، بأن عموم التوصيات التي تضمنتها وثائق PNAC، والتي تعكس عقيدة تحقيق "السلام من خلال القوة" وشكلت التفكير الإستراتيجي للمشروع، قد تمت صياغتها وبلورتها أهدافا إستراتيجية في وثيقة الأمن القومي NSSA الصادرة عن البيت الأبيض في سبتمبر 2002، وشكلت موضوع تحليل البحث في العنصر السابق، وهذا يعود بنسبة عالية إلى تغلغل الموقعين على بيان المبادئ في إدارة جورج بوش مشكلين نواتها الصلبة ومحيطها الأقرب، منهم:

1- إليوت أبرامز Elliot Abrams: عضو بمجلس بوش للأمن القومي، ومساعد وزير الخارجية في عهد ريغان

2- ديك تشيني Dick Cheney: نائب الرئيس جورج بوش، الرئيس المدير العام السابق لشركة هاليبيرتون لخدمات النفط، وزير الدفاع في عهد بوش الأب، عضو الكونغرس لمدة ستة أعوام ورئيس موظفي البيت الأبيض في عهد الرئيس جيرالد فورد

3- جيب بوش Jeb Bush: شقيق الرئيس وولكر بوش. شغل منصب حاكم فلوريدا

4- غاري باور Gary Bauer: رئيس منظمة "القيم الأمريكية" « American Values » ومرشح جمهوري سابق للرئاسة

5- إليوت أ. كوهين Eliot A. Cohen: أستاذ الدراسات الإستراتيجية بجامعة جون هوبكينز²

¹ Project for the New American Century, Op-Cit.

² Ibid.

المبحث الثاني: الفواعل المؤثرة والإيديولوجيات المهيمنة

يواصل البحث عملية التفكيك عبر دراسة القيم المهيمنة للنخب المسيطرة منذ تأسيس الدولة الأمريكية والتي ازدادت قوة ونفوذاً، ثم أهم التجمعات المصلحية ممثلة في المركبات الكبرى...

المطلب الأول: الإيديولوجية النخبوية المهيمنة وتوظيف القيم الدينية

على العكس من النظرة الشائعة التي كرستها السينما ووسائل الإعلام، وخلافاً للنخب الأوروبية وللعلمنة اللادينية السائدة في أوروبا، ينزع المجتمع الأمريكي ونخبه الحاكمة والمثقفة إلى التدين الشديد، حيث تتعدد أوجه التدين وتتنوع مظاهره وأشكاله، عاكسة لثقافات فئوية وإثنية، ومكونة لتجمعات وجماعات اجتماعية وسياسية تختلف من حيث البروز والتأثير، ومن حيث الشراء والنفوذ... بل حتى الرؤساء ما فتئوا يستخدمون عبارات دينية، فقد "استخدم الرئيس كلينتون في خطابه الافتتاحي سنة 1997 استعارة مكنية من التوراة حينما قال: -استرشادا بالرؤية القديمة لأرض الميعاد، فلنوجه أبصارنا اليوم إلى أرض ميعاد جديدة-. لقد اعتمد الرؤساء الأمريكيون بدءاً من جورج واشنطن فصاعداً على الحس الديني، ليس للتأثير على عقول أبناء الشعب فحسب، بل على أفئدتهم أيضاً لتأييد الأهداف الرئاسية"¹.

نلاحظ انتقال العلاقة بين الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية من النمط الثيوقراطي في ظل النظام البيوريتاني الصارم الذي ساد في مستعمرة ماساتشوستس، حيث كانت قوانين الإعدام التي تشكل جزءاً من هيئة الحريات بماساتشوستس لعام 1641، تنص صراحة على: "أن أي إنسان يدان قانونياً بعبادة إله غير إلهنا سوف يعدم... أن كل من يعمل بالسحر رجلاً كان أو امرأة (أي تكون له صلة أو يلجأ للاستعانة بالأرواح) سوف يعدم... إذا قام أي إنسان بسب الرب الأب أو الابن أو الروح القدس، سواء بالتعبير الصريح أو بالتجريح، أو عن طريق العمد، أو يلعن الرب بأسلوب مماثل سوف يعدم"². إلى التعددية الدينية في ظل بند التسامح الديني أين تم استيعاب الاتجاهات الكبرى، حيث تختلط التوجهات السياسية بالهويات الدينية، من لادينيين، يهود، كاثوليك، وخصوصاً: بروتستانت التيار الرئيسي والبروتستانت الإنجيليين، ثم بدرجة أقل: ما يسمى بالكنيسة السوداء والإسلام، وكذا بعض الحركات الكبرى، مثل الدين العقلاني، دين التنوير والدين المدني الأمريكي... الخ.

¹ ما بكل كوريت، جوليا ميتشل كوريت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة، ترجمة عصام فايز وآخرين، القاهرة،

مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الثالثة، يناير 2006، ص. 9.

² المرجع نفسه، ص. 37.

في سياق التنوع والتعدد، تبرز مجموعة الواسب « WASP » (أي الدبور بالمعنى الحرفي) وتعني مجموعة البيض الأنجلوساكسونيين البروتستانتيين « White Anglo-Saxon Protestant »، بصفتها أقوى المجموعات ممثلة لنواة الطبقة الرأسمالية الحاكمة، ثم مجموعة جماعات اليهود، خصوصا الأشكينازيم القادمين من أوروبا الشرقية، منشئتين للحركة الصهيونية، بشقيها: المسيحي الإنجيلي واليهودي، والتي طبعت الحياة الفكرية والثقافية وشكلت النخبة الحاكمة والإعلامية والمالية وحتى الأكاديمية في الولايات المتحدة الأمريكية...

الفرع الأول: الحركة الصهيونية: قوة اللوبي وتوظيف القيم الدينية

في كتابهما الموسوم بـ: "اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية"، يطرح الأكاديميان الأمريكيان: "ستيفن وولت" و"جون ميرشايمر" إشكالية جديدة بالتمعن والدراسة المتأنية. فبعد ملاحظة تلك الظاهرة الغريبة والمتمثلة في إجماع المترشحين لانتخابات الرئاسة في أمريكا على الالتزام القوي بدعم الكيان الصهيوني (إسرائيل) و"الدفاع عن مصالح إسرائيل في ظل أي ظرف من الظروف، وحتى في ظل جميع الظروف مجتمعة. ومن غير المرجح أن ينتقد أي من المرشحين إسرائيل بأي طريقة ذات مغزى، أو يوحي بأنه على الولايات المتحدة اتباع سياسة أكثر توازنا في المنطقة (أي منطقة ما يسمى أمريكا بالشرق الأوسط وشمال إفريقيا MENA). ومن يقيم بذلك ينته على الأرجح مرميا على قارة الطريق".¹

وبعد تقديم تصريحات متماثلة لبعض المرشحين الجديين لأعلى منصب في البلاد، سواء كانوا من الحزب الديمقراطي أو من الحزب الجمهوري، مثل: "جون إدواردز"، "ميت رومني"، "جون ماكين"، "نيوت غينغريتش"، "هيلاري كلينتون" و"بارك أوباما"، والذين بدوا، بحسب ما ذكره جوشوا ميتنيك في "جويش ويك": "كأنهم يتنافسون حول من سيكون أكثر حدة في الدفاع عن مصالح الدولة اليهودية"،² طرحا، بعد ذلك، إشكالية مركزية ملائمة، حول سلوك المرشحين، قائلين: "ما الذي يفسر هذا السلوك؟"³ ثم طرحا عدة إشكاليات مكملة، على الشكل التالي:

- لماذا يوجد هذا الحد الضئيل من الاختلاف بين أولئك الطامحين إلى الرئاسة في ما يتعلق بإسرائيل، بينما توجد اختلافات عميقة في ما بينهم تقريبا حول كل قضية مهمة أخرى تواجه الولايات المتحدة، وفي الوقت الذي يظهر فيه أن سياسة الشرق الأوسط الأمريكية انحرفت في شكل سيء، وزاغت؟

¹ ستيفن وولت، جون ميرشايمر، اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة أنطوان باسيل، الطبعة الأولى، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2007، ص ص. 17-18.

² المرجع نفسه، ص. 18.

³ المرجع نفسه، ص. 19.

-لماذا تحصل إسرائيل على براءة ذمة من المرشحين الرئاسيين في الوقت الذي ينتقد مواطنوها سياساتها الراهنة، وفي الوقت الذي يبدي فيه هؤلاء المرشحون الرئاسيون أنفسهم استعدادهم التام لانتقاد الكثير من الأمور التي تقوم بها بلدان أخرى؟

-لماذا تحصل إسرائيل، عنوة عن غيرها من دول العالم، على مثل هذه المراعاة المطردة من القادة السياسيين الأمريكيين؟¹

للإجابة على هذه الإشكاليات التي لخصها بعض الباحثين في عبارة "أسباب التحيز البريطاني الأمريكي لإسرائيل"²، يتم طرح عدة فرضيات، منها: المال اليهودي المؤثر في الحملات الانتخابية، الإعلام اليهودي المتلاعب بالرأي العام الأمريكي، الصوت اليهودي الموحد في الانتخابات³ بالإضافة إلى أن إسرائيل تمثل ورقة إستراتيجية حيوية للولايات المتحدة، وأنها شريك لا يمكن الاستغناء عنه في "الحرب على الإرهاب" وأن هناك قضية أخلاقية قوية في توفير الدعم المطلق لإسرائيل، "كونها الدولة الوحيدة في المنطقة التي تشاركنا قيمنا نفسها"⁴... الخ.

بغض النظر عن الجدل المثار حول حقيقة الأسباب الدافعة للانحياز التام للكيان الصهيوني، ولو على حساب المصالح الأمريكية نفسها، وهي ظاهرة غريبة كما وصفها وولت وميرشايمر، وبغض النظر عن مدى دقة الأسباب المذكورة وغيرها، فإن أطروحتين كبيرتين قد برزتا على الساحتين السياسية والأكاديمية. تطرح إحدهما مسألة توظيف القيم الدينية للتأثير، ليس فقط في المثقفين اليهود وإقناع عامة اليهود بالهجرة إلى فلسطين المحتلة، بل تشكل تحالفا واسعا يضم المسيحيين البروتستانت، خصوصا الإنجيليين، وكل من يقترب من قناعاتهم وعقائدهم، بينما يمثل الأطروحة الثانية "ولت" و"ميرشايمر" بالذات وكثير من الأكاديميين الأمريكيين والغربيين وغيرهم، ووتتمثل ببساطة في قوة اللوبي.

يتفق المدافعون عن أي من الأطروحتين بأن الأسباب والتفسيرات المتبقية، وبعض هذه الحجج مذكور أعلاه، "سطحية وبعيدة عن الدقة ولا تصمد أمام التمحيص المنصف. فعلاقة واشنطن الوثيقة مع تل أبيب، تقوض مكانة أمريكا لدى حلفاء مهمين حول العالم. والآن، وقد انتهت الحرب الباردة، أصبحت

¹ المرجع والصفحة.

² أنظر: يوسف العاصي الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم وعلاقتها بمخطط إسرائيل الكبرى ونهاية العالم، الجنور-الممارسة-سبل المواجهة، الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة حسن العصرية، الجزء الأول، 2014، ص. 77.

³ المرجع والصفحة.

⁴ ستيفن وولت، جون ميرشايمر، مرجع سبق ذكره، ص. 19.

إسرائيل عبئاً استراتيجياً على الولايات المتحدة. وبرغم ذلك، لن يقول أي سياسي طامح ذلك في العلن، أو حتى مجرد إثارة مثل هذا الأمر.¹

السبب الحقيقي لهذا القدر من المراعاة التي يبديها السياسيون الأمريكيون، يؤكد "ولت" و"ميرشايمر"، "هو قوة اللوبي الإسرائيلي داخل معظم مراكز القرار في الإدارة الأمريكية... فهو ليس حركة واحدة موحدة بزعامة مركزية، وهو ليس بالتأكيد دسياسة أو مؤامرة "تسيطر" على سياسة الولايات المتحدة. إنه ببساطة، مجموعة مصالح قوية، مؤلفة من يهود وأميين معاً، هدفها المتعارف عليه دفع قضية إسرائيل داخل الولايات المتحدة، والتأثير في السياسة الخارجية الأمريكية من خلال وسائل يعتقد أعضاؤها أنها مفيدة للدولة اليهودية."²

قوة اللوبي السياسية مسألة حاسمة، ليس لأنه يؤثر في ما يقوله المرشحون الرئاسيون خلال الحملة الانتخابية، بل لأن له نفوذاً كبيراً على السياسة الخارجية الأمريكية، في الشرق الأوسط خاصة.³

يطرح طالب العلم معد هذا البحث المتواضع، إشكالية أكثر تقدماً: حتى مع الاعتراف بقوة اللوبي، بل بتأثير بقية العناصر من مال وأصوات انتخابية يهودية وحاجة استراتيجية للدولة الوظيفية... الخ، فيم يتمثل السبب الحقيقي في جعل اللوبي الموالي للكيان الصهيوني أقوى اللوبيات تأثيراً على الإطلاق؟

ما الذي يدفع النخب الموالية للدولة اليهودية إلى الحماسة في دعمها والافتخار بذلك، مثلما يفعل الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" في الوقت الراهن، وهو السبب نفسه الذي دفع رئيسة وزراء بريطانيا السابقة "تيريزا ماي" إلى رفض الاستجابة لمطلب آلاف البريطانيين بالاعتذار عن وعد بلفور إلى اللورد روتشيلد، مجيبة بأنها، على العكس تماماً، تفتخر به؟

ما الذي يجعل قادة الكيان الصهيوني مطمئنين تجاه رد الفعل الأمريكي الرسمي على ممارساتهم البربرية، حتى في حالة الإضرار بمصالح الولايات المتحدة وتعريض حياة مواطنيها للخطر بل للموت المحقق (كما سبق ورأينا في عمليتي سوزانا وليبرتي)؟

إنه على وجه الدقة: القيم الدينية التي وظفتها الحركة الصهيونية بكفاءة عالية، مؤسسة لتحالف يهودي-إنجيلي قوي.

¹ المرجع نفسه، ص ص. 19-20.

² المرجع نفسه، ص. 20.

³ المرجع نفسه، ص. 21.

حتى "وولت" و"ميرشايمر" لم يبتعدا تماما عن التأثير بهذه القيم، رغم محاولتهما القيام بدراسة موضوعية جريئة، واستعدادهما لتهمج اللوبي وضغوطه. فعند إشارتهما إلى الأساس الأخلاقي في علاقة الولايات المتحدة بالدولة العبرية، تحدثا عن أخلاقية وجود "إسرائيل" وحمائتها رغم كونها كيانا وحشيا محتلا، كما استعملا مصطلح أمميين أي "غوييم" « Goyim » مقابل اليهود وهكذا.

يقول الكاتبان حرفيا: "ليس هناك أيضا أساس عقلائي أخلاقي ملزم لعلاقة الولايات المتحدة غير القابلة للتمحيص، والتي لا هوادة فيها، مع إسرائيل".¹ ثم يستطردان في الفقرة ذاتها، بما يناقض بداية الجملة، قائلين: "ثمة قضية أخلاقية قوية تتعلق بوجود إسرائيل، ولا للمراجعة، وأسباب قد تبدو مبررة لالتزام الولايات المتحدة بمساعدة إسرائيل في حال تعرض وجودها للخطر".² فسواء وقع الباحثان في هذا التناقض بتأثير من العقل الباطن، أو كانا يقصدان التمييز بين انعدام الأساس العقلائي الأخلاقي والقضية الأخلاقية اللاعقلانية؛ أي بتأثير القيم الدينية والتشئة السياسية، فإنهما أرادا أن يناقشا فقط موقف الولايات المتحدة تجاه الممارسات البربرية للكيان الصهيوني تجاه الفلسطينيين، لكنهما لا يتحدثان عن الاحتلال ولا عن فلسطين التاريخية، حيث يستطردان بلفظ "لكن" تنمة للفقرة السابقة: " لكن إذا أخذنا في الاعتبار سياسة إسرائيل الوحشية تجاه الفلسطينيين، واستمرار المذابح ضدهم، في الأراضي المحتلة (أي الكانتونات التي يحشد فيها الفلسطينيون وتشكل أساسا لصفقة القرن)، فرما توحى الاعتبارات الأخلاقية بأن تمارس الولايات المتحدة سياسة أكثر توازنا حيال الطرفين، وربما يجدر بها أن تميل أكثر لصالح الفلسطينيين".³

بينما يستخدم كل لوبي مؤثر في الولايات المتحدة مناهج وطرائق وآليات بهدف تحقيق أكبر قدر من الفعالية في التأثير في خيارات صانع القرار، ويسخر من أجل ذلك إمكانات مالية معتبرة، يظل اللوبي الصهيوني الأقوى تأثيرا والأكثر تغلغلا ونفودا، بسبب تميزه باستغلال القيم الدينية واستخدامها في الضغط، وهو ما يميزه عن سائر اللوبيات ومجموعات المصالح والجماعات الإثنية والإيديولوجية الأخرى.

وفقا لموسوعة السياسة، فإن كلمة "صهيون" « Zion / Sion » "اسم علم يعني تحديدا جبل صهيون جنوبي غربي القدس ويحج إليه اليهود هاتقين "رئموا للرب الساكن في صهيون" ولكن كلمة صهيون تتسع في معناها ورمزها لتشير إلى مدينة القدس بل هي أيضا "أم إسرائيل" التي سيولد "الشعب

¹ المرجع نفسه، ص. 20.

² المرجع والصفحة.

³ المرجع والصفحة.

اليهودي" من رحمها، وهكذا نجد الكلمة تشير إلى الشعب والأرض معا لتشمل كل فلسطين... ومن هنا جاء اشتقاق كلمة صهيونية¹.

-الصهيونية « Zionism/Sionisme »: دعوة وحركة عنصرية-دينية استيطانية إجلائية، مرتبطة نشأة وواقعا ومصيرا بالإمبريالية العالمية، تطالب بإعادة توطين اليهود وتجميعهم وإقامة دولة خاصة بهم في فلسطين بواسطة الهجرة والغزو والعنف كحل للمسألة اليهودية. والكلمة نسبة إلى صهيون، اشتقها "نathan Birnbaum" « Nathan Birnbaum » (1890) ليصف بها تحول تعلق اليهود بجبل صهيون وأرض فلسطين من البعد الديني الماشيخاني القديم إلى برنامج سياسي استعماري إقليمي يستهدف (عودة؟ الشعب اليهودي) إلى فلسطين².

يصر الصهاينة على تداول كلمة عودة، ومنه قانون العودة العنصري لسنة 1950، بهدف إقناع العالم بأن فلسطين المحتلة أرض اليهود وقد عادوا إليها، في حين أن هذا اللفظ لا ينطبق إلا على الفلسطينيين المهجرين بقوة الاحتلال وقهره وبدعم لامشروط من القوى الإستعمارية خصوصا فرنسا، بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

يبدأ التحول في نظرة المسيحية والمسيحيين تجاه اليهود واليهودية، قبل بروز الصهيونية بقرون، أي منذ ما سمي بالإصلاح الديني البروتستانتي، خصوصا مع ظهور كتابات القس "مارتن لوثر"، وعلى وجه التحديد كتابه الأول الذي نشره سنة 1523 بعنوان: "أن المسيح ولد يهوديا" « That Jesus Christ was Born a Jew » ثم كتابه الثاني المنشور سنة 1543 والموسوم بـ: "أكاذيب اليهود" أو "ما يتعلق باليهود وأكاذيبهم" « On the jews and their lies »³.

في الكتاب الأول، قدم لوثر رؤية تمثل منظورا جديدا ومختلفا تماما للعلاقات اليهودية المسيحية عن المنظور المسيحي السائد إلى ذلك الحين، فقد جاء في الكتاب: "إن الروح القدس شاءت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. إن اليهود هم أبناء الرب، ونحن الضيوف الغرباء

¹ عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الجزء الثالث (حرف الصاد)، ص. 659.

² المرجع والصفحة.

<https://www.thegospelcoalition.org/article/luthers-jewish-problem/>
<https://www.oneforisrael.org/bible-based-teaching-from-israel/messianic-perspective/martin-luther-israel-jewish>

وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل من فتات أسياها.¹ وذلك "أمر حددته طلاقة القدرة الإلهية منذ القدم، فهم السادة ونحن العبيد."²

إستفاد لوثر بشكل حاسم للترويج لكتابه الأول الذي يمجّد اليهود ويحولهم من قتلة ملاعين للرب إلى شعب الرب المختار، من عوامل عدة، أهمها:

-إختراع الطباعة في ألمانيا

-جامعة "فتبرغ" التي كان يدرس بها والتي أصبحت بفضلها المهد الأساسي للتعاليم اللوثرية ومنافسا خطيرا للتعليم التقليدي في السوربون

-المال اليهودي، حيث رحب حاخامات اليهود بالبروتستانت والبروتستانتية، واعتبروا ظهور لوثر وانتشار دعوته علامة مؤكدة على قرب مجئ المسيح المنتظر (بينما اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية مخربا يهوديا).³

أما كتابه الثاني الذي يتناقض بشكل بين مع الأول، حيث يبدو حاقدا على اليهود وناقما عليهم، ربما بسبب يأسه من إصلاحهم وإدخالهم في المسيحية كما كان يأمل، عندما كان يقول: " سوف أسوق النصوص الواردة في الكتاب المقدس، التي تدل على أن يسوع المسيح كان يهوديا، ولد من امرأة عذراء، ولعلي بذلك أكتسب بعض اليهود لاعتناق العقيدة المسيحية."⁴ كما كان يقول موضحا: "أمل أن الواحد منا لو تعامل مع اليهود برفق، وعلمهم بكياسة من خلال الكتاب المقدس، فيتحول العديد منهم إلى مسيحيين مخلصين، ويرجعون إلى دين آبائهم من الأنبياء والأسباط."⁵، هذا الكتاب، عكس الكتاب الأول، لم يتم الترويج له، ويرجح طالب العلم معد هذا البحث المتواضع، أن تكون الجماعات اليهودية قد اشترت كل نسخه ومنعت بروزه وتعرف الناس عليه، بينما كررت طباعة الكتاب الممجّد لليهود، والذي حولهم "من أمة ملعونة إلى أبناء الرب، من الغيتو إلى قمة المجتمع، ومن أمة مدنسة ظلمها المسيحيون كثيرا، إلى أمة مقدسة يظلم بها المسيحيون شعوبا أخرى لا صلة لها بتاريخ التنديس والتنديس هذا."⁶ فكرس بذلك، بشكل غير مباشر: الإيمان بالعهد القديم، مقولة أبناء الرب وشعبه

¹ يوسف العاصي الطويل، مرجع سبق ذكره، ص. 86.

² راجح 'براهيم السباتين، مرجع سبق ذكره، ص. 63.

³ المرجع نفسه، ص. 62.

⁴ المرجع والصفحة.

⁵ المرجع نفسه، ص. 63.

⁶ يوسف العاصي الطويل، مرجع سبق ذكره، ص. 87.

المختار، وأن اليهود أسياد للنصارى... الخ، وأسهم، بالتالي، في تهيئة الأوروبيين للقبول بعقائد جديدة، تخالف تلك التي أورتهم إياها كنيسة روما جيلا بعد جيل. وقد كانت تلك التهيئة النفسية ضرورية لقبول المزيد من العقائد الجديدة ولإعادة بعث عقائد قديمة غيبتها الزمان كعقيدة (الشعب الذي اختاره الله) و(الأرض الموعودة) و(هرمجدون) و(الحكم الألفي السعيد).¹ هذه العقائد التي شكلت، مع أسطورتني بناء الهيكل الثالث، ويوشع أو يشوع، ما يمكن أن نطلق عليه، عن طريق الاستعارة من المفكر الفرنسي "روجي غارودي": الخرافات المؤسسة لدولة إسرائيل Les Mythes Fondateurs « d'Israel » ونقصد بها الخرافات اللاهوتية بالإضافة إلى تلك السياسية.²

إذن فالإيمان المسيحي بالتوراة أصبح يمثل أساس الديانة البروتستانتية، التي انتشرت وتجزرت في الأرض الأمريكية منذ زمن مبكر جدا، فعندما استوطن التطهريون (البيوريتن) في السواحل الشرقية لأمريكا، أقاموا عليها مستعمراتهم المسيحية ذات الصبغة اليهودية، فأعطوا أبناءهم أسماء عبرانية (ابراهيم، سارة، أليغازر... الخ.) وأطلقوا على مستوطناتهم أسماء عبرانية (حبرون، سالم، كنعان... الخ.) وفرضوا تعليم اللغة العبرية في مدارسهم وجامعاتهم. حتى إن أول "دكتوراه" منحتها جامعة "هارفارد" عام 1642 كانت بعنوان "العبرية هي اللغة الأم"، وأول كتاب صدر في أمريكا كان "سفر المزامير" وأول مجلة كانت مجلة "اليهودي".³

إذن، بواسطة التحريف الأمتل للعقائد التوراتية والتوظيف السياسي الأكثر فعالية لما أطلق عليه "أندري كورتن" « André Corten » بآلة السرد الأصولية، مسترجعا لمفهوم اللاهوتي الأمريكي "هارفي كوكس" « harvey Cox »⁴، تمكنت الحركة الصهيونية من تشكيل تحالف قوي للغاية، ظل يؤثر بشكل بارز في السياسة الخارجية الأمريكية، خصوصا ما تعلق منها بالشرق الأوسط وشمال إفريقيا (Middle East and North Africa : MENA).

¹ راجح إبراهيم السباتين، مرجع سبق ذكره، ص. 58.

² أنظر: روجيه غارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة حافظ الجمالي وصياح الجهم، الطبعة الثالثة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، بيروت، دار الفارابي، 2001.

³ محمد السماك، الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي، الطبعة 3، لبنان، دار النفائس، 2000، ص ص. 63-64.

⁴ Blandine Chélini-Pont, Au nom du Christ et de l'Amérique, le fondamentalisme américain et son impact géopolitique, Voir : Aymeric Chauprade et autres, Géopolitique des Etats-Unis, culture, intérêts, stratégies, paris, Ellips, édition 2005, P. 103.

الفرع الثاني: المحافظية الجديدة: تفعيل PNAC وحروب بداية القرن

يربط عديد المؤرخين والباحثين نشأة الفكر المحافظ (التقليدي)، بالفيلسوف الإنجليزي "إيدموند بيرك" مؤلف كتاب "تأملات في الثورة في فرنسا"، حيث برز نمط فكري سياسي في أوروبا ينظر إلى التحولات السريعة التي تلت الثورة الفرنسية على أنها تهديد للاستقرار السياسي والاجتماعي وللنظام الثقافي الغربي.¹ ويربطون نشأة المحافظين الجدد في الولايات المتحدة بالفيلسوف اليهودي "ليو شتراوس" الذي هاجر من ألمانيا وحصل على الجنسية الأمريكية سنة 1944، ثم أصبح بناء على توصية من البروفيسور هانس مونغثاو، أستاذا بجامعة شيكاغو، أين قام بالتدريس من سنة 1948 إلى سنة 1967، قبل أن يتوفى في 1973 ويدفن في كنيس صهيوني في أنابوليس.²

تتلذ على يد شتراوس كل من: آلان بلوم صاحب كتاب "إغلاق العقل الأمريكي"، هارفي مانسفيلد، وجوزيف كروبيسي، ولاحقا تتلمذ على يد مانسفيلد كل من فرانسيس فوكوياما صاحب "نهاية التاريخ" وويليام كريستول، فيما تتلمذ بول وولفوويتز وأبراهام شولسكي على يد جوزيف كروبيسي... ومن بين الملتحقين بالشتراوسيين: زلماي خليل زاده.³

تعطي تسمية "المحافظين الجدد" الانطباع بأن هؤلاء يمثلون امتدادا للمحافظين التقليديين، أو أنهم محافظون تجديديون جاؤوا للإصلاح، لكنهم في الحقيقة خرجوا من صفوف اليسار المتطرف... فبعضهم كان ماركسيا أو تروتسكيا.⁴

من أبرز الأفكار التي نادى بها الشتراوسية، نجد:

1- رفض الحداثة وتفضيل الحفاظ على الأوضاع القائمة

2- استخدام الدين للسيطرة على الجموع

3- لا تكون الديمقراطية قادرة إلا إذا كانت قوة عسكرية باطشة

4- استخدام الكذب والخداع للمحافظة على السلطة

¹ راجح إبراهيم السباتين، مرجع سبق ذكره، ص. 233.

² المرجع نفسه، ص. 238.

³ هادي قبيسي، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة والواقعية، الطبعة الأولى، بيروت،

الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008، ص ص. 17-18.

⁴ Gerson Mark, The Essential Neo Conservative Reader, New York : Basic Books, 1997, P. 22.

5- يجب أن يكون الحكم محصوراً في أيدي النخبة المثقفة

6- الإيمان بالريادة الأمريكية الخيرة.¹

ومن ثم فقد مثل المحافظون الجدد التقليد الإيديولوجي الذي شهده التاريخ الأمريكي في بعض المراحل، فهناك "رسالة عالمية للولايات المتحدة الأمريكية لإصلاح العالم ومحاربة قوى الشر، ولذلك فإن استخدام القوة مهم لبناء الثقة بالولايات المتحدة كقائدة للعالم، وتتطلب تلك القيادة قدرة معنوية؛ أي نشر القيم الأمريكية وأهمها الديمقراطية في العالم."²

لكن، بالنظر إلى خاصيتي التطرف والعدوانية (النزعة الحربية) من جهة والتغلغل في دوائر صناعة القرار من جهة ثانية، تمكن المحافظون الجدد، الذين كانوا وراء مشروع القرن PNAC، من توجيه السياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 سبتمبر، وشن حرب عدوانية على العراق.

"إن الحرب ضد العراق وضعتها ونسقت لها شبكة صغيرة ولكنها ذات نفوذ واسع من عناصر صهيونية يمينية متطرفة، أطلقت على نفسها لقب "المحافظين الجدد"، وتسيطر هذه الشبكة على المستويات العليا في حكومة بوش، وبمهارة فائقة تتلقى الدعم والتأييد من أشخاص ومنظمات ومعاهد فكر ومطبوعات وغيرها من المؤسسات والهيئات المترابطة والتي تشاركها في الميول والأفكار وتتصل في النهاية بقوى الليكود في إسرائيل."³

يؤكد آري شافيت Ari Shavit هذا الطرح في المقال الذي كتبه في عدد 9 أبريل (أبريل/نيسان) 2003 من صحيفة هاآرتز Ha'aretz الإسرائيلية قائلاً: "إن الحرب على العراق هي من بنات أفكار 25 مفكراً من المحافظين الجدد، غالبيتهم من اليهود، استطاعوا الضغط على الرئيس بوش من أجل تغيير مجرى التاريخ."⁴

¹ راجح إبراهيم السباتين، مرجع سبق ذكره، ص ص. 238-239.

² سالم مطر السبعوي، نظرية الفوضى الخلاقة في فكر المحافظين الجدد لإعادة تشكيل النظام الإقليمي العربي، الطبعة الأولى، الأردن، عمان، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2017، ص ص. 21-22.

³ مايكل كولينز بايير، كهنة الحرب الكبار، ترجمة عبد اللطيف أبو البصل، الطبعة العربية الأولى، الرياض، مكتبة العبيكان، 1427هـ/2006م، ص ص. 26-27.

⁴ المرجع نفسه، ص. 31.

في كتابه الموسوم بـ: "النزعة العسكرية الأمريكية الجديدة" «The New American Militarism»، يقسم أستاذ العلاقات الدولية: "أندرو باسيفيتش" «Andrew Bacevich» «تيار المحافظين الجدد إلى جيلين متميزين من المفكرين والمحللين السياسيين:

-**الجيل الأول:** تبلور في سنوات الستين من القرن العشرين، ومثلت أفكاره رد فعل على الظروف والتحديات الداخلية والدولية التي تعرضت لها أمريكا، خلال الفترة الممتدة بين الحرب العالمية الأولى ونهاية حرب فيتنام... وترتكز أهم أفكاره على اعتبار الشر ظاهرة واقعية وأن القوة العسكرية هي الأداة الأساسية لمواجهة وتنفذ السياسة الخارجية الأمريكية لأن أمريكا دورا تاريخيا كقائدة للعالم الحر وحامية له وكناشرة للديمقراطية والحرية في العالم، وبالتالي فعلى أمريكا والأمريكيين قبول هذا الدور وتحمل تكلفته، وعليه، فهم يرون بأن النزعة الإنعزالية هي رغبة أنانية.¹ منتصرين بذلك للنزعة التدخلية.

-**الجيل الثاني:** برز بشكل واضح عام 1995 بعد استقالة "تورمان بودهوريتز" من رئاسة تحرير مجلة «Commentary» اللسان الناطق باسم المحافظين الجدد، وكانت تصدر عن اللجنة اليهودية الأمريكية، وحلت محلها مجلة «The Weekly Standard» التي أسسها "ويليام كريستول" ابن "إيرفينغ كريستول" (وهو الذي يعرف بين جل الباحثين على أنه، بعد شتراوس، الأب الروحي الجديد للمحافظين الجدد). تميز هذا الجيل بديناميكية أكبر، حيث تزامن صعوده وانتصار الولايات المتحدة بالحرب الباردة واستعادة الثقة في الجيش الأمريكي، بعد فقدانها بسبب حرب فيتنام ولذلك لم يقتصر هدف الجيل الثاني على السعي لاستعادة الثقة، بل ركز على كيفية استخدام قوتها وموقعها الدولي غير المسبوق كقطب وحيد للعالم في تحقيق أهداف أمريكا وتشكيل العالم وفقا لرؤيتها... وعليه فإن أفكار الجيل الثاني، ارتكزت على اعتبار سيطرة أمريكا على العالم هي مصدر استقرار النظام الدولي وبالتالي فإن فشلها في استغلال الفرصة الراهنة وعجزها عن قيادة العالم وتشكيله سوف يؤدي إلى الانهيار والفوضى، فوظيفة القوة العسكرية الأمريكية الرئيسية ليست تجميع الأسلحة والقوات وكنزها ولكن استخدام هذه القوات في مشاريع طموحة وحاسمة لصناعة نظام عالمي قائم على السيطرة الأمريكية ودعمها، كما إن الحرب ليست خيارا أخيرا، وإنما أداة لخدمة أهداف كبرى مثالية، والسلام الحقيقي هو الذي يتبع النصر في المعركة.²

¹ راجح إبراهيم السباتين، مرجع سبق ذكره، ص ص. 255-257.

² المرجع نفسه، ص ص. 258-260.

من أجل تجسيد هذه الأفكار، التي نشرت في "مشروع القرن"، تم تعيين الصهاينة أتباع هذا التيار "المحافظي الجديد" في مناصب حساسة وذات ثقل في إدارة بوش الابن، حيث التقوا قبله برؤساء سابقين، على رأسهم ريغان ثم بوش الأب، وضغطوا باتجاه غزو العراق، مستغلين القيم الدينية والأساطير التوراتية، مثل الأسر البابلي وهرمجدون، للدفع نحو غزو العراق وهو ما حدث فعلاً. نذكر من أبرز الوجوه لما أصبح يسمى حزب الحرب: ريتشارد بيرل وبرايان الذين اتهما من قبل من طرف مكتب التحقيقات الفدرالي بالتجسس على أمريكا لصالح الكيان الصهيوني، وعادا إلى شغل مناصب مهمة على الرغم مما صار يعرف بفضيحة بيرل-براين¹، بول وولفويتز، غاري باور Gary Bauer، ويليام جاي بينيت William J. Bennett، إليوت كوهين Elliott Cohen، ميدج ديكر Midge Decter، توماس دونيللي Thomas Donnelly، هليل فرادكن Hillel Fradkin، فرانك غافني Frank Gaffney، ربول مارك غيريتشت Reuel Marc Gerecht، مايكل جويس Michael Joyce، دونالد كيغان Donald Kagan، روبرت كيغن Robert Kagan، تشارلز كراوتهامر Charles Krauthammer، جون ليهمان John Lehman، مارتن بيرتز Martin pertz، نورمان بودهورتز Norman Podhoretz، ستيفن جاي سولارز Stephen J. Solarz، فن وبير Vin Webber ومارشال ويتمان Marshall Wittmann... الخ.²

الملاحظ أن جميع المنتمين إلى تيار المحافظين الجدد صهاينة (أغلبهم يهود ومنهم بعض المسيحيين المتصهينيين) كما أنهم يدورون عموماً حول عائلة كريستول، وشغلوا مناصب سياسية في الإدارات الأمريكية أو في الكونغرس، أو أمنية في المخابرات المركزية أو وكالة أخرى، أو بحثية في أحد المراكز والمعاهد الصهيونية الممولة من طرف كريستول أو روبرت مردوخ، مثل: المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي المعروف اختصاراً بـ: جنسا، معهد بول نيتز للدراسات الدولية المتقدمة والمعروف اختصاراً بـ: SAIS ... وكذا من الأوجه الإعلامية المعروفة.

لقد قام تحالف واسع جداً يضم جميع التيارات الكبيرة التي تتقاطع مصالحها ومعتقداتها، مع توظيف سياسي للقراءة الأصولية للدين، بين الصهاينة اليهود والصهاينة المسيحيين الإنجيليين، حيث تتطابق الرؤى حول العداء للإسلام والمسلمين، وحول توطين اليهود من شتى أنحاء العالم، في فلسطين المحتلة، الإستيطان، القدس عاصمة للكيان الصهيوني الذي أطلق عليه تسمية "إسرائيل" بطريقة مدروسة حتى يعتقد كل من يؤمن بالتوراة بأن المقصود ليس دولة احتلال بل هي تلك المذكورة في الكتاب المقدس، وبذلك تم تحويل أرض فلسطين من أرض مغزوة بقوة السلاح والمجازر ودعم القوى

¹ مايكل كولينز بايبر، مرجع سابق، ص. 91.

² المرجع نفسه، ص ص. 102-110.

الاستعمارية الغربية، إلى أرض موعودة... بينما تختلف الرؤى حول ماهية المسيح، والدور الذي سيقوم به بعد عودته؛ فبالنسبة لليهود: سينتصر مسيحيهم، وهو ليس عيسى عليه السلام، لبني إسرائيل ويصفي أعداءهم بدءاً بالمسيحيين، بينما يرى المسيحيون بأن يسوع المسيح سيقوم بحكم الألفية السعيدة (يحكم ألف سنة) وسيقتل أكثر من ثلثي اليهود الذين يرفضون اعتناق المسيحية، وسيعتقها الثلث المتبقي أو أقل، وبالتالي يعتبر هذا التحالف مؤقتاً، حذراً ولا يصدر عن تطابق في الرؤى...

أما في المرحلة الحالية، فإن التحالف قائم بنشاط وحماسة دينية، تؤججها الصهيونية والمحافظون الجدد، حيث صرح "جيرى فالويل" مؤسس حركة الأغلبية الأخلاقية قائلاً: "إن الوقوف ضد إسرائيل كالوقوف ضد الرب. نحن نؤمن بأن الكتاب المقدس والتاريخ يثبتان أن الرب يجازي كل أمة بناء على كيفية تعاملها مع إسرائيل." وقد قدم رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق "مناحم بيغن" جائزة جابوتنسكي لفالويل عام 1981 تقديراً لدعمه لإسرائيل، وشهد عام 1980 تأسيس منظمة السفارة المسيحية العالمية بالقدس بهدف تقوية الدعم المسيحي لإسرائيل¹. كما أن التأثير في صانعي القرار الأمريكي بسبب توظيف القيم الدينية كان واضحاً، حيث صرح عدة رؤساء بأن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة... إذ يعتبرون أنفسهم بأنهم يتقاسمون ميراث التوراة.

أما عن اليمين المسيحي، فقد بدأ يعزز نفوذه في عقد السبعينيات من القرن العشرين وتفجر على مسرح الأحداث في عقد الثمانينيات لكن جذوره الحديثة تمتد إلى أوقات أسبق بكثير.

لقد ظهر تياران لاهوتيان: تيار ليبرالي بين كنائس النظام السائد البروتستانتية المتسامحة التي أكدت على عقيدة المسكونية ووجهات النظر الليبرالية المتسامحة. وكان التيار الثاني هو تيار المحافظين اللاهوتيين الذين يؤمنون بأن الكتاب المقدس منزّه عن الخطأ وأن يسوع هو ابن الرب وأن مملكة الرب على الأرض ستقام عند رجوع يسوع "نحن نعيش في العصر ما قبل الأخير... وسينهض وكيل الشيطان، المسيح الدجال، وسيسيطر في النهاية على العالم، وسيعقبه المجيء الثاني للمسيح وإقامة العصر الألفي"⁽²⁾.

إن الحرب العالمية الثانية وما أعقبها قد أنتجت في أمريكا حركة إحياء للدين وانجرافاً باتجاه اليمين للوسط السياسي فيما كانت أمريكا تعبئ قواها لحملة مناهضة الشيوعية، التي من خلالها أضيفت الجملة القائلة "تحت سلطة الرب" إلى يمين الولاء، و"في الرب نضع ثقتنا" أصبحت الشعار القومي.

¹ راجح إبراهيم السباتين، مرجع سبق ذكره، ص. 268.

² Bryan F. le beau, "The political mobilization of the New Christian Right".
<http://are.as.wvu.edu/ebeau1/html>.

وفي عام 1972 ذكرت التقارير الإخبارية أن نيكسون تلقى 80% من أصوات الناخبين الإنجليين وغيرهم من المحافظين اللاهوتيين والكاثوليك.

وكان إقرار قانون "Roe vs. wade" (الذي أباح الإجهاض) بحكم من المحكمة العليا ذات التكوين الذي غلب عليه الطابع الليبرالي آنذاك، في عام 1973، قد أثار حفيظة المحافظين المتدينين، وحتى الديمقراطي جيمي كارتر، وكان مسيحياً "متجدداً" (Born again Christian) لقي مساعدة من هذه الدائرة المحافظة ذاتها (56% من الإنجليين والمعدانيين (الجنوبيين) صوتوا له) ليفوز بالرئاسة في عام 1976. مع ذلك فقد أثبت كارتر أنه في الأساس ليبرالي، وسبب لهذا خيبة أمل لحركة الإحياء الإنجيلية المحافظة، وهكذا تخلت عنه إلى حد كبير في انتخابات فترة الرئاسة الثانية هذه الدائرة الانتخابية المحافظة، وتحلق كثيرون منهم في عام 1980، حول إيديولوجي المحافظين مرشح الحزب الجمهوري رونالد ريغن " لقد نشر الباحثون معلومات تصور نفوذ اليمين المسيحي داخل الحزب الكبير القديم "Gop" (الحزب الجمهوري) من نواح مختلفة، ويوجد كم كثيف من الأدبيات التي تقدر مدى قوة تأييد اليمين المسيحي لريغان"⁽¹⁾.

هكذا بدأ اليمين المسيحي بدوره في انتخاب رونالد ريغن للرئاسة وفوز الجمهوريين وخسارة الديمقراطيين في مجلس الشيوخ، مسيرته نحو نفوذ معتبر داخل الحزب الجمهوري ونحو موقع المركز في السياسات القومية الأمريكية.

لقد اعتنق اليمين المسيحي مواقف قوية مناهضة للشيوعية أثناء الحرب الباردة، وأمد المبشر الإنجيلي التلفزيوني "بات روبرتسون" بدعم قوي "سياسي (وفي بعض الأحيان نقدي) لتنظيم الكونترا" في نيكاراغوا ولحكومتي فصائل الموت في السلفادور وغواتيمالا، ولجيش الاغتيال بالوكالة إبان حكم النظام العنصري في جنوب إفريقيا في ثمانينيات القرن العشرين"⁽²⁾.

بل الحقيقة أن خطة مجموعة العمل للأهداف البعيدة التي شكلت في إطار البيت الأبيض في عهد ريغان، بشأن أمريكا الوسطى، كانت تجتمع سرا بصفة منتظمة مع أكثر من 50 مجموعة تضم كثيرين من منظمات اليمين المسيحي والعلماني والمحافظين الجدد واليهود، لتنسيق النشاط الإعلامي ونشاط جماعات الضغط (اللوبي) تأييدا لتنظيم (الكونترا) النيكاراغوي، وأيضا لضرب العراق بالقنابل مجدداً"⁽³⁾.

¹ سميح فرسون، مرجع سبق ذكره، ص 211.

² Sara diamand, (The threst of the Christian Right".2 Magazine), July-August 1995, P02 ; <http://www.zmag.org>.

³ Ibid.

وهذا هو نفسه الائتلاف السياسي الذي وقف وراء دعم شارون وسياساته وأيضا دعم حملة إدارة بوش المناهضة للإرهاب⁽¹⁾.

لقد نشط اليمين المسيحي وتعباً لدعم جورج ولكر بوش في الانتخابات الأولية (وكان دورهم حاسماً في ترشيح بوش في ولاية كارولينا الجنوبية وفي انتخابات "الثلاثاء الكبير" الأولية)⁽²⁾ كذلك فقد نشط اليمين المسيحي وتعباً في انتخابات الرئاسة عام 2000، ثم لإعادة انتخاب جورج وولكر بوش عام 2004.

لقد برز اليمين المسيحي منذ عام 1980 باعتباره المجموعة الأشد نفوذاً داخل الحزب الجمهوري، وعندما حققت ذلك المركز تفجرت سياسياً على المسرح القومي "لقد ساند الإنجليون الصوت الجمهوري في انتخابات عام 1994 (حيث أيدت نسبة 75% من جميع الإنجليين المرشحين الجمهوريين للكونغرس)... وأخيراً... فإن اليمين المسيحي هو الآن جماعة مهيمنة على فروع الحزب الجمهوري في 18 ولاية أمريكية، وجماعة ذات وزن كبير في 13 ولاية أخرى"⁽³⁾.

العمود الأساسي الثاني في دعم التيار المحافظ واليمين في السياسات الداخلية والخارجية في الولايات المتحدة هو اليمين العلماني. وهو الأصل المعاصر لليمين الجديد كان في عقد الثمانينيات ضمن مظلة ما يسمى "ثورة ريغن". ومحور اليمينيين الجدد أو المحافظين الجدد كما يعرفون عامة أو عناصره الأساسية، هم المثقفون الليبراليون السابقون اليهود وبعض الكاثوليك الذين اجتذبت نزعة ريغن المحافظة المتشددة مجموعة من المثقفين العامين الذين كانوا يزدادون ميلاً بقوة إلى النزعة المحافظة (أو المحافظة الجديدة).

انخرط كثيرون منهم في إدارة ريغن وترجموا نزعتهم المحافظة القوية إلى سياسات وممارسات، وقد ضمّ هؤلاء عديدين ممن يخدمون في إدارة بوش الحالية، بينما يؤدي الآخرون أدوارهم كمثقفين عامين محافظين، وعديدون منهم كانوا قد خدموا في إدارة بوش الأب.

ومن الناحية الأخرى أصبح كثيرون منهم من أعلام الإعلام ككتاب رأي تنشر أعمدهم في الصحف الكبرى وخدموا غالباً كأدمغة متحدثة في كثير من البرامج التلفزيونية، هؤلاء في مجموعهم قد ساعدوا

¹ سميح فرسون، مرجع سبق ذكره، ص 212.

² نفس المرجع والصفحة .

³ سميح فرسون، مرجع سبق ذكره، ص 215.

على "خلق ثقافة محافظة أو يمينية قوية في الولايات المتحدة باطراد منذ أوائل الثمانينيات وقد تميزت شبكة تلفزيونية إخبارية بأكملها هي "FOX News" بكونها منفذا للمحافظين الجدد"⁽¹⁾.

كذلك فإن الجماعات القاعدية نشطة في العملية الرامية إلى إسكات وجهات النظر والمناظرات البديلة، "مؤخرا أوقف عدد يقدر بألف مشترك في صحيفة لوس أنجلوس تايمز تسليم نسخهم إلى منازلهم لمدة يوم احتجاجا على ما اعتبروه تغطية مؤيدة للفلسطينيين.

وتعرضت لاحتجاجات مماثلة كل من صحف شيكاغو تريبيون، مينابوليس، ستار تريبيون، فيلا دلفيا إنكويرر، وميامي هيرالد، وتلقت إذاعة الراديو الوطني العام (NPR) آلاف الرسائل الإلكترونية تشكو من تقاريرها عن الشرق الأوسط... إن الصحف تخاف من منظمات مثل "إيباك" (AIPAC) ومؤتمر الرؤساء^(*)، فالضغط الذي تمارسه لايلين ورؤساء التحرير سريعا ما سيمتنعون عن المساس بها"⁽²⁾.

ومع ذلك وخلافا لليمين المسيحي، فإن اليمين العلماني صغير من حيث العدد وليس له وجود في القواعد الأساسية في الأمة الأمريكية ربما في ماعدا بعض الدوائر القاعدية في القطاعات التقليدية من الحزب الجمهوري.

وتكمن معظم قوتهم في الحضور الإعلامي المفوه والبارع، وفي منظمات "مصانع الأفكار (Think tanks) التي بنوها وفي الأدبيات التي أنتجوها منذ الثمانينيات.

المطلب الثاني: المركبات الكبرى

تجمع المركبات الكبرى، وهي تجمعات استثمارية - احتكارية ضخمة، مصالح هائلة وتحمل قيما نخبوية مهيمنة تعبر عن إيديولوجية الطبقة الرأسمالية الحاكمة، وتشكل الإستابليشمنت « The Establishment وتتمثل أساسا في: المركب الصناعي - العسكري، المركب العسكري - السينماتوغرافي، ثم المركب الإعلامي - الاتصالي.

¹ المرجع نفسه، ص 216.

(*) المقصود هنا هو (مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الكبرى)، وهو تنظيم "جهوي" يضم أكثر من 50 من المنظمات اليهودية الكبرى في الو.م.أ، ويتمتع بنفوذ ضاغط كبير على صانعي القرار الأمريكي.. سميح فرسون، هامش ص 217.

² Michael Massing, « The Israel Lobby », The Nation, (http://www.thenation.com/doc.mhtml?_id=20020610&s=massing)

الفرع الأول: المركب الصناعي - العسكري

في خطابه الشهير للأمم بمناسبة إنتهاء عهده في 17 جانفي 1961، حذر الرئيس "إيزنهاور" الولايات المتحدة من أخطار "المركب الصناعي - العسكري" قائلا:

" هذا الإتحاد بين مؤسسة عسكرية ضخمة، ومصنع خاص (أي تابع للخواص) يُعنى بالتسليح وإنتاج الأسلحة على قدر كبير من الأهمية، يعتبر هذا الإتحاد حدثا جديدا في التاريخ الأمريكي (...)، لا يمكننا أن نهمل أو نغفل خطورة وخامة عواقب مثل هذا التطور (...). يجب علينا أن نحذر ونحمي أنفسنا من النفوذ اللاتشري الذي يحاول المركب الصناعي العسكري اكتسابه علنا أو في الخفاء، فمن الممكن جدا أن يعرف هذا النفوذ نموا متعازما وبأحجام كارثية، مما يبعده عن رقابة المواطنين.

يجب أن لا نسمح أبدا لاتحاد المصالح هذا أن يضع حرياتنا وطرائقنا الديمقراطية موضع الخطر.

لا شيء، في الحقيقة، مضمون بشكل حاسم ونهائي. فقط، بعض المواطنين الحذرين والمطلعين يستطيعون إدراك شبكة النفوذ والتأثير التي نسجها المركب الضخم الصناعي- العسكري، ومواجهتها بمناهجنا، وطرائقنا، وأهدافنا الديمقراطية والسلمية من أجل أن يزدهر الأمن والحريات جنبا إلى جنب"⁽¹⁾.

" لقد حرم انهيار العملاق السوفييتي، لمدة من الزمن، المركب من الأرباح الضخمة التي كان يجنيها من سباق التسليح المجنون. لملء الفراغ الذي تركه العدو الشيوعي، إنكب الإيديوستراتيجيون الأمريكيون (نوادي التفكير أو Think Tanks) على إيجاد بديل له، لقد وجدوه في الأصولية الإسلامية التي استعملتها الولايات المتحدة سابقا لمصلحتها ودون دراية من هذه الأخيرة من أجل إنهاك الدب السوفييتي"⁽²⁾.

1- نشأة المركب الصناعي - العسكري:

تعود نشأة المركب الصناعي - العسكري إلى الكساد الكبير لسنوات الثلاثينيات، والتي تميزت بوضعية اقتصادية/ اجتماعية تطبعها فوضى عارمة، يروي "فرانسيس باركينز" (Frances Perkins) وزير العمل في عهد الرئيس روزفلت: " كنا في وضع رهيب، كانت البنوك تغلق تباعا، وكانت الحياة الاقتصادية للبلاد مشلولة"⁽³⁾.

¹ <http://www.vottairenet.org/article15891.hym1>

² Khelifa Mahieddine, Le complexe Militaro-industriel, Op-cit

كما يرجى الرجوع إلى الفصل الأول من البحث.

³ Ibid.

حاول روزفلت بشدة اليأس أن يعبئ مواطنيه لعلاج هذه الكارثة في خطاب ألقاه شهر ماي 1933: "إفعلوا شيئاً فإن لم ينجح، إفعلوا شيئاً آخر!"، ومن أجل النهوض ببلد مريض باقتصاده وضع روزفلت نيوديل الـ "New deal" موضع التنفيذ. وهو برنامج وصفه محافظوا الـ (WASP) White Anglo-Saxon Protestants للأعمال والجماعة العلمية بأنه مستوحى من الاشتراكية مسترجعين فكرة مجلس البحث الوطني National Research council الذي كان قد تأسس سنة 1917 ولتنظيم المجهود الصناعي للحرب، تبنى عضوا المجلس السابقان "جورج إي هال" عالم الفيزياء الفلكية و"روبرت ميليكن" فيزيائي ورئيس جامعة شيكاغو، تنظيم وتأسيس ما سماه سابقا الرئيس إيزنهاور المركب الصناعي - العسكري وذلك بكاليفورنيا في 1935-1936.

تركز نشاط المركب في بداياته الأولى أساسا على صناعة الطائرات لأنها تجيب بنحو أفضل على أهداف التحديث المسطرة لإخراج الولايات المتحدة من الأزمة. تكون المركب على أساس مبادرات رأسمال القطاع الخاص، بتجميع علماء ذوي شهرة عالية، بإشراف وتمويل كبار مليارديرات الـ WASP ليجعلوا منه "مؤسسة للعلم والأعمال المجددة للسمو والتفوق الآري على ضفاف المحيط الهادي".

سرعان ما طورت قاعدة علمية وتجريبية، ووضعت في خدمة هذه الصناعة الدقيقة في ناحية لوس أنجلس التي تمثل فرصة استثنائية للحصول على سكان أنجلوساكسون بمرتين أكثر مما هو كائن بنيويورك أو شيكاغو أو بأي من المدن الكبرى.

هكذا نشأت وتطورت شركات "لوكهيد أو {Lockheed (Man)}" و"ماك دونالد Mc Donnell (John)" و"نور ثروب Northrop(John)" و"دوغلاس (Donald) Doglas"، North American dutch kinkel berger.

لم يكن "الجنس الآري" أي WASP هو الذي أنقذ الولايات المتحدة من الكساد الكبير، لكن الحرب العالمية الثانية هي التي أعطت لصناعاتها تلك الإنطلاقة الخاطفة، مع توفير مناصب عمل لملايين العاطلين.

ما بين 1941 - 1945 صنعت 303218 طائرة من أجل الجيش الأمريكي بينما لم تنتج خلال سنة 1939 إلا 921 طائرة.

من ناحية التشغيل أيضا كانت النتائج باهرة:

في سنة 1933، كان قطاع صناعة الطائرات يشغل 15000 شخص، في سنة 1940 ارتفع العدد إلى 85000 شخص، ليصل في سنة 1943 إلى 4 ملايين عامل في هذا القطاع.

لقد أجاد "جون ك. غالبرايث" (John K. Galbraith) وصف هذه الوضعية بقوله: "في سنة 1939 كنا نعد 9 ملايين بطال في الولايات المتحدة أي 17% من اليد العاملة، والعدد نفسه تقريبا 14.6% في العام الموالي.

وجاءت الحرب وطبقت علاج كينز في وقت قياسي قبل سنة 1942، انخفضت البطالة تقريبا إلى الصفر"⁽¹⁾.

كرس النصر الكبير سنة 1945، بطريقة لا تقبل الجدل، الولايات المتحدة بصفتها قوة عظمى "Super puissance"، وكذا المركب الصناعي العسكري، بشكل لا يمكن تجاوزه، بصفته السيد المقرر في خدمة بارونات الصناعة الرأسمالية للتسليح والبتروكيميا، إذن لم يعد يسمح حتى بمجرد التفكير في التخلي عن إنتاج المواد المشتقة عنها، خصوصا أن صناعة الأسلحة توظف نسبة هامة من العمال، خوفا من السقوط في مشكلات سنوات ما قبل الحرب.

حسب رئيس شركة "الوكهيد"، بقيت 16 شركة كبرى لصناعة الطائرات منها 13 معرضة للزوال والاختفاء إن لم يباشر أي شيء لإنقاذها في أجل تسعة أشهر.

في الواقع، كان هذا القطاع مصنفا في المرتبة 43 في سنة 1938، ثم احتل المرتبة الأولى في 1943، ليتراجع إلى الصف 44 سنة 1947 مما جعل المركب الصناعي العسكري يدق ناقوس الخطر، ويضع على رأس أولوياته إيجاد عدو جديد، فأطلقت حملة إعلامية هائلة لتبيان أن الخطر السوفييتي وشيك، مما جعل الزيادة في الميزانية الممنوحة لقطاع الدفاع ضرورة مطلقة، حيث صادق عليها الكونغرس خلال السنة المالية مارس/ماي 1948⁽²⁾.

2- سباق التسليح:

برّر هذا الإخراج لاحقا بتفجير القنبلة الذرية السوفييتية سنة 1949 ثم بغزو كوريا في جوان 1950، ثم بعد ذلك بإطلاق أول مركبة فضائية "سبوتنيك" Sputnik". فتقرير الأمن القومي المشهور (NSC-68)، والذي يعد النص الأساس لاستراتيجية الحرب الباردة، يرجع تاريخه في واقع الأمر إلى 31 جانفي 1950.

¹ Ibid.

² Ibid.

كانت الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة تطلق سباق التسلح مدعية بأنها تعاني من "تأخر" عن الإتحاد السوفييتي الأقوى نسبيا ...

فسواء تعلق الأمر بعدد الصواريخ، أو بالقوة النووية، أو بمدى تطور الأسلحة، ظل إستراتيجيو المركب يظهرون الإتحاد السوفييتي على أنه حقق تقدما طفيفا يجب دوما ودون توقف العمل لتداركه.

نجح المركب في فرض وتأكيده هذه الكذبة بفضل تعقد وسائل الإعلام الأمريكية المتواطئة، وتوابعها في أوروبا، التي لم تضع أبدا في موضع الشك تلك التقديرات المبالغ فيها، لما كان يسمى "التهديد السوفييتي".

بل إن تكذيب هذه الدعاية المحبوكة بمهارة فائقة من طرف إعلام الأجهزة، جاء على لسان "هربرت يورك"، المستشار الرئيسي للرئيس إيزنهاور في مجال التكنولوجيا العسكرية، الذي أعلن سنة 1970: "لقد أحكمنا وباستمرار المراقبة والسيطرة على وثيرة وسعة سباق التسلح، خلال 30 سنة، كانت مبادرتنا أحادية الجانب والمتكررة تزيد، وبطريقة غير مقيدة، من حدة التسابق"⁽¹⁾.

كان المركب دائما يعطي أهمية كبرى لهذا التشويش الإعلامي الدعائي، الذي يسمح له بإخفاء الحجم الهائل لتبذير الموارد الضخمة المخصصة لسباق التسلح، وذلك بعرض الولايات المتحدة بصفتها "بلدا ذا رسالة ربانية لتحقيق السلم Pax americana" كونه مجبرا على تحقيق السلم بالقوة.

خلال سنوات "ريغن 1981-1988" أعيد إطلاق سباق التسلح بأشد ما كان عليه تحت ذريعة قديمة لكن فعالة، إن تأخر الولايات المتحدة بالنسبة إلى الإتحاد السوفييتي يبرر ترسانة جديدة من الأسلحة لضمان الأمن القومي National Security. هذا في حين كان القادة السوفييت في هذه الفترة يجهدون أنفسهم للحصول على اتفاق حول التسلح أو بالأحرى الحد منه، ذلك أن المنافسة الجامحة بل المجنونة، مع خصم متفوق على جميع المستويات (من التسلح إلى الدعاية)، قد بدأت تهدد استقرار الإتحاد السوفييتي ذاته. نفهم الآن أحسن، تهديد "جورجي أرباتوف Georgy Arbatov" في ماي 1988 مخاطبا صحفي "News Week"⁽²⁾.

3- حرب الخليج الثانية وتبرير الإنفاق العسكري:

أدى انهيار الإتحاد السوفييتي إلى وقف مؤقت للإنفاق العسكري الأمريكي الضخم، وهذا يتناقض مع مصالح وأهداف المركب، فبما أن الولايات المتحدة لا تملك خصما قويا على مقاسها عسكريا، كان

¹ Ibid+Voir Herbert York, Race to Oblivian, New York , 1970.

² أنظر الفصل الأول من البحث.

يجب تبرير الزيادة في ميزانية الدفاع بطرق أخرى، لقد جاء غزو العراق للكويت في وقته ليقدّم للمركب الوسائل والمبررات لإقامة قواعد احتلال إستراتيجية في منطقة اعتبرتها وزارة الخارجية الأمريكية "أحد أكبر الرهانات الاقتصادية في تاريخ الإنسانية برمته"⁽¹⁾.

عملية "عاصفة الصحراء" التي جرى إخراجها بإحكام سنة 1990، والتي كانت مسبوقه بحملة إعلامية غربية ضخمة "رابع قوة عسكرية أو رابع جيش في العالم...."،*، لم تكن في الواقع إلا نهاية منطقية لحرب الخليج الأولى، أي الحرب العراقية - الإيرانية، لقد كان الهدف غير المعلن لكن المبرمج من هذا النزاع الجهوي هو إضعاف أو استنزاف قوى البلدين معاً، تمهيدا لاحتلال القوات الأمريكية لهذه المنطقة ذات القيمة الإستراتيجية العالية، بما فيها العربية السعودية.

متلاعبين بطريقتهم الخاصة بحكام وقادة المنطقة، أدرك استراتيجيو الـ WASP كيفية الاستفادة من هذه الوضعية التي حددوا هم أنفسهم مسارها، لصب مخزونهم من الأسلحة القديمة في ترسانات ملكيات وجمهوريات المنطقة. "إذا كانت الأرقام عموماً لا تقول كل شيء فإنها مع الولايات المتحدة تقول تقريباً كل شيء، الأمريكيون أنفسهم يحبذون ذلك: بالنسبة إليهم النفوذ يأتي مع الأعمال Business، والإستراتيجية هي أولاً وقبل كل شيء قضية: وزن السلاح (وما يكافئه) أو ما يعادله بالدولار"⁽²⁾.

وهكذا، ففي الفترة الممتدة ما بين جانفي 1990 إلى ديسمبر 1996، صدر المركب أسلحة بقيمة 120.3 مليار دولار، كانت العربية السعودية أول مستورد بقيمة 47.27 مليار دولار أي 40% من المجموع، كانت هذه من بين الأرباح المباشرة لحرب الخليج مع علاوة إرساء قواعد عسكرية أمريكية في هذا البلد.

في المرتبتين الثانية والثالثة، نجد تايوان بـ 10.83 مليار دولار، والكويت بـ 08.73 مليار دولار. هذه البلدان الثلاثة لا تمثل سوى نسبة 0.5% من نسبة سكان العالم (حوالي 30 مليون نسمة) تشتري 60% من مجموع تصدير الأسلحة، ثم تأتي بعد ذلك كل من كوريا الجنوبية، تركيا، إسرائيل، مصر، بما مجموعه 24.21 مليار دولار⁽³⁾.

¹ أنظر الفصل الأول من البحث.

* يقصدون بذلك جيش صدام حسين الذي جرى تضخيمه إعلامياً، لتبرير الحرب وتخفيف دول الجوار العراقي.

² Ibid +Philippe Grasset dans la revue Géoéconomique, Mai 1997.

³ Ibid

4- تكريس الهيمنة وضمان التفوق:

لقد صار القانون الفدرالي منذ سنة 1993 يجبر كل الإدارات في بداية عهدها أن تؤسس لـ "Quadriennial Defense Review". هذا البرنامج لا يشكل فقط مرجعية في شؤون إستراتيجية الدفاع الأمريكية، لكنه يمثل أيضا، وخصوصا، ضمانة تمنح للمركب من طرف الإدارات المتعاقبة جمهورية كانت أو ديمقراطية من أجل الحفاظ على سموه وتفوقه الصناعي.

فعندما لم تستطع شرح وتبرير الإنفاق الهائل للبنتاغون بخصوص التسليح والتجهيز، حاولت إدارة بوش تبرير ميزانية التسليح والتجهيز بالتهديدات الجديدة خاصة "التهديدات اللامتماثلة Menaces asymétriques" المرتبطة بـ"الإرهاب والأسلحة البيولوجية والكيميائية".

وهكذا، عرفت ميزانية البنتاغون زيادة مذهلة، فمن 290.5 مليار دولار سنة 2000، إرتفعت إلى 329.9 مليار دولار في 2002، لتبلغ 387.4 مليار دولار سنة 2004، وذلك بهدف بلوغ ميزانية البنتاغون 450.9 مليار دولار سنة 2007⁽¹⁾ (الملحق).

لقد جاءت أحداث 11 سبتمبر 2001 (محض صدفة؟) لتضفي الشرعية على هذه العودة إلى تبني الخيار العسكري مثلما ظلت تردده إدارة بوش. كما لاحظ وفد مجلس الشيوخ الفرنسي عندما زار الولايات المتحدة: "فعوض المراجعة والإقالات أو التغيير، زاد دعم البنتاغون بشكل أقوى"⁽²⁾.

يرى معظم المفكرين، ومنهم بعض الماركسيين الجدد (Les néo-Marxistes) " أن الإنسانية ستظل تعاني من قوة بروتستانت الـ Wasp المتحكمين في المركب الصناعي العسكري لعدة عقود قائمة، إلى أن يأتي يوم باعتبار أن كل شيء يحمل في طياته بذور فناءه، أين تنتهي غطرستهم المبنية على مصالح كانت دوما على حساب الحقوق الأساسية للشعوب"⁽³⁾.

الفرع الثاني: المركبان: العسكري - السينماتوغرافي/ الإعلامي - التواصل (الشبكي)

تشكل السينما امتدادا قويا للنقاش الإستراتيجي الأمريكي، وتمثل قطبا صناعيا أساسيا في تحديد وترسيخ الهوية الوطنية وفي شرعنة الخيارات السلطوية الكبرى والقرارات السياسية والإستراتيجية، كما تعبر المنظومة السينماتوغرافية عن حوار دائم مع النسق الإستراتيجي، وتنسيق مستمر، بين كل من السلطة السينماتوغرافية والسلطتين: السياسية والعسكرية-الأمنية، أصبح، منذ الحرب العالمية الثانية، مهيكلا وممؤسسا.

¹ www.senat.fr

² Ibid.

³ Khalifa Mahieddine, Op-cit.

تنبؤنا تسمية "هوليوود" عن المهمة المتناسبة مع الخرافات المؤسسة: "القدرية الظاهرة" Manifest "Destiny، "الحدود" « The borders » و"المدينة المطلة على الهضبة"

« The city on the hill »... هذه الأساطير التي تمثل المكونات الأساسية للهوية الأمريكية،¹ حيث تمثل السينما حاملا للقيم الأمريكية وجامعا لمصالح ضخمة، فرضت تسمية ذاتية للاستديوهات، ذات الفعالية القصوى والانتشار العالمي، حيث أطلقت على نفسها اسم: الصناعة The Industry بالنظر إلى ما يتم رصده من وسائل ضخمة: مالية، تكنولوجية وبشرية لإنجاز أفلام عالمية مثل « Independance Day » (1996)، « Armageddon » (1998) وغيرها من الأفلام التي استولت بشكل حصري على مواضيع متعلقة صميميا بالأمن القومي. "إن هوليوود هي الكيان الوحيد، الصناعي والثقافي معا، في العالم القادر على تعبئة الموارد لهذه المنتجات الضخمة والتي يطلق عليها بعض المختصين "أفلام الأمن القومي" وتتراوح ميزانياتها بين 20 و160 مليون دولار أمريكي، كما إنها تجذب عشرات الملايين من المشاهدين الذين تتضاعف أعدادهم بإعادة البث التلفزيوني، والتسجيلات على الكاسيت « Quassettes » ثم الفيديو « DVD »² والآن على اليوتيوب « Yotube » ومواقع التواصل الاجتماعي، وتصب كلها في عنصر واحد يجمع سينما الأمن القومي بالبيت الأبيض، الكونغرس، البنتاغون ووكالات الأمن والاستخبارات؛ وهو: "التهديد" « Threat/Menace ». علما بأن التهديد يصنع الإجماع الوطني.

تتكون المؤسسة العسكرية الأمريكية، من ثلاثة جيوش كبرى: القوات البرية « The Army »، القوات البحرية « The Navy »، والقوات الجوية « The Air Forces »، بالإضافة إلى قوات المارينز (مشاة البحرية) ذات الصيت والمكانة، وهي بعلاقتها العضوية والحيوية بالسينما، تسمح بربط قوات الدفاع بالأساطير الكبرى، وبمسار الشرعنة السياسية، وبالأحداث الراهنة عن طريق الإخراج البطولي لأفرادها ولممارساتها.³

يعود هذا الارتباط إلى سنة 1942، عندما استدعى الرئيس "فرانكلين روزفلت" إلى البيت الأبيض كبار المخرجين، منهم "جون فورد" « John Ford » و"فرانك كابرا" « Frank Capra »، ليقدّم لهم طلب إنجاز عشرات الأفلام من منظور التعبئة البسيكولوجية للبلاد، فأنشأت وزارة الحرب "مكتب اتصال" « a liaison office/un bureau de liaison » « بهوليوود. مع اندلاع الحرب الباردة، أصبح مكتب

¹ Jean Michel Valantin, Hollywood, Le pentagone et Washington. Les trois acteurs d'une stratégie globale, Paris, Editions Autrement, 2010, P. 12. يرجى مراجعة الفصل الثاني من البحث

² Ibid, P. 6.

³ Ibid, P. 18.

الاتصال دائما (تم تعيين الكولونيل فيليب ستراب philip Strub مسؤولا عن المكتب خلفا لدونالد باروخ¹ (donald Barruch) .

حدث ذلك سنة 1947، بالتزامن مع إنشاء « National security State » المتضمن تأسيس عدد من المؤسسات المختصة في الأمن في إطار مكافحة التهديد السوفياتي.²

آليات التعاون بين الجهاز الأمني والاستديوهات الكبرى متعددة، وعقدة ولا تتوقف عن النمو على مدى عشرات كاملة، كما إنها تشمل جميع مراحل الإنتاج: اللوجيستيك أساسا، ثم المخرجين، كتاب السيناريو، والممثلين المختصين في هذا المجال شديد الخصوصية. يمكن للجيش أن يوفر المواد والتجهيزات، المستشارين، الأزياء الرسمية، التدريبات، أرضيات أو منصات القتال (أفواج من الدبابات، أسراب من الطائرات، أو حاملات طائرات). في بداية سنوات الثمانين من القرن العشرين، جاءت الحملة الريغانية الإيديولوجية، السياسية، التكنولوجية، المالية والإعلامية ضد "إمبراطورية الشر" لتعزز هذا الاتجاه.³

من بين أهم المخرجين الذين فرضوا أنفسهم، في تلك الحقبة بين 1983 و1994، نجد: "جايمس كامرون" « James Cameron »، "جون ميلْيوس" « John Milius »، "جون ماك تيرنان" « John McTiernan »، "ريتشارد دونر" « Richard Donner »، "طوني سكوت" « Tony Scott »، "إيدوارد زويك" « Edward Zwick »، "أوليفر ستون" « Oliver Stone »، "فيليب نوبس" « Philip Noyce »، هؤلاء أخرجوا أقوى أفلام هذه الفئة، مثل « Rambo II » (1985) و« Rambo III » (1988)، « Alien » (1986)، « Top Gun » (1986)، « Predator » (1987)، « Glory » (1990)... جسدت هذه الأفلام وغيرها من طرف ممثلين مختصين وذوي شهرة عالمية، نذكر من بينهم: "سيلفرستر ستالون" « Sylvester Stallone »، "أرنولد شفارتسنيغر" « Arnold Schwarzenegger »، "تشاك نوريس" « Chuck Norris »، "ستيفن سيغل" « Steven Seagal »، "بروس ويليس" « Bruce Willis »، "ميل غيبسون" « Mel Gibson »، "سيغورني ويفر" « Sigourney Weaver »، "دانزال واشنطن" « Denzel Washington »، "مورغن فريمان" « Morgan Freeman »، "بان هافلوك" « Ben Haffleck » وغيرهم.⁴

¹ Frédérique Ballion ; La représentation de l'ennemi dans le cinéma étasunien : de l'après guerre à la chute du mur de Berlin, <https://tel.archives-ouvertes.fr/tel-01232562/document>, dernière visite : 04 Mars 2020.

² Jean Michel Valantin, Op-Cit, P. 18.

³ Ibid. PP. 18-19.

⁴ Ibid.

يشكل التهديد مروحة واسعة من المصادر، سواء تمثلت في دول أجنبية قوية، أو عسكريين أمريكيين سابقين مجانيين أو طالبي مال، أو روبوتات خارج نطاق التحكم، أو قوة طبيعية لا يستطيع توقيفها غلا الأبطال الأمريكيون، أو إيديولوجية معادية.

بعد هجوم "بيل هاربر"، تمثل التهديد في اليابانيين ثم في النازية والفاشية، وتجسد بعد نهاية الحرب العالمية الثانية في الشيوعية والعدو السوفيياتي القوي، ثم صدام حسين والعراق (بعد غزوه للكويت ثم في 2003 تمهيدا للإطاحة به وغزو العراق، وبعد هجمات الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001، تم التركيز على الإرهاب الإسلامي، وهكذا تتماشى الخيارات مع بناء الإستراتيجيات وصناعة الأعداء ومصادر التهديد...

فبالإضافة إلى وسائل الإعلام التي تعتمد التعميم وربط الإسلام بالأعمال الإجرامية حتى يستنتج الجمهور المتابع بأن المسلمين والإسلام يبررون ويقرون هذه الأفعال،¹ تنتج هوليوود عشرات، بل مئات الأفلام التي تسعى إلى تشويه الإسلام والمسلمين، فقد "أعلن النقاد الأمريكيون أن هوليوود أنتجت ما يزيد عن مائة وخمسين (150) فيلما يسخر من الإسلام والعرب والمسلمين منذ 1986 حتى الآن،²

من بين أبرز الافلام التي تناولت "العدو المسلم" بعد العدو الشيوعي والاتحاد السوفيياتي في مواجهة العالم الحر وزعيمته وقائدته وأنموذجه "الولايات المتحدة الأمريكية"، نذكر:

« Executive decision »، بطولة "ستيفن سيغل" « Steven Seagal »، « True Lies »، بطولة "أرنولد شفارتسنيغر" « Arnold Schwzenegger »، « The Siege »، بطولة كل من "دانزال واشنطن" « Denzel Washington » و"بروس ويليس" « Bruce Willis »، « Air force one »، « Voyage of Terror »، « terrorist on Trial »، بالإضافة إلى فيلم "يوم الاستقلال" « Independence Day » الذي تمت الإشارة إليه سابقا...³

يطرح فيلم "الحصار" « The Siege » الذي تم بثه بين سنتي 1998 و 1999 عدة مرات، خاصة من طرف القناة الفرنسية Canal+، إشكاليات كبرى تتعلق بتدريب الإسلاميين من طرف المخابرات المركزية الأمريكية بهدف محاربة الاتحاد السوفيياتي، ثم بعد حصولهم على الغقامة في الولايات

¹ Asma Gull hasan, **musulmans américains. La nouvelle génération**, traduit de l'américain par Marie-France Pavillet, paris, Nouveaux horizons – ARS, 2005, P. 73.

² رضوان بلخيري، **صورة المسلم في السينما الأمريكية**، مكتبة عراس، 2012، ص. 98.

³ المرجع نفسه، ص ص. 98-99.

المتحدة، يطبقون ضد أهداف أمريكية وعلى الأرض الأمريكية ما تم تدريبهم على القيام به. كما يتنبأ بحملة اعتقال واسعة ضد كل من يحمل اسما عربيا أو ملامح شرق أوسطية، بما فيهم ابن نائب مدير مكتب التحقيقات الفدرالي FBI، ثم بوضعهم في سجون أقرب إلى سجن غوانتانامو...الخ.

تتضح الصورة بشكل أدق، عندما نضيف وسائل الإعلام والشبكة العنكبوتية، حيث يسيطر الصهاينة على أهمها، فبالإضافة إلى الإمكانيات الضخمة التي يملكها الإنجلييون، يسيطر اليهود على أهم وسائل الإعلام الأمريكية، المطبوعة والمرئية والمسموعة وخاصة أشهر وأكبر الوسائل. هذه هي الشبكات المعروفة وهي شبكة "أن بي سي (NBC)" وشبكة "سي أن أن (CNN)" وشبكة "أي بي سي (ABC)" وشبكة "سي بي أس (CBS)". فشركة "أن بي سي" تشتمل على أكثر من 200 محطة تلفزيونية ولها أخوات شبكية تلفزيونية أخرى مثل شبكة "سي أن بي سي (CNBC)" لرجال الأعمال وشبكة "أم أس أن بي سي (MSNBC)" الأخبارية وعبر الإنترنت، وتصل شبكة "أن بي سي" وأخواتها إلى أكثر من 99% من منازل الأمريكيين، وإن رئيس وكالة أنبائها هو "نيل شابيرو (Neal Shapiro)" اليهودي ورئيس برامجها الترفيهية "جيفري زوكر (Jeffrey Zucker)" اليهودي أيضا.

أما شبكة "سي بي أس (CBS)" التي تشتمل على أكثر من 200 محطة تلفزيونية أيضا، وهي مملوكة لشركة "فياكوم (Viacom)" العملاقة، والجدير بالذكر أن شركة "فايكوم" تملك استوديوهات "بارامونت بكتشورز (Paramount Pictures)" وتملك القنوات التلفزيونية السلكية التالية: "قناتي أم تي في (MTV)" و"في أتش وان (VH1)" الموسيقيتين وقناة "تكولوديان (Nickolodeon)" للأطفال وشبكة "بي إي تي (BET)" المخصصة لأفارقة الأمريكيين وقنوات "شوتايم (Showtime)" للأفلام وشبكة "إنفنتي (Infinity)" الإذاعية التي تشتمل على 170 محطة إذاعية وشبكة "يو بي أن (UPN)" التلفزيونية التي تصل إلى أكثر من 97% من منازل الأمريكيين، إضافة إلى شبكة "سي بي أس" ويرأس هذه الشركة الإعلامية الضخمة "سامنر رdstون (Sumner Rdstone)" اليهودي الذي غير إسمه من "موري روتشتاين (Murray Rothstein)" نائبه "ملفن كارمان" اليهودي والمسؤول على شبكة "سي بي أس" ويذكر أن "سامنر رdstون" هو نشيط في عدة منظمات يهودية صهيونية.

أما شبكة "أي بي سي (ABC)" فهي مملوكة لشركة "ولت دزني (Walt Disney)" العملاقة، وتشتمل شبكة "أي بي سي" على أكثر من 220 محطة تلفزيونية و4500 محطة إذاعية. والجدير بالذكر أن شركة "ولت دزني" تملك العديد من الاستديوهات الضخمة لإنتاج الأفلام، كما تملك بعض القنوات السلكية مثل "إي أس بي أن (ESPN)" الرياضية وقناة "لايفتايم (Lifetime)" الوثائقية وقناة "أي أند إي (A & E)" التاريخية كما تملك سبع جرائد في الولايات المتحدة. ويرأس هذه الشركة

الإعلامية الضخمة "مايكل إيزنر" اليهودي، ويرأس وكالة أنباء شبكة "أي بي سي (ABC)" "ديفيد وستن" اليهودي أيضا.

وشبكة "CNN" الأخبارية المشهورة فهي مملوكة لشركة "أي أو ال تايم وارنر (AOL Time Warner)" العملاقة، والجدير بالذكر بأن شركة "أي أو ال تايم وارنر" تملك شركة "أمريكا أون لاين (America Online)" لخدمات الأنترنت وتملك مجلة "تايم Time" الأسبوعية وتملك مجلة "لايف (Life)" الشهرية وتملك عدة أستوديوهات ضخمة لإنتاج الأفلام أمثال أستوديوهات "وارنر برادرز (Warner Brothers)" وأستوديوهات "نيو لاين سينما (New Line Cinema)". كما تملك شركة "أي أو ال تايم وارنر" الضخمة شركة "ترنر بروادكاستينغ (Turner Braodcasting)" وشبكة "تي بي أس (TBS)" وشبكة "وارنر" تملك قنوات "ايتش بي أو (HBO)" السلكية بالإضافة إلى شبكة "سي أن أن". ورئيس شركة "ترنر" وبما فيها شبكة "تي بي أس" وشبكة "سي أن أن" هو "جيمي كلنر (Jamie Kellner)" اليهودي. ورئيس شركة "وارنر برادرز" بما فيها شبكة وارنر وأستوديوهات وارنر هو "باري مائير (Barry Meyer)" اليهودي، وكان رئيس هذه الشركة الإعلامية الضخمة "أي أو ال تايم وارنر" هو "جيرالد ليفن (Gerald Levin)" اليهودي، ولكنه استقال مؤخرا، ويتوقع أن يحل محله نائب رئيس الشركة "كنث نوفاك (Kenneth Novack)" اليهودي أيضا، ونوفاك هو عضو نشيط في عدة منظمات يهودية صهيونية، وهناك شركات وشبكات أخرى، أصغر من هذه الأربعة المذكورة، مثل شبكة "فوكس نيوز (Fox News)" وهي مملوكة لشركة "نيوز كوربرايشن" (أي شبكة الأخبار) الضخمة التي يملكها الملياردير "روبيرت مردوخ Rupert Murdoch" اليهودي، وتملك "شركة الأخبار" هذه، شبكة فوكس التلفزيونية والإذاعية وتملك أستوديوهات "توانتيت سننتيري فوكس (20th century fox)" أي "فوكس القرن العشرين" لإنتاج الأفلام وشبكة "سكاي تي في (Sky tv)" الفضائية البريطانية وصحيفة "نيويورك بوست" الأمريكية وصحيفة "ذي سون (The sun)" البريطانية وصحيفة "ذي تايمز أف لندن (The Times of London)" البريطانية وعدة صحف ومحطات تلفزيونية وإذاعية أخرى، وهناك شبكة "بي بي أس (PBS)" التلفزيونية ورئيسها "جاكلين وايس" (Jacqueline weiss) اليهودية، وهناك شبكة "أن بي آر (NPR)" الإذاعية ورئيسها "كفن كلوس (Kevin Klose)" اليهودي. وهناك صحيفة "ذي نيويورك تايمز" المشهورة والتي يرأسها "آرثر أوكس سولزبرغر" الابن (Arthur Oths Sulzberger Jr) اليهودي، وإضافة إلى صحيفة "ذي نيويورك تايمز" تملك عائلة سولزبرغر صحيفة "ذي بوسطن غلوب (The Boston Globe)" بالإضافة إلى 12 صحيفة أخرى، وهناك صحيفة "ذي واشنطن بوست" المشهورة أيضا التي ترأسها عائلة "مائير غراهام (Meyer)" اليهودية، وإضافة إلى صحيفة "ذي واشنطن بوست" تملك عائلة مائير غراهام مجلة "نيوز ويك (Newsweek)" الأسبوعية وصحيفة "أنترناشيونال هيرالد تريبيون (International Herald Tribune)"

(Tribune) " وعدة صحف وعددا من القنوات التلفزيونية، فهذه الشبكات والقنوات التلفزيونية المذكورة تصل إلى أكثر من 99% من منازل المواطنين الأمريكيين، وتصل الشبكات والمحطات الإذاعية المذكورة إلى معظم المدن الأمريكية الكبرى، كما تحتكر الجرائد والصحف والمجلات المذكورة الأسواق في معظم المدن الأمريكية الكبرى، والجهات الإعلامية التي بقيت حرة هي بعض الصحف الصغيرة. ولكن هذه الجهات الإعلامية المستقلة تخشى من التهديدات المالية اليهودية الصهيونية بسحب الإعلانات منها، في حالة عدم خضوعها إلى مطالب الصهاينة لنشر الدعاية الصهيونية، ولقد شهد على تلك السيطرة الرئيس الأمريكي الراحل ريتشارد نيكسون.

فحسب التسجيلات السرية للرئيس التي تم نشرها في بداية 2002 تحدث الرئيس مع صديقه القس "بيلي غراهام" عما أسماه (القبضة الخانقة) اليهودية على وسائل الإعلام الأمريكية التي يمكن أن تدمر الولايات المتحدة وداعيا لكسرها، وجاءت تلك التعليقات في شرائط كاسيت مدتها 500 ساعة قد سجلها الرئيس نكسون سريا أثناء القسم الأول من سنة 1976، وكشفت عنها مؤخرا هيئة المحفوظات الأمريكية الوطنية. وقد قال غراهام في المحادثة المسجلة "إن القبضة الخانقة" اليهودية على وسائل الإعلام: " يجب أن تكسر، وإلا فإن البلد (أمريكا) سوف ينحدر". ورد نكسون: " هل تعتقد ذلك؟" فأجاب غراهام: " نعم يا سيدي" قال نيكسون: " وأنا كذلك، لا أستطيع أبدا أن أقول ذلك علنا لكنني أعتقد به"، قال غراهام: " إذا انتخبت مرة ثانية، فقد تستطيع عندئذ أن تفعل شيئا" ولكن بسبب فضيحة "واتر غييت" Water Gate التي دبرها الصهاينة أجبر نيكسون على الاستقالة قبل نهاية عهده الثانية⁽¹⁾.

اليوم، يسعى المال الصهيوني إلى السيطرة على الإنترنت وأهم مواقع التواصل الاجتماعي.

تأخذ الإنترنت عدة تعريفات تشمل التطبيقات، الاستخدامات ووسائط التواصل بل والإعلام، حيث تم نحت المصطلح من عبارة الشبكات المترابطة باللغة الإنجليزية «INTERconnected Networks»².

تاريخيا، تعد الانترنت « Internet » امتدادا إلى العالم بأسره لمناهج الربط البيني لعدة شبكات كمبيوتر في الولايات المتحدة، تعود جذورها إلى سنوات الخمسين من القرن العشرين، وتمثلت أولاها في "أربانت" « Arpanet » الناتجة عن المشروع الأمريكي (العسكري) "داربا" « DARPA » وهو

¹ هيثم مزاحم، (نحو تفسير لأسس العلاقة الأمريكية- الإسرائيلية)، شؤون الأوساط، لبنان، بيروت، مركز الدراسات

الإستراتيجية، عدد 112، خريف 2003، ص ص 137 - 139.

² David fayon, geopolitique d'Internet. Qui gouverne le monde ?, paris, Ed. Economica, 2013 , P. 1.

مختصر لـ"وكالة المشاريع البحثية الدفاعية المتقدمة" Defense Advanced Research Projects Agency لسنة 1969.¹ وعليه تفرض الولايات المتحدة شروطها وقواعد الاستعمال الخاصة بها، إذ يستشهد "دافيد فايون" بمقولة لـ"لويك داميلافيل" «Loic damilaville»، حول رهانات الاستخدام، إذ إن "الرهان الرئيس اليوم في إدارة الإنترنت هو إذا كنا نريد استخدام شبكة الشبكات كأداة استثنائية لتبادل المعرفة، أو كسلاح جيوسياسي تحتفظ به قوة عظمى لا تنوي ابدأ مشاركة اي طرف في مراقبته، مع الاحتفاظ بحق إعادة خصومها إلى عصر ما قبل الإنترنت ومجتمع المعلومات.²

لقد تزامنت مهمة ARPA، المتعلقة بتحديد كيف يمكن أن تكون تطبيقات الكمبيوتر ناجحة في الأنشطة العسكرية، مع تقرير RAND للأمن القومي الذي وثق الحد الأقصى الذي يمكن أن تتعرض له البنية التحتية للإعلام القومي الأمريكي في حالة وقوع كارثة.³

بحلول عام 1987، نقلت وزارة الدفاع المسؤولية إلى المؤسسة القومية للعلوم NSF، وبحلول عام 1990، كانت الإنترنت تشهد استخداما جوهريا من الأفراد الذين لديهم خبرة وضع برامج كمبيوتر لافتة، ثم أصبح نموها في عقد التسعينيات لافتا، لتصبح Google سنة 2004، شركة عامة تعرض أسهمها على الجمهور ويقدم Facebook عروضه الأولى، ويتم تأسيس YouTube التي يمتلكها Google، سنة 2005، ثم تدشين Twitter سنة 2006، وتطلق بعدها بعام، في 2007، أبل و AT and T تليفون iPhone...⁴ لقد أتاحت الإنترنت الوصول إلى الوثائق الحكومية دون تغيير أو تنقيح، كما أن اكتشاف فعالية الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، ساهم في الإطاحة بأنظمة حكم وإزاحة رؤساء أقوى، دون استخدام التدخل العسكري المباشر، مع استخدام مصطلحات جذابة وذات وقع حسن على الضمير الجمعي للشعوب المعنية، مثل الثورات الملونة، الربيع العربي... الخ، كما تم استعمالها لتشويه العدو الإستراتيجي بعد 9/11، سواء كان الإسلام والمسلمين (القاعدة، داعش...) أو الصين التي انتقلت فعليا من وضع "المنافس المحتمل" «Peer Competitor» في التقرير الإستراتيجي المنشور عام 2000 بعنوان "رؤية مشتركة 2020" «Joint Vision 2020» إلى وضع ثاني قوة اقتصادية مزيحة لمكانة اليابان، وأكبر دائن للولايات المتحدة.

¹ Ibid.

² Ibid.

³ توماس ل. ماكفيل، الإعلام العالمي، ترجمة عبد الحكيم أحمد الخزامي، نشر مشترك بين الدار الجزائرية للنشر والتوزيع (الجزائر) ودار الفجر للنشر والتوزيع (القاهرة)، الطبعة الأولى 2015، ص. 193.

⁴ المرجع نفسه ص ص. 195 - 206.

المبحث الثالث: القيم، السياسة الخارجية والبيئة النفسية للرئيس الأمريكي بعد 9/11

من أجل تفكير القرار السياسي الخارجي في الولايات المتحدة بما يخدم أهداف البحث، حيث يدور التفكير حول حدث مؤسس، هو هجمات 9/11، وعنصرين محددتين، تمثلا في القيم ثم المصالح، خصوصا عند التضارب، عند مستويات مختلفة: الخطاب والوثيقة الرسمية، الأهداف الإستراتيجية والمصلحة القومية، يتم التركيز في هذا المبحث، بالإضافة إلى تحليل مفاهيم القيادة والبيئة النفسية لصانع القرار: نسقا عقديا، إدراكا وتصورا، على أهمية وأولوية مؤسسة الرئاسة، ثم الهندسة الفعلية للسياسة الخارجية الأمريكية بعد 9/11 والأنساق القيمية للرؤساء الثلاثة: بوش، أوباما وترامب، مع إقحام أهم العمليات المرتبطة بالفترة المعنية، وصولا إلى تناول آفاق المسار القراري ومسار الهيمنة الأمريكية، بصفتها قطبا أوحدا أو قوة عظمى وحيدة « Hyper Power ».

المطلب الأول: القيادة، البيئة النفسية لصانع القرار وهيمنة مؤسسة الرئاسة في أمريكا

نشرع مباشرة في تبيان أهمية القيادة في صنع القرار السياسي عموما وفي صياغة وتنفيذ السياسة الخارجية خصوصا، ثم هيمنة الرئاسة الأمريكية: دستوريا وعلى مستوى الممارسة الفعلية، بوجه أخص...

الفرع الأول: القيادة، القيم والسياسة الخارجية

مثل عديد المفاهيم الاجتماعية والسياسية الأخرى، يظل تعريف القيادة محل اختلاف وتجادب بين المختصين والباحثين الأكاديميين، حيث أكد "وارن بينيس" « Warren Bennis » بأن "التحليل الأكاديمي لمصطلح القيادة أفرز أكثر من 350 تعريفا..."¹

بالفعل، لقد تعددت التعريفات وتنوعت، لتتراوح بين التركيز على عنصري التأثير والأهداف، لدى كل من "رالف ستوغديل" « ralph Stogdill » (1950)، "تانيباوم وماساريك" « Tannenbaum and Massarik » (1957)، "إيدوارد تيد" « Edward Tead »، وجل التعريفات التي جاءت بعدهم، أين أضاف "رنسيس ليكرت" « Rensis Likert » عنصر التحفيز، "بولز" « Boles » عنصر التفاعل، "غيبسون" « Gebson » عنصر الرضا، و"إيفاسيفيتش وآخرون" « Ivacevich a,d others » عنصري: الاتصال والقيمة.²

¹ فيليب أنكسون، إدارة الجودة الشاملة، ترجمة عبد الفتاح السيد النعماني، الجزء الأول، مصر، مركز الخبرات المهنية للإدارة، 1996، ص. 155.

² زهير بغول، القيادة: المفهوم والنظريات، (مخبر التطبيقات النفسية والتربوية جامعة قسنطينة 2 - 2014)، الجزائر، عين مليلة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2015، ص. 15-16.

بل إن أهمية القيم، على الرغم من محوريتها للأشخاص في عملية القيادة: تأثيراً وتنظيماً، تحفيزاً وإنجازاً؛ أي تحقيقاً للأهداف المرسومة، دفعت بعض المختصين إلى الجزم بكون القيادة "لا تعني شخصاً وإنما تعني قيماً".¹ يقول ريتشارد سنايدر: "إن قرارات السياسة الخارجية ما هي إلا محصلة للقرارات التي يتخذها الأشخاص الرسميون في الدول، وإن حركة هؤلاء وقراراتهم تتأثر بكيفية إدراكهم وتعريفهم للموقف".² و بما أن القيم تتدخل في تشكيل إدراك صانعي القرار السياسي عموماً، والخارجي خصوصاً، فإن الدراسات السيكولوجية مفيدة لتحليل الظواهر السياسية، فقد حاول أستاذ العلوم السياسية في جامعة كاليفورنيا "رايموند كارفيلد كيتيل" أن يقدم تحليلاً يعتمد على ربط وتحليل العوامل النفسية لتحليل القواعد السياسية، حيث يشرح يشرح قائلاً: "تحاول الطريقة النفسية شرح الظواهر السياسية عن طريق القوانين النفسية، وخاصة بدراستها لبواعث سلوك الإنسان، وعمل العقول في الجماعات والمنظمات، والطرق التي تؤثر على الرأي العام، وهذه الطريقة تساعد في تفسير القضايا التي تستند إليها الأحزاب السياسية، والتي تنشأ منها الخلافات العالمية".³

1- القيادة والرئاسة: في كثير من الدول، ومنها الولايات المتحدة كما سنرى، يعتبر الرئيس سيد الإجراء القراري، خاصة فيما يتعلق برسم السياسة الخارجية، لكن الباحثين يميزون بين "القيادة" « Leadership » والرئاسة « Headship »، حيث يشكل الاعتراف الرسمي مقابل الاعتراف التلقائي-الجماعي فرقا جوهرياً بينهما؛ فالرئاسة حسب فريق من الباحثين، من بينهم "سيسيل جيب" « Cecil Gibb » تقوم نتيجة لنظام رسمي وليس نتيجة لاعتراض تلقائي من طرف أعضاء الجماعة.⁴ فالقائد الحقيقي في ممارسته للسلطة السياسية يأخذ في اعتباره دوافع وحاجات أعضاء النخبة السياسية والجماهير كبشر ويعتمد في تعامله معهم بالأساس على الإقناع والافتتاح ويستهدف بلوغ الأهداف العامة للمجتمع⁵، فهو، خلافاً للرئيس الذي يستمد سلطته من خارج الجماعة التي تقبل تنفيذ أوامره خوفاً من العقاب، يعتمد أساساً على الحوافز الإيجابية، لا السلبية، في تنفيذ الأهداف مستمداً سلطته

¹ عن أحمد نوري النعيمي، أحد المختصين العراقيين. راجع: ياسر عبد الحسين، مرجع سبق ذكره، ص. 9 (تقديم أحمد نوري النعيمي).

² المرجع نفسه، ص. 31.

³ المرجع نفسه، ص. 25. لمزيد من التفصيل، يرجى مراجعة: رايموند كارفيلد كيتيل، العلوم السياسية، ج1، ترجمة:

فاضل زكي محمد، ط2، بغداد، مكتبة النهضة، 1963، ص. 8.

⁴ زهير بغول، مرجع سبق ذكره، ص. 19.

⁵ ياسر عبد الحسين، مرجع سابق، ص. 37.

من داخل الجماعة وبشكل تلقائي. ولذلك قيل: "كل قائد رئيس، وليس كل رئيس قائداً".¹ من أجل ذلك، ربط الباحثون القيادة بالكاريزما: (أنظر الشكل: ياسر عبد الحسين، ص. 54 أنموذج أنماط القيادة).

2- القيادة والسياسة الخارجية: يرى بعض الدارسين أن السياسة الخارجية هي نتائج لقوى اجتماعية، كما أنها تصنع داخل مؤسسات سياسية وإدارية ضخمة تضع قيوداً على دور القائد السياسي، فالسياسة الخارجية الأمريكية مثلاً هي محصلة للنظام الاجتماعي الأمريكي والمؤسسة الصناعية العسكرية المسيطرة على النظام السياسي، وعليه فإن المواقف السياسية المتشابهة إضافة إلى تشابه الأدوار التي يضطلع بها القادة تنتج سياسات متشابهة.²

لكن بعض المختصين، يتفق مع طرح "سنايدر" الذي يلفت النظر إلى أهمية دراسة سلوك الأشخاص الذين يمثلون الدولة، وبالتالي تحليل قيمهم وخلفياتهم لفهم تصرفاتهم، ومنهم "تشارلز هيرمان" الذي يقول: "تتألف السياسة الخارجية من تلك السلوكيات الرسمية المتميزة التي يتبعها صانعوا القرار الرسميون في الحكومة أو من يمثلونهم والتي يقصدون بها التأثير في سلوك الوحدات الدولية الخارجية".³

يتفق "باتريك مورغان" مع طرح "سنايدر" و"هيرمان"، عندما يعرف السياسة الخارجية بأنها: "التصرفات الرسمية المحددة التي يقوم بها صانعوا القرار السلطويون في الحكومة الوطنية، أو ممثلوهم بهدف التأثير في سلوك الفاعلين الدوليين الآخرين".⁴ ومنه تأتي أهمية الدراسة القيمية، حتى في تلك الدول المتميزة بدرجة عالية من التعقد المؤسساتي والتخطيط بعيد المدى لتحقيق الأهداف الإستراتيجية والمصلحة الوطنية، حيث "تلعب العناصر الذاتية والنفسية دوراً في صياغة السياسة الخارجية، كما أن المصلحة الوطنية ليس لها وجود مستقل عن إدراكات صانع السياسة الخارجية لتلك المصلحة".⁵ ومن هنا يؤكد "والتر ليبمان" « Walter Lippman » على أهمية القائد السياسي في إدارة نشاط الدولة الخارجي، حيث يؤكد على "إيجاد نوع من التوازن بين الالتزام الخارجي للدولة، والإدارة المتوفرة على مدى نقل هذا الالتزام على مستوى السلوك الخارجي".⁶

¹ زهير بغول، مرجع سابق، ص. 19.

² محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، الطبعة الثانية، بيروت، دار الجيل، 2001، ص. 372-376.

³ المرجع نفسه، ص. 9.

⁴ المرجع والصفحة.

⁵ المرجع نفسه، ص. 10.

⁶ ياسر عبد الحسين، مرجع سابق، ص. 104.

يستطيع الأنموذج القائم على تشابه الهياكل، المواقف والأدوار، تقديم تفسير لسياسات خارجية متشابهة، لكنه يعجز، برأينا، عن تقديم تفسير للاختلاف القائم على تفضيل الخيارات المتعددة، خاصة في ظل تشابه الظروف، فمن الممكن أن يمتلك القائد السياسي، بل عادة ما يملك، رؤية واضحة ومجموعة من التصورات المحددة في مجال السياسة الخارجية، لتحقيق أهداف استراتيجية تتعلق بالمصلحة الوطنية، سواء كان مهيمنا في صنع القرار؛ أي دون الرجوع إلى أفراد المؤسسة أو الوحدة، وهو ما يمثل وحدة القائد المسيطر، أو لعب دور القاضي الذي يستمع إلى وجهات النظر المختلفة ثم يختار البديل الأنسب للموقف، ضمن وحدة المستقلين، أو أبقى على الوضع الراهن وأقر السياسات المتبعة للنظام السياسي، حسب وحدة المفوضين (لاتخاذ القرار).¹

بالإضافة إلى تصنيف "ماكس فيبر" « Max Weber » لنماذج (أنماذج) القيادة السياسية (القائد التقليدي، القائد الكاريزمي والقائد الشرعي - العقلاني)، وتصنيف "غراهام أليسون" « Graham Allison » الذي قدم دراسة مهمة عن أزمة الصواريخ بكوبا، عنوانها بـ: "جوهر القرار" « Essence of Decision »، يرى "هنري كيسنجر" « Henry Kissinger » بأن معرفة الشخصية القيادية تتطلب دراسة العوامل التالية:

1- الخبرة التي يكتسبها القائد من خلال جهده للوصول إلى السلطة

2- البيئة التي نشأ فيها القائد

3- مجموعة القيم السائدة في البيئة التي يعيش فيها القائد.²

الفرع الثاني: الرئيس الأمريكي والبيئة النفسية لصانع القرار

على الرغم من منافسة الكونغرس من جهة، وارتباط السياسة الخارجية الأمريكية بأسلوب الرئيس في صنع القرار وبصفاته القيادية، إلا أن أهمية دراسة الدور الرئيس الأمريكي في صياغة السياسة الخارجية للولايات المتحدة، تتبع من كون هذا الأخير يملك صلاحيات دستورية واسعة من جهة، كما إن إمكانات الجهاز التنفيذي الضخمة وتطور مسؤوليات القوة العظمى وديناميكية العلاقات الدولية من جهة أخرى، جعلت منه فاعلا رسميا مهما، بل مهيمنا، تصب فيه عملية صنع القرار برمتها.

1- هيمنة مؤسسة الرئاسة في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية:

دستوريا: يستمد الرئيس الأمريكي سلطاته الواسعة من كونه:

¹ حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، 1973، ص. 35.

² ياسر عبد الحسين، مرجع سابق، ص. 109.

أ- القائد الأعلى للقوات المسلحة: تحت هذا العنوان، يخول الدستور للرئيس ثلاث وظائف رسمية:

* قيادة القوات والعمليات العسكرية: هذه السلطة، نادرا ما ترجمت عبر قيادة فعلية في الميدان. نذكر من بين الحالات الاستثنائية: تنظيم "جورج واشنطن" للميليشيا سنة 1794، للقضاء على تمرد الويسكي « Whisky rebellion ».

* يمكن للرئيس أن يستعمل القوة العسكرية في الحالات الاستعجالية أو حالات الدفاع المشروع عن النفس

* يمتلك الرئيس صلاحية أو سلطة إنهاء العمليات العسكرية وإمضاء اتفاقيات السلام. تخضع الاتفاقيات لمصادقة مجلس الشيوخ.

ب- رئيس الدولة: وفقا للدستور الأمريكي، فقط الرئيس أو مبعوثوه، لديهم صلاحية التفاوض مع ممثلي الحكومات الأجنبية. بعد التفاوض ثم التوقيع على اتفاقية دولية، يعرضها الرئيس على مجلس الشيوخ « Senat » من أجل المصادقة عليها « ratification ». باستثناء الرئيسين: "واشنطن" 1789 و"بولك" 1846، فضل الرؤساء توريث مجلس الشيوخ في مسار التفاوض من أجل الحصول على مصادقته. النتيجة كانت باهرة، فقد تمت المصادقة على 90% من المعاهدات.

لدى الرئيس، دستوريا، سلطة الاعتراف أو عدم الاعتراف بدولة أو بمشروعية حكومة (الاعتراف بالكيان الصهيوني سنة 1948، رفض الاعتراف بالحكومة الشيوعية في كوبا بقيادة "فيدال كاسترو" سنة 1959، الصين حتى سنة 1979، وفيتنام إلى غاية 1995).

يستطيع الرئيس ممارسة صلاحيات غير مذكورة في الدستور، مثل: وضعية الولايات المتحدة في الهيئات الدولية، التزام الحياد (مثلا بين 1914-1917) ولعب دور الوسيط في نزاعات دولية (كلينتون في إيرلندا بالشمال وفي الشرق الأوسط)...الخ.

ج- رئيس الحكومة: يمنحه الدستور صلاحيات رئيس الحكومة في مجال السياسة الخارجية، وتتمثل في فئات ثلاث:

أ- تعيين/تسريح كتاب الدولة (الوزراء)، السفراء والموظفين السامين

ب- تحديد وتوجيه السياسة الخارجية، الأمن، التجارة والهجرة، وفرض الحصار ضد بلد آخر (كينيدي ضد كوبا: 1962، ريغان ضد نيكاراغوا: 1983، جورج هربرت بوش ضد العراق: 1991، وضد يوغسلافيا سابقا: 1992...)

ج- للرئيس حق العفو عن موظفين مدانين في قضايا الاختلاس، الرشوة والابتزاز...¹

كل هذه الصلاحيات الدستورية، تضاف إليها سلطات لارسمية أوسع، مارسها الرئيس لأسباب منها: اعتراف المجموعة الدولية، ضخامة إمكانات الجهاز التنفيذي (وزارتا الدفاع والخارجية، الوكالات الأمنية، القضاء الخزانة...)، بالإضافة إلى دعم السلطة القضائية ووجوب اتخاذ قرارات سريعة أو الالتزام بطابع السرية وغيرها من الأسباب الموضوعية، جعلت من الرئيس سيد الإجراء القراري فيما يتعلق بصياغة السياسة الخارجية.

2- البيئة النفسية لصانع القرار ومكوناتها:

أما عن البيئة النفسية لصانع القرار أو القائد السياسي، خاصة في مجال القرار الخارجي، فإنها مؤثرة جدا وتلعب دورا فعالا في تشكيل قناعاته وبالتالي خياراته. نتحدث هنا بالتحديد عن الرئيس الأمريكي، الفاعل الأول، دستوريا وعمليا، في عملية صنع القرار السياسي الخارجي في الولايات المتحدة.

يدفع التعقد الشديد للبيئة صانع القرار إلى إنشاء أدوات ذاتية (بيئة ذاتية) تمكنه من فهم البيئة الواقعية ومن التصرف إزاءها، وتتمثل في مجموعة العقائد، الإدراكات، القيم والتصورات، أو ما يطلق عليه بمكونات البيئة النفسية.

أ- العقائد والنسق العقدي Belief System:

يتعامل الفرد (ومنه صانع القرار) مع بيئة معقدة بقدرات محدودة، وليتمكن من التصرف حيالها، يطور لنفسه صورا محددة عن تلك البيئة ويقوم بتبويب المعلومات الآتية منها إلى فئات معرفية، أي عقائد يفسر من خلالها تلك المعلومات، ثم من خلال تلك العملية العقدية يستطيع فهم البيئة وتحديد موقعه منها. تتميز هذه العقائد بترابطها أفقيا وعموديا، لأن الفرد لا يطور لنفسه مجموعة عشوائية من العقائد، بل ينشئ كلا متكاملًا يتسم بالترابط، أي أنه يشكل "نسقا عقديا" « Belief System ». ² هذا النسق، يساعد القائد السياسي عموما والرئيس الأمريكي خصوصا، على استيعاب المعلومات المشتتة وربطها بعضها ببعض، وخلق منطق ذاتي للظاهرة محل البحث، كما يقدم له منهاجًا للاختيار بين

¹ Charles-Philippe David et autres, op-cit, pp. 199-204.

² محمد السيد سليم، مرجع سبق ذكره، ص. 405.

البدائل، ويلعب دورا حاسما في ضبط حجم المعلومات الممكن قبولها واستيعابها أو تجاهلها أو رفضها، طبقا لمدى اتساق هذه المعلومات مع تلك العقائد.¹

يعني النسق العقدي الربط بين ظاهرة معينة أو أسلوب معين، وصفة محددة تميز تلك الظاهرة أو ذلك الأسلوب، فالعقائد تأتي في شكل مقولة صريحة أو ضمنية (وهي بذلك تختلف عن الاتجاهات Attitudes التي هي في الأساس تقويم لظاهرة معينة في شكل استعداد باطن يعبر عن المسافة العاطفية بين الشخص والظاهرة)، كأن يقول أحد صانعي القرار على سبيل الوصف: أعتقد أن الكيان الصهيوني سيقصف قطاع غزة قريبا أو إنه سيوسع المستوطنات في الضفة الغربية، أو على سبيل التقويم (التقييم): أعتقد أن هذا الكيان عدواني (في الحالة الأولى، أي القصف) أو أنه كيان استيطاني توسعي (في الحالة الثانية، أي بناء مستوطنات جديدة)، أو على سبيل التوصية (باتباع سلوك معين تجاهه): أعتقد أن الردع هو أفضل أسلوب للتعامل مع الكيان الصهيوني.²

يختار صانع القرار البديل الأنسب لسلم الأولويات الكامن في نسقه العقدي، ومن ثم "يقوم النسق العقدي للقائد السياسي بوظيفتين مهمتين في التأثير على السياسة الخارجية:

-تحديد نمط إدراكات القائد السياسي للموقف: حيث يرفض صانع القرار أو يقلل من أهمية المعلومات المتناقضة مع عقائده، ويدخل تلك المتوافقة مع معتقداته في عملية حساب الموقف، وبالتالي فهو يضغط حجم المعلومات إلى أقل حجم ممكن، وهذا هو الأثر غير المباشر للنسق العقدي أو البعد المعرفي للنسق العقدي The Cognitive element of the Belief System.

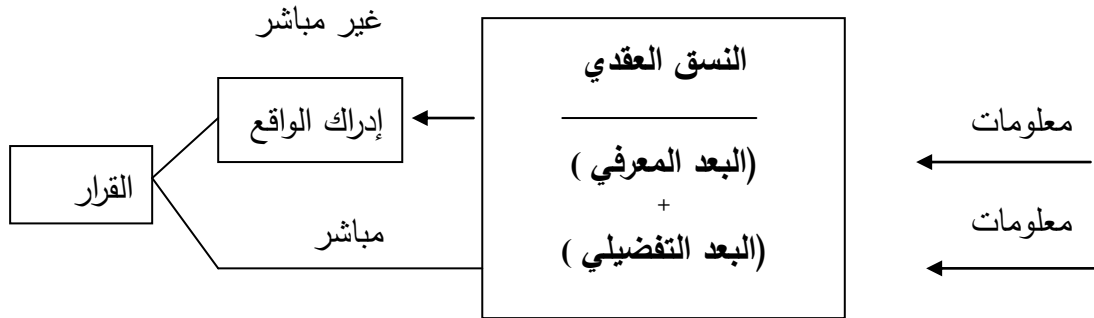
-تحديد أهداف وأولويات القائد السياسي، وبالتالي البدائل المفضلة في موقف معين. فالنسق العقدي يتضمن عقائد محددة عن البيئة الإستراتيجية، طبيعة العالم السياسي والنسق الدولي، الاساليب المثلى لاختيار الأهداف ودور القوة العسكري في تحقيق هذه الأهداف، ثم يقوم باتخاذ القرار على أساس معياري؛ أي تلك العقائد باعتبارها معيارا للاختيار، وهذا هو الأثر المباشر أو البعد التفضيلي للنسق العقدي The Affective Element of Belief System.³

¹ المرجع والصفحة، ياسر عبد الحسين، مرجع سابق، ص. 111.

² المرجع نفسه، ص. 397، فوزي حسن حسين، مرجع سابق، ص. 358.

³ المرجع نفسه، ص. 407.

في الشكل التالي، يوضح هولستي أثر البعدين: المعرفي والتفضيلي للنسق العقدي:



الشكل رقم (6) : العلاقة بين النسق العقدي والسياسة الخارجية (المرجع: محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، ط2، بيروت، دار الجيل، 2001، ص 407.

ب- الإدراك أو إدراكات صانع القرار Perception:

هو تعبير عن وعي صانع القرار بالقضايا الموضوعية المرتبطة بموقف معين، وتلعب الحوافز الخارجية (كعرض معلومات على صانع القرار) والحوافز الداخلية (كالتفكير أو التذكر) دوراً مهماً في إثارة وعي صانع القرار تجاه القضايا الموضوعية، إنه باختصار، انتقال الأفكار من حالة اللاوعي إلى حالة الوعي لدى صانع القرار...¹ ثم تأتي أهمية عنصر الزمن (الوقت المتاح لاتخاذ القرار) وسوء الإدراك (بسبب جمود النسق القيمي).²

يمثل الشكل التالي، "النموذج الوسيط للحافز-الاستجابة" « The Mediated-Stimulus Response Model »، الذي قدمته مجموعة البحث في جامعة ستانفورد، تحت إشراف الأساتذة: هولستي، تورث وبرودي.

ج- التصورات أو تصورات صانع القرار Image:

هي الانطباع الأولي والعام لصانع القرار عن موضوع معين دون تعمق في تحليل ماهية هذا الموضوع، كانطباع الرئيس رونالد ريغان عن الاتحاد السوفياتي بأنه "إمبراطورية الشر" وانطباع جورج

¹ فوزي حسن حسين، مرجع سابق، ص.358.

² محمد السيد سليم، مرجع سبق ذكره، ص ص. 419-420.

بوش الابن عن إيران، كوريا الشمالية والعراق بأنها دول شريرة وتمثل "محور الشر". تلعب "القيم" **« Values »** دورا مهما في بناء انطباع صانع القرار (الحرية، الكرامة، الديمقراطية... الخ).¹

تدفعنا دراسة البيئة النفسية لصانع القرار، إلى تحليل السياسة الخارجية لثلاثة رؤساء أمريكيين، مارسوا مهامهم بعد أحداث 9/11، عن أولوياتهم، الفواعل المحيطة بهم، الأقرب إلى اتجاهاتهم والأكثر تأثيرا في خياراتهم، وأهم العمليات التي صادفوا على تنفيذها، ومدى اتساقها مع أنساقهم العقديّة، مع قيمهم المعلنة في خطاباتهم، ووثائقهم...

المطلب الثاني: من بوش إلى أوباما: فرض قيم الإمبراطورية وحدود النزعة النيومثالية

لاحظنا من خلال التفكيك وتتبع العوامل والفواعل - الحوامل، الوثائق والخطابات، وتحليل قيم صانعي القرار ومستوى التأثير في قناعاتهم وخياراتهم، خاصة فيما يتعلق بذلك الجسم أو المنتظم العقدي Doctrinal Corpus، أو ما تم تعريفه بالنسق العقدي Belief System الذي يشكل عنصرا محددًا للبيئة النفسية للقائد السياسي عموما ولرئيس الدولة خصوصا، وللرئيس الأمريكي بوجه أخص، بأن صياغة السياسة الخارجية الأمريكية تعتمد أساسا على التحديد الدقيق للمصالح المعرفة بواسطة النقاش المستمر والضغوط لمجمل الفاعلين وتجميع مصالحهم المتضاربة، وتوظيف القيم الإنسانية والدينية لتبرير القرار وتحشيد دعم البيئة الإستراتيجية له.

يصب القرار السياسي الأمريكي عموما، والقرار الخارجي تحديدا، في مؤسسة الرئاسة، وهي الهيئة الدستورية التي تمارس التحكيم عند الاختلاف والتضارب، والتي تصدر القرارات الملزمة في شكل قوانين رسمية، ومن هنا تبرز أهميتها دستوريا وواقعا، باعتبارها الهيئة المهيمنة، عكس تطلعات الآباء المؤسسين للولايات المتحدة وإرادتهم، اللوكية - المونتسكيوية، تحجيم سلطات الرئيس والجهاز التنفيذي، لأسباب ذكر البحث أهمها على الإطلاق. كما أن الأطروحة، التي تدور حول أحداث 9/11، تهدف باستخدام التفكيك، إلى تقديم تصور أوضح وأدق لإدراكات صانع القرار الأمريكي ولأولويات الإدارات الأمريكية المتعاقبة بعد 9/11، أي إدارة كل من الرؤساء: جورج ووكر بوش، باراك أوباما ودونالد ترامب، في حالتها الانسجام والتعارض بين المصالح الوطنية والقيم المعلنة، دائما مع تقدير دقيق للقوة.

في الواقع، لدينا أشكال متباينة للقيادة، لذلك "نحن بحاجة إلى معرفة قدر من المعلومات عن مايلي:

- شخصية القائد (الرئيس) وخلفيته

¹ المرجع نفسه، ص. 424، فوزي حسن حسين، مرجع سابق، ص. 359.

- الجماعات والأفراد الذين يكون القائد مسؤولاً أمامهم (أي من يقودون القائد)

- طبيعة العلاقة بين القائد ومن يقوده

- السياق الذي تحدث فيه عملية القيادة

- ماذا يحدث عندما يتم التفاعل بين القائد وبين من يقودهم في موقف معين.¹

بالنظر إلى تجذر الإيديولوجية الرأسمالية الليبرالية، قوة الحركة الصهيونية وتغلغل المحافظة الجديدة في إطار مشروع القرن PNAC، بالإضافة إلى ضخامة المصالح التي تجمعها المركبات الكبرى (العسكرية: الصناعية، السينماتوغرافية، الاتصالية...) ومدى الإجماع الواسع على القيم التي تحملها، بجناحيها النخبويين المهمين: البروتستانتية - الأنغلوساكسونية - البيضاء المعروفة اختصاراً بـ: «WASP»، واليهودية - الأشكنازية الصهيونية. بالنظر إلى كل هذه العوامل والفواعل والحوامل، مضافاً إليها تلك الديناميكية الهائلة التي أفرزها النمط الأمريكي American Style والطابع الأمريكي American Character، فإن القيم، دينية ودنيوية، حاضرة على الدوام في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية، بشكل متلازم مع المصالح القومية المعرفة حسب السياسات التنافسية القائمة بين الحزبين المسيطرين: الجمهوري (جورج بوش ودونالد ترامب) والديمقراطي (باراك أوباما...).

الفرع الأول: جورج ووكر بوش: القوة الصلبة Hard Power وفرض قيم الإمبراطورية

من أجل اجتتاب الشعب واللاتوازن من جهة والخروج عن أهداف البحث، خاصة مع توفر أدوات تحليل متعددة ومعطيات متنوعة عن هذه الفترة بالذات من جهة ثانية، تركز الأطروحة بشكل حاسم على البعد النفسي - الديني، والعملية الاستراتيجية: الحرب الشاملة على الإرهاب GWAT، وفي سياقها: عملية شيخينا Shekhinah.

البعد النفسي - الديني:

في إطار تحليل السمات الرئيسية لشخصية جورج دبليو بوش، تضيف بعض الدراسات المختصة، فضلاً عن البعد النفسي والبعد الديني، عناصر مهمة مثل:

أ- عقدة قيادة الرؤساء السابقين: مثل أبيه هربرت بوش، والرئيس هاري ترومان الذي كان مفضلاً لديه.

¹ ياسر عبد الحسين، مرجع سبق ذكره، ص. 112.

ب- **قلّة المعرفة في شخصيته**: حيث كان لا يقرأ النص المكتوب بين يديه، ويكون بعيدا عن معاونيه، مما يظهر جليا أمام الجميع مدى افتقاده الشديد للذكاء وللنضج العام.

ج- **ضعفه في السياسة الخارجية**: فهو لم يكن يملك المقومات التي تخوله كقائد للعالم، وقد بدا هذا الضعف واضحا، بشهادة وزيرته للخارجية كوندوليزا رايس في مذكراتها، حتى قبل انتخابه كرئيس.

د- **الاستشارة العائلية المستمرة**: إذ لم يكن يبتعد قيد أنملة عن أسرته، وقد جعله فقدان الخبرة يستعين بوالده في كل الموضوعات المهمة...¹

لكن كل هذه العناصر، برأينا، تندرج ضمن البعد النفسي، كما أنها تمثل خيارا استراتيجيا مفضلا بالنسبة إلى النواة المؤثرة في قراراته، مستغلة لجميع نقاط ضعفه ومحدودية مستواه، وهي لا تخرج عن الصهيونية: إنجيلية ويهودية، أين نجد، بالإضافة إلى مراكز البحث المملوكة للمحافظين الجدد وخلصات السياسة Policy Briefs التي تقدمها له بشكل يومي، مجموعة متكاملة من المسؤولين الأقرب والأشد تأثيرا، قدم معظمهم مؤسسات اللوبي الصهيوني. ومن أهم هذه المؤسسات بالنسبة إلى الصهاينة في إدارة بوش هي التالية: اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للشؤون العامة المسماة "إيباك" (AIPAC)، ومعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى وهو نفس المعهد الذي عمل به الصهيوني "مارتن إنديك" الذي أصبح بعد ذلك من أهم مستشاري الرئيس السابق كلينتون، ومعهد المؤسسة الأمريكية والملقب "أي إي أي" (American Enterprise Institute) والمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي والملقب "جنسا" (Jinsa)، فهذه المؤسسات (Think Tanks) وغيرها تقدم لإدارة الرئيس خبراءها الصهاينة لتقرير السياسات العامة والإستراتيجية لخدمة مصالح الصهاينة. وكما فعل الرئيس كلينتون قبله، عين الرئيس بوش الابن العديد من هؤلاء الصهاينة المتطرفين لمناصب حساسة ومهمة.

والآتي لائحة بأسماء بعض أهم المسؤولين في إدارة بوش الابن:

1- **ريتشارد بيرل (Richard Perle)**: وهو مستشار بوش لشؤون الأمن القومي، وهو منذ زمن طويل، متهم بالعمالة لجهاز الاستخبارات الإسرائيلية "الموساد" منذ منتصف السبعينيات من القرن العشرين فقد طرد ريتشارد بيرل من مكتب السيناتور الأمريكي السابق "هانري جاكسون" في منتصف السبعينيات من القرن العشرين بعد اكتشاف وكالة الأمن القومي (المخابرات العليا) "أن أس أي" "NSA" أن بيرل قد سلم وثائق حكومية أمريكية سرية للغاية إلى السفارة الإسرائيلية وقد عمل بيرل في شركة "سولتام" الإسرائيلية لإنتاج الأسلحة. وأثناء إدارة الرئيس السابق "ريغان". لقب بيرل باسم أمير

¹ أنظر ياسر عبد الحسين، مرجع سبق ذكره، ص ص. 366-378.

الظلام من قبل زملائه لمكره الخبيث. ويعمل بيرل أيضا كخبير في معهد المؤسسة الأمريكية (AEI) والمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي "جنسا" وهما من مؤسسات اللوبي الصهيوني المذكورة أعلاه، كما أنه المدير التنفيذي لشركة "هولنجر Hollinger" التي تملك صحيفة "جيروسالم بوست" الإسرائيلية وصحيفة "ذي ديلي تلغراف" البريطانية وصحيفة "شيكاغو سان تايمز" الأمريكية بالإضافة إلى عدة صحف أخرى وبعد وصول بوش للحكم عين بيرل كرئيس مجلس السياسة الدفاعية في وزارة الدفاع، والمجلس هو الهيئة المكلفة برفع التوصيات لرئيس الجمهورية لإقرار الخطط العسكرية والإستراتيجية والسياسات العسكرية المستقبلية للولايات المتحدة. وبعد نشر فضيحة مالية عنه حيث قد استغل بيرل موقعه الحساس في الإدارة للمنافع التجارية الشخصية، أجبر بيرل على الاستقالة من رئاسة مجلس السياسة الدفاعية في وزارة الدفاع في 2003/03/26، لكن بقي بيرل عضوا مهما فيه.

2- **بول وولفووتز (Paul Wolfowitz)** نائب وزير الدفاع، وهو عنصر مجلس السياسة الدفاعية مع ريتشارد بيرل. وكان وولفووتز يعمل في المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي "جنسا" إحدى مؤسسات اللوبي الصهيوني المذكورة أعلاه. وهو صهيوني متطرف أيضا، وله علاقات وثيقة مع المؤسسة العسكرية الإسرائيلية كما تعيش أخته في إسرائيل حاليا.

3- **دوغلاس فيث (Douglas Feith)** نائب وزير الدفاع ورفيق بيرل أيضا. وقبل انضمامه إلى الإدارة، كان فيث يعمل في منظمة متطرفة تدعى المنظمة الصهيونية لأمريكا ، وقد مثل فيث شركات عسكرية إسرائيلية عدة في الولايات المتحدة، وكان يعمل في المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي "جنسا" إحدى مؤسسات اللوبي الصهيوني.

4- **آي لويس لبي (I. Louis Libby)** وهو رئيس موظفي نائب رئيس الجمهورية "ديك تشيني" ورفيق بول وولفووتز أيضا. وقبل انضمامه إلى الإدارة، كان "لويس لبي" المحامي الخاص للجاسوس الإسرائيلي "مارك رايبخ" الذي هرب من العدالة الأمريكية وحكم عليه غيابيا بالسجن والغرامات بسبب اختلاسه أموال المستثمرين بالباطل والتحايل على الدولة من أجل التهرب من دفع الضرائب. والمستشار لويس لبي هو السبب الرئيسي لتطرف نائب الرئيس تشيني ضد العراق.

5- **الحاخام دوف زاخيم (Dov Zakheim)** وهو نائب وزير الدفاع ومراقب الحسابات الدفاعية. ويحمل زاخام الجنسية الإسرائيلية أيضا.

6- **هنري كيسينجر (Henry Kissinger)** وزير الخارجية السابق. وهو مستشار بوش للأمن القومي كما هو عضو مجلس السياسة الدفاعية مع بيرل.

- 7- **كينيث أيدلمان (Kenneth Adelman)** وهو عضو مجلس السياسة الدفاعية مع بيرل ويعد من أقبح الصهاينة المتطرفين في إدارة بوش. وقد ترأس أيدلمان حملة التشويه ضد السعودية ومصر إضافة إلى العراق. كما تهجم على الإسلام والمسلمين علنا عبر شبكة فوكس الإخبارية التلفزيونية.
- 8- **إدوارل لوتفك (Edwarl Luttwak)** وهو عضو هيئة دراسة الأمن القومي في وزارة الدفاع. وهو يحمل الجنسية الإسرائيلية.
- 9- **رابيرت زوليك (Robert Zoellick)** وهو المندوب التجاري للإدارة ويحمل منصب وزير.
- 10- **دايفيد فرام (David Frum)** وكان الكاتب الرسمي للرئيس بوش (مؤلف خطابه) وهو صاحب مصطلح "محور الشر" حيث جمع الأكاذيب والتهم الباطلة ضد العراق من أجل تبرير الحرب ضده.
- 11- **روبيرت ساتلوف (Robert Satloff)** وهو مستشار مجلس الأمن القومي. وقبل انضمامه إلى الإدارة كان ساتلوف المدير التنفيذي لمعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى.
- 12- **إليوت إبرامز (Elliot Abrams)** وهو مستشار مجلس الأمن القومي ومنسق البيت الأبيض لشؤون الشرق الأوسط. وقبل انضمامه إلى الإدارة كان إبرامز يعمل في مركز الأخلاق والسياسة العامة، وهو إحدى مؤسسات اللوبي الصهيوني في واشنطن أيضا، ويعد إبرامز من الصهاينة المتطرفين في الإدارة.
- 13- **مارك غروسمان (Marc Grossman)** وهو نائب وزير الخارجية للشؤون السياسية ويعد من الصهاينة المتبقين من إدارة كلينتون السابقة.
- 14- **ريتشارد هاس (Richard Haass)** وهو مدير مكتب تخطيط السياسة في وزارة الخارجية كما هو عضو مجموعة دراسة الأمن القومي في وزارة الدفاع، وهو أيضا يحمل رتبة سفير. وكان هاس عضو مجلس الأمن القومي أثناء إدارة الرئيس بوش الأب، وهو من الصهاينة المتطرفين في الإدارة.
- 15- **آري فلايشر (Ari Fleischer)** كان وزير الصحافة أي الناطق الرسمي للبيت الأبيض. وفلايشر ينتمي إلى طائفة يهودية قبلية تدعى "خسيديم خباد لوبافيتش" والتي تعتبر من الطوائف اليهودية القبلية المتزمتة والعنصرية. وكان فلايشر أحد رؤساء المؤتمر اليهودي للخباد في العاصمة واشنطن واستلم جائزة القيادة من منظمة أصدقاء لوبافيتش الأمريكيين في تشرين الأول/ أكتوبر 2001.

16- **جيمس شلسينجر (James Shelesinger)** وهو عضو مجلس السياسة الدفاعية في وزارة الدفاع كما أنه عضو مجموعة دراسة الأمن القومي في وزارة الدفاع.

17- **جاشوا بولتن (Joshua Bolten)** وهو نائب رئيس موظفي البيت الأبيض، وكان يعمل سابقا في مصرف كما هو معروف في الجالية اليهودية.

18- **جون بولتن (John Bolton)** وهو نائب وزير الخارجية لشؤون حد إنتشار الأسلحة والأمن الدولي. وكان هذا الصهيوني يعمل في معهد المؤسسة الأمريكية (AEI) إحدى مؤسسات اللوبي الصهيوني المذكورة أعلاه. وقد اتهم جون بولتن سوريا مؤخرا في تشرين الأول / أكتوبر 2002 بأنها لها برنامج نووي، يمثل حاليا الولايات المتحدة في منظمة الأمم المتحدة (ONU).

19- **ديفيد ورمزر (David Wurmser)** وهو المساعد الخاص لنائب وزير الخارجية لشؤون حد انتشار الأسلحة والأمن الدولي جون بولتن، وقد عمل ورمزر سابقا في معهد المؤسسة الأمريكية (AEI) الصهيوني مع بيرل وجون بولتن. وتعمل زوجته "ميراف ورمزر" مع العقيد الإسرائيلي "إيغال كارمون" في معهد البحث الإعلامي الشرق أوسطي (MEMRI) في واشنطن وهو إحدى مؤسسات اللوبي الصهيوني الذي يتخصص في ترجمة الصحافة ووسائل الإعلام العربية الأخرى إلى الإنجليزية لغرض تشويه سمعة العرب والمسلمين.

20- **إليوت كوهين (Eliot Kohen)** وهو عضو مجلس السياسة الدفاعية في البنتاغون وبعد من الصهاينة المتطرفين في إدارة بوش حيث تهجم على الإسلام والمسلمين علنا في إحدى كبرى الصحف الأمريكية "ذي وول ستريت جنرال" حيث دعا لمحاربة الإسلام علنا بدلا من محاربة الإرهاب.

21- **مال سيمبلر (Mel Sembler)** وهو رئيس مصرف التصدير والاستيراد للولايات المتحدة.

22- **مايكل شرتوف (Michael Chertoff)** وهو مساعد وزير العدل في قسم الجنايات في الوزارة.

23- **ستيف غولدسميث (Steve Goldsmith)** وهو مستشار خاص للرئيس بوش في الشؤون الداخلية. ويعمل كمنسق في مكتب البيت الأبيض للمبادرات الإيمانية والإقليمية داخل المكتب التنفيذي للرئيس. ويقوم بزيارات عدة إلى إسرائيل حيث أنه صديق مقرب للعمدة السابق لمدينة القدس المحتلة إيهود أولميرت وهو وزير سابق في الحكومة الإسرائيلية، ويشغل حاليا منصب رئيس الوزراء خلفا لشارون.

24- آدم غولدمان (Adam Goldman) وهو وسيط (مبعوث) البيت الأبيض الخاص للجالية اليهودية. لا تتمتع أية جالية أو أقلية أخرى في أمريكا بهذا النوع من الوساطة أو الاتصال المباشر بالبيت الأبيض.

25- جوزيف غلدنغورن (Joseph Gildengorn) وهو وسيط (مبعوث) حملة بوش الانتخابية الخاص للجالية اليهودية. وكان غولدنغورن رئيس اللجنة التمويلية لحملة بوش الانتخابية.

26- كريستوفر غيرستن (Cristopher Gersten) وهو النائب الرئيسي لوزير الصحة والخدمات الإنسانية. وكان المدير التنفيذي للائتلاف اليهودي الجمهوري وهو زوج وزيرة العمل "لندا شافيز" وهما يريان أولادهما كيهود متدينين.

27- مارك واينبرغر (Mark Weinberger) وهو نائب وزير الخزانة مكلف بسياسة الضرائب.

28- صاموئيل بودمن (Samuel Bodman) وهو نائب وزير التجارة.

29- باني كوهن (Bonnei Kohen) وهي نائبة وزير الخارجية في قسم الإدارة.

30- روث ديفس (Ruth Davis) وهي مديرة معهد الخدمة الخارجية التابع لمكتب نائبة وزير الخارجية في قسم الإدارة باني كوهين. وهذا المعهد مسؤول عن تدريب الموظفين في وزارة الخارجية بما فيهم السفراء.

31- لنكون بلومفيلد (Lincoln Bloomfield) وهو نائب وزير الخارجية للشؤون العسكرية السياسية.

32- جاي ليفكowitz (Jay Lefkowitz) وهو المستشار القانوني العام لمكتب الموازنة والإدارة للبيت الأبيض.

33- كن ملمان (Ken Melman) وهو المدير السياسي للبيت الأبيض.

34- براد بلايكمان (Brad Blakeman) وهو مدير جدول الأعمال للبيت الأبيض.

35- آلن غرينسبان (Alan Greenspan) وهو رئيس مجلس الاحتياط الإتحادي (المصرف المركزي).

وحسب صحيفة جيروسالم بوست الإسرائيلية في عددها الصادر في 2000/12/08 فإنه حتى وزير الخارجية (السابق) ،كولن باول، هو من أصل يهودي، فقالت الصحيفة أن باول ينحدر من أصل يهودي عن طريق جده من جزيرة جمايكا، وأضافت الصحيفة أن باول تربي في منطقة يهودية في نيويورك وبأنه لا يزال يتحدث اللغة اليديشية (أو اليديش) بطلاقة وهي لغة يهود الآشكينايزم (الغربيين)، وهي خليط من العبرية السلافية والألمانية⁽¹⁾.

تمكنت هذه المجموعة، التي شكلت نواة إدارة جورج ووكر بوش، والمدار الأقرب إليه، من استغلال تدينه وإيمانه بالحديث بالعهد القديم. إن نزهة بوش الشهيرة على شاطئ كينيديكورت مع الكاهن ببلي غراهام التي جرت عام 1985، وسأله فيها إن كان "مع الله تماما"؛ وبعد أقل من عقد من السنوات أصبح الممتنع عن شرب الكحول، حاكم تكساس المحافظ المليونير، والأكثر تدينا من والديه أو أي من أقرائه. ومع حلول عام 1999، كان مرتاحا بشكل كاف في روحانيته المكتشفة حديثا، كي يكتب في مذكراته بشأن حملته الانتخابية "العهد التي يجب الحفاظ عليها" - وهو عنوان مأخوذ من اسم لوحة علقها في مكتب حاكم تكساس لأنها تذكره بأننا "تطيع الواحد الأعظم منا" - وعيسى المسيح هو "صاحب الخطة المقدسة التي تتفوق على الخطط البشرية"⁽²⁾.

فبتأثير مزدوج من مشروع القرن PNAC، وجل الموقعين عليه يحيطون بالرئيس، من جهة، ومرحلة الطفولة، حيث تعرض لضعف مستمر حاول إخفائه ولتعنيف والدته، من جهة ثانية، "رأى جورج دبليو بوش، أن القوة وجدت لكي تستعمل وإلا فلن يعود لها أي قيمة، حتى ولو أدى استخدامها إلى إبادة شعوب بأكملها، باستخدام حتى السلاح النووي، وتحقيق الدمار الشامل، ومن ثم إبادة ملايين البشر."⁽³⁾

نقسم الاصولية الدينية العالم إلى خير مطلق وشر مطلق، "رافضا التفسيرات المجازية للإنجيل لصالح نهج جامد، ذي التفسير الحرفي الذي لا يترك مجالا للأسئلة. النظرة للذات هي مبسطة بشكل مشابه. وكما أن التعليمات الأصولية الخلاقة تنكر التاريخ، فإن المفهوم الأصولي للتحول أو الانبعاث يشجع الإنسان الأصولي كي يرى ذاته وهو منفصل عن التاريخ. إن دفاع جورج دبليو بوش المراوغ والأنانى عن حياته قبل ولادته الثانية تعرض هذه النزعة بالذات"⁽⁴⁾. فقد تحول من مدمن غير مهتم بالدين، إلى

¹ المرجع نفسه، ص ص 133 - 137.

² جوستن أ. فرانك، بوش تحت المجهر - الرئيس على أريكة التحليل النفسي، ترجمة سعيد الحسنية، الطبعة الأولى، بيروت، دار العربية للعلوم، 2005، ص. 71.

³ مجدي كامل، ثورة أوباما الأمريكية - ذهبت السكره وجاءت الفكرة هل يصدق أم يصيح رئيسا أبيض في جلد

أسود، دمشق-القاهرة، دار الكتاب العربي، 2008، ص. 201.

⁴ جوستن أ. فرانك، مرجع سبق ذكره، ص. 75.

أصولي متطرف مؤمن بفكرة العودة الثانية للمسيح ليحكم العالم ألف سنة سعيدة، ويعتقد "باليمين المسيحي الصهيوني المناهض للإسلام، وبأنه مبعوث السماء حتى يحقق لهذا اليمين شروط عودة السيد المسيح إلى الأرض ومنها أطلق نظريته في الضربة الاستباقية".¹

فبعد وصول اليمين الأمريكي بجناحيه (الجديدين): المحافظين الجدد (Neo-conservatives) الذين سعوا إلى فرض القيم الأمريكية باستعمال قوة الإمبراطورية على العالم، واليمين المسيحي الجديد (New Christian Right) وبالنظر إلى كون جورج دبليو بوش من الأتباع المخلصين لليمين الأمريكي، كونه ينتمي إلى الكنيسة الميثودية (المنهجية) Methodist، فإنه كان يرى بأن إدارته "معنية بتطبيق إيديولوجية اليمين الأمريكي ومواصلة التوسع الإمبراطوري وذلك باحتكار الثروات، وبالحملات العسكرية الرادعة، وبالتبشير الديني، كما هو موضح بالشكل (ياسر عبد الحسين ص. 360).²

1- العمليات Processes والبعدان: الجيو-حضاري والجيو-اقتصادي:

يركز البحث في هذه المرحلة على عمليتين استراتيجيتين: عملية الحرية من أجل العراق وعملية شيخينا ...Shekhinah

أ- عملية الحرية من أجل العراق:

تم إدراج الغزو الأمريكي - البريطاني للعراق تحت العنوان الدعائي: "عملية تحرير العراق" أو "عملية الحرية من أجل العراق"، ضمن عنوان أكبر، أو بشكل أدق، عملية أشمل، أطلق عليها: "الحرب الشاملة ضد الإرهاب" « Global War Against Terrorism » والمعروفة اختصاراً ب: « GWAT ».

فحسب وسائل الإعلام والوثائق الصادرة عن تقارير رسمية ودراسات أكاديمية أمريكية، أو تلك التي تستقي منها، شكل الإرهاب الدولي تهديداً لمصالح الولايات المتحدة وأمنها، خاصة في سنوات التسعين من القرن العشرين، حيث استهدف قبل 11 سبتمبر 2001 (9/11) "تصف الهجمات الإرهابية تقريبا مصالح أمريكية لكن خارج الإقليم الأمريكي".³ منها ثلاث عمليات إرهابية رئيسية هي: محاولة تفجير مركز التجارة العالمي (فيفري 1993)، تفجير سفارتي الولايات المتحدة في تنزانيا وكينيا (أوت 1998)

¹ ياسر عبد الحسين، مرجع سابق، ص. 358.

² المرجع نفسه، ص. 359-360.

³ جاك فونتنال، العولمة الاقتصادية والأمن الدولي مدخل إلى الجيواقتصاد، ترجمة محمود براهم، الطبعة الثانية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص. 77.

وهجمات نيويورك وواشنطن (11 سبتمبر 2001)، وفي هذه العمليات الثلاث، ظل عدد الضحايا وحجم الدمار يزداد بصورة طردية حتى وصل إلى ذروته في هجمات نيويورك وواشنطن، بل إن عدد الضحايا زاد عن ضحايا الكثير من الحروب التقليدية التي خاضتها الولايات المتحدة، وهو ما دفع بظاهرة الإرهاب إلى مستوى نوعي جديد. "فقد نشرت كتابة الدولة الأمريكية في أبريل 2001 تقريرا عن سلوك الإرهاب العالمي أورد أن قتلى الإرهاب في العالم قد بلغوا 233 قتيلا و405 قتلى على التوالي سنتي 1999 و2000 أساسا في آسيا والشرق الأوسط".¹

أما عن تكلفة التدمير الذي ألحقته هجمات 9/11 بأمريكا، فقد دمر الهجوم، حسب مجموعة الاستشراف ماكرواقتصادي أدفايزر Macroeconomic Adviser ما قيمته 13 مليار دولار من رأس المال العام والخاص، بالإضافة إلى الدمار الذي لحق البنتاغون والطرق والعقارات الأخرى وتكلفة عمليات الإغاثة ورفع الأنقاض، وحصول أولياء كل شخص متوفى على 1.65 مليون دولار، أي 6 مليار دولار، كتعويض مقترح من الحكومة الفدرالية، وإجمالا قدرت شركات التأمين التكلفة الكلية للعمليات الإرهابية بـ 40 مليار دولار، كما أن التكاليف المالية الناجمة عن توقف النشاطات المالية لمدة ثلاثة أيام مفتوحة خص تدفقا ماليا يقارب 2000 مليار، فقد قدرت بـ 10 مليار دولار، وكلف توقف الرحلات الجوية في كامل الولايات المتحدة لأزيد من يوم على الأقل مليار دولار، وبإضافة الطائرات المحطمة، فإن العملية الإرهابية أدت إلى خسارة ما يقارب 30 مليار دولار ناتجة عن أضرار مباشرة، أي ما يوازي النفقات العسكرية السنوية لفرنسا.² دون إغفال آلاف الأرواح التي أزهقت.

لا تقتصر أهمية وخطورة الإرهاب الدولي على ما يمثله من تهديد جديد جزئيا للأمن الدولي، ولكن أيضا على ما استثاره من ردود أفعال من جانب الولايات المتحدة والقوى الدولية الأخرى، والتي لم تقتصر فقط على شن حملة دولية واسعة بقيادة الولايات المتحدة ضد الإرهاب، ولكنها وصلت إلى تبني الرئيس الأمريكي جورج وولكر بوش لموقف يقوم على أن "وقف الإرهاب ومحاسبة الدول التي ترعاه أصبحت التركيز الرئيسي للإدارة الأمريكية"⁽³⁾.

يبرز الجدول التالي أهم التكاليف الناجمة عن هجمات 9/11 والمقدرة من قبل عدة هيئات عمومية وخاصة، بالنسبة إلى مدينة نيويورك. (جاك فونتانا: ص ص 95-96).

¹ المرجع نفسه، ص. 78.

² المرجع نفسه، ص ص 90-92.

³ أحمد إبراهيم محمود، (الإرهاب الجديد: الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية)، ملف السياسة الدولية، عدد 147، جانفي/يناير 2002، ص 45.

في سياق حديثها عن الحرب الشاملة على الإرهاب الهيجي، الدامي، اللاإنساني، المدمر، قامت الآلة الدعائية الأمريكية الضخمة بتوجيه الرأي العام الأمريكي والرأي العام العالمي إلى الحرب الانتقامية على حكومة طالبان التي تؤوي بن لادن، المتهم الرئيسي، ثم قامت باحتلال أفغانستان، حيث نجحت الإدارة في حشد تأييد داخلي، شعبي ومؤسستي، وخارجي دولي وأمني، غير مسبوق، لكنها ركزت فجأة على العراق والرئيس العراقي صدام حسين، ساعية إلى إقناع العالم بارتباط النظام العراقي العلماني بمنظمة القاعدة الإرهابية، وعندما لم تجد الصدى المرجو، أثارت قضية أسلحة الدمار الشامل، وعدوانية صدام حسين الذي منهجت عملية شيطنته، ومع ذلك لم تتمكن من حشد التأييد اللازم، خصوصاً على مستوى مجلس الأمن، فأصرت على العمل العدواني الانفرادي، وقامت بغزو العراق سنة 2003، محاولة إخفاء الأهداف الحقيقية، واستخدام القيم الإنسانية: حرية وديمقراطية وتنمية اقتصادية ومحاربة الدكتاتورية، مروجة في الوقت ذاته لمقولة الاستجابة لمطلب الشعب العراقي.

أدى غزو العراق وإسقاط صدام حسين إلى عواقب إنسانية واقتصادية مدمرة، حيث قدرت التكلفة الإنسانية بأزيد من مليون قتيل ومصاب وملايين المشردين، و قدرت التكلفة المادية بتريليونات الدولارات.¹ ورغم ذلك، لم يوجد أي أثر لأسلحة دمار شامل، بل لقد اتضح بأن قرار الحرب كان قد تم اتخاذه قبل شنها رسمياً، في سلسلة من العمليات التي أطلق عليها بعض الخبراء وعلى رأسهم "مايكل كليبر" بالتدمير المنهجي للعراق، منذ 1991.

فحتى قبل تكليف بعض السياسيين الأمريكيين بتكرار الأكاذيب بكفالة المخابرات المركزية CIA حول أسلحة الدمار الشامل لتبرير الغزو،² وبينما كان العالم بأسره منشغلاً بالحرب على أفغانستان، ترأس جورج وولكر بوش جلسة التخطيط الحربي السرية الرئيسية الأولى حول حرب العراق في مقاطعة كراوفورد بولاية تكساس، مباشرة بعد هجمات 9/11؛ أي يوم 28 كانون الأول / ديسمبر 2001، بحضور كبار قادته العسكريين، وقد صرح "تومي فرانكس" قائد القوات الأمريكية الوسطى «Centcom» آنذاك "لقد بدأنا".³

¹ الغزو -الأميركي- للعراق-مبررات- /2016/12/23/ <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/military/>

واهية-ونناج-كارثية

² Yvonnik denoel, **le livre noir de la CIA**, Traduit par Laure Motet et Judith Strauser, Nouveau monde Editions, PP 345-362.

³ بوب وودورد، **خطة الهجوم**، ترجمة فاض جنكر، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة العبيكان، 2004، ص. 321.

تثير الجوانب الإستراتيجية والسياسية نقاشاً أكاديمياً بشكل محتدم لكن مفيد. يستند رفض بعض الباحثين المختصين، أمريكيين وغربيين، وعلى رأسهم "فرانك هارفي"، لـ"حرب بوش والمحافظين الجدد"، أو مختصرها: "حرب المحافظين الجدد"، إلى عناصر تحليلية مهمة، بل ضرورية لتقديم مجموعة من التفسيرات القريبة من الحقيقة فيما يتعلق بالحرب على العراق، محذرين مما اعتبروه "اعتماداً حصرياً على التفسيرات المبسطة التي تضخم من أثر الاستعدادات النفسية لدى قادة بعينهم".¹ فنظرية حرب المحافظين الجدد، بوصفها الرواية السائدة التي تفسر الغزو الأمريكي، وهذا يؤكد أساساً تنبؤ روبرت كاغان (Kagan 2008a) في عام 2008 بأنها ستصبح الرواية المعتمدة في كتب التاريخ، بتأكيداها على أن حرب العراق كانت حرباً اختارتها الولايات المتحدة ولم تضطرها إليها الظروف؛ كونها نتاجاً للانحياز السياسي والأولويات المضللة والخداع المتعمد والاستراتيجيات الكبرى للرئيس جورج بوش الابن وكبار "المحافظين الجدد" و"الأحاديين" و"دعاة الحرب" في فريق الأمن القومي التابع له... هذه النظرية تستبعد، بالنسبة لهؤلاء النقاد، الكثير من العوامل المتغيرة المستقلة الأخرى التي يحتمل أن تكون مفيدة، أو تقلل من شأنهم، وهي التي قد تعني فهمنا لما حدث فعلاً؛ مثل: إخفاقات الاستخبارات، والسياسات البيروقراطية، والتفكير الجمعي، ومخاوف الرأي العام وآرائه في أعقاب هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، ودور الإعلام وتغطيته أزمة العراق بشكل عام، واللعبة السياسية الداخلية، ودعم الكونغرس للحرب، والتعاون الأمريكي - البريطاني، والعلاقات والانقسامات السياسية داخل تحالف الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي، وفشل أنظمة التنقيش، وإخفاق المؤسسات (الأمم المتحدة)، والتهديدات المتصورة والتصورات الخاطئة لدى صدام حسين، وغيرها.² فمن حيث الأساس، لا تُدرس نظريات حرب المحافظين الجدد عن مؤسسات الاستخبارات والبيروقراطيات والسياسة الداخلية وجماعات المصالح والرأي العام أو التصورات الخاطئة لصدام بوصفها متغيرات مستقلة (سببية) تساعد في تفسير الحرب، بل يُنظر إليها على أنها متغيرات تابعة (نتائج) تُفسر بالرجوع إلى التأثير القوي للمحافظين الجدد والأحاديين والمسيحيين الإنجليكانيين الواقعيين المنكبين على صياغة السياسة الخارجية الأمريكية والتحكم فيها وتوجيهها نحو هدف غزو العراق. وقد تلاعب هؤلاء المنظرون بالشعب والمؤسسات والأجهزة البيروقراطية والرأي العام والحلفاء (توني بليز) لتسهيل تنفيذ استراتيجيتهم الكبرى.

لقد لجأ منتقدوا فرضيات القيادة والبيئة النفسية والقيم والنسق العقدي في تفسير الغزو الأمريكي للعراق على فرضية حرب غور، وهو المنافس الديمقراطي لجورج بوش الابن في الانتخابات الرئاسية التي

¹ فرانك هارفي، تفسير حرب العراق - نظرية افتراضية وتفسير منطقي مع الأدلة، الطبعة الأولى، مركز الإمارات

للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014، ص. 11.

² المرجع نفسه، ص. 7-11.

جرت سنة 2000؛ أي أنه حتى لو فاز منافس بوش بعهدة رئاسية، فإنه سيغزو العراق وبالتالي فإن الحرب ليست حرب بوش ولا حرب كريستول والمحافظين الجدد.

يناقش البحث فرضيات الناقدين، بأنها، رغم كونها مفيدة جدا في دراسات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وبحوث الإستراتيجية والسياسة الخارجية، فإنها:

- اعتمدت على متغيرات كثيرة يصعب التحكم فيها من جهة وبعضها مشكوك في صحته من جهة ثانية؛

- تستند أساسا على وقائع افتراضية غير قابلة للملاحظة؛ أي افتراض غور رئيسا بدلا من بوش، وهو ما لم يتحقق؛

- تهمل متغير القيم، وهو أساس الدراسة، متلازما مع المصالح التي حظيت باهتمام مبكر؛

- لجأت، لاشعوريا، على تحليل البعد القيمي، مع افتراض غور فائزا في الانتخابات ومعلنا للحرب على العراق، كما إن اللجوء إلى الإجماع العالمي ضد أسلحة الدمار الشامل، لا معنى له بالنظر إلى انعدام أي إثبات أيا كان شكله أو وزنه، بأن العراق كان يسعى إلى امتلاك أو يمتلك بالفعل أسلحة من هذا الصنف المحرم دوليا.

بناء على هذه الخلاصة النقدية لناقدي الاعتماد على البيئة النفسية وتوظيف القيم، في تفسير صياغة السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العراق تحديدا، يواصل البحث عملية التفكيك، عبر التعمق أكثر لاكتشاف العمليات التي لا تُكشف في وسائل الإعلام، بل يتم التستر عليها واعتماد أساليب التمويه من أجل التغطية عليها لأطول مدة ممكنة، من أجل إخفاء مصالح الكيان الصهيوني والدور الذي يلعبه الصهاينة داخل المؤسسات الأمريكية.

إن التصريح التالي "لمايكل ليند" (Michael Lind) من مؤسسة "New America Foundation" ومدير مشروعها: "الاستراتيجية الأمريكية" يكشف النقاب عن الرجال اللذين صنعوا سياسة بوش الخارجية وحربه على العراق:

"نتيجة لعدد من المصادفات الغريبة وغير المتوقعة، مثل اختيار جورج بوش بدلا من انتخابه للرئاسة وأحداث 11 أيلول/سبتمبر، فإن السياسة الخارجية للقوة العظمى صُنعت من قبل ثلة لا تمثل سكان الولايات المتحدة أو التيار السائد في مؤسسة السياسة الخارجية.... فلمعظم مثقفي المحافظين الجدد في وزارة الدفاع جذور في اليسار، وليس في اليمين وهم في معظمهم من اليهود الأمريكيين المنتمين

إلى حركة الثلاثينيات والأربعينيات التروتسكية التي تحولت إلى ليبرالية معادية للشيوعية بين الخمسينيات والسبعينيات، ثم أصبحت أخيراً شكلاً يمينياً ذا نزعة إمبراطورية عسكرية لا سابقة لها في تاريخ الثقافة السياسية الأمريكية¹.

لقد كشفت جوقة المحافظين الجدد المحيطة ببوش عن نفسها علناً ما سمي بـ: "توضيح حول حرب العراق مع فنجان قهوة سوداء"² عقد في " American Enterprise Institute " خلال ذلك، سخر ريتشارد بيرل وزميله وليم كريستول (رئيس تحرير Weekly Standard الناطقة باسم المحافظين الجدد) من الأمم المتحدة، فبينما قال كريستول: "إنها ليست أمراً ذا بال"، رأى بيرل أن: "زمنها قد ولى" كمؤسسة أمنية، ولكنها قد تنفع في قضايا مثل الصحة والسلام. وفي مقالة نشرت في الصحيفة الإسرائيلية هآرتس، قال آري شافيت، مفترضاً أنه لو أبعد عن واشنطن هؤلاء المحافظون الجدد الخمسة والعشرون قبل سنة إلى صحراء، فإنه لن يكون هناك حرب على العراق.

وكتب: " في غضون السنة الماضية، ظهر اعتقاد جديد في البلد (واشنطن) بضرورة الحرب على العراق، وقد تم التبشير بهذا الإيمان المتعصب من قبل 25 - 30 من المحافظين الجدد، معظمهم يهود، ومعظمهم من المنقذين... تقوم دعاويهم الفلسفية على كتابات مكيافيللي، وهوبز وإدموندبورك وهم أيضاً من المولعين بونستون تشرشل وبالسياسة التي انتهجها رونالد ريغان وقد نزعوا إلى قراءة الواقع من خلال فشل الثلاثينيات (في ميونيخ) مقابل نجاح الثمانينات (سقوط جدار برلين)³. كانت إسرائيل تحض على غزو العراق لتحقيق ما عجزت عن تحقيقه في الأعوام 1948، 1956، 1967، 1978، 1982، وخلال سنوات أوصلو السبع، فالحرب على العراق تشكل استراتيجية إسرائيلية لما بعد أوصلو⁴.

إنها حرب الصقور المدنيين في البنتاغون وحلفائهم في عدد من مراكز الدراسات (مراكز صنع القرار) اليمينية والمناصرة لإسرائيل، مثل "هدسون إنستيتوتون" (Hudson Institute) و " American Enterprise Institute"، و "Jewish Institute For National Security" (JINSA)، وغيرها⁵.

¹ Michael Lind, (The Weird Men behind George W. Bush's War), New States man, 7April 2003, p 18.

² Guy Dinmare, (Ideologues Reshape World over Breakfast), Financial Times, 22/03/2003, P. A1

³ Ari Shavit, (White Man's Burden), Haaretz, 4/4/2003, p 07.

⁴ Naseer Aruri, (Remapping the Middle East : Whose war is it this time?) Counter punch, 28 October 2002, (<http://www.counterpunch.org/aruri1028.html> -39k).

⁵ نصير عاروري، حروب جورج دبليو بوش "الوقائية" بين مركزية الخوف وعولمة إرهاب الدولة، سلسلة كتب المستقبل العربي:-العراق: الغزو - الاحتلال-المقاومة، بيروت، ط2، جويلية/ يوليو 2004، ص 83.

بل إن "إريك مارغوليس" (معلق السياسة الخارجية في صحيفة Toronto Sun) عزا الحرب إلى الليكود مباشرة، منوها بتقارب آرائه مع آراء المحافظين الجدد في أمريكا: "إنني أرى أن إسرائيل قد لعبت عبر المحافظين الجدد في الولايات المتحدة دورا رئيسيا في هندسة الحرب.... إنهم لا ينطقون باسم كل الإسرائيليين، وإنما ينطقون باسم حزب الليكود والعناصر الأكثر تطرفا في إسرائيل، تذكروا أن المحافظين الجدد جميعا كانوا متفقين في القول بأن بغداد هي الخطوة الأولى، وإن إيران بعدها، ثم إن الجنرال شارون في اليوم التالي لدخول الجيش الأمريكي بغداد قال إن عليها أن ترحف إلى طهران، إن الإسرائيليين يعرفون تماما أن العراق لا يشكل في المرحلة الحالية تهديدا كبيرا لهم، بل ربما أصبح تهديدا إذا سمح له أن يتطور، وإنني أعتقد أن إيران هي هدفهم الرئيسي"¹.

ظل دور إسرائيل في غزو العراق بعيدا عن النقاش العام، باعتبار أن كثيرا من أساطين وسائل الإعلام أحجموا عن التعرض له، وقد وصف ميخائيل كنسلي من مجلة "سلايت" (Slate) هذا الصمت وصفا مناسباً فقال: "مثل عدم مناقشة الدور الإسرائيلي كالمثل الشهير عن ذلك الفيل في الغرفة: يراه الكل ولكن لا يذكره أي واحد منهم"².

رغم ذلك، يبرز بعض الصهاينة الأمريكيين الرسميين مساهمة إسرائيل غير المعلنة في "حلف الراغبين"، "إن حليفنا المقتدر (إسرائيل) لم يكتف بأن زودنا بأسلحة نستخدمها في العراق، بما في ذلك بيلدوزيرات مصفحة وطائرات من دون طيار من صنعهم، بل أنهم ساعدونا في تدريب رجال المارينز على حرب المدن، وفي قيامهم بمهام مسح سرية في صحراء العراق الغربية، وسماحهم للولايات المتحدة بأن تضع معدات حربية داخل حدودهم، كذلك فقد طلبنا نصيحة الإسرائيليين بخصوص اكتشاف مهاجم انتحاري وهو في طريقه للهجوم، وكيف نتعامل مع الحواجز والمتاريس ونتغلب على الانتحاري"³.

لم يعد سرا أن زعماء الدعوة إلى الحرب في الولايات المتحدة هم من أعز أصدقاء إسرائيل والمساعدين المقربين إلى قادتها العسكريين والسياسيين، وتضم القائمة من بين ما تضم: ريتشارد بيرل، الرئيس السابق لمجلس المستشارين في وزارة الدفاع (البنتاغون) Defense Advisory Board، والزميل في "الأمريكان أنتريرايز أنستيتوتوت" AEI، وكما تضم صديقه الحميم وحليفه السياسي دايفيد وورمسر، من "هدسون أنستيتوتوت" Hudson Institute. إن زوجة وورمسر ميراف (Meyref) هي التي شاركت الكولونيل "بيغال كارسون" (من الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية سابقا) في تأسيس معهد الدراسات الإعلامية للشرق الأوسط (=MEMRI = Middel East Media Research Institute) الذي

¹ Lou Morano, « Voice of Dissent : Eric Margolis, » United Press International (UPI), 25.03.2003, (<http://www.upi.com/view.cfm?storyID=20030325-015143-7876r>).

² Sbite (24 October 2003), (<http://www.state.msn.com/id/2073093>).

³ Steven Zak, "Matter of Honor," **Jewish World Review** 1 May 2003, p 08 .

يقوم بترجمة وتوزيع مقالات مختصة في التهجم على العرب، وإضافة إلى بول وولفويتز (مساعد وزير الدفاع)، هناك دوغلاس فايت (أحد مساعدي الرئيس بوش الذين يحرضون على الحرب) ولويس سكوتر لبي (أحد مساعدي وزير الدفاع)، وميخائيل رومبين رئيس موظفي مكتب نائب الرئيس ديك تشيني، المختص بالعراق وأفغانستان، وكان قبل فترة وجيزة يعمل مع إحدى قوى الضغط الإسرائيلية (The Washington Institute for the Near East Policy) وغيرهم ممن يضيق المجال بذكرهم¹.

ولقد كتب الكثير عن الدور الخارق الذي قام به هؤلاء الصقور في رسم السياسة الخارجية للرئيس بوش وعن ارتباطهم بالجالية اليهودية الأمريكية، مما أدى إلى اتهام بعض من كتبوا عن ذلك بمعاداة السامية (لنتذكر وولت وميرشايمرو كتابهما عن اللوي).

وكان باتريك بوكنان (Patrick Buchanan)، وهو أحد المستهدفين بهذه الاتهامات قد كتب ردا شافيا اتهم فيه عصابة المحافظين الجدد بأنهم دفعوا بهذه الأمة إلى حرب غير لازمة، وأثار الإشكالية: إنها "حرب من؟"².

ووفقا لبوكنان، فإنه حتى مجلة "نيو ريبوبليك" اليمينية المناصرة لإسرائيل (والتي لا يمكن اتهامها بمعاداة السامية)، لم تتردد في أن تنشر تحليلا لأستاذ في هارفارد هو "ستانلي هوفمن" واسما عصابة المحافظين الجدد بأنهم يشكلون "مركز السلطة الرابعة" في واشنطن قائلا: "وأخيرا، فإن مجموعة سائبة من أصدقاء إسرائيل تؤمن بتماهي المصالح بين الدولة اليهودية والولايات المتحدة، هؤلاء المحللون ينظرون إلى السياسة الخارجية بمنظار وحيد الاهتمام: هل هو مفيد أو ضار لإسرائيل؟ إن رائحة هؤلاء المفكرين في وزارة الخارجية لم تكن عطرة، وذلك منذ تأسيس تلك الأمة في عام 1948، لكنهم الآن متمرسون جيدا في البنتاغون حول استراتيجيين مثل بول وولفويتز وريتشارد بيرل ودوغلاس فايت"³.

¹ Brian Whitaker, (Selective MEMRI), **Guardian**, 12/08/2002, p31.

² Patrick J. Buchanan, (Whose war? A new conservative Clique Seeks to Enjnare Our country in a series of wars that are not in America's interest), **American Conservative** 24 March 2003, p24

³ Ibid.

وفي الوقت نفسه، فإن صقور الإدارة الذين حضوا على هذه الحرب، مثل نائب الرئيس ديك تشيني، ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد، ومستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس، جميعهم ممن يشهد سجلهم بدعم إجراءات شارون الوحشية في الأراضي الفلسطينية المحتلة¹.

إذن، ضمن هذه العملية الكبرى التي جاءت بعد 9/11 وأطلق عليها: الحرب الشاملة على الإرهاب Global War Against Terrorism، تأتي عملية خفية قدمت لها الإدارة الأمريكية والبنتاغون كل التسهيلات خدمة لمصالح ليست أمريكية ولكنها صهيونية (إسرائيلية) في سياق استراتيجية تهدف إلى استقلال الكيان الصهيوني الاصطناعي عن الدعم الغربي عموماً والأمريكي خصوصاً، بالاعتماد على حسابات متعلقة بأسوأ السيناريوهات، وبنوظيف فعال للقيم الدينية تحديداً، سواء على مستوى المصطلح: شيخينا، إسرائيل، الأرض المغزوة أصبحت أرضاً موعودة، وبالتالي فقد أصبح الاحتلال عودة... الخ، أو على مستوى الأسطورة: الأسر البابلي المفسر للغزو العراقي؛ حيث أصبح صدام حسين: نبوخذ نصر، أي مضطهد اليهود وبطل الأسر البابلي، وجورج بوش (بعد هاري ترومان): قورش، أي منقذ اليهود ومدمر بابل (العراق)... الخ.

ب- عملية شيخينا²:

يؤكد الخبير الأمريكي "جو فيالز" على أن الغزو الأمريكي للعراق، كان لمصلحة إسرائيل الاستراتيجية، وأنه يمثل استجابة صناع القرار الأمريكيين لرغبات إسرائيل الضاغطة، والتي يراها لوبي إعلامي/مالي قوي جداً، كما يميظ اللثام عن حقائق استراتيجية خطيرة جداً، غير مكتف بعرض المعلومات الصحفية والاستخباراتية بطريقة وصفية، بل يذهب بعيداً في التحليل والتوثيق...، " ففي مطلع شهر آذار/مارس من العام 2001، تلقت وكالة استخبارات أوروبية رئيسية أخباراً مزعجة من أكثر عملائها موثوقية في تل أبيب"، بسبب القلق من تزايد الرفض العالمي للقمع القاسي والإجرامي ضد الفلسطينيين، اجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلي لمناقشة الخيارات المحدودة المتوافرة لديه، للمضي قدماً في الخطط الإسرائيلية الرامية إلى ضم باقي الأراضي الفلسطينية، مع أو بدون دعم الحليف

¹ نصير عاروري، حروب جورج دبليو بوش، مرجع سابق الذكر، ص ص: 89 - 90.

² الشيخينا: كلمة عبرية، معناها الحرفي: مكان الإقامة، روح الله، وهي تتطبق بظهور الله على مسرح هذا العالم، عندما يسكن هو نفسه في أبعد مكان في السماء، وبالطريقة نفسها التي تنير الشمس بأشعتها أنحاء الأرض، كذلك الشيخينا، النور الإلهي، تشعرنا بوجوده في كل مكان من الأرض، وتوصف الشيخينا أيضاً بأنها النور، وقد شرحت هذه العبارة في التوراة كالتالي: "تتألاً الأرض من مجده" (فإذا تمجد إله إسرائيل، فقد أتى من طريق الشرق، وصوته كصوت مياه غزيرة، والأرض تتلألت من مجده) (سفر حزقيال 43-2) إنه وجه "شيخينا"، أي نور الله. "وليمنحك نور شيخينا"، تلك التفسير المعطاة للمباركة الكهنوتية في سفر العدد (6: 25)....

الرئيسي أمريكا أو "المجتمع الدولي"، ساد اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي القلق العميق، لأنه، وعلى الرغم من التحكم الفعال بوسائل الإعلام الغربية من قبل اللوبي اليهودي-الأمريكي، إلا أن تقييم المخاطر الذي أجرته "تل أبيب" أظهر وجود احتمال كبير لزيادة فرض العقوبات على (إسرائيل) من قبل الدول الغربية في حال استمرت في نشاطاتها التعسفية ضد الفلسطينيين. مبدئياً، ستكون العقوبات على شكل تخفيض في شحنات الأسلحة إلى (إسرائيل) يتبعها -لاحقاً- تخفيضات كبيرة ومرتفعة في المساعدات المالية من وراء البحار والتي ما تزال إسرائيل تتلقاها بشكل أساسي من دافعي الضرائب الأمريكيين. عاجلاً أو آجلاً، قد يجف نبع هذه المساعدات المالية تماماً، ولكن هذا لم يكن السيناريو الأسوأ بالنسبة للمسؤولين الإسرائيليين.

في نهاية المطاف، إذا تحرك الرأي العام الغربي ضد (إسرائيل)، فمن المحتمل أن تجد أمريكا وأوروبا نفسيهما مرغمتين على فرض حظر كامل على تزويد (إسرائيل) بالنفط. وفي ظل غياب أي موارد ذاتية، ومحدودية الاحتياطي النفطي الاستراتيجي في البلد، فإن القوات المسلحة الإسرائيلية ستفقد -كلياً- القدرة على الحركة خلال عدة أسابيع. فالطائرات والدبابات القتالية متعشة للمنتجات النفطية وعندما تنفذ تلك المنتجات لا تعود الطائرات والدبابات ذات فائدة لمالكها، وتتحول لتكون قطعاً من الألومنيوم والفولاذ في انتظار مصانع إعادة التصنيع.

بناء عليه، كان على مجلس الوزراء الإسرائيلي إيجاد مصدر بديل للنفط وبسرعة. علاوة على ذلك، والأخذ بعين الاعتبار أن (إسرائيل) لن تكون قادرة على تغطية تكاليف هذا النفط بسبب العقوبات المالية، فإن المصدر الجديد يجب أن يكون "مجانياً". وبالعودة إلى الستينيات من القرن الماضي، وضع إسرائيليون طموحون خطاً مفصلاً للاستيلاء -بالقوة- على مصدر بديل للنفط، لكن، كان لابد من وضع تلك الخطط على الرف لأسباب جيوسياسية.

هذه القيود الجيوسياسية لم تعد موجودة في العام 2001...، وهكذا، تم فتح هذه الملفات بعد نفذ الغبار عنها، وإعادة تسميتها: "عملية شيخينا"¹.

يطرح "جوفيلز" إشكالية السوابق للتأكيد على أن فكرة سرقة المخزون النفطي لشعب آخر لم تكن ابتكاراً إسرائيلياً، حيث "تعود السابقة التاريخية الأقرب إلى "عملية شيخينا" ربما للعام 1941، عندما فرض "روزفلت" حظراً كاملاً على تزويد اليابان بالنفط "خلال الحرب على الإرهاب" الأمريكية الأولى. وتحرك اليابانيون بناء على تأكدهم من حتمية النزاع، واستيعابهم للحاجة الملحة لمصدر آخر من

¹ جو فيالز، العراق أولاً: حرب إسرائيل الخاطفة على نفط الشرق الأوسط (عملية شيخينا)، ترجمة: مروان سعد

الدين، الطبعة الأولى، سوريا، دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعة، آب/أوت 2003، ص ص: 9-11.

النفط، مدركين حقيقة أنه بغية الوصول إلى احتياطات النفط في جزر الأنديز الهولندية والانتفاع منها، فإن عليهم أن يتغلبوا= أولا= على القوة المتعاظمة للبحرية الأمريكية. في هذا السياق، اقترح الأدميرال "إيزوروكو ياماموتو" رئيس أركان الأسطول الياباني تنفيذ ضربة جوية ضد أسطول المحيط الهادي الأمريكي، والذي كان قد انتقل من قاعدته الأصلية في "سان دييغو" على الساحل الغربي لأمريكا إلى موقع "بيرل هاربر" في منتصف المحيط الهادي في أيار/ ماي 1940.

كانت خطة "ياماموتو" تطويرا لاستراتيجية الدفاع اليابانية التقليدية، فقد راهن على الهجوم المفاجئ لتدمير قدرة البحرية الأمريكية في المحيط الهادي، بما في ذلك حاملات الطائرات. كان من شأن هذا الهجوم منح الوقت الكافي لليابان والمقدر بستة أشهر، لإكمال غزواتها الإقليمية.

ستحكم الهجمات المتزامنة من قبل الجيش الياباني على "هونغ كونغ"، "ملوي"، "الفلبين"، "قوام"، و"جزر الأنديز الهولندية"، سيطرة اليابان على القواعد المهمة استراتيجيا والمناطق الغنية بالمواد الخام والتي تعتبرها حيوية لبقائها القومي، والتي ستكون كذلك ضرورية لتعزيز قدرتها في حربها ضد أمريكا. الباقي - كما يقال - أضحى من التاريخ"¹.

إذا، ضمن هذه الخطوط الرئيسية ولأسباب استراتيجية متشابهة في عام 2001، عقدت إسرائيل العزم على شن اعتداء مباغت على جنوب العراق لإحكام السيطرة على حقوله النفطية الجنوبية، ومن ثم استخدام أنابيب نقل النفط العربي الموجود سابقا (التابلاين) لضخ النفط إلى مصافئها في حيفا² (أنظر الأشكال في الملحق).

وبما أن السيد "جوفالز" خبير ذو باع في الشؤون النفطية، فإنه يجزم بأنه من خلال "عملية الشخيخينا"، وبحساب الحد الأدنى للبرميل ليكون في حدود 25 دولارا أمريكيا "سيحصل الإرهابيون اليهود - الإسرائيليون - وبكل برود - على 45 مليار و625 مليون دولار أمريكي كل سنة. وسيأتي هذا المبلغ على جنث آلاف القتلى العراقيين، وجنث الجنود الأمريكيين والبريطانيين الذين ضحوا كثيرا في الصحاري والمدن العراقية لأجل - المصلحة العليا الإسرائيلية -"³.

إن الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة لتزويد (إسرائيل) بالنفط العراقي لا تشكل مفاجأة لأحد. فقد ضمنت الولايات المتحدة (لإسرائيل) في مذكرة تفاهم تم التوقيع عليها عام 1975، تزويدها بكل احتياجاتها النفطية في حال حدوث أزمة لديها، وألزمت هذه المذكرة - التي يجري تجديدها كل خمس

¹ المرجع نفسه، ص: 11 - 12.

² المرجع نفسه، ص: 12.

³ المرجع نفسه، ص: 60.

سنوات- الولايات المتحدة ببناء وتخزين احتياطي نفطي استراتيجي إضافي (إسرائيل) بما يعادل 2 مليار دولار في سنة 2002، وقد تم سن تشريع خاص لإعفاء (إسرائيل) من القيود المفروضة على الصادرات النفطية من الولايات المتحدة.

علاوة على ذلك، وافقت الولايات المتحدة على تحويل النفط من أسواقها، حتى إذا كان ذلك يعني السحب من الاحتياطي الاستراتيجي، وضمان شحن النفط الموعود بالشاحنات الأمريكية إذا لم يستطع الشاحنون التجاريون تزويد (إسرائيل بالخام). وتمت إضافة ذلك كله إلى الالتزامات المالية الهائلة التي تقدمها الولايات المتحدة إلى (إسرائيل) ويبدو أن لدى الولايات المتحدة سببا آخر لدعم خطة "بارتيزكي" (فكرة إحياء خط الأنابيب -تابلاين-)، حيث إن مسار خط الأنابيب الأرضي مباشرة إلى البحر المتوسط سيقبل من اعتماد الولايات المتحدة على إمدادات نفط الخليج. وهو ما سيمنحها وصولا مباشرا إلى ثاني أضخم احتياطيات للنفط في العالم، والمرشح للزيادة من خلال المخزون غير المستكشف، أو غير المعنن، ويشكل هذا الأمر هدفا استراتيجيا مهما بالنسبة للولايات المتحدة¹.

الآن، أصبح الكيان الصهيوني بلدا مصدرا للغاز، وأول بلد مستورد منه هو الجمهورية العربية المصرية.

الفرع الثاني: باراك أوباما: القوة الذكية Smart Power وحدود النيومثالية

- سوريا وعملية "Timber Sycamore"

كانت مخرجات الإدارة الأمريكية في عهد جورج بوش الابن، المبنية على القوة الصلبة Hard Power، عسكرية - اقتصادية، والتي جاءت بديلا عن سياسة "كلينتون" الذي كان قد فضل، بمعية مساعد وزيره للدفاع، المفكر "جوزيف ناي"، القوة الناعمة أو اللينة Soft Power، إقناع-تأثير عبر توظيف القيم الثقافية - السياسية وتفعيل الدبلوماسية، قد بلغت حدودها وأفرزت عديد السلبيات، على رأسها: انهيار سمعة ومكانة الولايات المتحدة، على الصعيد القيمي، وتنامي الشعور المعادي لأمريكا، ليس فقط في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا MENA، بل في مختلف القارات، وحتى في البلدان الأوروبية والحليفة، وأضحت صورة الولايات المتحدة سلبية إلى درجة اعتبارها طليعة الانحطاط وزعيمة البربرية، بدلا من كونها زعيمة العالم الحر.

لقد استعيدت الصورة النمطية التي طبعت تصور الشعوب والمفكرين في العالم، قبيل أحداث 11 سبتمبر (راجع مؤتمر ديرين)، بل تعدتها وصارت أكثر قتامة، خصوصا بعد تسريب صور التعذيب

¹ المرجع نفسه، ص ص: 63 - 64.

الهمجي في سجون غوانتانامو وأبو غريب، والسجون السرية المنتشرة عبر العالم، ومعارك الفلوجة، أين بدأت شبكة الإنترنت، ثم مواقع التواصل تنافس وسائل الإعلام التقليدية وتنتهي احتكارها للمعلومة وللصورة، وبالتالي ممارستها للتعظيم الشامل والتضليل، ولم تعد إجابات الرسميين الأمريكيين الجاهزة حول سؤال: لماذا يكرهوننا؟ والمتمثلة في العداء للحرية الأمريكية ولنمط المعيشة الأمريكي وللحم الأمريكي American Dream... لم تعد مقنعة، فتآكل التأييد الشعبي والرسمي، الذي حظيت به إدارة بوش الابن بعيد هجمات 9/11، أين انتشرت عبارة كرمويل شديدة الدلالة: "تسعة يكرهونني؟ وماهم إذا كنت العاشر الوحيد المسلح" وهي عبارة مستوحاة من من مقولة فيلسوف روما قديما: "دعهم يكرهونك ما داموا يخشونك" وهو قول استرشد به الأباطرة الرومان واستخدموه في المحافظة على هيبة الإمبراطورية وفي البطش والإرهاب وإبادة الشعوب، وهو ما حرك ضدهم جميع أنواع المقاومة التي أدت في النهاية إلى تفكك إمبراطوريتهم وسقوطها.¹

لقد فقد الرأي العام الأمريكي الشعور بالأمن والاستقرار، وأصبح يتطلع إلى قيادة مسؤولة تتولى حل الأزمة التي تسبب فيها الحزب الجمهوري وإدارة جورج بوش، مما دفع بالكاتب الأمريكي "دانييل فينكليستين" إلى القول: إن الولايات المتحدة كانت تتطلع إلى من يقود الأمة ويستحق احترام العالم، بدلا من مرشح يقود قواتها المسلحة.² وبالنتيجة، كان التحول، برأينا، مذهلا؛ حيث قاد انتخاب "باراك أوباما" رئيسا للولايات المتحدة، إلى انتقال الرأي العام العالمي من انتقاد السياسة الخارجية الأمريكية اللامتوازنة، واللاإنسانية، إلى مدح الديمقراطية الناضجة والوصول إلى مستوى إنساني عال ينبذ العنصرية المتوارثة، فبعد فشل حملة العلاقات العامة في تحسين صورة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط وفي العالم، والتي خصصت لها إدارة بوش مبلغا زهيدا، 300 مليون دولار، مقابل إنفاق عسكري ضخم يقدر بمئات ملايين الدولارات، وانطلاقا من رؤية تاريخية تؤكد أنه طيلة 218 سنة وبعد 56 تجربة انتخابية رئاسية في التاريخ السياسي الأمريكي، تكرر مبدأ ثابت قائم على مركزية الرجل الأبيض، الأنجلوساكسوني والبروتستانتي، وكان الاستثناء في هذه التجربة "جون كيندي" الذي ينتمي إلى الطائفة الكاثوليكية، ولكن نهايته كانت مأساوية، يدركها جيدا أوباما لأنه يستدل كثيرا بخطاباته،³ كسر انتخاب "باراك حسين أوباما، وهو أسود البشرة، يصف نفسه بأنه هجين، كون أمه بيضاء ذات أصول أوروبية، هذه الهيمنة وحول أنظار العالم من وحشية التدخل العسكري إلى إنسانية النهج الديمقراطي. أي أن التسويق الإعلامي وحملة العلاقات العامة حققت هدفا كبيرا.

¹ يوسف العاصي الطويل، أمريكا.. تاريخ من الغزو والإرهاب، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة حسن العصرية، 2014، ص. 203.

² عاطف الغمري، أمريكا في عالم متغير، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص. 81.

³ ياسر عبد الحسين، مرجع سابق، ص. 416.

1- ميراث إدارة بوش وخطاب القاهرة: أهداف استراتيجية وتغيير تكتيكي
بالإضافة إلى تدهور صورة الولايات المتحدة الأمريكية، وتنامي الشعور المعادي لأمريكا، من الشرق الأوسط إلى أوروبا وآسيا وبالطبع أمريكا اللاتينية وإفريقيا، ورث الرئيس باراك أوباما وإدارته، وضعية صعبة وسيئة وسلسلة أزمات معقدة، فاقمتها أزمة، 2008 المالية والاقتصادية، التي ضربت نظام بريتن وودز في الصميم، وحرباً أفغانستان 2001 والعراق 2003، مما دفع ريتشارد هاس إلى مقارنتها بوضع أمريكا والعالم عند انتخاب جورج بوش الابن سنة 2000، قائلاً: "كانت بداية سنوات حكم بوش الثماني سلاماً في أكثر بقاع الأرض، كانت القوات الأمريكية في حالة راحة واسترخاء، وكان سعر برميل النفط 23 دولاراً، وكان الاقتصاد ينمو بمعدل 3 في المائة، وكان حجم الدين العمومي بمعدل 6 تريليون دولار... بالمقابل، فأنت أيها الرئيس الجديد سوف تترث حرباً في العراق وأفغانستان، وستجد قواتنا المسلحة منهكة، وسعر برميل النفط قد وصل إلى 150 دولاراً، لذا عليك مواجهة هذه التحديات"¹.

لمواجهة هذه التحديات، ولحل مختلف الأزمات التي كانت إدارة سلفه سبباً مباشراً فيها، وبتأثير من بريجنسكي الذي كان قد طرح إشكالية كبرى، حول مكانة أمريكا ودورها في العالم: في اتجاه السيطرة أو في اتجاه القيادة، وهي نقطة الخلاف الحقيقية مع بوش الذي تأثر بكابلان وبدعوته إلى القتال بروح وثنية في إطار التدخل العسكري المباشر، وبالتالي فقد تبني أوباما استراتيجية جديدة للأمن القومي، سنة 2010، تربط الجهود الدبلوماسية والإجراءات الاقتصادية بالقوة العسكرية لتعزيز قيادة الولايات المتحدة للعالم، عبر توسيع الشراكات السياسية والاقتصادية، لتشمل إضافة إلى الحلفاء التقليديين، مجموعة من القوى الصاعدة مثل الصين، الهند والبرازيل، للمشاركة في تحمل أعباء القيادة، وبذلك تم التخلي عن سياسة الحرب الوقائية، تبني البرؤية النيومثالية على مستوى الخطاب السياسي، والواقعية الجديدة التي عُرف بها بريجنسكي منذ عهد كارتر، والذي دعا إلى إعادة فتح قنوات الحوار المباشر مع إيران وسوريا والفصائل المقاومة، بما فيها تلك التي تتصدر القائمة السوداء لوزارة الخارجية الأمريكية، مثل حماس وحزب الله.

وفقاً لتقرير مؤسسة بروكينغز، أراد أوباما تحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية في الخارج، لا سيما في العالم الإسلامي، إنهاء الانخراط في حربين، مد يد مفتوحة لإيران، إعادة ترتيب العلاقات مع روسيا الاتحادية كخطوة نحو تخليص العالم من الأسلحة النووية (خطاب أوباما في براغ)، وتطوير

¹ عبد الحي زلوم، أزمة نظام الرأسمالية والعولمة في مازق، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009، ص 242-243.

التعاون مع الصين حول مختلف القضايا الإقليمية والكونية، ثم صناعة السلام في الشرق الأوسط (خطاب أوباما بجامعة القاهرة).¹

يسعى التفكيك إلى تحليل الخطاب/المضمون، لفصل الجوانب التكتيكية والسياسات المتغيرة، والمختلفة بين الحزبين، وبالتالي الرؤساء، عن الأهداف الاستراتيجية الأكثر ثباتا والأقل تغيرا، وللتعرف على موقع القيم في صياغة السياسة الخارجية بالموازاة مع المصالح محركا للسلوكات السياسية.

أ- خطاب أوباما بجامعة القاهرة والرسائل السياسية:

بعد توجيه خطاب مؤثر بمدينة براغ عاصمة جمهورية التشيك، يوم 04 أبريل 2009، أين ركز على السعي نوح عالم خال من السلاح النووي، مستخدما لقيم دنيوية مشتركة، مثل التقدم، التجديد والرفاهية، ومذكرا بأن الأخلاق القيادية أقوى من أي سلاح، ومكثرا من تكرار لفت الانتباه إلى أهمية حلف الناتو،² ألقى الرئيس الأمريكي "باراك أوباما" خطابا طويلا موجها إلى العالم الإسلامي، من جامعة القاهرة بمصر، يوم 04 جوان (يونيو/حزيران) 2009، أكد خلاله طموحه الشخصي إلى بناء السلام وإرساء دعائم علاقة جديدة بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي.³

تم حقن الخطاب بشحنات عاطفية قوية، بدءا بإلقاء تحية المسلمين "السلام عليكم"، تخلله دفاع عن إنسانية الإسلام، والاستشهاد بآيات كريمة من القرآن العظيم، وبعد مقدمة جميلة، مدروسة بعناية فائقة، تم تقسيم الخطاب، منهجيا، إلى محاور سبعة (07)، اعتبرها، في مجملها، مصادر للتوتر بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي، ويمكن تحليلها، بإيجاز، على النحو التالي:⁴

المحور الأول (المسألة الأولى بتعبير الخطاب): التطرف العنيف بكافة أشكاله

حيث عاد إلى حربي أفغانستان والعراق، مذكرا بأن أمريكا ليست في حالة حرب مع الإسلام، ومستشهدا بهجمات الحادي عشر من سبتمبر...

¹ Evaluating Obama's Foreign Policy One Year On : Views from Washington, Brookings Doha Center, Wednesday, January20,2010, p4.

² <https://obamawhitehouse.archives.gov/the-press-office/remarks-president-barack-obama-p> (25/03/2020. à 17:25)

³ <https://www.nytimes.com/2009/06/04/us/politics/04obama.text.html> (25/03/2020. à 18:00)

⁴ يمكن الرجوع إلى الترجمة الرسمية للخطاب إلى اللغة العربية على الموقع التالي:

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2017/5/23/%D9%86%D8%B5-%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8-%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D9%83-%D8%A3%D9%88%D8%A8%D8%A7%D9%85%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%87%D8%B1%D8%A9>

المحور الثاني (المصدر الثاني للتوتر بتعبير الخطاب): الوضع بين الإسرائيليين والفلسطينيين والعالم العربي

مذكرا بمتانة الأواصر الرابطة بين أمريكا وإسرائيل وبأنها لا يمكن أن تُقَطع أبداً، ثم حق الفلسطينيين في الحياة وتأسيس دولة، وبمعاناة اليهود والمحركة النازية، دون أن ينسى معاناة الفلسطينيين...

المحور الثالث (المصدر الثالث للتوتر بلغة الخطاب): الاهتمام المشترك بحقوق الدول ومسؤولياتها بشأن الأسلحة النووية

حيث ركز على إيران وملفها النووي محل الخلاف الكبير بين هذه الدولة والولايات المتحدة

المحور الرابع (المصدر الرابع للتوتر بلغة الخطاب): الديمقراطية

أين نيه إلى أن الأفكار المتعلقة بالديمقراطية وحكم الشعب، ليست أفكاراً أمريكية بل هي حقوق إنسانية، ولذلك يتوجب على أمريكا أن تدافع عنها في كل مكان، لكنه انتبه إلى أن فرضها بالقوة ليس من صلاحيات أي بلد في العالم...

المحوران الخامس والسادس (الموضوعان الخامس والسادس بلغة الخطاب): الحرية الدينية وحقوق المرأة

و أخيراً: التنمية الاقتصادية وتنمية الفرص

ب-تحليل الخطاب:

نوجز أهم القضايا المرتبطة بمحاور الخطاب ومقدمته وخلصاته، وصياغته، كما أرادها كاتبه والرئيس الذي ألقاه، في النقاط التالية:

*** الاعتراف المزدوج:** حيث اعترف رئيس الولايات المتحدة رسمياً بأن:

- الولايات المتحدة زعيمة العالم الحر وناشرة الديمقراطية في العالم ومحاربة الدكتاتورية والأنظمة الشمولية والتسلطية، حاربت التجربة الديمقراطية الإيرانية وقامت بانقلاب على الرئيس الإيراني مصدق، المنتخب ديمقراطياً، وفرضت مكانه الملك الدكتاتور: الشاه محمد رضا بهلوي، مشيراً إلى عملية « TP-AJAX » التي قامت بها المخابرات المركزية الأمريكية CIA والمخابرات البريطانية التي كانت تُسمى SIS سنة 1953؛¹ حيث قال أوباما مؤكداً اعترافه: " إن المصدر الثالث للتوتر يتعلق

¹ Yvonnik denoel, Op-Cit.

باهتمامنا المشترك بحقوق الدول ومسؤولياتها بشأن الأسلحة النووية.. لقد كان هذا الموضوع مصدرا للتوتر الذي طرأ مؤخرا على العلاقات بين الولايات المتحدة وجمهورية إيران الإسلامية التي ظلت لسنوات كثيرة تعبر عن هويتها من خلال موقفها المناهض لبليدي، والتاريخ بين بلدينا تاريخ عاصف بالفعل، إذ لعبت الولايات المتحدة إبان فترة الحرب الباردة دورا في الإطاحة بالحكومة الإيرانية المنتخبة بأسلوب ديمقراطي.¹ لقد مر على الاعتراف كأن العملية لم تحدث سوى مرة واحدة، وقد وقع لاحقا على اتفاق سلام تكتيكي مع إيران، أُطلق عليه الاتفاق النووي الإيراني، سرعان ما تخلت عنه إدارة ترامب من بعده، لكن الواقع أن دعم الدكتاتورية يعبر بعمق عن أحد أسس السياسة الخارجية الأمريكية، بدءا بما حدث في عملية مشابهة للمخابرات المركزية في تشيلي، أين دبرت عملية الانقلاب ضد سلفادور أليندي وقتله، وتتصيب عميل الوكالة الجنرال أوغستو بينوشيه، وقد قُتل خلال الأحداث ما يزيد على 2500 شخص²، ووصولاً إلى انقلاب السيسي بمصر، مروراً بعشرات العمليات المحاربة للديمقراطية المهددة للمصالح الأمريكية والبريطانية والخارجة عن السيطرة الأمريكية.

- الولايات المتحدة لم تكن مضطرة لغزو العراق، بل كان القرار مبيتا ومُتخذاً ببرودة وعن سبق إصرار وترصد بحيث لم يكن العراق يشكل أي تهديد على الولايات المتحدة ولا على أي من حلفائها في المنطقة، خصوصا بعد إنهاكه وتدميره بطريقة منهجية ولمدة طويلة مثلما أشرنا سابقا، وهذا ما يفند عديد النظريات المدافعة عن قرار الحرب أو تلك المفسرة له عن طريق انتقاد فرضية الاختيار (أنظر فرانك هارفي وكتابه حول تفسير حرب العراق)، حيث يقول أوباما في خطابه: "سمحوا لي أيضا أن أتطرق إلى موضوع العراق، لقد اختلف الوضع هناك عن الوضع في أفغانستان، حيث وقع القرار بحرب العراق بصفة اختيارية مما أثار خلافات شديدة سواء في بلدي أو في الخارج."³ لقد أتبع خطابه بانسحاب تكتيكي جزئي من العراق، لكنه لم يحقق أيا من الأهداف المثالية التي شحن بها خطابه الإنساني، حيث لا يزال جزء مهم من الجيش الأمريكي في القواعد العسكرية الأمريكية داخل العراق، والسفارة الأمريكية تتدخل في الشأن العراقي بصفة فاعلة ومباشرة.

لقد أثارت سياسة الوضع الراهن التي تبناها أوباما، وانفصال هذه السياسة عن الخطاب الذي وُصف بالتاريخي، انتقادات الداخل والخارج، ؛ حيث أشار "زبيغنيو بريجينسكي"، المستشار السابق لمجلس

² نسيم بلهول وآخرون، الدين والدم والبارود - في التوظيف الاستخباراتي للجماعات الإسلامية المسلحة في الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، الجزائر - وهران، ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت، دار الروافد الثقافية-ناشرون، 2017،

ص. 97.

³ <https://www.nytimes.com/2009/06/04/us/politics/04obama.text.html>

الأمن القومي في عهد الرئيس "جيمي كارتر"، وهو أحد المتعاطفين مع الخطاب، إلى عدم التطابق بين المستوى الخطابي والواقعي في إدارة الرئيس أوباما، وأوضح بريجينسكي قائلاً: "أنا معجب جداً بتصوراته ومفاهيمه، لكن لا أعتقد أن لديهم بالفعل سياسة يمكنها أن تُنفذ هذه التصورات والمفاهيم". وأضاف بريجينسكي: "إن أوباما لا يضع استراتيجية، إنه يعظ."¹

*** تحسين صورة الولايات المتحدة في الخارج:** حيث إنه بمجرد انتخاب أمريكي أسود البشرة من أصول إفريقية، رئيساً لأمريكا صدمة تحويلية، أراد أوباما استغلالها لتلميع الصورة المشككة بسبب عسكرة السياسة الخارجية وتحقيق هدف السيطرة بدلاً من القيادة، وذلك عن طريق الخطاب المؤثر والمتوازن، ثم التغيير التكتيكي، وقد نجح بشكل مؤقت؛ أي إلى غاية إصابة المتابعين المصدقين لخطابات التغيير الجذري بحالة أحباط جراء وضع سياسات مناقضة للخطاب ومحافظه على الوضع الراهن لتحقيق أهداف الإستراتيجية ذاتها، لكن بوسائل مختلفة وأقل إثارة للانتقاد والجدل.

*** التحول على مستوى الأولويات/التكتيكات:** حيث صرح بأن الأولوية ليست العراق (المدمر) بل أفغانستان، لكن أولويته الحقيقية كانت: سوريا، وهو هدف صهيوني آخر، لا يُعد جديداً، ولا يختلف حوله ديمقراطيون ولا جمهوريون، فقد جاء في خطاب لعضو الكونغرس "سام جونسون" ألقاه يوم 19 فيفري (فبراير / شباط) 2005: "كم أتمنى أن أُحمّل طائرة حربية مقاتلة من نوع إف - 15 برأسين نوويين، وأقودها طلعة واحدة، نتخلص بعدها من كل ما اسمه سوريا" وقد تلاه تصفيق حاد وهتاف.²

على مستوى القيم، كل أمريكي ذي بشرة سوداء يقوم على خدمة أجندة النخب الحاكمة الصهيونية: البيضاء الأنجلوساكسونية البروتستانتية، واليهودية، فهو يمثل رمزياً "العم توم"، مثل كولن باول وكوندوليزا رايس، لكن "أبرز من أطلق لقب "العم توم" على "باراك أوباما"، هو "رالف نادر" مرشح الرئاسة الأمريكية والمحامي الأشهر للمستهلكين في أمريكا، حيث اتهمه بأنه لا يختلف عن سلفه "جورج بوش" في خدمة الشركات الكبرى؛ شركات الرأسمال والنفط والسلاح وتجارة الموت.³

2- عملية Timber Sycamore في سوريا: موم MOM وموك MOC والقيادة من الخلف

¹ ياسر عبد الحسين، مرجع سبق ذكره، هامش ص. 455، أنظر:

Lizza, (The Consequentialist Zbigniew Brzezinski From Hope to Audacity), **Foreign Affairs**, N89, 1 Jan-Feb, 2010, PP. 16-30.

² منير العكش، أميركا والإبادات الجنسية - 400 سنة من الحروب على الفقراء والمستضعفين في الأرض، الطبعة

الأولى، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، 2012، ص. 89.

³ المرجع نفسه، ص. 91.

هذه العملية، التي جاءت لتفادي التدخل والمباشر والاكتفاء بالقيادة من الخلف أو من الكواليس، أو بالتعبير الاستراتيجي الأكثر شيوعاً: من خلف الخطوط « Behind the lines »، من إعداد وإشراف وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والمعنى الحرفي لرمزها الاستخباراتي: "أخشاب الجميز"، باللغة الفرنسية Bois de Platane وتعني خشب شجرة الطائرة. يعزو بعض الباحثين تسمية العملية الاستخباراتية الأمريكية، إلى خاصية السرعة في النمو والانتشار التي يمتاز بها شجر الطائرة أو الجميز، مقارنة بأصناف أخرى معروفة بالمنطقة، كالزان والبلوط؛ أي أن الجماعات الجهادية التي انشقت على الجيش السوري والتي تمردت على النظام (العلوي، الطائفي، المخابراتي، الدكتاتوري...) في سوريا، انتشرت منذ سنة 2011 بسرعة شبيهة بسرعة نمو وانتشار هذا النوع من الأشجار.¹ ظلت هذه العملية سرية إلى أن كشفت عنها جريدة واشنطن بوست وبعدها جريدة نيويورك تايمز.

فبعد تدمير العراق، واعتماد سياسة النأي بالنفس عن مشكلات الشرق الأوسط والاكتفاء بالإشراف على التدخل العسكري المباشر لبعض الوكلاء الأوروبيين والمحليين، فرنسا في ليبيا، ثم السعودية والإمارات في اليمن، وقبيل طي صفحة تنظيم القاعدة بالإعلان عن قتل أسامة بن لادن ورميه في البحر، ليحل محله تنظيم جديد بتكتيكات جديدة أكثر وحشية يتم تصويرها لخلق الانطباع العالمي المنشود والأشد التصاقاً بالإسلام (الذي دافع عنه أوباما في خطاب القاهرة كأحد أبنائه والدعاة إليه)، أشرفت المخابرات المركزية الأمريكية على عملية تسليح الجماعات التي تحارب النظام السوري، ووزعت الأدوار على بعض الأنظمة المحلية، على رأسها: السعودية، تركيا، قطر، والأردن. تمثلت المهام في التدريب والتسليح، بينما تحملت السعودية الحمل الأكبر في التمويل مثلما حدث سابقاً في حرب أفغانستان ضد الاتحاد السوفياتي، والتي انتهت بهزيمته وتفككه. شكلت السعودية محور الدعم لهذه الحرب السرية، التي عسكرت الحراك السوري، منذ سنة 2013، "لا سيما من خلال عملية الاشتراء الضخمة التي قامت بها مؤسسة الخدمات السعودية الخاصة « GID » لصواريخ رايتيون تاو المضادة للدبابات، لتسليمها للمجموعات المرتبطة بالقاعدة بما فيها جيش الفتاح."²

هذه العملية التي بدأت في عهد الرئيس أوباما، تمت تخصيصها وتوسعتها، قبل انتخاب الرئيس "دونالد ترامب" بوقت قصير، حيث تولى صندوق الاستثمار « KKR »، الذي أسسه "هنري كرافيس" « Henry Kravis » ويوجه أنشطته العسكرية الجنرال "ديفيد بترايوس" « David Petraeus »، المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية، عملية التنسيق، وصار يشمل ما لا يقل عن 17 دولة، فيما

¹ Opération "Timber Sycamore" la guerre secrète de la CIA en Syrie Réseau International.htm. 26 janvier 2016. (Dernière visite le 25/03/2020).

² Ibid.

يمثل أكبر تجارة للأسلحة في التاريخ، وتكفلت شركة الشحن العامة الأذربيجانية Silk Way Airlines بتنظيم التحويلات إلى المنظمات الجهادية.¹

بالنسبة إلى السيناريو السوري، الذي يختلف في حيثياته ومراحلها، عن السيناريو العراقي، بين الغزو المباشر إلى استغلال الانتفاضة الداخلية المطالبة بالإصلاح والتغيير وعسكرتها، كان الهدف واحدا: إضعاف وتقسيم كل دولة بالمنطقة العربية تشكل تهديدا حقيقيا أو محتملا للكيان الصهيوني، أو للمصالح الأمريكية، وعليه كان استنزاف جميع الأطراف الصراعية في سوريا، جيشا نظاميا وتنظيمات معارضة، هو الهدف التكتيكي الأول وليس هناك أي مجال للحسم، حيث كان الدعم، حتى بعد التدخل الروسي المباشر، مدروسا ومقدرا بطريقة تفرص التآكل المتوازن، دون تحقيق النصر الكامل، ولا التغيير الشامل، ولأطول مدة ممكنة.

إستراتيجيا: عملية « Timber Sycamore » ليست معزولة عن الإستراتيجية الشاملة أو الكبرى « Grand Strategy »، أين تم تفعيل الإستراتيجيات الفرعية: عسكرية، دبلوماسية، تجارية، وثقافية، بشكل متماسك وفعال. يتم فرض الخيارات الكبرى والأهداف الإستراتيجية على جميع الإدارات، التي على اختلافها وتداول الحزبين السلطويين الكبيرين على قيادتها، تحترم الرؤى الإستراتيجية وتسعى إلى تحقيقها بوسائل مختلفة. فحتى إن خسرت الولايات المتحدة، على إحدى الجبهات أو "على مسرح عمليات معين، فإنها تستمر على الجبهات والميادين الأخرى حتى تحقق النصر. فواشنطن التي رسمت استراتيجية احتواء الاتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية، متبعة لتوجيهات السفير جورج كينان، انتصرت في النهاية، على الرغم من خسارتها للحربين الكورية والفييتنامية.²

تندرج العملية ضمن استراتيجية أشمل، أصبحت تُعرف باستراتيجية "رامسفيلد-سيبروسكي" « Rumsfeld-Cybrowski » نسبة إلى وزير الدفاع في عهد بوش الابن، والأميرال الذي عينه هذا الأخير لتكوين الضباط ونشر الإستراتيجية في الأوساط العسكرية، ونشر الكولونيل "رالف بيترز" « Ralph Peters » فحواها وخريطة المنطقة بعد تنفيذها، أين يتم تقسيم جميع الدول العربية والإسلامية، من المغرب إلى باكستان، وتركها دون دول وبلا قيادات لا جيوش نظامية، قبل أن ينشر "رايت براون" « Wright Brown » خريطة معدلة عنها، وظلت الإدارات الأمريكية تلوح بها للضغط على أنظمة المنطقة، وكسب ولائها المطلق وفرض انخراطها في عمليات البنتاغون والمخابرات المركزية.

¹ <https://www.voltairenet.org/article204334.html> (Visite: 26/03/2020 à 06:17)

² Thierry Meyssan, La Nouvelle Grande Stratégie des Etats-Unis, <https://www.voltairenet.org/article205750.html>, 26 Mars 2019.

إعلامياً، تعددت تسميات الإستراتيجية، بعد 9/11، من الشرق الأوسط الكبير/الجديد، ثم الموسع، إلى الفوضى الخلاقة، ثم الموجة أو المسيرة... الخ. "فبعد خوض بوش لحربين بلا أفق في أفغانستان والعراق، وما أثاره من جدل، انتهى بتأسيس لجنة "بيكر-هاملتون" « Baker-hamilton » في 2006، استغرق الأمر خمس سنوات ليفتح أوباما مساح عمليات جديدة: ليبيا 2011، سوريا 2012، واليمن 2015.¹

إذا نظرنا إلى الصورة الإستراتيجية الأشمل، أي خارج المنطقة العربية - الإسلامية التي أصبحت تُعرف أمريكا بمنطقة "الشرق الأوسط وشمال إفريقيا MENA"، فإن الاستثناء ينحصر في الفوضى والتدمير، من أجل السيطرة التامة على مصادر الطاقة، وقلب العالم من جهة، ولتحقيق الحلم الصهيوني بإنشاء إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل من جهة ثانية، بينما تتجه الإستراتيجية خارج المنطقة إلى مزيد من الديمقراطية، لحصار روسيا واحتواء الصين؛ أي إن "الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي « NATO/OTAN » يعولمان إستراتيجية رامسفيلد/سيبرلوسكي، لتدمير هياكل الدولة في البلدان غير المدمجة ضمن العولمة الاقتصادية، إذ باستخدام الأوروبيين عبر إقناعهم وتخويفهم بالتهديد الروسي، يخاطرون بإثارة حرب شاملة.²

وبهذا، تلتقي، برأينا، المصالح الرأسمالية الضخمة والأهداف الإستراتيجية مع القيم الدينية والأساطير التوراتية-التلمودية، أين يلتقي بوش الابن وأوباما.. هذا الأخير، الذي كان في جنوب إفريقيا حين اعتدى الكيان الصهيوني المحتل على لبنان في عام 2006، فألقى خطاباً بتلك المناسبة جاء فيه: "لا يخطر ببال أحد أن أمريكا ستقف موقفاً لطف من موقف جورج بوش عندما يتعلق الأمر بأمن إسرائيل... ولا يتوهم أحد بأنه سيجد في ظل رئاستي أي موقف أقل صلابة بأمن إسرائيل.³ لقد كان أوباما يعي بأن نواة الحركة الصهيونية تتشكل من الأنجلوساكسون الذين اعتنقوا اليهودية باكراً ومن الأشكينايزم الخزر القادمين من أوروبا الشرقية وروسيا، وأن أياً منهم لم يكن من بني إسرائيل، وقد فرضوا خيار تجميع اليهود على اليهود الذين كانوا معارضين ومتخوفين من ترحيلهم إلى فلسطين، فبالإضافة إلى قناعاته الشخصية العميقة، التي عبر عنها قائلاً: "لقد تعلمت فن الأخلاق من اليهود... إن فيليب روث" « Philip Roth » صاغ حساسيتي (لفيليب روث علاقة وثيقة مع الموساد كما يدل كتابه: "عملية شايлок" « Shylock A : Confession Operation »)... وعندما أفكر بالفكرة

¹ Thierry Mayssan, Quelle cible après la Syrie ?, <https://www.voltairenet.org/article209434.html>, 10 Mars 2020.

² Manlio Dinucci , La stratégie du chaos dirigé, Traduction : Marie-Ange Patrizio <https://www.voltairenet.org/article206092.html>, 19 Avril 2019.

³ منير العكش، مرجع سبق ذكره، ص. 96.

الصهيونية (يضيف أوباما)، إنما أفكر بمشاعري التي تكونت تجاه إسرائيل حين كنت في الصف السادس ودخلت معسكرا يشرف عليه يهودي أمريكي أمضى وقتا في إسرائيل.. تلك كانت أعرق ما في ذاكرتي عن إسرائيل التي امتزجت بعد ذلك بالإعجاب بالتجربة الصهيونية في المستوطنات الجماعية (الكيبوتز)¹. نجد أيضا، طموحاته الشخصية لكسب الآلة الانتخابية الصهيونية، واستعداده لتحقيق الأهداف الإستراتيجية الكبرى، التي رعتها كل الإدارات السابقة، جمهورية كانت أو ديمقراطية، حيث يعتبر مشروع القرن الأمريكي الجديد PNAC مجرد امتداد لمشروع نازي أمريكي كان قد تبناه الرئيس "وودرو ولسن" من قبل، وهو الذي زعم أيضا بأن الإله قد تحدث معه في ردهات البيت الأبيض (وأمره باحتلال جزر الفلبين)، ويتمثل مشروعه في "المجال الحيوي"؛ أي وراثة مستعمرات بريطانيا والدول الإستعمارية الأخرى، بحيث لا يبقى شبر من الأرض خارج السيطرة الأمريكية، مؤكدا بأن من يحكم المنطقة العربية -الإسلامية سيحكم العالم (أطلق عليها مكتب الهند البريطاني في سنوات الخمسين من القرن العشرين، مصطلح الشرق الأوسط، الذي انتشر بعد استخدامه من طرف الإستراتيجي البحري الأمريكي "ألفرد ماهان" سنة 1902). هذا المشروع الذي يُنسب إلى الرئيس وودرو ولسن، كان قد وضعه الإستراتيجي الجغرافي الأمريكي "أشعيا بومن" « Isaiah bauman » ورسم فيه معالم الإمبراطورية الأمريكية في القرن العشرين، مؤمرا فيه أفكار الألماني النازي "فريدريك راتزل" « Friedrich Ratzel » عما يُسمى بالمجال الحيوي « Lebensraum »².

المطلب الثالث: دونالد ترامب وفاق المسارين القراري والعولمي:

- النيو-انعزالية وترسيخ المكاسب

جاء فوز رجل الأعمال "دونالد ترامب" الذي تقدم بشعار التمجيد: "لنجعل أمريكا عظيمة مجددا"، وشعار الانعزال: "أمريكا أولا"، مرشحا عن الحزب الجمهوري، على حساب الديمقراطية المخضرمة "هيلاري كلينتون" وشعاراتها الممجدة للقوة: "نعم نستطيع" و"معا أقوى"، ليشكل صدمة للصحفيين ومراكز المسح والاستطلاع، ليس فقط كونه أتى من خارج المؤسسة الرسمية « The Establishment » وكون مراكز سبر الآراء تؤكد تفوق منافسته، بل لأنه يلقي وعودا، تبدو غريبة عن الخطاب الدبلوماسي الحذر، الذي ينبغي أن يلقيه مترشح لمنصب رئيس القوة العظمى.

تم تصنيف الرئيس الخامس والأربعين للولايات المتحدة، على أنه قريب من اليمين المتشدد في الحزب الجمهوري، وكذلك كان مدير حملته "ستيف بانون"، بينما احتفظ، ضمن الدائرة الأقرب، بالصهيونيين

¹ المرجع نفسه، ص. 97.

² المرجع والصفحة.

"مايك بينس" الإنجلي المتطرف، نائبا للرئيس، وجاريد كوشنر، الصهيوني اليهودي، مستشارا وصهرا، متزايد النفوذ والتأثير ومؤطرا من طرف والده والهيئات الصهيونية التي ينتمي إليها. كما إن تحالف جاريد - إيفانكا الذي يرمز له بعض الصحفيين المحققين بـ "جاريفانكا"¹ تمكن، ليس فقط من إزالة "ستيف بانون" نهائيا من البيت الأبيض (على الرغم من حماسته للكيان الصهيوني)، والانفراد بالتأثير في الرئيس وخياراته السياسية عموما وفي سياسته الخارجية خصوصا، بل أيضا في إقناع الرئيس بتعيين مزيد من الشخصيات اليهودية الصهيونية، في مناصب القيادة والتأثير، مثل دعم كوشنر لتتصيب دينا باول في مجلس الأمن القومي، وغاري كوهين، رئيس المؤسسة المصرفية غولدمان ساكس، ليصبح المستشار الاقتصادي الرئيسي للرئيس، حتى إن هنري كيسينجر، علق على صراع التأثير في خيارات الرئيس بالبيت الأبيض قائلا: "إنها حرب بين اليهود والأغيار في بيت ترامب الأبيض".²

مع كل ما تحمله كلمة "أغيار" « Goyim » من عنصرية وكره للإنسانية واستعلاء مرضي يستند إلى أساطير جاء بها تحريف الأبحار للكتب المقدسة، ويشكل أساس المعتقدات السياسية الصهيونية، والخرافات المؤسسة للحركة والدولة والتأثير.

من أهم محاور برنامجه الانتخابي، التي شكلت أهم وعوده الانتخابية، نجد: فرض رسوم جمركية عالية على المنتجات الصينية (وهو ما تُرجم بالحرب التجارية على الصين)، إعادة توطين رأس المال المستثمر بمئات ملايين الدولارات في الصين، وضع حد للهجرة عموما وللهجرة القادمة من البلاد الإسلامية، ومن المكسيك خصوصا (تم اتخاذ قرارات بهذا الشأن، منها، منع دخول بعض الجنسيات من دول ذات أغلبية إسلامية إلى الأراضي الأمريكية، وتشديد جدار عازل على الحدود الجنوبية مع المكسيك)، وقف منح الجنسية للأطفال المولودين على الأراضي الأمريكية، سحب القوات الأمريكية المتواجدة في ساحات القتال (الشرق أوسطية)، ونقل السفارة الأمريكية بالكيان الصهيوني من تل أبيب إلى القدس (وهو ما تم فعلا)... الخ.

لقد ساهم التكوين السايكولوجي والتجارب الشخصية لترامب في مجال الأعمال، واتجاهه اليميني، من جهة والقناعات الصهيونية المؤطرة للدائرة الأقرب لشخصه، في أهم قراراته المتعلقة بالسياسة الخارجية، في عهده الأولى التي أشرفت على الانتهاء، وهو يتطلع، مع محيطه، إلى عهدة ثانية في الانتخابات الرئاسية لنوفمبر 2020...

¹ أنظر: مايكل وولف، نار وغضب، البيت الأبيض في عهد ترامب، الطبعة الأولى، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع

والنشر، الجزائر، مطبعة الديوان، 2018، ص ص. 93-112.

² المرجع نفسه، ص ص. 183-193.

و فيما يلي، يحلل البحث، بإيجاز، أهم القرارات التي طبعت سياسة ترامب الخارجية، ثم آفاق المستقبل المنظور، سواء على مسار صناعة القرار « Decision-making Process »، أو على مستوى وضعية أمريكا ومكانتها على التراتبية العالمية للقوة والنفوذ، ومصير الأمركة - العولمة وأحادية القطبية، والقيم الأمريكية والسلام الأمريكي

« American Values » and « Pax Americana ».

الفرع الأول: إدارة دونالد ترامب والسياسة الخارجية الأمريكية: تحليل أهم القرارات

يقدم البحث عددا من الملاحظات الابتدائية حول مجمل قرارات الرئيس دونالد ترامب المتعلقة بسياسته الخارجية، وذلك على النحو التالي:

* رغبة الرئيس العارمة في التميز وخصوصا في نقض كل ما بناه الرئيس أوباما، مما يرسخ الاعتقاد بأن عهدي أوباما، مثلنا قوسا أُغلق بانتخاب ترامب، كان الهدف منه إنقاذ سمعة أمريكا المنحطة بسبب الحروب على الشعوب، ودعم الدكتاتوريات، ومعالجة مشكلة تنامي الشعور المعادي لأمريكا والحفاظ على تحالفاتها، واسترجاع الخطاب المبني على القيم الإنسانية و"الحلم الأمريكي" « American Dream » بدلا من "الكابوس الأمريكي" « American Nightmare » الذي تسبب به استخدام القوة العسكرية المفرطة ضد شعوب فقيرة ودول منهارة أو ضعيفة، مثل أفغانستان والعراق؛

* سعي الرئيس إلى كسب تأييد واسع ومستمر من الفواعل الكبرى المؤثرة داخل الولايات المتحدة، عن طريق دعم مدخلاتها « inputs »، وعلى رأسها: المركب الصناعي العسكري، ولوبيات الأعمال والنفط، وذلك من أجل الحفاظ على منصبه ضد محاولات عزله « The impeachment » إضافة إلى تحقيق دعم الأطراف الرأسمالية القوية لانتخابه لعهدته ثانية؛

* الإعلان عن القناعة تجاه المسألة، ثم اتخاذ القرار المتعلق بها وتنفيذه، حيث أصبح أسلوبا لعمله طيلة عهده الأولى (2017/2020)؛

* الحساسية المفرطة للرئيس تجاه الحرب الإعلامية بينه وبين خصومه السياسيين، ومحاولاته الدائمة لإرضاء ناخبيه أكثر من عموم الشعب الأمريكي (عبر الوفاء بالوعود الانتخابية تحسبا لإعادة انتخابه)، واستعانتة بمجموعة ضيقة من مقريه وأهل ثقته، وعلى وجه أخص: زوجته وابنته وصهره اليهودي - الصهيوني الذين تبوأ منصبين رسميين بالبيت الأبيض، ثم نائبه الإنجليزي - المتصهين مايك بينس؛

* تأثر الرئيس بقناعاته الشخصية العاكسة لطبقته ووضعه، وتجاربه في مجال التجارة والأعمال، وإدراكاته العامة لطبيعة النظام الدولي والمصالح الحيوية الأمريكية، من جهة، وبالدائرة الأقرب من مستشاريه دون توسيع دائرة الثقة والتشاور من جهة أخرى؛

* ولع الرئيس الشديد باتخاذ قرارات يعتبرها جريئة وشجاعة وغير مسبقة، ومثيرة للجدل والنقاش الذي يدفعه أكثر نحو تصدر وسائل الإعلام، كما إن قراراته التي تبدو في ظاهرها انفعالية ومرتبلة، تجعل منه رئيساً غير قابل للتوقع، إلا بعد الإعلان والتصريح، وهو ما يكاد يربك خصومه السياسيين في الداخل، والأطراف المعنية مباشرة بقراراته في الخارج...

تعتمد الدراسة، أساساً، على التقرير الكرونولوجي، المجلد لأهم قرارات الرئيس دونالد ترامب الذي أعده مجلس العلاقات الخارجية « CFR » حول السياسة الخارجية الأمريكية في الفترة ما بين: 2017/2020، أي عهدة ترامب الأولى، والمنشور على الانترنت بعنوان: "لحظات السياسة الخارجية لترامب 2017/2020" « Trump's Foreign Policy Moments 2017/2020 » ، وبتصدير موجز الانحراف العميق لرئاسة ترامب عن القيادة الأمريكية في مجالات عدة مثل الدبلوماسية والتجارة، وتشديد سياسات الهجرة عبر الحدود... وبتقديم خطابه الافتتاحي لرئاسته ، أين أعلن عن "مقاربة أمريكا أولاً" « America First Approach » للسياسة الخارجية والتجارة، والتي تركز على تقليل العجز التجاري الأمريكي وإعادة التوازن في تقاسم الأعباء داخل التحالفات، وحيث يعد ترامب "بتوحيد العالم المتحضر ضد الإرهاب الإسلامي الراديكالي"، ويؤكد أنه "من حق جميع الدول أن تضع مصالحها الخاصة أولاً".¹

يمكننا تقسيم أهم قرارات الرئيس ترامب، ضمن سياسته الخارجية، إلى فئتين رئيسيتين:

1- القرارات العدوانية الموجبة: أي تلك التي تتميز بالتصعيد، وعلى رأسها:

- **صفقة القرن:** التي أعلن عنها ترامب بمعية نتنياهو، بالبيت الأبيض في 3 جانفي 2020، تحت عنوان: "خطة جديدة للسلام في الشرق الأوسط" « A New Mideast Peace Plan »، والتي جاءت بعد التمهيد لها ووضع جميع شروطها التي تصب في المصلحة الصهيونية، ومنها: نقل سفارة الولايات المتحدة من تل أبيب إلى القدس في 14 ماي 2018، الذي سبقه الاعتراف بالقدس عاصمة

¹ Trump's Foreign Policy Moments 2017-7/2020, <https://www.cfr.org/timeline/trumps-foreign-policy-moments> (29/03/2020).

للكيان الصهيوني في 6 ديسمبر 2017، وتقديم الدعم الكامل للمملكة السعودية ولولي العهد بن سلمان، حتى في ظل الضغط المتزايد بعد اغتيال المعارض جمال خاشقجي...

- **قصف سوريا:** في سلسلتين من الضربات، يوم 7 أبريل 2017، ثم يوم 13 أبريل 2018، بذريعة استعمال السلاح الكيميائي ضد الشعب السوري...

- **تقسيم وحصار فنزويلا:** ففي 23 جويلية 2019، اعترف ترامب (وهو يدخل في صلاحياته الدستورية) بزعم المعارضة الفنزويلية "خوان غوايدو" رئيسا مؤقتا وحكم بلاشرعية إعادة انتخاب الرئيس الفنزويلي "نيكولاس مادورو" التي جرت عام 2018، وقام تجميد المساعدات الإنسانية على الحدود، مصرحا بعدم استبعاد الخيار العسكري وجارا معه عدة دول منها دول أوروبية في هذا الموقف...

- **إشعال الحرب التجارية مع الصين:** حيث بلغت في بداية أفريل 2018، التعريفات التي فرضتها الولايات المتحدة على سلع صينية قيمة 250 مليار دولار، والتعريفات الصينية التي فرضتها الصين على منتجات أمريكية قيمة 110 مليار دولار، وفي ماي 2019، بعد انهيار المحادثات التجارية بين أكبر اقتصادين في العالم، رفعت الولايات المتحدة الرسوم الجمركية على سلع صينية بقيمة 200 مليار دولار من 10 إلى 25 في المائة، مما دفع الصين إلى الانتقام عينا، وفرضت قيودا جديدة على شركات الاتصالات الصينية، وهددت بوقف جميع الاستثمارات الأمريكية الخاصة في الصين...¹

2-القرارت العدوانية السالبة: يعني تلك التي تتسم بالانسحاب والانعزالية، ومن أهمها:

- **الانسحاب من الشراكة عبر المحيط الهادي:** حيث سحب ترامب الولايات المتحدة من "اتفاقية الشراكة عبر المحيط الهادي" « Trans-Pacific Partnership : TPP » يوم 23 جانفي 2017، وهي اتفاقية تجارية تضم اثنتي عشرة دولة تركز على آسيا وقد دافعت عنها الولايات المتحدة في ظل إدارة "باراك أوباما"؛

- **الانسحاب من نافتا وتعويضها باتفاق الولايات المتحدة-المكسيك-كندا:** تم ذلك في 30 سبتمبر 2018، بعد إعلان نية البيت الأبيض عن إعادة التفاوض بشأن نافتا في 18 ماي 2017. ف جاء الاتفاق الأخير بشروط فرضتها الولايات المتحدة على كل من كندا والمكسيك؛

- **الانسحاب من الاتفاق النووي الإيراني:** دون ذكر أي انتهاكات إيرانية مادية، أعلن الرئيس ترامب، يوم 08 ماي 2018، انسحاب الولايات المتحدة من خطة العمل الشاملة المشتركة (Joint

¹ Ibid.

(JCPOA: Comprehensive Plan of Action to Congress)، بذريعة أنه لم يحد بشكل كاف من البرنامج النووي المدني للبلاد أو عدوانها الإقليمي، مع فرض مجموعتين من العقوبات، تتراوح من واردات الطائرات إلى صادرات النفط والمنتجات النفطية. جاء ذلك بعد إعلان ترامب، يوم 13 أكتوبر 2017، أنه لن يعيد تأكي امتثال إيران لخطة العمل الشاملة المشتركة للكونغرس (JCPOA)، قائلاً "إن سلوك إيران ينتهك روح الاتفاقية".¹

هذا، دون إغفال إعلان ترامب الانسحاب من اتفاق باريس بشأن المناخ لعام 2015، إنهائه لبرنامج العمل المؤجل للقادمين في مرحلة الطفولة المعروف بـ: «DACA»، والانسحاب من مجلس الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، بذريعة "التحيز المزمّن ضد إسرائيل" و"انتهاكات حقوق الإنسان لأعضاء في المجلس، بما في ذلك الصين وفنزويلا".²

منهجياً، ومن أجل الالتزام بالأهداف البحثية، في نطاقها الأضيق، يكفي أن نطلع على نمط التسيير الترامبي، ونواة الحكم، محل ثقته، لنعرف مستوى التأثير الممارس في عملية اختيار القرار الأنسب وتوقيعه من طرف الرئيس، ومنه تكليفه لصهره بشكل حصري ما أطلق عليه "ملف إسرائيل"؛ أي القضية الفلسطينية والعالم العربي والإسلامي (الشرق الأوسط وشمال إفريقيا MENA)، بالتعبير الأمريكي). "في نظر ترامب، لم يكن تسليم ملف إسرائيل لكوشنر مجرد اختبار، بل كان اختباراً يهودياً: لقد اختاره خصيصاً لأنه يهودي، مكافئاً إياه لأنه يهودي..."³ فالرئيس يفوض من يثق فيه ثقة عمياء لينقرغ لما يبدو له مهما، وملف فلسطين والاحتلال الصهيوني تم وضعه في يد يهودي صهيوني مؤطر، وقد جر معه ابنة الرئيس، "التي أصبحت... اليهودية الأولى في البيت الأبيض".⁴

كما يخبرنا نمط القيادة واتخاذ القرار بالبيت الأبيض وتأثير الدائرة الأقرب، في خيارات الرئيس عن تأثير ابنته (أي زوجها الذي يعني اللوبي الذي يمثله لديه أبوه كوشنر) في ضرب سوريا والانسحاب من DACA، وعلاقات شركة «Oscar»، التي يملكها أخو جاريد مع الصينيين، وكذا علاقات جاريد مع ولي العهد السعودي (ارتباط صفقة القرن بصفقات السلاح)... الخ.

¹ Ibid.

² Ibid.

³ مايكل وولف، مرجع سبق ذكره، ص. 125.

⁴ المرجع نفسه، ص. 184.

يمكننا ملاحظة اعتماد ترامب منذ البدايات الأولى لحملته الإنتخابية، على بيئته الطبيعية المتمثلة في اليمين المتطرف، الذي يتقاسم معه القناعات والمعتقدات، يؤثر فيه ويتأثر به، ويشكل بيئته النفسية بما فيها من إدراكات وتصورات ونسق عقدي وأساطير مؤسسة، ومنهم، إضافة إلى ستيف بانون، مؤسس حركة حزب الشاي، "بوب ميرسر" وابنته "ريبيكا"، الذين "كانا يخصصان مبالغ ضخمة - وإن كانت لا تشكل سوى جزء صغير من مليارديرات بوب ميرسر - لمحاولة بناء سوق حرة راديكالية، وإنشاء حكومة مصغرة، وتشجيع التعليم المنزلي، ومعاداة الليبراليين، ... وتأسيس حركة مناهضة للإسلام وداعمة للمسيحيين، ووضع سياسة نقدية وإنشاء حركة سياسية مناهضة للحقوق المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية".¹

يشكل رأس المال الخاص والمليارديرات والعائلات الثرية، طبقة رأسمالية مهيمنة على صنع القرار ومتحكمة إلى حد بعيد، في الأغلبية من الأمريكيين، وفي جميع مراحل صناعة القرار السياسي ومنه القرار الخارجي.

الفرع الثاني: آفاق المسارين: القراري والقيادي/العولمي

مؤسساتنا، ظل المسار القراري يتطور ويزداد تعقداً، بتعدد هياكله الرسمية وتوزع الصلاحيات والسلطات بينها في ظل التنافس البيئي-مؤسستي، بيد إنه لا يزال تعبيراً عن مكانة، قيم ومصالح طبقة رأسمالية مترفة، "يقدر علماء الاجتماع السياسي في أمريكا، نسبتها العددية ما بين 0.5% إلى 1% من المجتمع الأمريكي، لكنها تملك حوالي 70% من مصادر الثروة الطبيعية، ومن 60% إلى 90% من أسهم الشركات الكبرى التي تعمل في الداخل والخارج سواء".²

وبالتالي، فإن المدى المنظور لمسار اتخاذ القرار، رهين بتطور وتنوع إمكانات، أساليب ومناهج الأقلية الرأسمالية في المحافظة على ثبات مراكزها السلطوية واستغلال المؤسسات الرسمية بما يخدم أهدافها ومشاريعها، ينشر ويرسخ قيمها، ويحقق مصالحها في أمريكا والعالم.

كما إن الصراع الدولي على اعتلاء قمة الهرمية على أساس التراتبية العالمية للقوة الشاملة، ظل يتصاعد، خصوصاً بعد أحداث 9/11 وسعي الولايات المتحدة إلى التحكم في مصادر الطاقة والموارد والمواد الأولية، وتوسيع التحالفات، ومنع القوى الصاعدة من القدرات التنافسية، ومحاولات استخدام مؤسسات ما بعد الحرب العالمية الثانية، ويأتي في مقدمتها حلف شمال الأطلسي لاحتواء الصين،

¹ المرجع نفسه، ص. 83.

² ماجد عرسان الكيلاني، صناعة القرار الأمريكي، الأردن، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 2005، ص. 30.

التي أوضحت، بعد تموقعها الاقتصادي وزيادة إنفاقها العسكري، تشكل تهديدا جديا للانفرادية التي تتمتع بها القوة العظمى « Hyper Power ».

1- آفاق المسار القراري في الولايات المتحدة:

يتشكل المسار العام لصناعة القرار السياسي في أمريكا من مسارين فرعيين:

أ- مسار هادئ وخفي، ينطلق من مناطق إقامة الأقلية القارونية، ذات الثروات الطائلة، وصولا إلى النقاش العام، وتتوسطه مراكز الفكر « Think Tanks » ووكالات الاستخبارات؛

ب- مسار صاخب ومعلن، يبدأ عند اتخاذ القرار الفعلي ويصل إلى المؤسسات الرسمية التي تعبر مخرجاتها عن القرار الملزم الذي يتخذ شكل قوانين وسياسات (عامة وخارجية)، مروراً بوسائل الإعلام وجماعات الضغط والأحزاب السياسية، أين يتم فتح النقاش، عموماً حول قرار قد تم اتخاذه، في انتظار ترسيمه. وبهذه الطريقة، تحافظ الطبقة الرأسمالية على موقعها المهيمن، ومصالحها الضخمة، دون أن تلاحظ أو تُحمل مسؤولية أي قرار يُتخذ، مع إشراك الطبقتين الكبيرتين:

* **طبقة العمال والموظفين:** وتشكل السواد الأعظم من أفراد الشعب الأمريكي، حيث تبلغ نسبة هذه الطبقة بين 80% و 90%، وهي تقسم إلى قسمين: قسم يعمل في الأعمال الثقيلة والمحاطة بالتلوث والعناء الشديد، يُشار إليهم بذوي الياقة الزرقاء « Blue-Coloured Workers »، ومنهم عمال البناء والمناجم والمصانع وتعبيد الطرق، والميكانيكا والزراعة وغير ذلك، وقسم يعمل في الأعمال النظيفة، ويُشار إليهم بذوي الياقة البيضاء « White-Coloured Workers »، ومنهم الجيش والكمبيوتر، وأعمال السكرتاريا والتدريس وإدارة الأسواق وغيرها. قُدمت لهذه الطبقة بعض الحقوق المرتبطة بالحاجات الفسيولوجية، بتعبير أبراهام ماسلو، في أوج الحرب الباردة، وتتميز بالفناء التام في قيم العمل، وقيم الفلسفة البراغماتية، والثقافة الاستهلاكية، لكن جميع امتيازاتها تتآكل بسبب نظام الضرائب وكمبيالات التقسيط والشراء المعروفة باسم « Bills »، ما يحول بينها وبين توفير مدخرات مالية تحقق لها الدعم الاقتصادي والاستقلال الإنساني والعيش الكريم، كما إنها تظل معرضة بشكل مستمر إلى التجديد من خلال كوتا الهجرة السنوية، التي يجري إعدادها في دوائر الإحصاء السكاني طبقاً لدراسات توجهها الأهداف الصناعية والاقتصادية الرامية إلى تجديد رأس المال البشري،

والتعويض عن العناصر البشرية التي ترسب في قاع المجتمع الأمريكي، ما يطلقون عليه: حاويات النفايات البشرية، أي الحانات، بؤر المخدرات والجنس، السجون، المصحات النفسية والعقلية...الخ.¹

* **طبقة كبار المهنيين Professionals**: تمثل من 9 إلى 9.5% من الشعب الأمريكي، وتضم مدراء الشركات المحلية، أساتذة الجامعات، الأطباء، المحامين، نجوم السينما، كبار الكتاب والمؤلفين...الخ وتتمتع بمداخل عالية، ويتحدث عنها الإعلام إلى درجة أنها تشكل الأنموذج الاجتماعي الذي يخفي طبقة الرأسماليين، التي تصنع القرار من خلال أماكن مغلقة، ومؤمنة بدرجة عالية جدا، يطلق عليها البروفيسور "ويليام دامهوف" « William Domhoff »: « **جنات البوهيميين** »²

« **Bohemian Groves** » نسبة إلى البوهيمية، وهي فلسفة يونانية قديمة رأت أن الحياة لذة وما عداه من دين وأخلاق مجرد خرافات، وقد ساهم البروفيسور "س. رايت ميل" « C. Wright Mill » في مناقشة قوة النخبة مقابل دعاية قوة الشعب، وتحليل فساد الطبقة الرأسمالية، في فصل كامل تحت عنوان "لا أخلاقية الطبقة الأعلى" « The Higher Immorality ». نشأت هذه الطبقة من ثلاثة مصادر: أصحاب الشركات الكبرى التي توسعت محليا وعالميا، القيادات السياسية المتعاقبة التي نما نفوذها بنمو القوة الأمريكية، والقيادات العسكرية الذين يسميهم "رايت ميل" لوردات الحرب.³ بينما يرى باحثون آخرون، أن هذه الأقلية نشأت في القرن التاسع عشر كعائلات غنية استطاعت المحافظة على امتيازاتها وتطورت اقتصاديا وسياسيا حتى تمكنت من الإمساك بزمام الحياة في أمريكا ورسم سياسها الخارجية، مثل عائلات: كارنجي، وروكفيلر، وفورد، ومالون، وغيرها.⁴

إذن، ضمن سلسلة معقدة من العمليات، يبدأ القرار من جنات البوهيميين، أين يوفر الرأسمال الخاص المال اللازم والإمكانات المطلوبة لإنجاز بحوث ودراسات تتسم بقدر كبير من الدقة والموضوعية والشمول، وتحشد لها الشركات العابرة للقارات، أفضل الخبرات والمهارات، حيث يقوم باحثون مختصون، في إطار مراكز الفكر والجامعات، بجمع المعلومات وإجراء الدراسات المتعلقة بمجتمعات الأرض، ماضيها، حاضرها ومستقبلها. بعد جمع المعلومات وإعدادها، تُعقد اللقاءات الدورية لمناقشتها وتصنيفها من قبل خبراء مختصين يمثلون الهيئات الرسمية والشركات الكبرى والمؤسسات واللجان

¹ المرجع نفسه، ص ص. 18-21.

² G. William Domhoff, **The Power That Be : Process of Ruling-Class Domination in America**, New York, Random House, 1978, pp. 3-10.

³ C. Wright Mill, **The Power Elite**, Oxford University Press, 1958, P. 171.

⁴ G. William Domhoff, Op-cit.

الحكومية وغير الحكومية، ثم تبدأ عملية صنع القرار ومناقشته، ضمن جماعات تخطيط السياسة الحكومية وغير الحكومية، وهي تضم كلا من: مجلس العلاقات الخارجية The Council on Foreign Relations : CFR، لجنة التطوير الاقتصادي Committee for Economic Development، مجلس المؤتمر الصناعي Conference Industrial Council ومجلس التجارة والأعمال Business Council. يرسل القرار بعد صناعته إلى مناقشته على مستوى اللجان والمجالس الحكومية المختصة، بهدف التحقق من مدى الملاءمة والبحث الدقيق في جوانب القوة والضعف، حيث تتم دراسة الشعوب المعنية، عندما يتعلق القرار بالسياسة الخارجية، فيدرس التراث التاريخي، وتصنف الجماعات البشرية، وتميز الفئات المحافظة والمتطرفة والمجددة، وتدرس ولاءات كل فئة وومدى إمكانية استثمارها، كما يتم تحديد الفئات المعارضة للمصالح الأمريكية... الخ، ثم تُحدد الوسائل اللازمة لتنفيذ القرار، ثانياً.

إلى حد الآن يكون القرار قد تمت صناعته ومناقشته بين المختصين والمجالس المعنية فقط، وبعدها تأتي مرحلتنا صناعة الرأي العام، محلياً ودولياً، حيث يتم توفير المناخ السياسي المؤيد للقرار، تبتكر التبريرات، وتنتشر المقالات وتكثر تصريحات المسؤولين وتُبتكر اللغة السياسية اللازمة والمصطلحات الإيجابية والسلبية، من أجل كسب التأييد، رسمياً، شعبياً ودولياً، إلى أن يصل إلى مرحلة صياغة القانون المؤيد للقرار، أين يضطلع مجلسا النواب والمحاكم العليا بهذه المهمة، وبعد إصدار القانون، يعهد إلى رئيس الجمهورية وإدارته: مستشارين، وزراء، وكالات حكومية، وكالات أمنية وجيش، بتنفيذه، قبل أن يستأنف الباحثون رصد التغذية الإسترجاعية Feedback، لمعرفة ردود الفعل محلياً ودولياً، لتبدأ بذلك دورة جديدة لصناعة قرارات جديدة، حيث يتداول الحزبان الكبيران الممثلان للطبقة الرأسمالية: الديمقراطي والجمهوري، تبعاً لتغير المزاج الشعبي والدولي، وامتصاصاً لمظاهر الاحتقان التي قد تسببها ممارسة أحد الحزبين¹ مثلما أشرنا سابقاً عند الحديث عن ترشيح أوباما لإحداث التحول في تركيز الرأي العام الأمريكي والرأي العام العالمي، من بريرية القوة العسكرية المفرطة (الفلوجة، أبو غريب، غوانتانامو)، إلى الديمقراطية الناضجة والأنموذج الليبرالي الإنساني، والحلم الأمريكي الذي سمح لمواطن أسود البشرة من أصول إفريقية، ومن أجداد مسلمين (لأبيه) بالوصول إلى أعلى منصب رسمي في البلاد، وبهذا نستطيع إدراك العقل الإستراتيجي الأمريكي الذي يتجاوز سياسات الحزبين، لتحقيق مصالح إستراتيجية أبعد مدى وأكثر ثباتاً. يعبر الشكل التالي (ماجد عرسان الكيلاني، ص. 82 + ص. 83 إنجليزية) عن عملية صنع السياسة الأمريكية وفقاً لمسارين فرعيين مندمجين.

¹ ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سبق ذكره، ص ص. 10-15.

بناء على المعطيات المذكورة، فإن مدخلات البيئة الدولية (تمثل جزءا مهما من البيئة الإستراتيجية)، قد تؤثر في صانعي القرار، حيث "يستجيب القادة السياسيون للحوافز الخارجية، متى اشتغلوا بالسياسة الخارجية، وتؤكد كل من الواقعية الجديدة Neorealism والليبرالية الجديدة Neoliberalism على أن سلوك الدول محدد أو موجه من طرف النظام الدولي". ففي مواقف الأزمات الدولية، فإن وضع الأزمة يتسم حسب تشارلز هيرمان، بـ:

* تهديد الأهداف الرئيسية لصناع القرار

* الوقت المحدود الممكن لصناعة القرار قبل أن يحدث تغيير في الوضع

* مفاجأة صناع القرار بالحدث¹

فبالإضافة إلى الأزمة، يُفترض أن يؤدي غموض الموقف الدولي، ليس فقط إلى تعظيم دور العوامل الشخصية للقائد السياسي في عملية صنع قرارات السياسة الخارجية، بل إلى تعظيم مسؤولياته تجاه الرأي العام المحلي والعالمية.

يعتقد "ستانلي بودنر" « Stanley Budner » أن الغموض الدولي يكون على ثلاثة أشكال، هي:

* أن يكون الموقف جديدا تماما

* أن يكون الموقف معقدا إلى حد كبير

* أن يتضمن الموقف معلومات متناقضة بحيث يصعب معها تفسير الموقف.²

وهو على وجه الدقة، ما تعرض له الرئيس ترامب مع أزمة "فيروس كورونا" « COVID19 » الذي دفع انتشاره السريع، وانهيار بلدان أوروبية حليفة، مثل إيطاليا، إسبانيا وفرنسا، إلى ضرورة اتخاذ قرارات سريعة وإيجاد حلول ناجعة ومبتكرة، لم تكن في حساب الرئيس ترامب الذي اتسمت خطابه بالتخبط، ولا فريقه المقرب الذي تميز باللاكفاءة والعدم، في معالجة الأزمة الوبائية، الشيء الذي جعل من الولايات المتحدة، بؤرة عالمية للوباء، مما أثار الرأي العام وخبراء السياسة.

2-العولمة وآفاق القيادة الأمريكية للعالم:

باستثناء تقرير البنتاغون حول الرؤية الإستراتيجية الإستشرافية لسنة 2020، والصادر سنة 2000، أين تم تحديد موقع الصين سنة 2020، بصفة "منافس محتمل" للقوة الأمريكية « Peer

¹ ياسر عبد الحسين، مرجع سابق، ص. 476.

² المرجع نفسه، ص. 477. عن John Spanier, Games Nations Play, Congressional Quarterly, INC, Seventh Edition, 1990, P. 278.

« Competitor¹، وبعض الكتاب الأمريكيين، مثل جوزيف ناي، الذي توقع انتقال القوة من الغرب إلى الشرق، نظرا لظهور الصين الشعبية،² ثم أولئك المنظرين المستبصرين بظاهرة عدم القدرة على السيطرة والتحكم في مجريات الأمور على المستويين المحلي والدولي، وعلى رأسهم: "موزيس آر. نعيم" « Moisés R. Naim »، "إيان آرثر بريمر" « Ian Arthur Bremmer » و"تسيم نيقولا طالب" « Nassim Nicholas Taleb »، ذهب جل الباحثين، قبل أزمة وباء كورونا، إلى التأكيد على استمرار القيادة الأمريكية في القرن الحادي والعشرين، بينما سارع آخرون، بعد إعلان الصين عن تحكمها في انتشار الوباء واستعدادها لمساعدة أوروبا وأمريكا، إلى التأكيد على العصر الصيني، أو على الأقل، مشاركة الصين لأمريكا في قيادة العالم، تأكيدا على مقولة أوباما "بأنه ليست هناك دولة واحدة، بغض النظر عن قوتها، تستطيع التصدي لكل التحديات العالمية بمفردها، وهو الأمر الذي يفرض إعادة صياغة المقاربات التعاونية أو التشاركية القادرة على تحقيق نجاحات دولية".³

أ- نظرية نهاية القوة وتساوي الأطراف:

يؤكد "موزيس آر. نعيم" في نظريته الإستشرافية "نهاية القوة" « The End of Power » على تحول القوة:

- * من الغرب إلى الشرق؛
- * من الشمال إلى الجنوب؛
- * من القصور الرئاسية إلى الساحات العامة؛
- * من الجيوش الكبيرة المستقرة إلى العصابات المتمردة الفضفاضة؛
- * من الشركات العملاقة إلى الشركات الصغيرة النشيطة؛
- * من الرجال إلى النساء...⁴

فبالإضافة إلى كونها عملية تحويل وتشتيت، تُعتبر القوة عند نعيم، عملية اضمحلال، حيث تزداد القيود على الموجودين في السلطة، كما يصبحون أكثر تعرضا لفقدانها. فالقوة تتغير باستمرار، "حيث

¹ <http://pentagonus.ru/doc/JV2020.pdf> (30/03/2020)

² ياسر عبد الحسين، مرجع سابق، ص. 482.

³ المرجع نفسه، ص. 479.

⁴ جمال سند السويدي، آفاق العصر الأمريكي - السيادة والنفوذ في النظام العالمي الجديد، أبو ظبي، [د.د.ن.]، الطبعة الأولى، 2014، ص. 522.

أصبحت أصعب في الاستخدام وأيسر في فقدان. ونتيجة لذلك، فإن القادة جميعهم أصبحوا أقل قوة مقارنة بسابقيهم، واحتمال وقوع اضطرابات غداً أمراً متوقفاً بشكل غير مسبوق. وهذا يعود أساساً إلى ثلاثة متغيرات، يعبر عنها "تعيم" بالثورات الثلاث المتزامنة: ثورة الوفرة (من الناس إلى المنتجات: الوفرة في كل شيء)، ثورة سهولة التنقل (تكثف وتسارع حركة الناس صعب مهمة السيطرة عليهم) وثورة التغييرات العميقة في عقليات الجماهير (خضوع الجماهير لتحول معرفي وعاطفي هائل بسبب وصولهم إلى مصادر المعلومات أكثر من أي وقت مضى).¹

بالمقابل، ينفي "أيان آرثر بريمر" في نظريته الشهيرة بـ "المجموعة الصفراء" « G-Zero » والتي روج لها كل من "ديفيد إف. غوردن" « David F. Gordon »، المدير السابق لتخطيط السياسات في وزارة الخارجية الأمريكية، و"نورييل روبيني" « Nouriel Roubini »، الأكاديمي الاقتصادي الذي اشتهر بتوقعه للأزمة العالمية التي بدأت عام 2007، وجود دولة فردية أو مجموعة من الدول مجتمعة، لديها الثقل السياسي والاقتصادي - أو الرغبة - لتفقد بصورة صادقة تطبيق أجندة دولية، ويُنتظر أن يكون لهذا الفراغ آثار بعيدة المدى، حيث تظل الولايات المتحدة الأمريكية، في ظل المجموعة الصفراء ولبعض الوقت، الأولى بين أطراف متساوية لا أكثر. أي أن هناك غياباً للقيادة في الوقت الراهن.²

فالتحديات تقليدية وتحولات القوة تدريجية، لكن السيطرة الأمريكية المطلقة غير واردة.

ب- نظرية البجعة السوداء The Black Swan والأحداث العرضية:

تركز هذه النظرية، التي روج لها "نسيم نيقولا طالب"، على الأحداث المؤثرة بشدة في العالم، مثل النجاح الخرافي والسريع وغير المتوقع لشركة "غوغل"، اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة، الأزمة المالية التي بدأت عام 2007 والتقنيات الثلاث التي أثرت بقوة في مسيرة العالم الذي نعيشه اليوم، وهي: الحاسوب، شبكة الإنترنت وأشعة الليزر، حيث تعدّها "بجعات سودا" كونها أحداثاً تتصف بصفات ثلاث:

* عرضية: لأنها تقع خارج نطاق التوقعات المألوفة؛

* مؤثرة بقوة في الحياة؛

¹ المرجع نفسه، ص ص. 523-522.

² المرجع نفسه، ص ص. 524 - 523.

* موهمة بقابليتها للإدراك والإستشراف والتوقع؛¹

باكتشاف بعض عناصر الأحداث النادرة، يسهل تكوين فكرة عامة عن بعض احتمالاتها، وبذلك يمكن تحويل "البجعات السود" إلى "بجعات رمادية" مما ينقص من صدمة المفاجأة التي ترافق حدوثها. فبالبجعات السوداء "هي التي لها التداعيات الشديدة المؤثرة في النظم والتطورات، وهي بطبيعتها صعبة التوقع ومن ثم صعبة الإدارة".

تنطبق الصفات المذكورة عموماً على وباء "كورونا المستجد" « COVID19 »، خصوصاً ما تعلق منها بسرعة انتشاره، إرباكه لصانعي القرار في العالم عموماً وفي الولايات المتحدة خصوصاً، وصعوبة إدارة مكافحته. فإذا أضفنا انهيار أسعار النفط وانتشار الاحتجاجات في عشرات المدن الأمريكية ثم في العواصم الأوروبية، ضد العنصرية، بعد مقتل الأمريكي الأسود "جورج فلويد" على يد شرطي أبيض، كان ذلك أدعى إلى التمعن في استنتاجات مختصي "فورين بوليسي" و"فورين أفيرز" وتوقعاتهم حول تحول القيادة العالمية من الولايات المتحدة إلى الصين التي ستصبح قوة عظمى سنة 2050 مع تداعياتها السياسية، والتأمل في مقولات الفيلسوف الفرنسي "ميشال أونفري" وخلصتها: انهيار الحضارة اليهودية - المسيحية. لكن الأرجح برأينا، وبغض النظر عن التوقعات ذات الطابع الإستراتيجي، هو: تراجع الأنموذج القيمي الأمريكي.

¹ المرجع نفسه، ص ص. 524 - 525.

خلاصة واستنتاجات:

يدخل البعد القيمي والانتصار للإيديولوجية القومية (الوطنية) في صميم هندسة السياسة الخارجية الأمريكية؛ حيث يسعى الخطاب الرسمي، دون أدنى محاولة لإخفاء السعي الدؤوب إلى تحقيق المصالح، إلى تكريس القيم الإنسانية تبريراً قوياً لكل سلوك سياسي خارجي يصدر عن الدوائر المركزية، الحيوية لصنع القرار، وعلى رأسها: الهيئة الدستورية التحكيمية العليا، أي الرئاسة، وإلى الحفاظ على وضع القوة العظمى التي اختارتها العناية الإلهية لقيادة العالم، بل وللسيطرة عليه إذا قاوم، وفرض سلمها على جميع الوحدات السياسية على المستوى الكوني، لأن زعامة العالم الحر وعولمة الأنموذج القيمي والنمط القومي الأمريكي ذي الطابع الإنساني، قدر الأمة الأمريكية الظاهر ومصيرها الحتمي...

يخلص طالب العلم، من خلال دراسة الفصل الرابع إلى جملة من الإستنتاجات الموجزة في النقاط التالية:

- تُقصي الرواية الأمريكية الرسمية كل تفسير لهجمات 9/11، ما عدا حقيقتها الثنائية المطلقة والمتمثلة في ازدواجية التضاد: **الإرهاب ضد الحرية**؛ حيث يعبر النمط القومي الأمريكي، بصفته الأنموذج الكوني الأرقى، عن مزيج متماسك من القوة العسكرية الفريدة والنفوذ السياسي والإقتصادي العظيم، إلى درجة وجوب: تحمل المسؤولية واستخدام القوة لتعزيز توازن القوة الداعمة للحرية، والاستعداد الدائم للتحرك المنفرد، خارج أي شرعية تمنحها ضرورات الأمن الجماعي، فقط إذا تطلبت المصالح الأمريكية ذلك... ومنه كان شن الحرب الشاملة على الإرهاب GWAT مبرراً لتفعيل العدوان والغزو خارج الهيئات الأممية (غزو العراق)، والذي لا يمثل في الواقع قطيعة بل استمراراً لما يردده الخطاب الرسمي: محاربة قوى الشر نيابة عن الإنسانية بأسرها، وذلك منذ هزيمة إمبراطورية الشر (الاتحاد السوفياتي) إلى محاربة الإرهاب الإسلامي (التركيز الممنهج على لفظ الإسلامي)، واعتبار كل صوت ناقد أو رأي مختلف، بأنه مع الإرهاب ضد الحرية.

- يتطابق مشروع القرن PNAC مع الرواية الرسمية في كون الريادة العالمية الأمريكية مفيدة لأمريكا وللعالم، لأن جل الموقعين على بيانه والمتبنين لأهدافه الإمبريالية، كانوا وراء تحرير خطابات الرئيس بوش وتحرير وثيقة الأمن القومي الأمريكي NSSA، بحكم تقلدهم لأهم المناصب المفتاحية في البيت الأبيض والبنتاغون، والتفافهم حول الرئيس الجمهوري وتأثيرهم في قراراته.

لقد مثلت أحداث 9/11 تلك الحاجة الضرورية لوضع مشروع القرن موضع تنفيذ، أو حسب وصف عديد الباحثين والصحفيين والسياسيين: "بيرل هاربر جديدة" « New Pearl harbor »؛ حيث أدت

الأولى إلى مشاركة الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية، وأبرزت الثانية حربي أفغانستان والعراق، بالإضافة إلى عديد العمليات الاستخباراتية والتدخلات العسكرية الكارثية في منطقة MENA على وجه التحديد، والتي كلفتها (أي الولايات المتحدة): أموالا طائلة، ضحايا بشرية وشعورا عالميا معاديا لسياستها الخارجية ورفضاً لأنموذجها البربري، الذي يمثل خطراً على البشرية جمعاء.

- طرحت مشكلة "الجدوى" من استهداف جميع دول منطقة MENA بدءاً بحرب أفغانستان وغزو العراق، وارتفاع منسوب الشعور العالمي المعادى لأمريكا، إشكالية مركزية تبنتها نخبة من السياسيين وصناع الرأي ومن الأكاديميين ذوي السمعة المرموقة، حول تحديد المصلحة القومية في سلوك الولايات المتحدة الخارجي عموماً وتجاه الشرق الأوسط خصوصاً؛ حيث أكدت الدراسات العلمية مسنودة بالوقائع والإحصائيات ومدعمة بشهادات كبار البيروقراطيين والتكنوقراط المطلعين، بأن مصلحة الكيان الصهيوني الذي اختيرت له، بكثير من الدهاء، تسمية: "إسرائيل"، أصبحت فعلياً مقدمة على المصلحة الأمريكية نفسها، بل ومناقضة لها، وذلك بسبب قوة تأثير الإيديولوجية الصهيونية وفعالية اللوبي، وما المحافظون الجدد إلا مجموعة من اليهود الصهاينة المتغلغلين في مفاصل الإدارة الأمريكية تسندها لوبيها إضاح الكونغرس، تدعو إلى تصفية جميع الأعداء الحقيقيين أو المحتملين للكيان الصهيوني، بواسطة حسان طروادة أي القوة العسكرية الأمريكية، وفقاً لمقولة معبرة تُنسب لوزير داخلية فرنسا الأسبق: "جون بيار دي شوفانمون": "إن الذنب هو الذي يحرك الكلب" « C'est la queue qui remue le chien ».

وبالنتيجة، فإن كفاءة اللوبي وأمواله والصوت الانتخابي لليهود، وإن مثلت سبباً ضرورياً، فإنه يظل غير كافٍ للتأثير في خيارات صانع القرار الأمريكي لو لم يتم توظيف، بالدهاء الكبير ذاته، القيم الدينية، المبنية على الأسطورة المؤسسة التي تلخصها مقولة: "الحضارة اليهودية - المسيحية".

- بالإضافة إلى الفواعل القيمية - الإيديولوجية، يشمل التفكيك المركبات الصناعية الكبرى، باعتبارها فواعل ذات نفوذ هائل في نظام رأسمالي، وحوامل لمصالح ضخمة وقيم نخبوية مصبوغة بالصبغتين الأمريكية (بغرض فرضها على المجتمع الأمريكي المتعدد محليا) والإنسانية (بهدف عولمتها، أي فرضها على العالم بأسره)، وخلصتها (بتعبير غارودي): دين التوحيد المتمحور حول السوق العالمي الأوحد، أو كما جاء في ترجمة كتبه: وحدانية السوق « Le monothéisme du marché ». يقع على رأس هذه المركبات كل من المركب الصناعي - العسكري، الذي حذر الرئيس الأسبق "إيزنهاور" من نفوذه المتعاضم وتهديده الحقيقي لقيم الحرية والديمقراطية داخل الولايات المتحدة، ولقيم الأمن والسلم خارجها، ثم المركبان: العسكري - السينماتوغرافي، الذي ارتبط عضواً بالبنتاغون والوكالات

الأمنية، بما أصبح يُعرف بسينما الأمن القومي، ثم المركب الإعلامي - التواصلي (أو الشبكي) الذي تحكم في المعلومة، صوتا وصورة، عن طريق وكالات الأنباء والقنوات الفضائية، وطور آليات الرقابة العالمية والسيطرة الكونية عبر وسائط التواصل الاجتماعي، التي تخزن جميع المعلومات المتعلقة بالحياة اليومية لمواطني العالم وزعماء الدول، في الولايات المتحدة الأمريكية دون سواها.

- تشكل القيم عنصرا أساسيا في مفهوم القيادة، خصوصا إذا أدركنا مدى سعة الصلاحيات الممنوحة، دستوريا، للرئيس الأمريكي الذي يهيمن على صياغة وتنفيذ السياسة الخارجية، وكذا أهمية الدوائر الأقرب إليه وبالتالي الأقوى تأثيرا في خياراته وقراراته، مثل مجموعة المحافظين الجدد الملتفة حول بوش، ومجموعة الأقارب الأشد التصاقا بترامب، أي ابنته إيفانكا وزوجها كوشنر المؤطر تطيرا كاملا من طرف أبيه واللوبيات الصهيونية التي ينتمي إليها، والمؤثرة بصفة مباشرة في تحديد بيئة الرئيس النفسية: نسقا عقديا، إدراكا وتصورا، إلى درجة إقحام بوش في حروب أقل جدوى، وترامب في قرارات تم تأجيلها من طرف كل الرؤساء السابقين، مثل نقل السفارة من تل أبيب إلى القدس الشريف، وشرعنة كل عمليات ضم الأراضي الفلسطينية والمستوطنات اليهودية. إذن: فالتحكم في الرئيس الأمريكي يساوي تحكما في القرار السياسي للولايات المتحدة.

- في إطار التفكيك، مكنتنا دراسة أهم العمليات: "الحرب الشاملة ضد الإرهاب"، "شيخينا" "تيمبر سيكامور" ... ومن قبلها: "تي بي أجاكس"، "مخطط كوندور" ...، من إدراك العقل الإستراتيجي الأمريكي: المحدد للمصلحة القومية، الواضع للأهداف الإستراتيجية والمنتقى للقيم، الدينية والدنيوية، حسب الحاجة والضرورة، زمانا ومكانا، بما يتجاوز شخصيات الرؤساء وسياسات الحزبين المتداولين على السلطة؛ حيث تم توجيه كفة الإنتخابات لصالح بوش حاملا لمشروع القرن PNAC، ثم لصالح أول مرشح أسود من خارج الواسب، محولا للشعور المعادي للولايات المتحدة إلى إعجاب بقيمها الديمقراطية، بل وناقلا للعداء إلى روسيا بسبب تدخلها في سوريا (القيادة من الخلف)، ثم عن طريق استغلال قانون الإنتخابات البالي في ترجيح كفة ترامب على حساب هيلاري كلينتون، رغم تحصلها على أغلبية الأصوات، دون أصوات كبار الناخبين، وبعدها تدمير منجزات هذا الأخير، إما لابتزازه بشكل أكبر، أو بسبب استفاده وانعدام الحاجة إليه، لتمكين منافسه "جو بايدن" من الحزب الديمقراطي وإحداث تغيير مبرر قيما، ويحقق الأهداف الإستراتيجية المسطرة.

- ساعدت دراسة المسارين القراري والعولمي، في تحديد أدق للعقل الإستراتيجي الأمريكي، وآليات السلوك السياسي والأطراف الصانعة للقرار وتلك المشاركة في إعداد وصياغته، ثم تنفيذه ومتابعته؛ حيث

تتحكم العائلات الرأسمالية البوهيمية، التي لا تمثل سوى نسبة 0.5% إلى 1% من مجموع السكان، وتملك من الثروة القومية ما يتعدى 80%، في مسار صناعة القرار، مشرقة لمراكز البحث والمؤسسات الإقتصادية التابعة لها في إعداده وبلورته. تنتمي العائلات المذكورة إلى مجموعتين متنافستين لكن متحالفتين: مجموعة البيض الأنغلو ساكسون البروتستانتيين WASP، ومجموعة اليهود المندمجين والمشكلين من النخبة الأنغلو ساكسونية المتهودة، ومن الأشكنازيم الذين ينتمون إلى قبائل الخزر المعتنقة لليهودية القبلية، والتي عناها "هنري فورد" في كتابه: "اليهودي العالمي" ووصف تماسكها وجشعها وتغلغلها في دوائر القرار الأمريكي.... ولكن:

إلى أي مدى تتحكم هذه العائلات القوية في الشركات المتعددة الجنسيات والمركبات الكبرى، وتستغل البجعات السود، لإدارة دفة السياسة الأمريكية والسياسة العالمية؟

خاتمة

خاتمة:

توصلت الدراسة التي قام بها طالب العلم معد هذا البحث المتواضع إلى عدة نتائج أهمها ما يلي:

- يعبر إدخال القيم في هندسة السياسة الخارجية الأمريكية عن الرحم حيث تستقر الاستراتيجيات بعيدة المدى مشكلة لإيديولوجية وطنية. تتضمن الاستراتيجية مجموعة من الأهداف المتسمة بالثبات، تدير عملية تحقيقها سياسات حزبية تنافسية تتسم بالتغير والتعدد. تبرر القيم هذه السياسات من أجل تحقيق الأهداف الاستراتيجية. إذن، فالقيم يسري تأثيرها، وفقا لنسق من القيم، في جميع مراحل المسار القراري، وعند تعارضها مع المصالح المعلنة، يلعب الانتقاء على أساس قيمة عليا مختارة، مع لغة سياسية أكثر ملاءمة، حسب الحاجة والمصلحة العاكسة للأهداف ذات الطابع الإستراتيجي، وظيفة إعادة الانسجام وإلا فإن المصلحة القومية نفسها قد تمثل تلك القيمة العليا، تبرر بها السياسات العنيفة والتدخلات العسكرية وعمليات الحصار وتداعياتها على الصعيد الإنساني.

- لجأت الإدارة الأمريكية إلى القيم لتفسير أحداث الحادي عشر أيلول - سبتمبر 2001 ولتوظيفها في تنفيذ السياسة الخارجية وتطبيقاتها المختلفة بعد الأحداث، حيث تُعتمد القيم حسب الحاجة زمانا ومكانا: القيم الدينية لمخاطبة الرأي العام المحلي والقيم الدنيوية الإنسانية لمخاطبة الرأي العام الدولي.

- تطرح عملية تفكيك السياسة الخارجية الأمريكية إلى مكوناتها الأساسية تفاعل العناصر التالية: الأهداف وتتسم بالثبات، الوسائل المادية وتتسم بالتطور، المنظومة القيمية وتتسم بالتنوع. تمثل الأهداف مجموعة المصالح التي يمثلها كل من النمط الرأسمالي والمشروع الصهيوني، الفواعل ممأسسة وغير ممأسسة (مجموعات). تتمثل الوسائل المادية في القوة العسكرية والمقدرات الاقتصادية، بينما تتمثل المنظومة القيمية المتنوعة في القيم الأساسية مثل الحريات وحقوق الإنسان دون نسيان تمجيد القوة ونزوع السيطرة التي شكل محتواها ما نطلق عليه الثقافة الأمريكية التي تحملها وسائل الإعلام والاتصال من وكالات الأنباء والقنوات التلفزيونية إلى هوليوود وإنتاج الأفلام فيما أصبح يُعرف منذ العهدة الأخيرة للرئيس "فرانكلين روزفلت" بسيما الأمن القومي.

- تعبّر فكرة الانتقاء أي انتقاء القيم عن السياسات المتنافسة بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي التي تحقق أهدافا استراتيجية أكثر ثباتا (أهدافا واحدة أو الأهداف نفسها) بواسطة فواعل متغيرة. ففي عهد جورج بوش الابن استُخدمت القوة الصلبة من أجل فرض المصالح/القيم النيومحافظة الإمبراطورية، وعندما بلغت هذه السياسة حدودها (عسكريا، اقتصاديا، سياسيا ودعائيا) اختير الرئيس باراك أوباما

لاستخدام القوة الناعمة والقوة الذكية بإبراز الأطروحة النيومثالية، قبل أن تبرز ملامح النزعة النيوانعزالية في عهد دونالد ترامب باستعمال ازدواجية القوة (إقناع/إكراه) بهدف تمتين المكاسب المحققة وشرعنة السيطرة العالمية في سياق أطروحة بريجينسكي حول الدور الأمريكي بين قيادة العالم والسيطرة عليه.

- إن بقاء الحضارات كما يفسره المؤرخ البريطاني " أرنولد توينبي " مرتبط بالاستجابة الظاهرة للتحديات المقلقة : >> من تحقيق غاية إلى صراع جديد، ومن حل مشكلة إلى مجابهة أخرى، ومن هدأة مؤقتة إلى حركة راجعة << ... فغياب التحدي، (The Challenge / Le défi) ينفي حدوث رد الفعل (The Response / La Riposte) ...

بمعنى أن غياب الدافع الحيوي يهدد الحضارات بسقوطها مما جعل الإستراتيجيين الأمريكيين يدركون أن خلا ما أصاب مسيرة الو.م.أ مما استوجب خلق عدو إستراتيجي يحل مكان الاتحاد السوفياتي المنهار.

في الواقع، لم يكن صناع القرار الأمريكيون، ورأسوا السياسات يبحثون عن عدو مجرد يحفزون به الطاقات وبشحنون الهمم ويعبئون القوى من أجل صد خطرهم، بل كانوا يختلقون الذرائع ويبحثون عن المبررات الكافية لإشعال حرب أو حروب في مستوى الحرب الكورية، وحرب الخليج الثانية من أجل إنعاش الاقتصاد الأمريكي الذي كان يميل إلى الانحدار في فترة اقبل أحداث 11 سبتمبر 2001 .

- مثلت أحداث 11 سبتمبر 2001 حلا (مؤقتا) لعزلة واشنطن المتزايدة على المستوى الدولي..، هذه العزلة تجلت في رفض الإدارة الأمريكية التوقيع على عدة اتفاقيات تهم المجتمع الدولي برمته (اتفاقية كيوتو...الخ) ... تم تبنت بشكل يبعث على قلق الأمريكيين في مؤتمر " ديريان " قبيل الأحداث بأيام معدودة. فبعد أقل من سنتين من أحداث 11 أيلول/سبتمبر، بدأ التضامن العالمي الابتدائي مع أمريكا بالتحول وبشكل متزايد إلى عزلة أمريكية، في حين تراجع التعاطف العالمي أمام الشكوك الواسعة الانتشار بالدوافع الحقيقية لاستخدام القوة الأمريكية..، وبصفة خاصة، وجدت الو.م.أ مصداقيتها السياسية العالمية بعد اجتياح العراق على قدر كبير من التندي... إن الشعور المعادي لأمريكا لم ينم فقط عند أعدائها التقليديين (الشعوب المنهكة في أمريكا اللاتينية وفي منطقة الشرق الأوسط، وقوى اليسار...الخ)، بل تعدى ذلك إلى اليمين، وإلى الغرب نفسه. فقد كشف استطلاع للرأي أجرته المفوضية الأوروبية (الجهاز التنفيذي)، خريف سنة 2003 (أي قبل فضائح أبو غريب وحديثة...)، أن غالبية مواطني الاتحاد الأوروبي البالغ عددهم 375 مليون نسمة، أي حوالي 59% ممن شملهم

الاستطلاع، يعتبرون "إسرائيل" خطرا يهدد السلام العالمي، تليها في المرتبة الثانية كل من إيران، كوريا الشمالية والو.م.أ...، وعبر أكثر من الثلثين عن اعتقادهم أن الغزو الأمريكي للعراق لم يكن له ما يبرره..، أي أن الرأي العام الأوروبي، ورغم الدعاية الصهيونية المكثفة، يصنف الو.م.أ في نفس درجة من تسمى من طرف الإدارة الأمريكية: "الدول المارقة"، ويصنف "إسرائيل" على أنها أكثر تهديدا من محور الشر. تأتي عمليات التقتيل البارد للأمريكيين السود، وما تبعها من احتجاجات عارمة مست طيفا واسعا من المجموعات الإثنية والثقافية في الولايات المتحدة وخارجها، لتبين مدى عمق الرفض المجتمعي والكوني للأنموذج العنصري المعتمد على الصورة والتأثير في الضمير الجمعي، محليا وعالميا، من أجل تقبل التسويق للحلم الأمريكي، بدلا من مناهضة الكابوس الأمريكي، الذي يبرر بسهولة كبيرة، قتل مليون طفل عراقي في مدة وجيزة من الحصار، لأن المصالح الإستراتيجية، أهم...

قائمة المراجع

قائمة المراجع المراجع باللغة العربية

أولاً: الكتب

1. إدوارد سعيد، تغطية الإسلام. ترجمة سميرة نعيم خوري. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1983.
2. أنطوني كردسمان وآخرون، العراق: - الغزو - الاحتلال - المقاومة، شهادات من خارج الوطن العربي، لبنان، بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية 2004.
3. جو فيالز، العراق أولاً: حرب إسرائيل الخاطفة على نفط الشرق الأوسط - عملية شيخينا-، ترجمة: مروان سعد الدين، سوريا، دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، الطبعة الأولى: آب/أوت 2003.
4. جيف سيمونز، إستهداف العراق: العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية، لبنان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، فيفري (فبراير) 2003.
5. حسين بوقارة وآخرون، الانعكاسات الدولية والإقليمية لأحداث 11 سبتمبر 2001. الجزائر: باتنة، شركة باتنت للمعلوماتية والخدمات المكتبية والنشر، الطبعة الأولى سبتمبر 2002.
6. زيغنيو بريجنسكي، الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم، ترجمة عمر الأيوبي، لبنان: بيروت، دار الكتاب العربي، 2004.
7. سعيد اللاوندي، أمريكا في مواجهة العالم، حرب باردة جديدة، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، مارس 2004.
8. ما يكل كلير، الحروب على الموارد: الجغرافيا الجديدة للنزاعات العالمية، ترجمة عدنان حسن، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، 2002

9. محمد حسنين هيكل، الزمن الأمريكي : من نيويورك إلى كابول. القاهرة: الشركة المصرية للنشر العربي والدولي، الطبعة الرابعة، جوان 2003.
10. مختار خليل المسلاتي: أمريكا كما رأيتها، الكويت، مكتبة المعلا، ط1، 1986.
11. نصير عاروري وآخرون، العراق: الغزو- الاحتلال- المقاومة، سلسلة كتب المستقبل العربي بيروت، ط2، جويلية/ يوليو 2004.
12. نويل مامير، باتريك فاربياز، خطورة أمريكا-ملفات حربها المفتوحة في العراق-، ترجمة ميشال كرم، anep / دار الفارابي، الطبعة الأولى 2004.
13. نيكولاس قايات، قرن أمريكي آخر؟، ترجمة رياض حسن. بيروت: دار الفارابي، الطبعة الأولى 2003.
14. هالة سعودي، محرر الإدارة الأمريكية الجديدة والشرق الأوسط، مركز البحوث والدراسات السياسية الطبعة الأولى، 1993.
15. يوسف الجهماني، تورايبورا: أولى حروب القرن، دمشق: دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 2002.
16. مقلد إسماعيل صبري ، العلاقات السياسية الدولية. القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1991، ص249، وليد عبد الحي، الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، الجزائر، شركة الشهاب.
17. المكي هشام وآخرون، سؤال القيم بصيغ متعددة نماذج في العلوم الاجتماعية والإعلام ولتربية والأدب والثقافة، ط1، لبنان، بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، 2015.
18. لبصير عبد المجيد ، موسوعة علم الاجتماع ومفاهيم في السياسة والاقتصاد والثقافة العامة، الجزائر، عين مليلة دار الهدى، 2010.

19. الزبيدي محمد مرتضى ، تاج العروس، المجلد التاسع، لبنان، بيروت، دار صادر، 1966.
20. مصطفى إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، القاهرة، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص. 771. أنظر هشام مكي، مرجع سابق الذكر.
21. ابن كثير، تفسير ابن كثير، دار الأندلس، المجلد السابع.
22. الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، المجلد الرابع.
23. ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، المجلد 12.
24. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتاب العربي، الجزء الرابع.
25. أنيس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، القاهرة، 1979 مجمع اللغة العربية، ص. 768. أنظر: سفيان بو عطيط، القيم الشخصية في كل مضامينها، قسنطينة، منشورات جامعة قسنطينة 2 مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، 2015.
26. معيرش موسى ، فلسفة القيم ماهيتها طبيعتها، قسنطينة، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2016.
27. مقلد إسماعيل صبري ، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، الكويت، جامعة الكويت.
28. النعيمي أحمد نوري ، عملية صنع القرار في السياسة الخارجية: الولايات المتحدة الأمريكية أنموذجاً، عمان، دار زهران للنشر والتوزيع، 2011.
29. الكيالي عبد الوهاب وآخرون، موسوعة السياسة، لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت.ن.
30. المليجي حلمي ، علم نفس الشخصية، ط1، بيروت، دار النهضة العربية.
31. عدون ناصر دادي ، إدارة الموارد البشرية والسلوك التنظيمي (دراسة نظرية وتطبيقية)، الجزائر، دار المحمدية العامة، 2004.
32. نصر الدين جابر ، لوكيا الهاشمي ، مفاهيم أساسية في علم النفس الاجتماعي، الجزائر، جامعة منتوري بقسنطينة، مخبر التطبيقات النفسية والتربوية.
33. خياط محمد جميل ، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى،

34. منير حسن فهمي نورهان ، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999
35. بن نبي مالك ، مشكلة الثقافة، الطبعة الخامسة عشر، سوريا، دمشق، دار الفكر، 2011
36. ويليامز ريموند ، الكلمات المفاتيح، ترجمة نعيان عثمان، ط1، المركز الثقافي العربي، 2007.
37. العيسوي عبد الرحمان ، الوعي السيكلوجي، لبنان، بيروت، دار الراتب الجامعية، دون ذكر تاريخ النشر
38. ألموند جبرائيل وآخرون، السياسة المقارنة إطار نظري، ترجمة محمد زاهي بشير المغيربي، ط1، ليبيا، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1996
39. المغيربي محمد زاهي بشير ، قراءات في السياسة المقارنة - قضايا منهجية ومدخل نظرية، ليبيا، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط2، 1998
40. معمر داوود ، منظمات الأعمال الحوافز والمكافآت بحث علمي في الجوانب الاجتماعية والنفسية والقانونية، مصر، القاهرة، دار الكتاب الحديث، 1427هـ / 2006م
41. غيث محمد عاطف: قاموس علم الاجتماع، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979
42. الفارس سليمان خليل وآخرا، إدارة الموارد البشرية "الأفراد"، ط7، سوريا، دمشق، منشورات جامعة دمشق، 1426-1427 هـ / 2005-2006م
43. محمد خليفة عبد اللطيف ، ارتقاء القيم (دراسة نفسية)، عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978.
44. أبو العينين علي خليل مصطفى ، القيم الإسلامية والتربوية، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم حلي، الطبعة الأولى، 1988.
45. العروي عبد الله ، مفهوم الإيديولوجيا، الطبعة السابعة، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2003.
46. لارين جورج ، الإيديولوجيا والهوية الثقافية - الحداثة وحضور العالم الثالث، ترجمة فريال حسن خليفة، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2002

47. الشامي رشاد عبد الله ، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1986
48. محمد فهمي عبد القادر ، الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية. دراسة في الأفكار والعقائد ووسائل البناء الإمبراطوري، الطبعة الأولى، الاردن، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009
49. كوريت مايكل وجوليا ميتشل ، الدين والسياسة في الولايات المتحدة، ترجمة عصام فايز وآخرين، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2006
50. أولبرايت مادلين ، الجبروت والجبار - تأملات في السلطة والدين والشؤون الدولية، ترجمة عمر الايوبي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ناشرون، 2007.
51. ديلودال جيرار ، الفلسفة الأمريكية، ترجمة جورج كتورة وإلهام الشعراني، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، كانون الأول (ديسمبر) 2009
52. غازلي عبد الحليم ، السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إفريقيا، القاهرة، دار الكتاب الحديث، الطبعة الأولى، 2015
53. السروجي محمد محمود ، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية منذ الاستقلال إلى منتصف القرن العشرين، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، (د.ت.ط)
54. دي توكفيل ألكسيس ، الديمقراطية في أمريكا، ج1، ترجمة أمين مرسي قنديل، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، 1962
55. المحمداوي علي عبود (تحرير وإشراف) ومجموعة من المؤلفين، الفلسفة السياسية المعاصرة من الشموليات إلى السرديات الصغرى، الطبعة الأولى، وهران، ابن النديم للنشر والتوزيع، 2012
56. جلال شوقي ، العقل الأمريكي يفكر، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2000
57. المسيري عبد الوهاب ، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2006.
58. مقلد إسماعيل صبري ، الاستراتيجية والسياسة الدولية، المفاهيم والحقائق الأساسية، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.

59. الهيبي صبري فارس ، الجغرافية السياسية مع تطبيقات جيوبوليتيكية، الطبعة الأولى، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2000م - 1420 هـ .
60. كابلان روبرت ، انتقام الجغرافيا، ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة وعن الحرب ضد المصير، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (عالم المعرفة).
61. حمد ثائر خليل ، الأمن القومي الأمريكي والتغيير في المنطقة العربية، الطبعة الأولى، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع، 2016.
62. ربيع حامد ، (نظرية الأمن القومي العربي)، دراسات سياسية، العدد 5، بيت الحكمة، بغداد، شتاء 2001.
63. شعبان عدنان أمين ، مفهوم الأمن في ظل النظام العالمي الجديد، الطبعة الأولى، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية5.
64. موردان ميشال بونيون، أمريكا المستبدة، ترجمة حامد فرزات، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
65. ناصيف ياسين ، الإرهاب الأمريكي المعولم، أميركا بنت الإرهاب وولادته: رؤساؤها نموذجا، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت، دار الفارابي.
66. بوقارة حسين وآخرون، الانعكاسات الدولية والإقليمية لأحداث 11 سبتمبر 2001، الطبعة الأولى، باتنة، شركة باتتيت للمعلوماتية والخدمات المكتبية والنشر، سبتمبر 2002.
67. سعيد محمد قدري ، عبد المنعم سعيد، 11 سبتمبر 2001، الأفكار والأسرار، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الطبعة الثانية، 2002.
68. بلهول نسيم ، عن الجيوستراتيجية، الطبعة الأولى، الجزائر، إين النديم للنشر والتوزيع، 2015.
69. أحمد نفيذ مصدق ، الحرب على الحرية، كيف ولماذا تم الهجوم على أميركا في 11 سبتمبر 2001، الأردن، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، (دون ذكر المترجم)، 2002.
70. تشومسكي نعوم ، مداخلات، ترجمة محمود برهوم ونوال القصار سرياني، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2007.

71. بتراس جايمس ، سطة إسرائيل في الولايات المتحدة، ترجمة حسان البستاني، الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2007.
72. والت ستيفن ، ميرشايمر جون ، اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية، الطبعة الأولى، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2007.
73. علي أحمد حسن الحاج ، حرب أفغانستان : التحول من الجيوستراتيجي إلى الجيوثقافي، من كتاب العرب والعالم بعد 11 أيلول/سبتمبر
74. الطويل يوسف العاصي ، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم وعلاقتها بمخطط إسرائيل الكبرى ونهاية العالم، الجذور-الممارسة-سبل المواجهة، الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة حسن العصرية، الجزء الأول، 2014.
75. الكيالي عبد الوهاب وآخرون، موسوعة السياسة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الجزء الثالث (حرف الصاد).
76. السباتين راجح إبراهيم ، المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة، دراسة عقديّة تحليلية، الطبعة الأولى، الأردن، عمان، دار زهران للنشر والتوزيع، 2013.
77. غارودي روجيه ، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة حافظ الجمالي وصياح الجهم، الطبعة الثالثة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، بيروت، دار الفارابي، 2001.
78. السماك محمد ، الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي، الطبعة 3، لبنان، دار النفائس، 2000.
79. قبيسي هادي ، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة والواقعية، الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008.
80. السبعوي سالم مطر ، نظرية الفوضى الخلاقة في فكر المحافظين الجدد لإعادة تشكيل النظام الإقليمي العربي، الطبعة الأولى، الأردن، عمان، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2017.
81. بلخيري رضوان ، صورة المسلم في السينما الأمريكية، مكتبة عراس، 2012.

82. ماكفيل توماس ل. الإعلام العالمي، ترجمة عبد الحكم أحمد الخزامي، نشر مشترك بين الدار الجزائرية للنشر والتوزيع (الجزائر) ودار الفجر للنشر والتوزيع (القاهرة)، الطبعة الأولى 2015.
83. أتكسون فيليب ، إدارة الجودة الشاملة، ترجمة عبد الفتاح السيد النعماني، الجزء الأول، مصر، مركز الخبرات المهنية للإدارة، 1996.
84. بغول زهير ، القيادة: المفهوم والنظريات، (مخبر التطبيقات النفسية والتربوية جامعة قسنطينة 2 - 2014)، الجزائر، عين مليلة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2015.
85. كيتيل رايموند كارفيلد ، العلوم السياسية، ج1، ترجمة: فاضل زكي محمد، ط2، بغداد، مكتبة النهضة، 1963.
86. سليم محمد السيد ، تحليل السياسة الخارجية، الطبعة الثانية، بيروت، دار الجيل، 2001.
87. ربيع حامد ، نظرية السياسة الخارجية، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، 1973.
88. فرانك جوستن أ. بوش تحت المجهر - الرئيس على أريكة التحليل النفسي، ترجمة سعيد الحسنية، الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للعلوم، 2005.
89. كامل مجدي ، ثورة أوياما الأمريكية - ذهبت السكره وجاءت الفكرة هل يصدق أم يصبح رئيسا أبيض في جلد أسود، دمشق-القاهرة، دار الكتاب العربي، 2008.
90. فونتانال جاك ، العولمة الاقتصادية والأمن الدولي مدخل إلى الجيواقتصاد، ترجمة محمود براهيم، الطبعة الثانية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009.
91. فيالز جو ، العراق أولاً: حرب إسرائيل الخاطفة على نفط الشرق الأوسط (عملية شيخينا)، ترجمة: مروان سعد الدين، الطبعة الأولى، سوريا، دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعة، آب/أوت 2003.
92. الطويل يوسف العاصي ، أمريكا.. تاريخ من الغزو والإرهاب، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة حسن العصرية، 2014.
93. الغمري عاطف ، أمريكا في عالم متغير، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر .

94. زلوم عبد الحي ، أزمة نظام الرأسمالية والعولمة في مازق، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009.
95. بلهول نسيم وآخرون، الدين والدم والبارود - في التوظيف الاستخباراتي للجماعات الإسلامية المسلحة في الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، الجزائر - وهران، ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت، دار الروافد الثقافية-ناشرون، 2017.
96. العكش منير ، أميركا والإبادة الجنسية - 400 سنة من الحروب على الفقراء والمستضعفين في الأرض، الطبعة الأولى، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، 2012.
97. وولف مايكل ، نار وغضب، البيت الأبيض في عهد ترامب، الطبعة الأولى، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الجزائر، مطبعة الديوان، 2018.
98. الكيلاني ماجد عرسان ، صناعة القرار الأمريكي، الأردن، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 2005.
99. السويدي جمال سند ، آفاق العصر الأمريكي - السيادة والنفوذ في النظام العالمي الجديد، أبو ظبي، [د.ذ.د.ن.]، الطبعة الأولى، 2014.
100. وودورد بوب ، خطة الهجوم، ترجمة فاض جتكر، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة العبيكان، 2004.
101. هارفي فرانك ، تفسير حرب العراق - نظرية افتراضية وتفسير منطقي مع الأدلة، الطبعة الأولى، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014.
102. سبيلا محمد: في تحولات المجتمع المغربي، ط1، المغرب، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 2010.
103. مصباح عامر ، معجم مفاهيم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، ط1، الجزائر.
104. العاني عبد اللطيف ، القيم والمثل الاجتماعية في الإسلام وأثرها في التحصين ضد الجريمة، بغداد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية.
105. عبد الحسين ياسر ، القيادة في السياسة الخارجية الأمريكية بعد الحرب الباردة، بغداد، دار ومكتبة عدنان، الطبعة الأولى، 2015.
106. ربيع محمد شحاتة ، قياس الشخصية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1994.

107. السروجي محمد محمود ، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية منذ الاستقلال إلى منتصف القرن العشرين، مصر، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2005.
108. العكش منير ، أمريكا والإبادة الجنسية، 400 سنة من الحروب على الفقراء والمستضعفين في الأرض، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، 2012.
109. بايبر مايكل كولنيز ، كهنة الحرب الكبار، ترجمة عبد اللطيف أبو البصل، الطبعة العربية الأولى، الرياض، مكتبة العبيكان، 1427هـ/2006م.
110. تيري ميسان، 11 أيلول 2001: الخديعة المرعبة، ترجمة سوزان قازان ومايا سليمان، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2002.
111. ديفيد ديوك، أمريكا - إسرائيل و11 أيلول 2001، ترجمة سعد رستم، دمشق: الأوتل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، الطبعة الأولى 2002.
112. ديوك ديفيد ، أمريكا - إسرائيل و11 أيلول 2001، ترجمة سعد رستم، الطبعة الأولى، دمشق، الأوتل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، 2002.
113. ميسان تيري ، 11 أيلول 2001: الخديعة المرعبة، ترجمة سوزان قازان ومايا سليمان، الطبعة الأولى، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع، 2002.
114. إسماعيل الشطي وآخرون، العرب والعالم بعد 11 أيلول/سبتمبر. لبنان: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، تشرين الثاني/نوفمبر 2002.
115. الشطي إسماعيل وآخرون، العرب والعالم بعد 11 أيلول/سبتمبر، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، تشرين الثاني/نوفمبر، 2002.
116. قريفيين دافيد راي ، شبهات حول 9/11، أسئلة مقلقة حول إدارة بوش وأحداث 9/11، ترجمة مركز التعريب والترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للعلوم، 2005.

ثانياً: المقالات

117. "نص استراتيجية الأمن القومي الأمريكي"، مجلة الحوار الجديد، لبنان، بيروت، السلسلة الجديدة، العدد 2- (27)، نوفمبر/ديسمبر - 2003.
118. "نص استراتيجية الأمن القومي الأمريكي"، مجلة الحوار الجديد، لبنان، بيروت، السلسلة الجديدة، العدد 2- (27)، نوفمبر/ديسمبر - 2003.
119. أبو القاسم مزوزي، (المقاومة العراقية في عامها الثاني)، الشروق اليومي، الخميس 06 ماي 2004.
120. أحمد إبراهيم محمود، (الإرهاب الجديد: الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية)، ملف السياسة الدولية، عدد 147، جانفي/يناير 2002.
121. أحمد إبراهيم محمود، (الاستراتيجية العسكرية الأمريكية في حرب البلقان)، السياسة الدولية، عدد 137، يوليو/جويلية 1999.
122. أحمد سمير نعيم ، (أنساق القيم الاجتماعية ملامحها وظروف تشكيلها وتغيرها في مصر)، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 2، 15 حزيران، بغداد، 1989.
123. أحمد سمير نعيم ، (أنساق القيم الاجتماعية ملامحها وظروف تشكيلها وتغيرها في مصر)، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 2، 15 حزيران، بغداد، 1989.
124. بريزنسكي زيغنيو وآخرون، (السياسة الخارجية الأمريكية: تحديات القيادة في القرن الـ 21)، شؤون الأوساط، عدد 78-79، ك1 ديسمبر 1998 - ك2 يناير 1999.
125. بريزنسكي زيغنيو وآخرون، (السياسة الخارجية الأمريكية: تحديات القيادة في القرن الـ 21)، شؤون الأوساط، عدد 78-79، ك1 ديسمبر 1998 - ك2 يناير 1999.
126. البيت الأبيض الأمريكي، نص استراتيجية الأمن القومي الأمريكي، مجلة الحوار الجديد، لبنان، بيروت، السلسلة الجديدة، العدد 2- (27)، نوفمبر/ديسمبر - 2003.
127. حسين معلوم، (الإستراتيجية الأمريكية في وسط آسيا : الواقع والأفاق)، ملف السياسة الدولية، العدد 147، يناير/جانفي 2002.

128. الدولية، عدد 147، يناير/جانفي 2002.
129. زيغنيو بريجينسكي وآخرون، (السياسة الخارجية الأمريكية : تحديات القيادة في القرن الـ21)، شؤون الأوسط، عدد 78-79، ديسمبر 1998/جانفي 1999.
130. زيادة معن ، (معالم على طريق تحديث الفكر العربي)، سلسلة عالم المعرفة، عدد 115، الكويت، 1975.
131. زيادة معن ، (معالم على طريق تحديث الفكر العربي)، سلسلة عالم المعرفة، عدد 115، الكويت، 1975.
132. سيزغين يوكسيل ، (هل يشكل الإسلام تهديدا للغرب؟) ، ترجمة: هشام الدجاني: مراجعة: عبد السلام رضوان، الثقافة العالمية، العدد 107، جويلية 2001.
133. سيزغين يوكسيل ، (هل يشكل الإسلام تهديدا للغرب؟) ، ترجمة: هشام الدجاني: مراجعة: عبد السلام رضوان، الثقافة العالمية، العدد 107، جويلية 2001.
134. شفيق ناظم الغبرا، (نقد العقل العربي المعاصر، حالة أزمة الخليج)، السياسة الدولية، عدد 119.
135. عادل سليمان، (ماذا جرى في العراق؟ تحليل عسكري) ، السياسة الدولية، عدد 153، يوليو/جويلية 2003.
136. عاروري نصير ، حروب جورج دبليو بوش "الوقائية" بين مركزية الخوف وعولمة إرهاب الدولة، سلسلة كتب المستقبل العربي:-العراق: الغزو- الاحتلال-المقاومة، بيروت، ط2، جويلية/يوليو 2004.
137. عاروري نصير ، حروب جورج دبليو بوش "الوقائية" بين مركزية الخوف وعولمة إرهاب الدولة، سلسلة كتب المستقبل العربي:-العراق: الغزو- الاحتلال-المقاومة، بيروت، ط2، جويلية/يوليو 2004.
138. عبد الجبار الكبيسي، حوار مع جريدة الخبر، الأربعاء 23 أبريل 2003

139. عبير بسيوني، (الولايات المتحدة الأمريكية والتدخل لحماية حقوق الإنسان والديمقراطية.)، ملف السياسة الدولية، عدد 127، يناير/جانفي 1997.
140. عصام عبد الشافي، (دور الدين في السياسة الخارجية الأمريكية : الأزمة العراقية نموذجاً.) ، السياسة الدولية، عدد 153، يوليو/ جويلية 2003.
141. عماد جاد، (إنفاق دايتون : هل ينهي الصراع في البوسنة؟.)، السياسة الدولية، عدد 23، يناير/جانفي 1996.
142. فرسون سميح ، (جذور الحملة الأمريكية لمناهضة الإرهاب)، المستقبل العربي، السنة 25، العدد 284، تشرين الأول/أكتوبر 2002.
143. فرسون سميح ، (جذور الحملة الأمريكية لمناهضة الإرهاب)، المستقبل العربي، السنة 25، العدد 284، تشرين الأول/أكتوبر 2002.
144. فوزي حسين حمّاد، (إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي وانعكاساتها على حرب الخليج.)، السياسة الدولية، عدد 106، أكتوبر 1991.
145. كارلا كونينجهام، حسن عبد الله جوهر، (الأصولية الإسلامية ونظرية الدومينو : قراءة في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الإسلام السياسي)، السياسة الدولية، عدد 125، يوليو / جويلية 1996.
146. كريم حجاج، (ملامح الاستراتيجية الأمريكية في القرن القادم.) ، ملف السياسة الدولية، عدد 127، يناير/جانفي 1997.
147. لقاء مكّي، (كيف صدمت الفلوجة؟)، المجاهد الأسبوعي، العدد 2286 من 24 إلى 31 ماي 2004.
148. محمد سيد أحمد، (حول إشكالية النظام الدولي الجديد.)، السياسة الدولية، عدد 104، أبريل 1991.

149. محمد عبد السلام، (الحرب غير المتماثلة بين الولايات المتحدة والقاعدة.)، السياسة الدولية، عدد 147، يناير/جانفي 2002.
150. محمد مصطفى كمال، (أحداث 11 سبتمبر والأمن القومي الأمريكي: مراجعة للأجهزة والسياسات)، السياسة الدولية (ملف)، عدد 147، يناير/جانفي 2002.
151. محمود أحمد إبراهيم ، (الإرهاب الجديد: الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية)، ملف السياسة الدولية، عدد 147، جانفي/يناير 2002.
152. محمود أحمد إبراهيم ، (الإرهاب الجديد: الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية)، ملف السياسة الدولية، عدد 147، جانفي/يناير 2002.
153. محمود أحمد إبراهيم ، (الإرهاب الجديد: الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية)، ملف السياسة الدولية، عدد 147، جانفي/يناير 2002.
154. محمود أحمد إبراهيم ، (الإرهاب الجديد: الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية)، ملف السياسة الدولية، عدد 147، جانفي/يناير 2002.
155. محمود محمد محمود حمد، (الولايات المتحدة بعد الحادي عشر من سبتمبر: تحولات الفكر والسياسة)، ملف السياسة
156. مزاحم هيثم ، (نحو تفسير لأسس العلاقة الأمريكية- الإسرائيلية)، شؤون الأوسط، لبنان، بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية، عدد 112، خريف 2003.
157. مزاحم هيثم ، (نحو تفسير لأسس العلاقة الأمريكية- الإسرائيلية)، شؤون الأوسط، لبنان، بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية، عدد 112، خريف 2003.
158. ممدوح أنيس فتحي، (الاستراتيجية العسكرية الأمريكية للقرن القادم.)، السياسة الدولية، السنة 33، العدد 130، أكتوبر 1997.
159. هيثم مزاحم، (نحو تفسير لأسس العلاقة الأمريكية- الإسرائيلية)، شؤون الأوسط، بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية، عدد 112، خريف 2003.
160. وليام بولك، (الواقع والخيارات في حرب العراق)، المستقبل العربي، العدد 211، 2005

161. يوكسيل سيزغين، (هل يشكل الإسلام تهديدا للغرب.؟) ، الثقافة العالمية، العدد 107 (جويلية 2001).
162. يونس هشام ، (الإيديواستراتيجية الأمريكية)، شؤون الأوسط، عدد 114، ربيع 2004.
163. يونس هشام ، (الإيديواستراتيجية الأمريكية)، شؤون الأوسط، عدد 114، ربيع 2004.

ثالثا: المواد غير المنشورة

164. ديب نورة ، "دور تقييم أداء العاملين في تحسين فعالية سياسة التحفيز"، (أطروحة دكتوراه، جامعة باجي مختار - عنابة، السنة الجامعية 2015/2016)
165. عبد العال سيد محمد ، "دينامية العلاقة بين القيم ومستوى الطموح في ضوء المستوى الاجتماعي والاقتصادي في نماذج من المجتمع المصري"، (رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 1976).
166. قريقة عبد السلام ، "تطور مفهوم المصلحة الوطنية في السياسة الخارجية الأمريكية"، (أطروحة دكتوراه، باتنة، جامعة الحاج لخضر ، 2011 - 2012).

رابعاً: المواقع الإلكترونية

167. <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2017/5/23/%D9%86%D8%B5-%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8-%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D9%83-%D8%A3%D9%88%D8%A8%D8%A7%D9%85%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%87%D8%B1%D8%A9>
168. 2016/12/23/ <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/military/> الغزو- الأميركي- للعراق- مبررات- واهية- ونتائج- كارثية
169. <https://www.marefa.org/> مشروع_ القرن_ الأمريكي_ الجديد. آخر زيارة للموقع: 20 جانفي 2020
170. تالوت كارن ، (أفغانستان مفتاح مكاسب النفط)، مركز أبحاث حول العولمة، 7 تشرين الثاني / نوفمبر 2001. <http://globalresearch.ca/articles/TAL111A.html>
171. حميد م. نزار نجيب ، الذريعة في الفلسفة البراكناتية وانعكاسها على السياسة الخارجية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين على الموقع:
- <https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=75709> (آخر زيارة: 2019/12/25)
172. ستولبيرج ج. آلان، صياغة المصالح القومية في القرن الحادي والعشرين، دراسة مقدمة لمؤتمر جمعية الدراسات الدولية سان فرانسيسكو - كاليفورنيا، ص. 2. على الموقع الإلكتروني / الرابط: Daniel Papp , Contemporary International Relations, Toronto : Maxwell Macmillan, Canada, 1994, P 29.
173. شادي هاني ، (أمريكا من "مونرو" إلى الحدود المتحركة)، جريدة السفير اللبنانية، الموقع الإلكتروني: <http://www.assafir.com/>، العدد 12618، 2018/11/01. تاريخ آخر زيارة للموقع: 14 ماي 2019.
174. شفيق منير ، مؤتمر ديربان ماله وما عليه وصورة العالم من خلاله، (على الرابط) <file:///D:/%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%85%D8%B1%20%D8%AF%D9%8A%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D9%86%20%D9%85%D8%A7%20%D9%84%D9%87%20%D9%88%D9%85%D8%A7%20%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%87%20%D9%88%D8%B5%D9%88%D8%B1%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%20%D9%85%D9%86%20%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%84%D9%87.html>

I -Books / Livres

175. A National Security Strategy of Engagement and Enlargement – February 1997 (The White House) .
176. Alan L.Gropman ,Mobilizing US Industry in world war II, Washington, National Defense University Press ,august 1996.
166. BENJAMINE NETANYAHU, Terrorism: How the west can win. New York: Avan Books, 1987.
177. C Kluckhohn., « Values and value-orientation on the theory of action », in Parsons T., Shils E. (ed.), **Toward a General Theory of Action**, Cambridge (Mass.), Harvard University press, 1951.
166. Cathrine L. Albanese, America: Religions and Religions, California: Wadsworth Publishing Company, Second Edition, 1992.
178. Chauprade Aymeric et autres, **Géopolitique des Etats-Unis, culture, intérêts, stratégies**, paris, Ellips, édition 2005
179. Chomsky Noam, **11/9 Autopsie des terrorismes**, Entretiens Traduits de l'anglais par Hélène Morita et Isabelle Genet, Le Serpent à Plumes.
180. Clausewitz Karl Von: War, Politics and power, New York, Regney and Gatway, 1962.
166. Daniel Colard, **Les Relations Internationales de 1945 à nos jours**, Paris, Armand Clin , 7ème édition , 1997.
181. Darwin Charles, **The descent of Man and Selection in Relation to Sex** (Chicago : Rand McNally, 1874).
182. David Charles Philippe et autres, **La politique étrangère des Etats-Unis fondements, acteurs, formulation**, 2ème édition, paris, presses des sciences po, 2008.
183. Defarges Phillipe Moreau, Problemes Stratégiques Contemporaines, Paris, Machette, 1994.

184. denoel Yvonnik, **le livre noir de la CIA**, Traduit par Laure Motet et Judith Strauser, Nouveau monde Editions.
185. Dobyns Henry, **Their Numbers Become Thin** (University of Tennessee Press, 1983).
186. Domhoff G. William, **The Power That Be : Process of Ruling-Class Domination in America**, New York, Random House, 1978.
187. Edward Taylor, **Primitive Culture**, USA, New York, Brentano's, 1924.
166. Elaine Scioulins , **The Outlaw State : Saddam Hussein's Quest for Power and the Gulf Crisis**. New york : John Wiley and sons , INC ,1991.
188. fayon David, **geopolitique d'Internet. Qui gouverne le monde ?**, paris, Ed. Economica, 2013.
166. Frances Fitzgerald, **way out there in the blue Reagan, Star Wars and the End of the Cold War**, New York, Simon and Schuster, 2000.
189. Frankel Joseph, **The Making of Foreign Policy. An Analysis of Decision-Making**, Oxford University Press, London- New Yor, 1963.
190. Garaudy Roger, **le Terrorisme Occidentale**, 1ere edition, Alger ; Edition Dar El Ouma, Septembre 2002.
191. hasan Asma Gull, **musulmans américains. La nouvelle génération**, traduit de l'américain par Marie-France Pavillet, paris, Nouveaux horizons – ARS, 2005.
192. Hermet Guy et autres, **Dictionnaire de la science politique et des institutions politiques**, Paris, Armand Colin, 7ème édition, 2010.
193. Inkeles Aalex Autor, **National Character : A psycho-social Perspective**, Transaction publishers, New Jersy.
194. Jaquet Pierre, **Etats-Unis, une politique étrangère criminelle**, Editions Alphée, Jean-Paul bertrand, 2010.
195. jervis Robert and snyder jack, **Dominoes and Bandwagons: Strategic Beliefs and great power competition in the eurasian rinland**, New York, Oxford university press.1991.

196. Johnson Stuart and Libicki martin, **Dominant Battle space Awareness** , Washington D.C: National Defense University Press, October,1995.
197. Kennedy Paul M., **Rise and fall of Great Powers : Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000**, Random House Inc / January 1988.
198. kingsley Charles, **His Letters and Memories of his life**, ed. Fanny Kingsley (London, 1877), vol. 1.
199. Kuklick Bruce, **The Rise of American Philosophy**, New Haven ; London : Yale University Press, 1977.
200. Lacour-Gayet Robert, **Histoire des Etats-Unis. Des origines à la fin de la guerre civil**, Tome1, paris, Fayard, 1976
201. Laurent Eric, **la Guerre des Bush : Les secrets inavouables**, Plon, 2003.
166. Lewis Lipsitz and David M.Speak : **American Democracy**, New York : SK Martin's Press, Second Edition ,1989.
202. Longnecker Justin G. **Principles of Management and Organizational Behavior**. Third Edition, U.S.A : Charles E. Merrill Publishing Company, 1973.
203. marienstras Elise, **Les Mythes fondateurs de la nation américaine**, paris, François Maspero, 1976
204. Mark Gerson, **The Essential Neo Conservative Reader**, New York : Basic Books, 1997.
166. Martin Van Creveld ,(technology and war), London: Brasseys, 1991.
167. Martin Van Creveld, **Command in war**. Combridge, Mass Harvard University press, 1985.
205. Mc Cartney Paul T., **Power and Progress, American national identity, the war of 1898, and the Rise of American Imperialism**, First printing, Louisiana State University press, 2006.
206. Mill C. Wright, **The Power Elite**, Oxford University Press, 1958.

207. Mouhoubi Salah, **la fin de l'unilatéralisme américain?**, paris, Editions L'harmattan, 2009
166. Naom Chomsky, Pouvoir et Terreur- après le 11septembre, Traduit de l'Anglais par Guy Ducorret, Paris , Edition le serpeur à plumes ,2003
167. Philip Zelikow and others, **the 9/11 commission report: final report of the national commission on terrorist Attacks upon the united states**, New York, London, Norton and company, first edition,
168. Robert Jerwis and Jack Snyder ,**Dominos and Bandwagons Strategic Beliefs and great power competition in the Eurasian.** York, Oxford university press.1991.
169. Roger Garaudy, **Le Terrorisme Occidental**, Alger : Edition Dar El Ouma, 1ere edition, Septembre 2002.
170. Ross Gregory, **The domino theory.** Newyork, Charles Scribners and sons,1978.
208. Schneider Herbert Wallace, **A History of American Philosophy** , New York : Clumbia University, 1946.
209. Smith Steve, Hadfield Amelia and Dunne Tim, **Foreign Policy– Theorie/Actors/Cases** , second edition, Oxford University Press, U.K, 2012
210. Spanier John, **Games Nations Play**, Congressional Quarterly, INC, Seventh Edtition, 1990.
166. Stuart Johnson and martin Libicki, **Dominant Battle space Awareness.**
167. Timothy Sisk,(**Islam and democracy , religion , politics , and power in the middle east**) Washington , D.C United states institute of peace 1992.
211. U.S Department of State, State 2000: A New Model for Managing Foreign Affairs. Report of the U.S Department of State Management Task Force (Washington D. C. , January 1993; Senate Intelligence Commission,

preparing for the 21st Century: An appraisal of U.S Intelligence(March 1, 1996).

212. Valantin Jean Michel, **Hollywood, Le pentagone et Washington**. Les trois acteurs d'une stratégie globale, Paris, Editions Autrement, 2010

213. W Rasch., Luhman's Niklas Modernity : The paradoxes of differentiation, Stanford, Stanford UP, 2000.

214. Walt Stephen et Mearsheimer John J. , **Le Leby Pro-Israélien Et La Politique Etrangère Américaine**, Traduit de l'Anglais (Etats-Unis) par Nicolas Guilhot et autres, Paris, La Découverte, 2007 pour la traduction française ; 2009.

166. Walter La Feber ,**Inevitable Revolutions , the united states in central America**. New york, London w.w.Norton, 2nd ed 1993.

167. Washington D.C: National Defense University Press, October 1995.

215. Weber M. **Economie et société**, Paris, Plon, 1971.

216. Weber Max, « The Meaning of « Ethical Neutrality » in **Sociology and Economics**, in **the Methodology of the Social Science**, 1949.

217. White Morton, **Pragmatism and the American Mind**, Oxford University, 1973, p. 22.

218. Zelikow Philip and others, **the 9/11 commission report: final report of the national commission on terrorist Attacks upon the united states**, first edition, New York, London, Norton et company.

II -Articles

166. Anthony Lake , (From containment to enlargement.) , Vital speech of the day LX , n°1October15 , 1993.

167. Blaine Harden and John M.Broder,(Clinton s Aims.),New york times,22 May 1999.

168. Bronwen Maddox,(Bush Jr. Wants to Settle an Old Score.), Times, 15/02/2002.

169. Camille Graud, (La défense antimissile : un nouveau paradigme stratégique ?.), politique étrangère, Paris, Institut Français des relations internationales (IFRI), octobre-décembre 2001.

170. Chantal Carpantier,(L'ONU au secours des Etats-Unis), défense nationale58ème année,février 2002.

171. Claude Le Borgne,(La guerre « posthéroïque »), défense nationale,Juillet 2003.

172. David Abshire, (U.S Global Policy : Toward an Agile Strategy.), The Washington Quarterly , spring 1997.

173. Douglas J.Macdonald (Falling dominoes and system dynamics A Risk aversion perspective.), Security studies.3.n°2 winter 1993/1994.

174. Eliot A.cohen (A revolution of Warfare), Foreign Affairs, March-April 1996.

175. Emad Awwad,(« Remodlage » difficile du Proche-Orient), défense nationale,Juillet 2003.

176. F.Gregory Gause , (The illogic of dual containment ,Foreign Affairs.), 73 , n° 2 March/April 1994.

177. Georges-Eric Touchard,(Tensions Conjoncturelles au crise durable entre les Etats-Unis et la France), défense nationale,Juillet 2003.

- 178. Gilles C.Glin,(La revue quadriennale de défense des Etats-Unis),défense nationale58ème année,février 2002.**
- 179. Gorin Cameron, (Nuclear Terrorism : Areal Ehreat !.), Jane's Intelligence Review, London: Jane's Information Group Ltd, Vol.8, N 9, Sept. 1996.**
- 180. Goseph Cirincione , Assessing the Assessment : (The 1999 National Intelligent Estimate of the Ballistic Missile Threat.), The Nonproliferation Review , Spring 2000.**
- 181. Guy Dinmare, (Ideologues Reshape World over Breakfast), Financial Times, 22/03/2003**
- 182. Hersh, Seymor, : (The Traitor : The case Against Jonathan Pollard.), The New York Magazine. 1999 January 18.**
- 183. <http://www.defenselink.mil/speeches/1995/s1999051-perry.html>**
- 184. Jean Dufourcq,(Campagne d'Irak 2003 : quelques considérations militaires), défense nationale,Juillet 2003.**
- 185. Jerome Slater (dominos in central america.), International security, 12, n°2 full 1987.**
- 186. Jerome Slater.(The domino theory and international politics the case of vietnam.), Security studies 3.n°2 winter 1993/94.**
- 187. John McCain (Senator): (Strategy and Force Planning for the 1st Century.), Strategic Review-Fall, 1997.**
- 188. Martin Woollacott, (Saddam will be the next US Target, One way or Another), Guardian, 16/11/2001.**
- 189. Marwan Bishara, (the israelization of americas war.), Al Ahram weekly , 25 april2002.**
- 190. Matrix Woollacott, (Saddam's Destruction , Now a Matter of Honour.), Guardian, 15/02/2002.**

- 191. Mehieddine Khelifa, (le complexe Militaro-Industriel.), El watan mercredi 12 janvier 2005.**
- 192. Michael Howard and John F.Guilmartin, (on Technology and war), Carlisle Barracks Strategic studies institute , July 20 , 1994.)**
- 193. Michael Lind, (The Weird Men behind George W. Bush's War), New States man, 7April 2003.**
- 194. Pascal Combelles Siegel,(Les Américains ont-ils peur de perdre des hommes au combat ?), défense nationale,Octobre 2002.**
- 195. Patrick J. Buchanan, (Bellicose Foreign Policy Irks Friends, Incites Foes.), USA Today, 24/06/2002.**
- 196. Patrick J. Buchanan, (Whose war? A new conservative Clique Seeks to Enjnore Our country in a series of wars that are not in America's interest.), American Conservative, 24 March 2003.**
- 197. Paul Arnaud de Foïard,(Irak :Urgences d'après guerre), défense nationale,Juillet 2003.**
- 198. Philippe Moreau Defarges,(La guerre pré-emptive), défense nationale,Octobre 2002.**
- 199. Phillipe Mareau Defarges, (La guerre pre-emptive.), Défense Nationale, 58e année, Octobre 2002.**
- 200. Sara diamand, (The threst of the Christian Right). Magazine, July-August 1995.**
- 201. Steven Lee Myers, (U.S Presses Air Attacks on Iraq in Low-level War of Attribution.), New York Times, February 3, 1999.**
- 202. Steven Mafson,(Bush's View of world Evolves.) , Washington Post, 3/3/2002.**
- 203. Thérèse Delpech, (Les facteurs des conflits : ces risques de prolifération.), Cahier Français, N290, Mars-Avril 1999.**

204. Vincent Des Portes, (Un an après, une Amérique plus forte), défense nationale, Octobre 2002.
205. Vincent Des Portes, (vies et morts de Clausewitz aux Etats-Unis), défense nationale 58ème année, février 2002.
219. Mathey Jean Marie, (Comprendre la Stratégie.), **France Economica**, 1995.
220. M Rokeach, « The nature of Human Values and Values System » in Hallander E.P and Hunt R.G, Current Perspective in social psychology
221. Dayan Armand et autres, (Manuel de Gestion), El Djazaïr / Ellipses, édition 2009, volume 1
222. Mc Kinney, J.P. « The Development of Values- Prescriptive or Proscriptive », **Human Development**, Vol 14, 1971..
223. Myrdal Gunnar, « An American Dilemma » quoted in **Value in social theory**, 1958.
224. Khelifa Mehieddine, (Le Complexe Militaro-Industriel), **El Watan**, mercredi 12 janvier 2005.
225. Seymour Hersh, , (The Traitor : The case Against Jonathan Pollard.), **The New York Magazine**. 1999 January 18.
226. Seymour Hersh, , (The Traitor : The case Against Jonathan Pollard.), **The New York Magazine**. 1999 January 18.
227. Brian Mc Williams. (2001) Instant Messages To Israel Warned Of WTC Attack. **Newsbytes**. September. 27
228. Mafson Steven, (Bush's View of world Evolves), **Washington Post**, 3/3/2002
229. Gordesman, (Defending America : Redefining the Suspectual Borders of Homeland Defence).
230. . cohen Eliot A. (A revolution of Warfare) , Foreign Affairs , March-April 1996.
231. Lind Michael, (The Weird Men behind George W. Bush's War), New States man, 7 April 2003.

232. Dinmare Guy, (Ideologues Reshape World over Breakfast), Financial Times, 22/03/2003.
233. Buchanan Patrick J.(Whose war? A new conservative Clique Seeks to Enjmare Our country in a series of wars that are not in America's interest), **American Conservative** 24 March 2003.
234. Lizza, (The Consequentialist Zbigniew Brzezinski From Hope to Audacity), **Foreign Affairs**, N89, 1 Jan-Feb,2010.
166. M.Egad, (Iraqmania Grips the U.S.), Guardian, 05/12/2001.
167. Brian Whitaker, (Selective MEMRI), Guardian, 12/08/2002.
235. Whitaker Brian, (Selective MEMRI), **Guardian**, 12/08/2002.
166. Ari Shavit, (White Man's Burden.), Haaretz, 4/4/2003.
236. Shavit Ari, (White Man's Burden) ,Haaretz, 4/4/2003.
166. Steven Zak, (Matter of Honour.), Jewish World Review, 1 May 2003.
237. Zak Steven, "Matter of Honor," **Jewish World Review** 1 May 2003.
166. Jill Nelson, (America Crestes its Own Terror.), USA Today, 04/07/2002.
238. Bunch William, « Why Don't We Have Answers to These 9/11 Questions ? » **Philadelphia Daily News online posting**, September 11, 2003.

III -Web Sites / Sites Web:

228. (<http://www.the.nation.com>).
229. B. Enzler, **Les Etats-Unis et le protocole de Kyoto** (Les Etats-Unis suggèrent une alternative au protocole de Kyoto),
<https://www.lenntech.fr/effet-de-serre/kyoto-etats-unis.htm>
230. Edward W. Said, (The Clash of Ignorance), **Nation** (22 October 2001),
(<http://www.the.nation.com>).
231. Frédérique Ballion ; La représentation de l'enemi dans le cinéma étasunien : de l'après gurre à la chute du mur de Berlin, <https://tel.archives-ouvertes.fr/tel-01232562/document>, dernière visite : 04 Mars 2020.
232. Gilles Paris, Les vingt conclusions du rapport sur les tortures menées par la CIA, 9 décembre 2014
233. GLOBAL HOCK, THE DOD'S NEWEST UNMANNED AIR VEHICLE:
[http://www.defense link.mil/potos/feb 1997/9702220-D-0000G-001.html](http://www.defense.link.mil/potos/feb%201997/9702220-D-0000G-001.html).
234. [http / www.chevron.Texaco.com](http://www.chevron.Texaco.com)
235. <http://www.Palestineinfo.info/arabic/palestoday/press/recent/>
236. <http://pentagonus.ru/doc/JV2020.pdf> (30/03/2020)
237. <http://www.abpjournal.com>
238. <http://www.abpjournal.com>
239. <http://www.acom.mil/centraz/nsf/news>.
240. <http://www.ahram.org.eg/>
241. <http://www.aljazeera.net>
242. <http://www.bcstate.gov.bc.ca>
243. <http://www.cbsnews.com>

244. <http://www.cbsnews.com>
245. http://www.confidentiel.net/breve.php3?id_breve=1862
246. <http://www.counterpunch.org/aruri1028.html/> -39k
247. <http://www.defense> link.mili80/cgi-bin/
248. http://www.defenselink.mil/potos/feb_1997/9702220-D-0000G-001.html
249. <http://www.dtic.mil/jointvision/gvpub2.htm>
250. <http://www.eia.doc.gov/ameu/cabs/caspian/html>
251. http://www.entrefilets.com/bryjenski_eurasie.htm
252. <http://www.fyi.cnn.com>
253. <http://www.glock.com>
254. <http://www.glock.com>
255. <http://www.ides.state.il.us>
256. <http://www.informationclearinghouse.info/article5133.htm>
257. <http://www.membres.aol.com/erichuf/eh-wtc16.999>
258. <http://www.nycp.org>
259. <http://www.people.aol.com/people/special/0.71859.174592-3.00.html>
260. <http://www.reopen911.info/11-septembre/l-affaire-sibel-edmonds/> تاريخ آخر زيارة: 15 جانفي 2020.
261. <http://www.siyassa.org.eg/>
262. <http://www.ssrc.org/-56=Sept>
263. <http://www.state.msn.com/id/2073093>

264. <http://www.thenation.com/>
265. <http://www.upi.com/view.cfm?storyID>
266. <http://www.voltairenet.org/article15891.hyml>
267. <http://www.voltairenet.org/article15891.hyml>
268. <http://www.washingtonpost.com>
269. <http://www.abc.net.au/rn/talk/8.30/re/rpt/stories/>
270. <http://are.as.wvu.edu//ebeau1/html>.
271. <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D8%A7%D9%88%D8%A7%D9%8A>
272. https://en.wikipedia.org/wiki/United_States_Declaration_of_Independence#Annotated_text_of_the_engrossed_Declaration
273. <https://obamawhitehouse.archives.gov/the-press-office/remarks-president-barack-obama-p> (25/03/2020. à 17:25)
274. https://www.lemonde.fr/ameriques/article/2014/12/09/les-vingt-conclusions-du-rapport-sur-les-tortures-menees-par-la-cia_4537615_3222.html . آخر زيارة للموقع: 2019 07 15
275. <https://www.nytimes.com/2009/06/04/us/politics/04obama.text.html> (25/03/2020. à 18:00)
276. <https://www.nytimes.com/2009/06/04/us/politics/04obama.text.html>
277. <https://www.oneforisrael.org/bible-based-teaching-from-israel/messianic-perspective/martin-luther-israel-jewish>
278. <https://www.thegospelcoalition.org/article/luthers-jewish-problem/>
279. <https://www.voltairenet.org/article204334.html> (Visite: 26/03/2020 à 06:17)
280. <https://www.youtube.com/watch?v=hVYShFzCF7g>https://militarist-monitor.org/profile/project_for_the_new_american_century /Project for the New American Century , last updated : October 16, 2019
281. le beau Brayan F. “The political mobilization of the New Christian Right”. <http://are.as.wvu.edu//ebeau1/html>.

282. Lou Morano, « Voice of Dissent : Eric Margolis, » United Press International (UPI), 25.03.2003, (<http://www.upi.com/view.cfm?storyID=20030325-015143-7876r>).
283. Mahmoud Mamdani , « Good Muslim, Bad Muslim : An African Perspective », **Social science Research Council**, ([http://www.ssrc.org/-56=Sept 11/essays/mamdani.html](http://www.ssrc.org/-56=Sept%2011/essays/mamdani.html)).
284. Manlio Dinucci , La stratégie du chaos dirigé, Traduction : Marie-Ange Patrizio <https://www.voltairenet.org/article206092.html>, 19 Avril 2019.
285. Michael Massing, « The Israel Lobby », The Nation, (<http://www.thenation.com/doc.mhtml!=200206108s=massing>)
286. Naseer Aruri, (Remapping the Middle East : Whose war is it this time?) Counter punch, 28 October 2002, (<http://www.counterpunch.org/aruri1028.html/> -39k).
287. Opération “Timber Sycamore”%20%20 la guerre secrète de la CIA en Syrie%20%20 Réseau International.htm. 26 janvier 2016. (Dernière visite le 25/03/2020).
288. Pierre Bourgeois, Retour sur le Project for the New American Century (1997-2006) et le moment néoconservateur post-guerre froide : <https://www.cairn.info/revue-politique-americaine-2018-2-page-173.htm>
آخر زيارة للموقع: 20 جانفي 2020
289. Project for th new American century , [https://www.sourcewatch.org/index.php?title=Project for the New American Century&oldid=721284](https://www.sourcewatch.org/index.php?title=Project_for_the_New_American_Century&oldid=721284), 2020 آخر زيارة للموقع: 19 مارس 2020
290. Project for the New American Century:la politique américaine en une leçon (<http://prof.estat.com/m/web/>) consulté le 29 Novembre 2008.
291. Sara diamand,(The threst of the Christian Right”.2 Magazine), July-August 1995, P02 ; <http://www.zmag.org>.
292. Sbite (24 October 2003), (<http://www.state.msn.com/id/2073093>).
293. Thierrey mayssan, Réflexions sur l’annonce officielle de la mort d’Oussama Ben laden, <https://www.alterinfo.net/Reflexions-sur-l-annonce->

- [officielle-de-la-mort-d-Oussama-Ben-Laden-par-Thierry-Meyssan_a58344.html](#), jeudi 5 Mai 2011. آخر زيارة للموقع: 27 ديسمبر 2019.
294. Thierry Mayssan, Quelle cible après la Syrie ?, <https://www.voltairenet.org/article209434.html>, 10 Mars 2020.
295. Thierry Meyssan, La Nouvelle Grande Stratégie des Etats-Unis, <https://www.voltairenet.org/article205750.html>, 26 Mars 2019.
296. Trump's Foreign Policy Moments 201/-7/2020, <https://www.cfr.org/timeline/trumps-foreign-policy-moments> (29/03/2020).
297. <http://www.zmag.org>.
298. www.Dtc.mil/jointvision/jvpub2.htm
299. www.alkareej.co.ae
300. www.confidentiel.net/breve.php?id-breve=1862
301. www.Dtc.mil/jointvisionjvpub2.htm
302. www.fr.groups.yahoo.com/group/cdi-democratiemoyenorient/
303. www.Islam On line.net/ararbeec/mafaheem/2000/11/article2.shtml
304. www.IslamOnline.net/ararbeec/mafaheem/2000/11/article2.shtml
305. www.people.aol.com/people/special/0.71859.174592-3.00.html
306. www.ReOpen11/9.info.
307. www.senat.fr
308. www.voltairenet.org

الفهرس

الصفحة	العنوان
02	مقدمة
24	الباب الأول: جدلية القيم والمصالح في صياغة وتنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية
الفصل الأول: القيم و السياسة الخارجية: تأصيل إيتيمولوجي	
27	المبحث الأول: القيم: التعريف، التصنيف و العلاقة الإيتيمولوجية
27	المطلب الأول: القيم: التعريف و العلاقة بالمصطلحات القريبة
27	الفرع الأول: التعريف اللغوي للقيم
29	الفرع الثاني: مفهوم القيم في العلوم الاجتماعية
32	الفرع الثالث: علاقة القيم ببعض المصطلحات القريبة
32	1- القيم والاتجاهات
34	2- القيم والمبادئ
34	3- القيم والمثل
34	4- القيم والسلوك
34	5- القيم والمعيار
35	6- القيم "Values" والأكسيولوجيا "Axiology"
35	المطلب الثاني: القيم المكونات، الأنواع و معايير التصنيف
37	الفرع الأول: مكونات القيم
37	1- المكوّن المعرفي
37	2- المكوّن الوجداني
37	3- المكوّن السلوكي
38	الفرع الثاني: أنواع القيم ومعايير التصنيف
38	1- تصنيف القيم من حيث المحتوى
39	أ- القيمة النظرية
39	ب- القيمة الاقتصادية
39	ج- القيمة الفنية - الجمالية
39	د- القيمة الاجتماعية
39	هـ- القيم الدينية

40	و- القيم السياسية
40	2- تصنيف القيم على أساس معيار الشدة
40	أ- القيم الإلزامية
40	ب- القيم التفضيلية
40	ج- القيم المثالية
40	3- تصنيف القيم على أساس العمومية
40	أ- القيم العامة
40	ب- القيم الخاصة
40	4- تصنيف القيم على أساس الغرض
40	أ- القيم الغائية أو النهائية
40	ب- القيم الوسيئية
40	5- تصنيف القيم على أساس الوضوح
40	أ- قيم صريحة
40	ب- قيم ضمنية
41	6- تصنيف القيم على أساس الدوام
41	أ- قيم دائمة نسبية
41	ب- قيم عابرة
41	7- تصنيف القيم على أساس بعد الشكل
41	أ- قيم إيجابية
41	ب- قيم سلبية
41	المطلب الثالث: القيم، الثقافة السياسية وصناع القرار
41	الفرع الأول: تعريف الثقافة
43	الفرع الثاني: الثقافة السياسية وتأثير القيم في صناع القرار
46	الفرع الثالث : القيم والسياسة الخارجية بين الدوافع والحوافز
50	المبحث الثاني: القيم تنظيم وتطبيق
50	المطلب الأول: ترتيب القيم
51	المطلب الثاني: القيم وصعوبة الانتقاء
53	المطلب الثالث: القيم في التطبيق

53	الفرع الأول: الأهداف
56	الفرع الثاني: مبادئ السلوك
58	الفرع الثالث: الوسائل والغايات
65	المبحث الثالث: النسق القيمي و الإيديولوجية
65	المطلب الأول: مفهوم النسق القيمي ومحددات اكتسابه
65	الفرع الأول: تعريف النسق القيمي
65	1- تعريف النسق
65	2- تعريف النسق القيمي
66	الفرع الثاني: محددات اكتساب النسق القيمي
66	1- الفئة الأولى/ المحددات البيئية والاجتماعية
66	أ. الإطار الحضاري والثقافي
66	ب. دور الأسرة
66	ج. دور المتغيرات الفرعية داخل الإطار الحضاري
67	• المستوى الاقتصادي- الاجتماعي
67	• المستوى التعليمي
67	• نسق القيم والجنس
67	• نسق القيم والعمر
67	• النسق القيمي والدين
67	2- الفئة الثانية/ المحددات السيكولوجية
68	أ- مدرسة التحليل النفسي
68	ب- النظرية السلوكية
68	ج- النظرية المعرفية
68	3- الفئة الثالثة/ المحددات البيولوجية
69	المطلب الثاني: القيم العليا والإيديولوجية
69	الفرع الأول: القيم العليا والمحافظة على الذات
74	1- الاتجاه الأول/ كون الدول منفردة، ومن خلال جهودها الذاتية، أقل قدرة على توفير أمنها
75	2- الاتجاه الثاني/ تراجع الحرب كأداة للسياسة الخارجية

67	الفرع الثاني: الإيديولوجية Ideology
81	خلاصة واستنتاجات:
الفصل الثاني: النمط القومي الأمريكي و المصلحة القومية	
- محرك السلوك الخارجي و تطبيقات السياسة الخارجية قبل 9/11	
87	المبحث الأول: محددات النمط القومي الأمريكي
87	المطلب الأول: المحددات التاريخية - الدينية
87	الفرع الأول: أرض الميعاد والأصولية البروتستنتية
90	الفرع الثاني: القدرية الظاهرة والمركزية الإثنية
92	المطلب الثاني: المحددات السياسية
92	الفرع الأول: الانعزالية والسيادية
98	الفرع الثاني: الفردانية والديمقراطية الليبرالية
102	المطلب الثالث: المحددات الفلسفية
102	الفرع الأول: المساحة الشاسعة وأسطورة الحدود
105	الفرع الثاني: البراغماتية والنزعة العلمية
110	المبحث الثاني: المصلحة القومية كمحرك للسلوك الخارجي الأمريكي
110	المطلب الأول: المصلحة القومية التعريف، الأبعاد و التصنيف
110	الفرع الأول: المصلحة القومية التعريف
114	الفرع الثاني: المصلحة القومية الأبعاد و معايير التصنيف
120	المطلب الثاني: المصلحة القومية، الأمن و الإيديوستراتيجية الأمريكية
120	الفرع الأول: المصلحة القومية، السياسة الخارجية و أولوية الأمن
124	الفرع الثاني: المصلحة القومية و الإيديوستراتيجية الأمريكية
128	المبحث الثالث: تطبيقات السياسة الخارجية الأمريكية قبل 9/11 - ميزان القيم و المصالح
128	المطلب الأول: التمدد المجالي من توسيع الحدود الدولية إلى عولمة المجال الحيوي
128	الفرع الأول: توسيع الحدود الدولية
132	الفرع الثاني: مذهب مونزو و المجال القاري
134	الفرع الثالث: عولمة المجال الحيوي

136	المطلب الثاني: بروتوكول كيوتو ومؤتمر ديربان سبتمبر 2001 - الإفلاس القيمي، العزلة الدولية و الضرورة الإستراتيجية للعدو
141	خلاصة واستنتاجات
145	الباب الثاني: أحداث 11 أيلول / سبتمبر 2001 و تفكيك السياسة الخارجية الأمريكية - ميزان القيم و المصالح
الفصل الثالث: التحليل القيمي/الاستراتيجي لأحداث 11 سبتمبر 2001	
150	المبحث الأول: تفسير الأحداث فرضية الحرب على النمط القومي و إخفاق الوكالات الأمنية
150	المطلب الأول: الرواية الرسمية عملية PENTTBOM
156	المطلب الثاني: رواية "المخابرات المركزية" « CIA » الضربة المرتدة Blow Back
166	المبحث الثاني: تفسير الأحداث فرضية لاتوازن / لأخلاقية السياسة الخارجية الأمريكية
166	المطلب الأول: أطروحة ديفيد ديوك اللاتوازن و الدعم المطلق للإرهاب الإسرائيلي
168	الفرع الأول: عملية "سوزانا" (Suzannah)
169	الفرع الثاني: اعتداء إسرائيل الإرهابي على البارجة الأمريكية ليبرتي (Liberty)
170	الفرع الثالث: إسرائيل دولة تتجسس على أمريكا وتبيع أسرار الولايات المتحدة لأعدائها
174	المطلب الثاني: أطروحة تشومسكي إرهاب السياسة الخارجية الأمريكية
176	المطلب الثالث: جايمس بتراس و نقد فرضيات تشومسكي - 9/11 بين قوة اللوبي و مشكلة تحديد المصلحة القومية
184	المبحث الثالث: النقد العلمي للرواية الرسمية نقض فرضية عجز الوكالات الأمنية
184	المطلب الأول: تيري ميسان الخديعة المرعبة و البنتاغايت « Pentagate »
193	الفرع الأول: تقرير الكونغرس حول برنامج CIA السري للتعذيب، تنظيم القاعدة و 9/11
194	الفرع الثاني: عملية "نورث وودز" (North woods)
195	المطلب الثاني: نفي مصدق أحمد الحرب على الحرية أو الحرب على الحقيقة؟
202	المطلب الثالث: دافيد راي غريفين نيو-بيرل هاربر و البرهان الجمعي
204	الفرع الأول: الدراسات السابقة المعتمدة
205	الفرع الثاني: التواطؤ الرسمي قائمة المعاني المحتملة
206	الفرع الثالث: البرهان الجمعي

206	الفرع الرابع: نظريات المؤامرة
213	خلاصة واستنتاجات
الفصل الرابع: تفكيك السياسة الخارجية الأمريكية بعد 9/11 هندسة القيم والمصالح	
218	المبحث الأول: السياسة الخارجية الأمريكية بعد 9/11 تحليل المضمون
218	المطلب الأول: وثيقة الأمن القومي NSSA تفسير الأحداث و تبرير السياسات
220	الفرع الأول: الحرب على الإرهاب
221	الفرع الثاني: أسباب استهداف الولايات المتحدة
222	1- وجهة النظر الأمريكية الرسمية محاربة قوى الشر
225	2- تفسير مدرسة الصور النمطية
226	3- تفسير المدرسة السياسية
227	المطلب الثاني: وثيقة مشروع القرن الأمريكي PNAC
235	المبحث الثاني: الفواعل المؤثرة و الإيديولوجيات المهيمنة
235	المطلب الأول: الإيديولوجية النخبوية المهيمنة و توظيف القيم الدينية
236	الفرع الأول: الحركة الصهيونية قوة اللوبي وتوظيف القيم الدينية
243	الفرع الثاني: المحافظة الجديدة، تفعيل PNAC و حروب بداية القرن
250	المطلب الثاني: المركبات الكبرى
251	الفرع الأول: المركب الصناعي - العسكري
251	1- نشأة المركب الصناعي - العسكري
253	2- سباق التسلح
254	3- حرب الخليج الثانية و تبرير الإنفاق العسكري
256	4- تكريس الهيمنة و ضمان التفوق
256	الفرع الثاني: المركبان العسكري - السينماتوغرافي/ الإعلامي - التواصلي (الشبكي)
264	المبحث الثالث: القيم، السياسة الخارجية و البيئة النفسية للرئيس الأمريكي بعد 9/11
264	المطلب الأول: القيادة، البيئة النفسية لصانع القرار و هيمنة مؤسسة الرئاسة في أمريكا
264	الفرع الأول: القيادة، القيم و السياسة الخارجية
265	1- القيادة و الرئاسة
266	2- القيادة و السياسة الخارجية
267	الفرع الثاني: الرئيس الأمريكي و البيئة النفسية لصانع القرار

267	1-هيمنة مؤسسة الرئاسة في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية
268	أ-القائد الأعلى للقوات المسلحة
268	ب-رئيس الدولة
268	ج-رئيس الحكومة
269	2-البيئة النفسية لصانع القرار و مكوناتها
269	أ-العقائد و النسق العقدي Belief System
271	ب-الإدراك أو إدراكات صانع القرار Perception
271	ج-التصورات أو تصورات صانع القرار Image
271	المطلب الثاني: من بوش إلى أوباما فرض قيم الإمبراطورية و حدود النزعة النيومثالية
273	الفرع الأول: جورج وكر بوش القوة الصلبة Hard Power و فرض قيم الإمبراطورية
273	1-البعد النفسي - الديني
273	أ- عقدة قيادة الرؤساء السابقين
274	ب- قلة المعرفة في شخصيته
274	ج-ضعفه في السياسة الخارجية
274	د-الاستشارة العائلية المستمرة
280	2-العمليات Processes والبعدان الجيو-حضاري و الجيو-اقتصادي
280	أ- عملية الحرية من أجل العراق
288	ب-عملية شيخينا
291	الفرع الثاني: باراك أوباما القوة الذكية Smart Power و حدود النيومثالية - سوريا و عملية "Timber Sycamore"
293	1- ميراث إدارة بوش و خطاب القاهرة أهداف استراتيجية و تغيير تكتيكي
294	أ- خطاب أوباما بجامعة القاهرة و الرسائل السياسية
295	ب-تحليل الخطاب
295	• الاعتراف المزدوج
297	• تحسين صورة الولايات المتحدة في الخارج
297	• التحول على مستوى الأولويات/التكتيكات
297	2-عملية Timber Sycamore في سوريا موم MOM وموك MOC والقيادة من الخلف

301	المطلب الثالث: دونالد ترامب و آفاق المسارين القراري و العولمي - النيو-انعزالية و ترسيخ المكاسب
303	الفرع الأول: إدارة دونالد ترامب و السياسة الخارجية الأمريكية تحليل أهم القرارات
304	1- القرارات العدوانية الموجبة
305	2- القرارات العدوانية السالبة
307	الفرع الثاني: آفاق المسارين القراري و القيادي/العولمي
308	1- آفاق المسار القراري في الولايات المتحدة
311	2 - العولمة و آفاق القيادة الأمريكية للعالم
312	أ- نظرية نهاية القوة و تساوي الأطراف
313	ب-نظرية البجعة السوداء The Black Swan والأحداث العرضية
315	خلاصة و استنتاجات
320	خاتمة
324	قائمة المراجع
357	الفهرس